

تصدر عن

مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية / النجف الأشرف - قم المقدسة

قسم الشؤون الفكرية / العتبة الحسينية المقدسة

العدد التاسع

السنة الثالثة (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)



مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية



الهيئة الاستشارية





تصدر عن مركز الدراسات التخصصية

في النهضة الحسينية/ النجف الأشرف-قم المقدّسة

قسم الشؤون الفكرية

العتبة الحسينية المقدّسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: ISSN: 978-964-984-240-7

هوية المجلّة:

مجلّة علمية فصلية تخصصيّة تُعنى بالبحوث المتخصّصة في مجال النهضة الحسينيّة، وكذا الدراسات العلمية في حقول المعرفة الدينيّة. تصدر عن مركز الدراسات التخصصيّة في النهضة الحسينيّة في النجف الأشرف وقم المقدّسة، التابع لقسم الشؤون الفكريّة في العتبة الحسينيّة المقدّسة.

اهتمام المجلّة:

تهتم المجلّة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينيّة وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

كما تهتم المجلّة أيضاً باستقطاب ونشر البحوث والدراسات الدينيّة التخصّصية ذات الجوانب التجديديّة والإبداعيّة، وذلك في كافّة الحقول والمجالات، فتمتدّ لتشمل الدراسات القرآنية والعقديّة والفكريّة والتاريخيّة والفقهيّة، وكذا ما يرتبط بالتراث الديني، من الأدعية والزيارات والنصوص الدينيّة بشكل عام.

فالمجلّة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في أبواب العلوم والمعارف الدينيّة، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المجلّة:

١ـ إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينيّة من خلال البحوث والدراسات.

٢ ـ نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينيّة.

٣ ـ إحياء التراث الديني والحسيني.

٤ ـ فتح نافذة علميّة لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينيّة.

٥ ـ الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكِّرين.

٦ـ استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلميّة القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.

٧ ـ فسح المجال أمام الباحثين والمفكِّرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلّة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.

٨ ـ التصدّي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول الدين بصورة عامّة والنهضة الحسينيّة بصورة خاصّة.

ضوابط النشر

تدعو المجلّة العلماء والأساتذة والباحثين وكل مَن لديه اهتمام في مجال الكتابة والتحقيق إلى رفدها بنتاجاتهم القيّمة، على أمل ملاحظة الأُمور التالية:

- أن تكون البحوث مرتبطة باختصاص المجلّة وأركانها.
- ألّا تكون منشورة أو بصدد النشر في كتاب أو مجلّة.
- أن تكون ضمن المناهج العلمية المتَّبعة.
- أن تكون بحوثاً مبتكرة وبلغة معاصرة.
- أن يكون البحث على قرص ليزري فيما لو كان منضداً.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلّة.
- لا تعاد البحوث لأصحابها نُشِرَت أم لم تُنشَر.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنيّة.
- إجراء التعديلات والتلخيصات اللازمة من صلاحيات المجلة.
- للمجلّة حق إعادة نشر البحث أو المقال في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصه الأصلي.
- كل ٢٥٠ كلمة تحسب صفحة واحدة.
- المجلّة تتبع نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- تعتبر الأولوية في المجلّة للمقالات والبحوث الحسينية.
- المجلة غير ملزمة بنشر ما يقل عن ١٥ صفحة أو يزيد عن ٣٠ صفحة.

مراكز النشر:

* النجف الأشرف: الروضة الحيدرية ـ معرض الكتاب الدائم.

* النجف الأشرف: شارع الرسول صلى الله عليه وآله ـ مكتبة دار الهلال.

* النجف الأشرف: قرب مشروع الماء ـ مكتبة العراق الجديد.

* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ دار الغدير.

* كربلاء المقدسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.

* بغداد: شارع المتنبيّ ـ مكتبة العين.

* البصرة: العشار ـ مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.

* إيران ـ قم المقدسة: صفائية ـ سوق الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ مكتبة فدك.

* إيران ـ قم المقدسة: سوق كذرخان ـ مكتبة الهاشمي.

المحتويات

مقال التحرير

ملف العدد

المظلومية في كربلاء

ثورة من وحي المأساة


مقال التحرير
مظلومية الإمام الحسين عليه السلام
ومأساة كربلاء في النص الديني
دراسة مفهومية - وثائقية

تُشرِق مجلّة (الإصلاح الحسيني) في عامها الثالث بملفّها الخاصّ بثقافة (المظلوميّة)، وهو من الملفّات المهمّة والمفصليّة في تراث وأدبيات ومعالم النهضة الحسينيّة المباركة، وقد تحدّثنا في مقال التحرير بإيجاز وتلخيص حول بعض الأُطر المفهومية والوثائق العامّة لمبدأ المظلوميّة الحسينيّة في النصّ الديني؛ لينتقل بعدها القارئ الكريم للغور في أعماق سلسلة مترابطة من البحوث والمقالات التفصيليّة العلميّة والمتميّزة، دوّنتها يراع ثلّة مباركة من العلماء والأساتذة والباحثين، حيث أثْروا بكتاباتهم القيّمة هذا الملفّ الخاصّ وأشبعوه بحثاً وتدقيقاً وتحقيقاً بصورة غير مسبوقة.



الشيخ قيصر التميمي

هناك من يُعجبه الالتحاق بركب الظالمين والاصطفاف في طابور الجلّادين والحمقى، ويُعفي عقله؛ ليَتّهم المظلوم بما يُسمّى بـ(عقدة الشعور بالمظلومية)، ويُحذّر الأفراد والشعوب من خطورة الإحساس والإصابة بهذا الشعور، ويصفه بالداء الخطير والجرثومة القاتلة، التي تنشر بينهم عدوى الكراهية والتباغض والاحتراب، وتخلق

مجتمعات موبوءة حاضنة للجريمة والإرهاب؛ ولذا ينبغي توخّي الحذر من كلّ مظلوم يشعر بالظلم؛ لأنه يحمل عُقدة الانتقام من الآخرين، ولا علاج لهذا الداء والمرض الخطير، إلّا باقتلاعه من جذروه، فيتحتّم على كلّ مظلوم ـ كي يتماثل للشفاء ـ ألّا يستشعر آلام مظلوميته، وأن يرمي هذه القمامة في حاويات الذاكرة؛ ليعيش حياته بصحة وعافية واستقرار، وإذا صادفه القدر ووجد نفسه مظلوماً في مستقبل الأيام، فعليه أن يتناسى ويتغاضى ويعيش قَدَره، وهكذا تدور على المظلوم الدوائر، فتباً للمظلوميات وأهلها، وليهنأ الظَلَمة بالأمن والسلام، هكذا يحلو للبعض أن يُفكّر.

وقد يكون لهذا الكلام أسبابه ومبرّراته المعقولة والموضوعيّة، لو كان الشعور بالقهر والمظلومية مجرّد أوهام وعُقد نفسيّة سيكولوجية لا واقعيّة لها، تعيشها بعض الأفراد والمجتمعات الموبوءة والمصابة بداء التخلّف والدونيّة، فتُعيق تقدّمهم ورقيّهم الحضاري، وتُصيبهم بداء الانطوائيّة والتوحّش والانكفاء على الذات... لكننا نعتقد أن الإنسان بطبعه لا يُحب التعايش مع ذلك الشعور أبداً، ويتمنّى الخلاص منه بأيّ صورة وشكل من الأشكال، فمن النادر جدّاً أن تجد شخصاً يرتضي لنفسه أن يكون مظلوماً ويعيش في ظلّ المظلوميّة وذُلّها؛ ولذا كانت المظلوميّة ولا زالت عُقدة الظالم، ومرضه الخبيث، وداءه العضال، وخطيئته التي ينبغي أن يُحاسب ويُلام عليها.. وأما المظلوم، فقد أودع الله تعالى في فطرته مجسّات الشعور بالمظلومية؛ ليتحوّل هذا الإحساس إلى ردّة فعل عنيفة وبركان ثائر في وجه الظالمين، ولا يمكن أن يُحارَب الظلم أو يُقارَع إلّا بمثل هذا الشعور الغريزي والفطري، وسيبقى مَن يفتقده قابعاً في دائرة الذُّلّ والهوان مدى الحياة.

إذن؛ نحن بحاجة ماسّة إلى ما قد يُسمّيه البعض بموجب الكراهية والتباغض والانتقام، ومن موجبات ذلك الشعور بالمظلوميّة، ولكن ينبغي أن يكون هذا الإحساس سلاحاً فتّاكاً بوجه الظالم الحقيقي.. وهذه هي ثمرة ذلك الشعور الغريزي..

فينبغي محاسبة الظالم، وتشجيع المظلوم على شعوره هذا، وتنميته ليكون رصاصة قاتلة بوجه الظالمين، فلا يهنأ الظالم أبداً في مجتمع يشعر بظلمه وجوره، فالمظلومية «**تستصرخ ضمائر الناس وتوقظ وجدانهم، وتدفعهم للوقوف إلى جانب أهل الحقّ المظلومين، كما تستثير نقمتهم وغضبهم ضدّ المعتدين الظالمين**»[1].

الصيرورة والتكوّن الأُفهومي لمفردة المظلوميّة

المظلوميّة: هي كالظُّلامة والظَّلِيمة والمَظْلِمة في المعنى، وهي اسم يحكي ذات حقيقة الظلم ومعناه لغةً، ولكن مع اختلاف في اللحاظ والاعتبار، فبلحاظ وقوع الظلم على المظلوم وتلبّسه به بتأثير الظالم يتقرّر مفهوم ومعنى المظلوميّة، ويقع ذلك في قبال مفهوم الظالميّة، الذي هو الظلم ذاته أيضاً، ولكن بلحاظ إيقاعه من قِبَل الظالم وكونه فاعلاً للظلم بحقّ المظلوم. وأمّا معنى ومفهوم الظُّلْمُ في اللغة، فهو: «**وَضْع الشيء في غير موضِعه... وأصل الظُّلم الجَوْرُ ومُجاوَزَة الحدِّ... والظُّلْم المَيْلُ عن القَصد... وتَظَلَّم منه شَكا مِنْ ظُلْمِه، وتَظَلَّم الرجلُ أحالَ الظُّلْمَ على نَفْسِه... والمُتَظَلِّمُ الذي يَشْكو رَجُلاً ظَلَمَهُ والمُتَظَلِّمُ أيضاً الظالِمُ... وتَظَلَّمَني فلانٌ. أي: ظَلَمَني مالي... ويُقال: تَظَلَّمَ فُلانٌ إلى الحاكم مِنْ فُلانٍ فظَلَّمَه تَظْليماً. أي: أنْصَفَه مِنْ ظالِمِه وأَعانَه عليه... والظَّلَمةُ المانِعونَ أَهْلَ الحُقوقِ حُقُوقَهم... ويُقال: ظَلَمْتُه فتَظَلَّمَ. أي: صبَرَ على الظُّلْم... واظَّلَمَ وانْظَلَمَ احْتَملَ الظُّلْمَ، وظَلَّمه أَنْبأَهُ أنه ظالمٌ أو نسبه إلى الظُّلْم**»[2].

وحاصل معنى (المظلوميّة) في اللغة: هو أنّها عبارة عمّا يلحق المظلوم بفعل الظالم من الجور والأذى، والحيف والتجاوز، والابتزاز ونهب الحقوق، والقتل وسلب الممتلكات ونحو ذلك.

---

(١) الصفّار، حسن، المرأة العظيمة: ص١٧٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب: ج١٢، ص٣٧٣، مادّة ظلم.

وأمّا مفهوم (المظلوميّة) في العقل والرؤية الفلسفيّة، فهو من مقولة الإضافة، وهي الهيئة الحاصلة من نسبة متكرّرة قائمة بين طرفين متخالفين هما (الظالم والمظلوم)، وكل واحد من هذين الطرفين يتشارك مع الآخر في صناعة وبناء معنى المظلوميّة ومفهومها وحقيقتها في الذهن.

لكننا حينما نلاحظ مضامين ومُعطيات النصوص الدينيّة في هذا المجال، نراها تصف المظلوميّة في صيرورتها وتكوّنها بما يُشبه الإضافة الإشراقيّة، التي يرتبط ويتعلّق المضاف والإضافة فيها بطرف واحد فحسب، فالمظلوميّة بمعناها ومفهومها الدينيّ تُعبّر عن جريمة نكراء بحقّ الإنسانيّة، وظاهرة مأساويّة في المجتمع البشري، لا يصنعها ولا يتحمّل وزرها إلّا الظالم وحده، ولو ساهم المظلوم مع الظالم وسعى في صناعتها وتكوينها، فإنه سيكون في صفوف الظالمين، لا المظلومين.

مبدأ المظلوميّة في النصّ الديني

ومن هذا المنطلق؛ نجد بأن النصوص الدينيّة ـ كما سيأتي ـ قد اهتمّت بمفردة (المظلوميّة) اهتماماً لافتاً، واصطفّت وتضامنت بحماس بالغ مع فئة المظلومين والمضطهدين، ودافعت بقوّة وحزم عن أحاسيسهم ومشاعرهم ومعاناتهم والضغوطات الكبيرة التي يواجهونها بسبب ما يقع عليهم من الإجحاف والظلم والاضطهاد، وسنرى أيضاً كيف احتشدت في مضامين تلك النصوص الدينيّة المتضافرة كل أساليب الإدانة والشجب والاستنكار والتعنيف والتوبيخ للظلمة والمتجبّرين، وتحميلهم مسؤوليّة صناعة المظلوميّة في المجتمعات الإنسانيّة.

المظلومية في القرآن الكريم

حينما نطالع الآيات القرآنية بهذا الخصوص نراها حافلة بمعاني تلك الحقيقة الإلهيّة

المهمّة، وهي ثنائيّة التضامن مع المظلوم والتنديد بالظالم وتحميله كامل المسؤوليّة، ففي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1]، نلمس تعاطفاً وتضامناً واضحاً وصريحاً مع فئة المظلومين، حيث أعطاهم الله تعالى في هذا النصّ القرآني الحقّ الكامل في النهوض للدفاع عن أنفسهم، والتحرّك العسكري المسلّح في سبيل استرجاع حقوقهم والانتصار والغلبة على مَن ظلمهم واعتدى عليهم، مع تجريم الظالمين وهدر دمائهم وأموالهم وتحميلهم المسؤولية الكاملة. وهذا يعني أن دور المظلوم ومسؤوليّته هو محاربة المظلوميّات بكل ألوانها والسعي للقضاء عليها وعلى صُنّاعها، لا أنه يسعى للمشاركة في إنتاجها وصناعتها، بأيّ وجه من الوجوه، ولأيّ سبب من الأسباب.

وبذات البيان والمضمون ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[2]، فالهجرة بسبب الظلم هجرة في سبيل الله، وهي الخطوة الأُولى في مقارعة الظلم والظالمين، تليها مرحلة الثورة والخروج المسلّح والجهاد في سبيل الله، كما نصّ على ذلك قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾[3]، ويُعدّ هذا النص القرآني المبارك أوّل مرسوم إلهي في الإسلام لإعلان الحرب المفتوحة على الظالمين، وحثّ المظلومين للخروج العسكري المسلّح على صُنّاع الظلم والإرهاب والاضطهاد، فالمظلومية صناعة الظالم وجريرته، وإن وظيفة المظلوم وتكليفه

---

(١) الشورى: آية ٣٩ـ٤٢.

(٢) النحل: آية ٤١.

(٣) الحج: آية ٣٩ـ٤٠.

الشرعيّ هو الجهاد في سبيل استئصالها والقضاء عليها، للخروج من واقع المظلوميّة المرير؛ فيجب القضاء على الظلامة والمظلوميّة أينما وُجِدَت، لا المشاركة والسعي في صناعتها.

وفي نصّ قرآنيّ آخر استثنى الله تعالى من زمرة الغاوين ثورة المظلومين على الظالمين، فليست ثورتهم بكل ألوانها ومظاهرها الشرعيّة من أصناف الغواية والبغي، وإنما هي من الحقوق المشروعة والمكفولة للمظلوم في دفاعه عن نفسه ومجتمعه، وذلك ما ورد في قوله تعالى حول ثورة الشعراء الأدبيّة وأنصارها: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]، فالمظلومون من الذين آمنوا، هم أصحاب المواقف والمبادئ الثابتة والمشروعة، وهم الذين يقولون ما يفعلون، ومسموح لهم أن ينطلقوا في ثورتهم ضدّ الظلم من (القول) ومحافل الشعر والأدب إلى (الفعل) والحركة المسلّحة للانتصار على ظالميهم.

وفي طائفة أُخرى من الآيات القرآنية أجاز الله تعالى للمظلوم ما هو ممنوع على الآخرين، من قبيل الجهر بالسوء في حقّ الظالمين، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[2]، ففي مجمع البيان عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**لا يُحبّ الله الشتم في الانتصار (إلّا من ظُلِم)، فلا بأس له أن ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين**»[3]، وفي تفسير القمي: «**أي: لا يُحبّ أن يجهر الرجل بالظلم والسوء ويَظلم، إلّا من ظُلم فقد أطلق له أن يُعارضه بالظلم**»[4]. ومن هذا القبيل أيضاً جواز قتل الظالم قاتل النفس البريئة ظلماً وعدواناً، كما في قوله تعالى:

(١) الشعراء: آية ٢٢٤ـ٢٢٧.

(٢) النساء: آية ١٤٨.

(٣) الطبرسي، أبو علي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج٣، ص٢٢٥.

(٤) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج١، ص١٥٧.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[1]. فالنفوس المحترمة تفقد احترامها وحصانتها إذا أصبحت ظالمة، ويُقتل الظالم قصاصاً بدم المظلوم.

وفي نص قرآنيّ آخر وُضع الظلم في عداد الفتن الخطيرة التي ينبغي إخمادها والقضاء عليها، وإلّا فإنها ستُصيب أيضاً بشرها وضررها المؤمن المظلوم، الساكت على فتن الجور والظلم والاضطهاد، والمشارك بسكوته في صناعتها، يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2]، فالمظلوم مهدّد بخطر الافتتان ما لم يقف بوجه الظالم لدرء فتنة ظلمه وطغيانه.

ومن هذا النصّ القرآني؛ يُفهم أيضاً بأن مَن يسعى ليُصبح مظلوماً يكون شريكاً في صناعة فتنة الظالمين، فلا خيار أمام المؤمن إلّا بمحاربة الظلم والعمل على اجتثاثه واقتلاع فتنته من جذورها.

تخليد ذكرى المظلوميّات في القرآن الكريم

لقد تصدّى القرآن الكريم في آياته لتخليد ذكرى كثير من المظلوميّات المأساويّة والمؤلمة التي شهدها التأريخ البشري، وما ذلك إلّا لإعلان التضامن مع المظلومين، وشجب واستنكار ما اقترفه الظالمون من جرائم وانتهاكات بحقّ الإنسانيّة، ولتبقى تلك المظلوميّات الخالدة دروساً في الحريّة والإباء للأجيال اللّاحقة، ولعلّ من أوائل تلك الظلامات التي خلّدها القرآن الكريم هي الجريمة التي اقترفها قابيل بحقّ أخيه هابيل، حينما أقدم على قتله ظلماً وعدواناً، وقد استنكر الله تعالى هذه الجريمة بالقول: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[3]. ومن الظلامات الخالدة

---

(١) الإسراء: آية٣٣.

(٢) الأنفال: آية٢٥.

(٣) المائدة: آية٣٠.

أيضاً في جملة من النصوص القرآنية مقاتل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام على أيدي الجبّارين والظالمين من أقوامهم وأُممهم، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1]. ومن هذا القبيل أيضاً ظلامة يوسف عليه السلام مع إخوته الذين ألقوه في البئر بلا رحمة ولا شفقة، وفرّقوا بينه وبين أبيه سنينَ طويلة قاسية، وقد خلّد الله تعالى هذه الظلامة في سورة كاملة من سور القرآن الكريم، وهي سورة يوسف. ومن تلك الظلامات أيضاً ظلامة المواليد من البنات والفتيات التي كانت تُدفن ظلماً وعدواناً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۞ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴾[2]. وأيضاً ظلامة ناقة صالح، ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ۞ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴾[3]. وغير ذلك من الظلامات والمظلوميّات التي خلّدها الله تعالى في القرآن الكريم، تُتلى آناء الليل وأطراف النهار، لتبقى صرخة استنكار وتنديد بالظالمين، ودرساً وعبرة خالدة لكلّ المظلومين والأحرار في العالم على مدى العصور والدهور. وفي ضوء هذا النهج القرآني ـ كما سنلاحظ ـ جاء التأكيد في النصوص الدينيّة الحسينيّة على تخليد مأساة كربلاء، ظلامة التأريخ الكبرى، في ضمائر الأجيال المتعاقبة.

متى يستحق المظلوم التضامن والتقدير على مظلوميّته؟

وأما دائرة النصوص والأحاديث الشريفة الواردة في خصوص مبحث الظلم والمظلوميّة، فهي واسعة وكثيرة جدّاً، تفوق حدّ الحصر والإحصاء، ولعلّ أغلبها يدور في فضاء المضامين القرآنيّة المتقدّمة، وسوف نكتفي منها بذكر النصوص والأحاديث

(١) آل عمران: آية٢١.

(٢) التكوير: آية٨ـ٩.

(٣) الشمس: آية١٢ـ١٥.



المرتبطة بالنهضة الحسينيّة المباركة، تجنّباً للإطالة، وتخصيصاً للبحث بمورده.

ولكن قبل الانتقال إلى ذلك أحببت الإشارة إلى بعض النصوص الدينيّة العامّة التي تضع حدوداً وشروطاً خاصّة للمظلوميّات والظلامات التي تستحقّ التعاطف والتضامن والنصرة الإلهية، وهي كما يلي:

١ـ أن يكون المظلوم مُخلصاً في توجّهه إلى الله تعالى بمظلوميّته، وأن لا يرى ولا يجد له ناصراً على ظالميه إلّا الله عزّ وجلّ، وهذا هو ما نفهمه من قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «**يقول الله عزّ وجلّ: اشتدّ غضبي على مَن ظلم مَن لا يجد ناصراً غيري**»[1].

٢ـ ألّا يكون المظلوم شريكاً مع الظالم في صناعة مظلوميّته، وهو ظاهر جملة من الآيات القرآنيّة المتقدّمة كما أشرنا.

٣ـ ألّا يكون المظلوم متورّطاً بالظلم لغيره من الناس بما يُماثل مظلوميّته، ففي الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ يقول: وعزّتي وجلالي، لا أُجيب دعوة مظلوم دعاني في مَظلَمة ظُلِمَها ولأحد عنده مثل تلك المظلمة**»[2].

٤ـ ألّا يكون راضياً بظلم الآخرين، ولا مُتضامناً مع الظالمين في ظلمهم، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «**مَن عَذَر ظالماً بظلمه سلّط الله عليه مَن يظلمه، فإنْ دعا لم يُستجَب له، ولم يأجره الله على ظلامته**»[3].

٥ـ ألّا يكون مسرفاً ولا متجاوزاً حدوده الشرعية حينما يدعو على ظالميه بالانتقام، وإنما يتقيّد في دعائه وانتقامه بما أجازه الله تعالى له في الدين، وفي هذه النقطة يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إن العبد ليكون مظلوماً، فلا يزال يدعو حتى يكون ظالماً**»[4].

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٤٠٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص٢٧٢.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٣٤.

(٤) المصدر السابق: ج٢، ص٣٣٣.

المظلوميّة في النصّ الدينيّ الحسينيّ

حينما نأتي إلى جريمة التأريخ الكبرى ـ مأساة كربلاء ـ نجدها قد حملت في صفحاتها من معاني وصور المظلومية والاضطهاد والقهر ما لم تره العيون إلّا في كربلاء، وانطلاقاً من حجم المظلومية والمأساة يُلاحظ بأن النصوص المحيطة بفاجعة كربلاء قد امتلأت بعبارات ومعاني الظلم والمظلومية، ويُلاحظ أيضاً بأن بعضها عبارة عن أحاديث قدسيّة واردة عن الله تعالى مباشرة، وبعضها الآخر مأثور عن ملائكة السماء، وبعض ثالث جاء على لسان الأنبياء والرسل والأوصياء، وخصوصاً في نصوص (الأذكار والأدعية والزيارات)، بما يفوق حدّ الإحصاء والاستقصاء، والذي يُفهم من مجمل هذه النصوص: أنّ الله تعالى قد أخبر الصفوة الطاهرة من خلقه بخطورة الموقف والمرحلة، وبيّن لهم عِظم الفاجعة، وحذّر الكون بأكمله من هول ما سيقع، وحمّل الأُمّة بكاملها مسؤولية ارتكاب تلك الجريمة النكراء، وافترض على كلّ مؤمن أن يقف أمام الحسين عليه السلام؛ ليشهد ويُقرّ له بالمظلومية، ويُدينها ويستنكرها بشدّة، ويتبرأ مما فعله الظالمون، كي لا يكون شريكاً ولا مشمولاً بفتنتهم الكبرى التي سيواجهون الله تعالى بها، حيث سيثأر وينتقم منهم لدم الحسين عليه السلام شرّ انتقام.

ونحاول فيما يلي أن نستعرض مجموعة من النصوص الدينيّة المختصّة بمظلوميّة فاجعة كربلاء في إطار العناوين التالية:

١ـ التأكيد على عنوان (مظلوميّة الحسين عليه السلام) في النص الديني

يطالعنا التراث الديني الحسيني بحشد هائل من المضامين، وباهتمام بالغ ومنقطع النظير، في أحاديث ونصوص صريحة ومتنوّعة ومتضافرة، هدفها ترسيخ وتوثيق وتخليد صورة (المظلوميّة) في النفوس، ما يطبع لها ولكربلاء في أذهاننا ثنائية متلازمة لا تنفك أبداً، ذلك حينما نقرأ في التراث الديني أن الله تعالى والأنبياء والأوصياء قد قرنوا

عنوان المظلوميّة بالقضيّة الحسينيّة في أغلب الموارد التي يُذكر فيها الحسين عليه السلام وثورته المباركة، ولتوثيق هذه الفكرة نستطلع موجزاً بعض النصوص الواردة في هذا المجال:

١ـ ما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الرضا عليه السلام بأن الله تعالى أوحى إلى نبيّه إبراهيم عليه السلام بالقول: «**يا إبراهيم، مَنْ أحبّ خلقي إليك؟ فقال: يا ربّ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله. فأوحى الله تعالى إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي. قال: فولَده أحبّ إليك أمْ ولدك؟ قال: بل ولَده. قال: فذبح ولَده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا ربّ، بل ذبح ولَده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبي. قال: يا إبراهيم، فإن طائفة تزعم أنها من أُمّة محمّد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يُذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي. فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك، وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي**»[(١)]، ونلاحظ في هذا النص المبارك التأكيد الّلافت والمتكرّر عن الله تعالى على فكرة الظلم والمظلوميّة، ودورها في صناعة الألم والحزن والبكاء على مصيبة الحسين عليه السلام، كما نلمس بوضوح أيضاً التأكيد على أن الحسين عليه السلام ستقتله الأُمّة ظلماً وعدواناً، وأنها سوف تستوجب بذلك السخط والغضب والانتقام الإلهي.

٢ـ ما يرويه المجلسي في البحار، بأن الله تعالى أوحى إلى آدم حينما جُرحت رجله في كربلاء بالقول: «**يُقتل في هذه الأرض ولَدك الحسين ظلماً، فسال دمك موافقة لدمه**»[(٢)]، حيث اقترن مقتل الحسين عليه السلام في هذا النصّ بعنوان المظلوميّة، واستحقّ بذلك مواساة الأنبياء.

٣ـ ما يرويه الطوسي بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال: «**لما كان من أمر الحسين بن علي ما كان، ضجت الملائكة إلى الله تعالى وقالت: يا ربّ، يُفعل هذا**

---

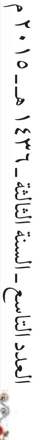
(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص٥٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٤٢.

بالحسين صفيّك وابن نبيك؟! قال: فأقام الله لهم ظلّ القائمعليه السلام**، وقال: بهذا أنتقم له من ظالميه»**[1]، حيث اقترنت في هذا النصّ أيضاً مأساة الحسينعليه السلام بعنوان الظالميّة، والتي هي المظلوميّة ذاتها كما تقدّم، ولكن بلحاظ فعل الظالمين وما ارتكبوه من جريمة بشعة بحقّ ابن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله، وستكون هذه المظلوميّة شعار القائمعليه السلام حينما ينتقم من قتلة جدّه الحسينعليه السلام.

٤ـ ما ورد في كامل الزيارات، عن الإمام علي بن الحسينعليهما السلام، أنه قال: «**مَرَّ بالحسين**عليه السلام **أربعة آلاف مَلَك وهو يُقتل، فعرجوا إلى السماء، فأوحى الله إليهم: يا معشر الملائكة، مررتم بابن حبيبي وصفيّي محمّد**صلى الله عليه وآله **وهو يُقتل ويُضطهد مظلوماً فلم تنصروه**[2]**، فانزلوا إلى الأرض إلى قبره فابكوه شعثاً غبراً إلى يوم القيامة. فهم عنده إلى أن تقوم الساعة»**[3]، وهذا النصّ كما هو واضح يؤكّد على اقتران وتلاحم فاجعة المقتل الحسيني بجُرم الاضطهاد والمظلوميّة؛ لتكتمل به صورة المأساة، ويؤكّد النصّ أيضاً على أن نصرة الحسين (المظلوم) فرض واجب على أهل السماء قبل أهل الأرض، وأن الخلائق بأجمعها تتحمّل مسؤوليّة التقصير في أداء هذا الواجب المقدّس.

٥ـ حينما قام الإمام علي بن الحسين زين العابدينعليه السلام خطيباً في مجلس يزيد للتعريف بنفسه الطاهرة، وفضح الظالمين أمام الرأي العام، قال في جملة ما جاء في خطبته الشريفة: «**أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المحزوز الرأس من القفا**»[4]، فجاءعليه السلام بمفردة القتل مقرونة بالظلم؛ ليكشف للجمهور معالم الكارثة والمأساة.



---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٤١٨.

(٢) لعلّ المقصود: هو أن هؤلاء الملائكة لم يعرضوا على الإمام الحسينعليه السلام حين نزولهم استعدادهم للنصرة والقتال بين يديه كما فعل ذلك طوائف أُخرى من الملائكة، فلا ينافي هذا النصّ بعض النصوص الأُخرى الدالّة على أن الحسينعليه السلام قد رفض مشاركة الملائكة في الأحداث الأخيرة لمعركة الطف.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٢٦.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٣٠٥.

٦ـ ما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام، والذي يؤكّد فيه على مشهد المأساة والمظلوميّة في المقتل الحسينيّ، حيث يقول: «**إن الحسين صاحب كربلاء قُتل مظلوماً مكروباً عطشاناً لهفاناً**»(١).

٧ـ ما روي عن الباقر أو الصادق عليهما السلام ـ والترديد من الراوي ـ أنه قال: «**مَن أحب أن يكون مسكنه الجنة ومأواه الجنة فلا يدع زيارة المظلوم. قلت: ومَن هو؟ قال: الحسين بن علي صاحب كربلاء**»(٢)، حيث اقترنت الزيارة ومطلوبيّتها وثوابها بوصف المظلوميّة، ومعروف أن الوصف مُشعر بالعليّة، بمعنى أن للمظلوميّة مدخليّة وتأثير في محتوى ومضمون هذا النصّ الشريف.

٨ـ ما ورد أيضاً من التأكيد على عنوان (المظلوميّة الحسينيّة) في كلام الإمام الصادق عليه السلام، حيث يقول: «**إن الحسين عليه السلام قُتل مظلوماً مضطهداً نفسه، عطشاناً هو وأهل بيته وأصحابه**»(٣).

٩ـ ما ورد من التعريف بشخص الإمام الحسين عليه السلام في إحدى الزيارات الشريفة المرويّة عن الإمام الصادق عليه السلام، وأن من جملة ما يقوله الزائر: «**لبيك داعي الله، إن كان لم يُجبك بدني فقد أجابك قلبي وشعري وبشري ورأيي وهواي، على التسليم لخلف النبي المرسل والسبط المنتجب، والدليل العالم، والوصي المبلّغ، والمظلوم المهتضم**»(٤)، حيث جاءت المظلوميّة واحدة من مفردات هذا التعريف الشريف.

٢ـ لعن الأُمّة الظالمة وتحميلها مسؤوليّة ما واجهه الحسين عليه السلام من مظلوميّة ومأساة

تؤكّد الأحاديث والنصوص الدينيّة على أن الأُمّة الإسلاميّة ـ بل الإنسانيّة بأكملها ـ

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣١٣.

(٢) المصدر السابق: ص٢٦٩.

(٣) المصدر السابق: ص٢٨٩.

(٤) المصدر السابق: ص٤٤٠.

هي التي تتحمّل مسؤوليّة الظلم والاضطهاد الذي تعرّض له الإمام الحسينعليه السلام في مسيرته وحركته الإصلاحيّة؛ ولذا ورد في بعض نصوص الزيارة قول الزائر: «**ضمنت الأرض ومَن عليها دمك وثارك يا بن رسول الله**»[1]، فالإنسانيّة بكافّة ألوانها وأطيافها بين ظالم للحسينعليه السلام أو راضٍ بظلمه وساكت عنه، وبين رافض متضامن وزائر وثائر مُطالب بدم الحسينعليه السلام، ولا مجال للحياد أبداً، فإما مع أو ضد[2]. ونستعرض فيما يلي تحت هذا العنوان بعض النصوص الدينيّة التي تؤكّد على الشجب والاستنكار واللعن الدائم والمتواصل للأُمّة الظالمة والأُمم الراضيّة بظلمها والسائرة على نهجها، وهي على طوائف كثيرة، منها ما يلي:

١ـ ما ورد في النصوص والزيارات الكثيرة والمتضافرة، قولهمعليهم السلام المتكرر: «**ولعن الله أُمة ظلمتك**»[3]. أو بنصّ آخر: «**فلعن الله أُمة قتلتك، ولعن الله أُمة ظلمتك، ولعن الله أُمة سمعت بذلك فرضيت به**»[4]. وأيضاً في نصّ ثالث مماثل: «**فلعن الله مَن قتلك، ولعن الله مَن ظلمك، ولعن الله أُمة سمعت بذلك فرضيت به**»[5]. وفي نصّ رابع: «**لعن الله أُمة ظلمتك، وأُمة قتلتك، وأُمة قاتلتك، وأُمة أعانت عليك، وأُمة خذلتك، وأُمة دعتك فلم تُجبك، وأُمة بلغها ذلك فرضيت به، وألحقهم الله بدرك الجحيم**»[6]. وفي نصّ

---

(١) المصدر السابق: ص٣٦٢.

(٢) وأما القاصرون الذين لم يتعرّفوا على الإمام الحسينعليه السلام ونهضته المباركة، فهم أيضاً بين رافض للظلم بكل ألوانه، بما في ذلك مظلومية الحسينعليه السلام لو اطّلع عليها، وهذا يكون في زمرة القاصرين المستضعفين المرجَون لأمر الله، إمّا أن يعذّبهم أو يتوب عليهم، وبين حامل للواء الظلم أو راضٍ به، فيُدرج في زمرة الظالمين للحسينعليه السلام.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٨٧.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٢١.

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٤.

(٦) المصدر السابق: ج٦ ص٥٨.

خامس: «**فلعن الله أُمة أسّست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت**»[1]. وورد في زيارة علي بن الحسين عليه السلام: «**السلام عليك أيها المظلوم وابن المظلوم، لعن الله أُمة قتلتك، ولعن الله أُمة ظلمتك، ولعن الله أُمة سمعت بذلك فرضيت به**»[2]. فإن هذه الطائفة من النصوص صريحة ألفاظها في كلّ معاني ومضامين الشجب والإدانة والاستنكار لفاجعة الدهر الكبرى، والتأكيد على أن النقمة واللعنة الإلهيّة ستحلّ في سواد الأُمّة الظالمة للحسين عليه السلام، وأن لعنات السماء المؤبّدة ستبقى تُلاحق الأُمّم والأجيال المتضامنة مع تلك الأُمّة، والراضيّة بما اقترفت من الجرم والظلم والاضطهاد في أحداث كربلاء الدامية، وسيبقى كلّ إنسان حرّ زائر للحسين عليه السلام عارف بقضيّته يستنكر تلك الفاجعة ويُطالب السماء بإنزال المزيد من لعناتها على (كابينة) الظالمين بكافّة أصنافهم.

٢ـ ما ورد في جملة من النصوص والزيارات المستفيضة عنهم عليهم السلام، قول الزائر: «**لعن الله الظالمين لكم من الأولين والآخرين**»[3]. وفي نصّ آخر: «**ألا لعن الله قاتليك، ولعن الله ظالميك، ولعن الله سالبيك ومبغضيك من الأولين والآخرين**»[4]. وفي نصّ ثالث: «**اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك، اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين وشايعت وبايعت وتابعت على قتله، اللهم العنهم جميعاً**»[5]. وهذه الطائفة من النصوص صريحة أيضاً في كون (المظلوميّة الحسينيّة) جريمة عظمى وكارثة كبرى بحق الإنسانيّة، يتحمّل وزرها الأوّلون والآخرون، ممن تلطخّت أيديهم بدماء الصفوة من ذريّة الأنبياء، المؤسّسون منهم، والممهّدون، والفاعلون، والداعمون، والمؤيّدون لتلك الجريمة النكراء، وقد ورد في الحديث الشريف: «**العامل**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٣٧.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٧٢٢.

(٣) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤١٥ـ٤١٦ و٥١٧ـ٥١٩.

(٤) الشهيد الأول، محمّد بن مكي، المزار: ص٤٩٩.

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٧٧٦.

بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم»[1].

٣ـ ما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال: «**لما ضُرب الحسين بن علي عليهما السلام بالسيف، ثم ابتُدر ليُقطع رأسه، نادى منادٍ من قِبل الله ربّ العزة تبارك وتعالى من بطنان العرش، فقال: ألا أيّتها الأُمّة المتحيّرة الظالمة الضالّة بعد نبيّها، لا وفّقكم الله لأضحى ولا فطر**»[2]. وفي نص آخر عن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، أنه قال: «**إن الناس لما قتلوا الحسين (صلوات الله عليه) أمر الله تبارك وتعالى مَلَكاً يُنادي: أيّتها الأُمّة الظالمة القاتلة عترة نبيّها، لا وفّقكم الله لصوم ولا لفطر**»[3]. ولا شك بأن سلب التوفيق للطاعة من أبرز مظاهر نزول اللعنة الإلهية على تلك الأُمّة الظالمة.

٣ـ مظلومية الحسين عليه السلام توجب العذاب الأبدي لظالميه

ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أن أعوان الظلمة يوم القيامة في سُرادق من نار، حتى يحكم الله بين العباد**»[4]، وهذه هي حال الظالمين أيضاً بالأولويّة القطعيّة، وهو صريح قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[5]، وفي هذا الإطار تؤكّد جملة من النصوص والروايات على أن السبب الأساس والحدّ الأوسط لدخول سفّاحي كربلاء النار وخلودهم فيها هو الظلم والمظلوميّة التي اقترفوها بحقّ الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الكرام وأهل بيته الطاهرين، ومن تلك النصوص ما يشهد به المؤمن في زيارته للروضة الحسينية المقدّسة، حينما يقول: «**أشهد أنك قُتلت مظلوماً، وأن قاتلك في النار**»[6]. وأيضاً ما ورد في خطبة لفاطمة الصغرى عليها السلام في أهل الكوفة، جاء فيها قولها:

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢ ص٣٣٣.

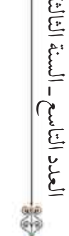
(٢) الفتّال النيسابوري، روضة الواعظين: ص١٩٣.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص١٦٩.

(٤) المصدر السابق: ج٥ ص١٠٧.

(٥) هود: آية١١٣.

(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٠٦.



«**ثم تُخلّدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين**»[1].

وهذا أيضاً ما يدعو به الزائر لقبور شهداء الطف، حيث يجعل المظلوميّة سبباً وموجباً لدعائه بهلاك الظالمين، فيقول: «**أسأل الله الذي حملني إليكم حتى أراني مصارعكم، أن يُرينيكم على الحوض رواء مرويين، ويُريني أعداءكم في أسفل درك من الجحيم، فإنهم قتلوكم ظلماً وأرادوا إماتة الحق، وسلبوكم لابن سمية وابن آكلة الأكباد**»[2].

٤ـ شهادة المؤمن وإقراره بـ(مظلوميّة الحسين عليه السلام) أمام الله تعالى

إن من المفردات الشائعة والمنتشرة بكثرة في زيارات الإمام الحسين عليه السلام الخاصّة والعامّة، هي شهادة المؤمن الزائر وإقراره ـ حينما يقف للزيارة ـ بأن الحسين عليه السلام قد قُتل مظلوماً مضطهداً شهيداً في سبيل الله، وما نفهمه من موقف الإدلاء والاعتراف هذا: هو أن الله تعالى يريد من المؤمن بالحسين عليه السلام وقضيّته أن يقف أمام محكمة العدل الإلهي ليُدلي بشهادته، ويتبرأ ـ بصورة دائمة ومستمرّة وخالدة ـ من وقائع المجزرة التاريخية والمأساويّة التي ارتكبها الظالمون، وأن يجعل نفسه في حرز وبمنأى بعيد عن الظالمين الذين ستشملهم لعنة السماء والثأر الإلهي، ويصطفّ مع أصحاب الثأر والدم الذي لا يُدرك ثأره من الأرض إلّا بأولياء الله. والنصوص الواردة في هذه النقطة بالخصوص مستفيضة ومتضافرة، منها:

قول الزائر: «**أشهد أنك قُتلت مظلوماً، وأن الله منجز لكم ما وعدكم**»[3]، ولا شكّ في أن هذه الشهادة من أجلى وأوضح صور التخليد لمظلوميّة كربلاء.

ويقول الزائر أيضاً: «**أشهد موقناً أنك أمين الله وابن أمينه، قُتلت مظلوماً ومضيت**

---

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٨.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٢٢.

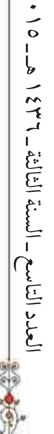
(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٧٢٥.

شهيداً»[1]. وفي نصّ مماثل: «**أشهد أنك أمين الله وابن أمينه، عشت سعيداً ومضيت حميداً ومُتّ فقيداً مظلوماً شهيداً، وأشهد أن الله منجز ما وعدك ومهلك مَن خذلك ومعذب مَن قتلك، وأشهد أنك وفيت بعهد الله وجاهدت في سبيله حتى أتاك اليقين»**[2]، حيث اقترنت الشهادة بالمظلومية، بما يشهد ويقرّ به المؤمن فرضاً، من كون الإمام الحسين عليه السلام أمين الله وابن أمينه.

ومن ذلك أيضاً قول الزائر: «**أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت في الله حق جهاده حتى استُبيح حرمك وقُتلت مظلوماً»**[3]. وأيضاً قوله: «**وأشهد أنك قد بلّغت ونصحت وصبرت على الأذى، وأنك قد قُتلت وحُرمت وغُصبت وظُلمت، وأشهد أنك قد جُحدت واهتُضمت وصبرت في ذات الله»**[4]، فاقترنت الشهادة بالمظلوميّة في هذا النصّ بما يشهد به المؤمن للحسين عليه السلام في ملحمة كربلاء حينما وقف للتبليغ والدفاع عن أقدس وأهمّ الشعائر والفرائض الدينيّة.

٥ـ الصلاة والتسليم على الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره بوصف (المظلومية)

ومن المراسم الواردة بكثرة أيضاً في نصوص ومفردات الزيارات الحسينية، هي أن يتوجّه الزائر بالصلاة والتسليم على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره بوصف الشهادة و(المظلومية) والاضطهاد، فيقول فيما يتلو من الزيارة: «**اللهم صلّ على الحسين بن علي، المظلوم الشهيد قتيل الكفرة، وطريح الفجرة، السلام عليك يا أبا عبد الله»**[5].



---

(١) المصدر السابق: ص٤٠٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٤.

(٣) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤٢٢.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٥٩.

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٤٠٢.

ويصلّي عليه أيضاً بالقول: «**اللهم صلّ على الإمام الشهيد المقتول المظلوم المخذول**»[1]. وبالقول أيضاً: «**اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وصلّ على الحسين المظلوم الشهيد الرشيد**»[2].

وكذلك يُسلّم الزائر على الحسين عليه السلام بوصف المظلوميّة، فيقول: «**السلام عليك يا أوّل مظلوم انتُهك دمه وضُيّعت فيه حرمة الإسلام، فلعن الله أُمة أسّست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت**»[3]. وأيضاً يقول: «**السلام على الحسين المظلوم الشهيد**»[4]. ويقول: «**السلام على المقتول المظلوم، السلام على الممنوع من ماء الفرات**»[5]. ويخصّ الحسين عليه السلام في تسليمه بالقول: «**سلام الله وسلام ملائكته وأنبيائه ورسله والصالحين من عباده وجميع خلقه ورحمته وبركاته على محمد وأهل بيته وعليك يا مولاي الشهيد المظلوم**»[6]. ويقول الزائر أيضاً: «**السلام على القتيل المظلوم**»[7]. و«**السلام على المحتسب الصابر، السلام على المظلوم بلا ناصر**»[8]. و«**السلام عليك يا قتيل الظالمين**»[9]. و«**السلام على مَن أُريق بالظلم دمه**»[10]. وأيضاً يقول الزائر في سلامه على أنصار الحسين عليه السلام: «**السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله الحسين الشهيد المظلوم**»[11]. ولا شكّ

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٢٥.

(٢) ابن طاوس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ص٣٤٢.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٣٧.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٧٨٨.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٣٦.

(٦) الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص٥٠١.

(٧) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤٩٨.

(٨) المصدر السابق: ص٤٩٩.

(٩) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٦٨.

(١٠) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤٩٩.

(١١) ابن طاوس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ص٦٥.

بأن في هذا الموقف تخليداً للذكرى وتذكيراً دائماً ومستمرّاً بألوان وآلام المظلوميّة التي واجهها الحسين عليه السلام في مقتله، وكم هو حزين ومُفجع أن يُصارع عزيزك الموت وهو يتألم، وتقف أنت الشاهد على ذلك!!

ثقافة المظلومية وبناء الدولة؟!

يقول أحد الباحثين: «**إن ثقافة المظلومية هي بطبيعتها ثقافة معارضة، وليس بمقدورها أن تبني دولة، وما لم يتمّ التراجع عنها وإلغاؤها بكل قوّة، فإن الإنسان الشيعي سيعجز عن تحقيق النُّقلة الثقافية والنفسية من حالة المعارضة إلى حالة القيادة**»[1].

ونحن هنا لا نريد الخوض مُفصّلاً في الإجابة عن هذه الرؤية القائمة حول ثقافة المظلوميّة في الوسط الشيعي، لكننا أحببنا التعليق على ذلك موجزاً في النقاط التالية:

١ـ كانت ولا زالت الدول العظمى والبلدان المتقدّمة والمتحضّرة تفسح المجال واسعاً لثقافة المعارضة في أنظمتها وبرامجها الحكومية، فتجعلها الركن الأساس والمادّة الصُّلبة لبناء مفاصل الدولة الرائدة، مستهدفة بذلك الحفاظ على نزاهة سياساتها، وسلامة أوطانها، وبناء حضارتها، وتحقيق العدالة والرقيّ والتقدّم لشعوبها.

لكن مما يؤسَف له أن ثقافتنا العربية والشرق أوسطية يبتني واقعها الاجتماعي والسياسي والحكومي في كثير من بلداننا على حالة من القطيعة والتضادّ بين مشروع بناء الدولة وبين ثقافة المعارضة، وهذا ما انساق معه الكاتب ـ للأسف ـ في تقييمه الخاطئ لثقافة المظلوميّة، حيث حكم بانسجامها مع ثقافة المعارضة دون ثقافة القيادة وبناء الدولة.

ونحن نقول وبوضوح تامّ: أينما حلّ الظلم والفساد والتخلّف والرجعيّة والهمجيّة،

(١) جعفر المظفر، مقال بعنوان: (المظلومية الشيعية.. ظلم للشيعة قبل أن تكون ظلمًا لغيرهم)، شبكة الإنترنت، مركز الدراسات والأبحاث العلمانيّة في العالم العربي، بتاريخ: ٢٨/ ٤/ ٢٠١٢م.

وفي أيّ بلد من البلدان، ينبغي أن يكون لثقافة المظلوميّة حضورها الفاعل وصوتها المعارض وصرختها المدوّية؛ ليحافظ ذلك الصوت الحرّ على بناء الدولة ورقيّ المجتمع وتقدّمه، فيجب أن يبقى صوت المظلومين مرتفعاً في كلّ بلد يبحث عن مجده وحضارته. ولا نلوم الكاتب في رأيه وهو يعيش في ظلّ حكومات لا تبني بلدانها إلّا على جماجم المظلومين، وتكميم أفواه المعارضين، فلو أردت بناء هكذا دولة فاسدة فلا مجال أبداً لثقافة المظلوميّة والمعارضة!!

٢ـ حينما نطالع تأريخ الحضارات القديمة والحديثة نجدها قد بُنيت على ثقافة المعارضة ومآسي المظلومية والاضطهاد، ولعلّ أوضح شاهد على ذلك ما كُتب حول أحداث الثورة الفرنسيّة وعصر النهضة، الذي منه انطلقت الحضارة الغربيّة المتراميّة الأطراف، حيث ابتنت تلك الثورة على مسالح ثقافة المظلوميّة، حينما نهض المجتمع المظلوم والمضطهد بوجه الظلم الكنائسي، الذي كان يُدار من قِبل طائفة من رجال الدين الفاسدين، فكانت المظلوميّة هي الشرارة الأُولى التي أحرقت أبراج الظالمين وعروشهم، وهي الخطوة الأُولى التي ابتنت عليها حضارة المظلومين، فلماذا التشنيع على أتباع أهل البيت عليهم السلام، ونحن نشاهدهم اليوم كيف يبنون صروح حضارتهم الساميّة انطلاقاً من مظلوميّاتهم التي تعرّضوا لها عبر التأريخ؟!!

٣ـ لو كان المقصود من المظلوميّة مفهومها الارتدادي والسلبي ـ الذي يعني حالة من الانطوائية والانكفاء على الذات والهروب من واقع الظلم المرير والمأساوي ـ حينها يمكننا أن نتصوّر وجهاً معقولاً لما ذكره هذا الباحث، من كون ثقافة المظلوميّة بهذا المعنى غير قادرة على قيادة المجتمع وبناء الدولة. لكن المظلوميّة الحسينيّة والشيعيّة التي نتحدّث عنها ـ كما يشهد التأريخ والموروث الديني والواقع الاجتماعي والسياسي ـ ليست بذلك المعنى السلبي والانطوائي، وإنما لها معناها ومفهومها الإيجابي والمؤثّر الذي تحدّثنا عنه في مطلع هذا المقال، والذي يُمثّل ثورة مسلّحة ضدّ الظالمين، ونهضة

تصحيحيّة لإصلاح المجتمع وانتشاله من غياهب الظلم والجريمة والفساد، ولا شكّ بأن ثقافة المظلوميّة التي تحمل في واقعها هكذا مبادئ وأهداف هي الأقدر دوماً على صناعة القادة الأكفّاء وبناء الدولة الفاضلة.

مَنْ يتعلّم كيف يكون مظلوماً لا ينتصر أبداً!!

أشرنا في مستهلّ هذا المقال بأن المظلوميّة في المنطق الديني ـ القرآني والروائي ـ هي فعل الظالم وجريرته، ولا دور للمظلوم في صناعتها، بل لو شارك المظلوم في عملية تصنيع المظلوميّة وانتاجها كان شريكاً في الظلم وليس مظلوماً، فيجب على كلّ مؤمن ألّا يُفكر أو يسعى لبناء شخصيّة مُستضعفة مظلومة تبحث عن النصر بضعفها ومظلوميّتها؛ لأن الله تعالى لا يُريد من العبد المؤمن أن يتعلّم كيف يكون ضعيفاً مظلوماً لينتصر، بل يريد منه أن يبحث دوماً عن أسباب النصر ومبادئ القوة والغلبة على الظالمين، ومَن يتصفّح تراث كربلاء الشموخ يرى وبوضوح أن الإمام الحسينعليه السلام لم يسعَ أبداً ليكون مظلوماً مضطهداً، ولم يصنع لنفسه أسوار المظلوميّة لينتصر على أعدائه، وإنما خرجعليه السلام بكلّ قوّة وعزم وحزم وإرادة وثبات وإباء؛ لينتصر على ظالميه حينما واجهوه بالظلم والعدوان، وهكذا ينبغي أن يكون كلّ ثائر ومُصلح يقتدي بالحسينعليه السلام؛ ليتعلّم من نهضته المباركة كيف يكون قويّاً فينتصر، وهذا هو ما نفهمه من المقولة المشهورة: (واقعة كربلاء ثورة المظلوم على الظالم)، وفي هذا الضوء أيضاً؛ ينبغي تصحيح المقولة المشهورة القائلة: (تعلّمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر)، واستبدالها بالقول: (تعلّمت من الحسينعليه السلام حينما أكون مظلوماً كيف أنتصر)؛ لأن الحسينعليه السلام يُعلّمنا كيف ننتصر على الظلم، وكيف لا نرضى أن نكون مظلومين أبداً، ولا يُعلّمنا كيفيّة الخضوع للظلم؛ لكي نكون مظلومين ضعفاء، نستجدي الرحمة والنصر من قلوب ومشاعر المتعاطفين والمتضامنين مع قضيّتنا ومظلوميّتنا!!

ثقافة توظيف المظلوميّة الحسينيّة في واقعنا الديني والاجتماعي والسياسي

ينبغي أن تبقى مسألة التوظيف لثقافة المظلوميّة وآليّاتها من الملفّات المفتوحة، والمتحرّكة في مُجمل متغيّرات واقعنا الديني والأخلاقي والاجتماعي والسياسي وأمثال ذلك، فالمظلوميّة الحسينيّة من المظلوميّات العالميّة النابضة بالحياة، والمؤثّرة في الوجدان الإنساني بشكل عامّ، ولا معنى لحبس هذه المظلوميّة الخالدة وتطويقها في دائرة مذهبيّة أو دينيّة معيّنة؛ وذلك لأن أهدافها ومبادئها وغاياتها السامية التي قامت من أجلها كانت عامّة وشموليّة وواسعة بسعة الإنسان على اختلاف ميوله وتوجّهاته الدينيّة والبشريّة، وعلى سبيل المثال نُشير إلى جانب من تلك التوظيفات، تاركين جملة من التفاصيل إلى المقالات الخاصّة بملفّ هذا العدد:

١ـ توظيف معالم المظلوميّة الحسينيّة في مستواها الديني والأخلاقي: حيث كانت هتافات تلك المظلوميّة الرساليّة الخالدة تصدح بالإنذار والتحذير من خطر الانقلاب على ثوابت ومكتسبات الرسالة المحمديّة الغرّاء، وكانت تتحرّك أيضاً من منطلق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وواجب الدفاع عن أركان الدين وأُصوله التي بُني عليها، كالولاية والصلاة والزكاة والصيام وغيرها، ووقفت بكلّ حزم وإصرار وشموخ وتحدّي أمام مخاطر التفسّخ والانحلال الديني والخلقي الذي امتاز به النظام الأُموي الفاسد؛ ولذا كان الإمام الحسين عليه السلام يقول في توصيف معالم هذا اللون من المظلوميّة: «**إن الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها واستمرّت جدّاً، فلم يبقَ منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحقّ لا يُعمل به وأن الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإني لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[1]. ويقول أيضاً عليه السلام في كلمته المشهورة: «**وأني لم أخرج**

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٠٥.

أشراً ولا بطراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب»[1].

وكتب عليه السلام إلى رؤساء أهل البصرة في وصف تلك المظلوميّة: «**وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسُنّة نبيّه؛ فإن السُّنة قد أُميتت وإن البدعة قد أُحييت، وأن تسمعوا قولي وتُطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد**»[2]. وأيضاً ما جاء في خطبته الشريفة يوم عاشوراء، قوله عليه السلام: «**فبُعداً وسُحقاً لطواغيت هذه الأُمّة، وبقيّة الأحزاب، ونَبَذَة الكتاب، ومُطفئي السنن، ومؤاخي المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، وعُصاة الإمام**»[3]. ومن ذلك أيضاً ما سبق في قول الزائر للإمام الحسين عليه السلام: «**أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت في الله حق جهاده، حتى استُبيح حرمك وقُتلت مظلوماً**»[4]. إلى غير ذلك من النصوص المتضافرة التي تؤكّد على توافر الجانب الديني والأخلاقي بصورة متميّزة في مبادئ وأهداف ثورة المظلوميّة الحسينية.

ومن هذا المنطلق؛ تُصبح ثقافة التوظيف الديني والأخلاقي للمظلوميّة الحسينية في واقعنا معناها: وجوب وقوف المظلوم بوجه الطغاة والظالمين والمفسدين بكلّ إباء وحرّيّة؛ للدفاع عن الدين بجميع فصوله وأُصوله وفروعه، وقِيَمه وشعائره وقوانينه، وأهدافه وغاياته.

٢ـ التوظيف في المستوى الاجتماعي للمظلوميّة: حيث كانت النهضة الحسينيّة التي خرجت من رحم المظلوميات المتراكمة صرخة مدويّة بوجه الطغاة؛ للحفاظ على نسيج وتماسك المجتمع الإنساني والإسلامي على وجه الخصوص، وقد كان الإمام



(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٦٦.

(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٤.

(٤) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤٢٢.

الحسين عليه السلام يُطالب الناس بالعودة إلى إنسانيّتهم وعروبتهم وأخلاقهم المجتمعيّة التي نشأوا عليها، وقد خاطب الإمام عليه السلام الظالمين يوم عاشوراء بالقول: «**إِنْ لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إِنْ كنتم عُرُباً كما تَزْعُمون**»[1]. وخاطبهم أيضاً عليه السلام بالقول: «**فانسبوني فأُنظروا مَن أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فأُنظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟!... ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟!**»[2].

فإن هذه الخطابات وغيرها تستهدف تحريك الجانب الإنساني والاجتماعي في نفوس الظلمة وأعوانهم، وهذا في الحقيقة يفتح باباً واسعاً ومؤثّراً في كيفيّة توظيف ثقافة المظلوميّة في المجالات الإنسانيّة والاجتماعية.

٣ـ وأمّا ما يرتبط بتوظيف المظلوميّة الحسينيّة في واقعنا السياسي: فأعتقد بأن هذا من أخطر الملفّات وأهمّها، وقد أشرنا في مقالات ماضيّة إلى ضمور الدراسات التخصصيّة فيما يخصّ هذا الملفّ؛ لأسباب ومبرّرات ذكرنا أهمّها وناقشناها بشيء من التفصيل في أعداد ماضية، ونحن نعتقد بضرورة وحتميّة توظيف تلك المظلوميّة الرائدة في مجالات مواجهة الطغاة ومحاربة المفسدين، والتخطيط لإسقاط أنظمتهم الظالمة والفاسدة، واستبدالها بحكومة إلهيّة عادلة، وهذا اللون من التوظيف له أُسلوبه ومنهجه الخاص والمُفصّل، ولا يسع المجال للوقوف عنده في هذا المقال المختصر، لكننا نوجّه نداءً ودعوة لكل العلماء والباحثين بأن يُكثّفوا الجهود والطاقات والإمكانيات العلميّة؛ لتوظيف المظلوميّة الحسينيّة فيما يرتبط بواقعنا السياسي، بما يضمن لنا محاربة الظلم والفساد بصورة دائمة ومستمرّة ومؤثّرة.

---

(١) ابن طاوس، علي بن موسى، الملهوف: ص٧١.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٧ـ٩٨.

ملفُ العددْ

المظلوميّةُ في كربلاء ثورةٌ من وحي المأساة

- نظرة في المأساة والمظلوميّة في كربلاء
- هل خطط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟
- قراءة نقدية لمبحث المظلومية في كتاب (الشهيد الخالد)
- انتهاك حقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء
- المأساة والمظلومية في أبعادها الإنسانية (الثورة الحسينية أنموذجاً)
- المظلوميةُ في عزّةٍ وإباءٍ.. وجهٌ آخر للنصر
- التوظيف العقدي والديني لمأساة كربلاء في تراث المعصومين عليهم السلام
- المشيئة الإلهية لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام
- دراسة فقهيّة في الظالميّة و المظلوميّة (كربلاء أنموذجاً)

نظرة في المأساة والمظلوميّة في كربلاء

حوار مع سماحة آية الله الشيخ

محمد جواد فاضل اللنكراني

انطلاقاً من رسالتها في رفد الحركة الفكرية، المتمحورة حول النهضة الحسينية، ذات الأبعاد المتعددة، والأطراف المترامية، ورصد كلّ ما هو مُثمر في أبعاد تلك النهضة، قامت مجلة الإصلاح الحسيني بإجراء حوار علمي، مع سماحة آية الله الشيخ محمّد جواد فاضل اللنكراني، أُستاذ الحوزة العلميّة في مدينة قم المُقدّسة، حول عنصر المظلوميّة والمأساة في واقعة كربلاء.

الإصلاح الحسيني: نرحّب بكم سماحة آية الله الشيخ محمّد جواد فاضل اللنكراني، ونشكركم جزيل الشكر على إتاحة هذه الفرصة لنا، لإجراء هذا الحوار الذي سيكون ـ إن شاء الله ـ مفيداً، حول مسألة الظلم والمظلوميّة في كربلاء وبعض أبعادها.

الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني: اسمحوا لي بدايةً أن أُعرب عن شكري وثنائي على المسؤولين المحترمين في مجلة الإصلاح الحسيني، التي أخذت على عاتقها بيان أبعاد النهضة الحسينية، وواقعة كربلاء، وثورة الإمام الحسين عليه السلام، واستطاعت بحمد الله تعالى إصدار بضعة أعداد، والإشارة إلى نقاط مُهمّة، وأبعاد مختلفة حول نهضة عاشوراء.

ممّا لا شكّ فيه أنّ هذا الموضوع الذي تُثيرونه في سياق هذا الحوار لذو أهميّة كبرى، وربما يمكن القول: إنّه قلّما جرى التطرّق إليه في البحوث والدراسات التخصصية، ألا وهو دراسة نهضة الإمام الحسين عليه السلام من زاوية المظلوميّة التي تعرّض لها الإمام.

الإصلاح الحسيني: سماحة الشيخ، حبذا لو تعطونا لمحةً عن موقف الدين الإسلامي ومدرسة أهل البيت عليهم السلام من الظلم والظالمين.

الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني: التعرّض إلى موقف الدين الإسلامي ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، فيما يخصّ الظلم أمر في غاية الأهميّة؛ إذ لدينا آيات كثيرة في القرآن حول الظلم والظالمين، ولا بدَّ من الالتفات لها في هذا الصدد. ثمة آيات قرآنيّة متعددة دالّة على أنّ أغلب أنواع العقوبات والعذاب الدنيوي الذي كتبه الله تعالى على الأُمم السالفة، إنّما كان بسبب ارتكابها الجور والظلم، بمعنى أنّ الظلم أضحى منشأً للعذاب الإلهي في الحياة الدنيا.

فمثلاً الآية الشريفة: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾[1]، وكذلك الآية الأُخرى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[2]، وغيرهما من الآيات، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾[3]، وقوله جلّ جلاله: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[4]، وكذا قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[5]، أي: إنّما أُرسل عليهم الطوفان بعنوان عذاب إلهي؛ لأنهّم اقترفوا الظلم. وغيرها من الآيات وردت جميعها في هذا الإطار؛ ومنه يتضح أنّ الظلم بنظر القرآن الكريم منشأ لنزول العذاب الإلهي في الدنيا، هذا من جانب.

---

(١) الحج: آية٤٥.

(٢) الأعراف: آية١٦٥.

(٣) الأنعام: آية٤٧.

(٤) هود: آية٦٧.

(٥) العنكبوت: آية١٤.

ومن جانب آخر، هناك آيات ذكرت أنّ الله سبحانه يُعذّب الظالمين في الآخرة أيضاً، كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾[1]، حيث أكّدت على أنّ عقاب الظالمين يبدأ من لحظة خروجهم من الدنيا بفعل الظلم الذي ارتكبوه. وقال تعالى في آية أُخرى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[2]، وويل اسم حفرة من حفر النيران، أو هو من الأمكنة الموجودة في جهنَّم، والمعدّة لَمن يظلم الآخرين، فيناله عذاب يوم أليم. أيضاً قال جلّ جلاله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[3]، وقال في آية أُخرى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾[4]؛ جميع هذه الآيات تدلّ على عذاب الظالمين يوم القيامة.

وعليه؛ فحينما يلقي الإنسان نظرة إجمالية على القرآن الكريم، يجد أنّ الآيات تُشدّد على إنّ الظلم منشأ لنزول العذاب الإلهي في الحياة الدنيا من جهة، وابتلاء الظالم بأشدّ أنواع العذاب في الآخرة من جهةٍ ثانيةٍ. هذا فيما يتصل بالظلم في القرآن.

وأمّا في مجال الروايات، فقد ورد عن الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله، أنّه قال: «**اتّقوا الظلم؛ فإنّه ظلمات يوم القيامة**»[5]، مضافاً إلى عدد كبير من الروايات الأُخرى التي لا نُريد سردها هنا.

الإصلاح الحسيني: ما تفضّلتم به يختصّ بحرمة الظلم في القرآن الكريم والروايات، يا ترى ما هي نظرة العقل تجاه الظلم؟

الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني: إنّ دائرة قبح الظلم تشمل العقل أيضاً، فحينما

---

(١) الأنعام: آية٩٣.

(٢) الزخرف: آية٦٥.

(٣) غافر: آية٥٢.

(٤) الكهف: آية٢٩.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٣٢.



نراجع العقل نجد أنّه يحكم بقبح الظلم مطلقاً دون استثناء. ومن هنا؛ فالقرآن والسنّة النبوية الشريفة والعقل جميعها تحكم بقبح الظلم وحرمته؛ فإنّ قبح الظلم أمر فطري، يستقلّ به كلّ عاقل سليم، ولذا عُدّ من المستقلات العقليّة، أي: من الأُمور التي لا تحتاج إلى بيان؛ لأنّه مورد اتفاق جميع العقلاء، إذ إنّه من البديهيات التي يُدركها العقل العملي، كما أنّ الحكم في هذه القضية غير معلول للشرع، بمعنى أنَّ العقل يُدرك ذلك القبح سواء وُجِد الشرع أم لم يوجد.

نعم، الشرع المُقدّس يُؤكد ذلك الحكم ويُرشد إليه، ولولا إدراك العقل لقبح الظلم لاختلّت جميع الأنظمة البشرية.

الإصلاح الحسيني: ما هي حدود حُرمة الظلم وقبحه، وما هي الموارد التي تشملها هذه الحرمة؟

الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني: يمكنكم ملاحظة مدى عظمة الدين الإسلامي؛ إذ يحرُم فيه ظلم الكفار أيضاً، وإنّما نُشير إلى هذه النقطة الهامّة، لبيان موقف الإسلام من الظلم، وأنّه لا يُجيز ظلم أحد من الناس حتى الكافرين. وفي هذا الإطار، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقولُ: مَن أخذَ شيئاً من أموالِ أهلِ الذمّةِ ظلماً، فقد خانَ اللهَ ورسولَهُ وجميعَ المؤمنينَ**». كما ورد في المجامع الحديثية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى نبيٍّ من أنبيائه، في مملكة جبّار من الجبّارين، أن ائتِ هذا الجبّار، فقل له: إنّني لم أستعملكَ على سفك الدماء، واتّخاذ الأموال، وإنّما استعملتُكَ لتكفَّ عنّي أصواتَ المظلومينَ، فإنّي لم أدعْ ظُلامتهم وإن كانوا كفّاراً**»[1]، فهذا تأكيد من الإمام الصادق عليه السلام على عدم قبول الإسلام بالظلم للكفار أيضاً.

بل نذهب إلى أكثر من ذلك، فعند مراجعة الروايات نرى أنّ الظلم غير جائز حتى

(١) المصدر السابق: ج٢، ص٣٣٣.

بالنسبة إلى الحيوانات والأمكنة. فقال أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الخصوص: «**اتقوا الله في عباده وبلاده؛ فإنّكم مسؤولون حتّى عن البقاع والبهائم**»[1]، فالظلم حرام مطلقاً، حتى بالنسبة إلى الكفار والحيوانات، والأمكنة والبقاع.

الإصلاح الحسيني: بعد هذه الإفادة القيّمة عن حُرمة الظلم وقبحه، كيف لنا أن نتصوّر حُرمة ظلم أهل البيت عليهم السلام، ولا سيّما الإمام الحسين عليه السلام؟ وهل هناك أدلّة خاصة على ذلك؟

الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني: كما أنّ لدينا آيات وروايات بشأن قبح الظلم بصورة عامّة، كذلك لدينا روايات حول النهي عن ظلم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله على وجه الخصوص، منها: ما رُوي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «**حُرّمت الجنّة على مَن ظلم أهل بيتي، وعلى مَن قاتلهم، وعلى المُعين عليهم، وعلى مَن سبَّهم؛ أُولئك لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلّمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم**»[2].

ويتضح من خلال ذلك أنّ لدينا روايات نبويّة تُؤكّد على حُرمة ظلم أهل البيت عليهم السلام على وجه التحديد، بل إنّ الحُرمة فيها شديدة.

وفيما يتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام، فقد تعرّض هو وأولاده وأصحابه إلى أبشع أنواع الظلم على مرّ التاريخ، وربما لن يتكرّر مثل هذا الظلم، ولم تشهد له البشرية مثيلاً.

فقد وردت رواية حول رأي رسول الله صلى الله عليه وآله في الظلم الذي تعرّض له سيّد الشهداء عليه السلام، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**كان الحسين عليه السلام مع أُمّه تحمله، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله، وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالبك، وأهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين مَن أعان عليك. قالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبة، أيّ شيء تقول؟**



---

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج٢، ص٨٠.

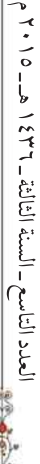
(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٣٧.

قال: **يا بنتاه، ذكرتُ ما يُصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم**»[1]. فترون أنّ النبيﷺ ذكر مظلوميّة الإمام الحسينعليه السلام عند ولادته، وأخبر ابنته أنّ هذا سيكون بعده وبعدها، هذا فيما يتصل بكلام الله ورسوله حول الموضوع.

وثمة روايات أُخرى يمكن متابعتها في هذا الباب، منها خطاب الإمام الحسينعليه السلام للأعداء إبان المواجهة: «**أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني، والنساء ليس عليهنّ جُناح، فامنعوا عُتاتكم وطغاتكم وجهّالكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حياً**»[2]، فهي تحمل دلالات أبرزها: لماذا تظلمونني وتظلمون أهل بيتي؟

وكذا الرواية التي حذَّر فيها آل أبي سفيان قائلاً: «**ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم**»[3]، وهي تعني أنّكم نبذتم الحرية، وصرتم تطلبون الظلم. وكذلك الرواية الأُخرى المأثورة عنه: «**النّاس عبيد الدنيا، والدين لَعِقٌ على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون**»[4]، والرواية الأُخرى التي خاطب فيها الإمام الحسينعليه السلام أُمَّ سلمة بالقول: «**يا أُمّاه، قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً مذبوحاً، ظلماً وعدواناً**»[5]، فنرى أنّ الإمامعليه السلام بنفسه استدل بعنوان الظلم، مشدداً على أنّ القوم سيقتلونه ظلماً وعدواناً.

وفي حديثه مع ابن عباس، قال له: «**هيهاتَ هيهاتَ يا بن عباس، إنّ القوم لن يتركوني، وإنّهم يطلبونني أين كنت، حتى أبايعهم كرهاً ويقتلونني، والله، إنّهم ليعتدون عليَّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت، وإنّي ماضٍ في أمر رسول الله**ﷺ **حيث أمرني، وإنّا**



(١) الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص١٧١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٥١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ج٤٤، ص٣٨٣.

(٥) المصدر السابق: ج٤٤، ص٣٣١.

لله وإنّا إليه راجعون»[1].

وفي رواية مُهمّة أُخرى، قال الإمام محمّد الباقر عليه السلام لمحمّد بن مسلم: «**إنّ الحسين صاحب كربلاء قُتل مظلوماً مكروباً، عطشاناً لهفاناً، فآلى الله عزّ وجلّ على نفسه أن لا يأتيه لهفان، ولا مكروب، ولا مُذنب، ولا مغموم، ولا عطشان، ولا مَن به عاهة، ثمّ دعا عنده، وتقرّب بالحسين بن علي عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ، إلّا نفّس الله كربته، وأعطاه مسألته، وغفر ذنبه، ومدّ في عمره، وبسط في رزقه**»[2].

وقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام للريان بن شبيب: «**يا بن شبيب، إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال؛ لحرمته، فما عرفت هذه الأُمّة حُرمة شهرها، ولا حُرمة نبيها صلى الله عليه وآله، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً**»[3].

وهكذا حتى يصل الأمر إلى الإمام الحجة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، حيث ورد عن أبي الجارود في ذيل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[4]، إنّ الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**هذه لآل محمّد، المهدي وأصحابه، يملّكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويُظهر الدين، ويُميت الله عزّ وجلّ به وبأصحابه البدع والباطل، كما أمات السفهة الحقّ، حتّى لا يُرى أثر من الظلم**»[5].

بمعنى أنّ فلسفة ظهور إمامنا الحجة بن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وأحد الأهداف المُهمّة لخروجه في آخر الزمان هي رفع الظلم، وقتل الظالمين، فضلاً عن إحياء الدين، وبسطه في أرجاء المعمورة، فعبّر الإمام عن ذلك بقوله: «**حتّى لا يُرى أثر من الظلم**».

---

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٨٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٤٦.

(٣) المصدر السابق: ص١٠٢.

(٤) الحج: آية٤١.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢٤، ص١٦٦.

وبهذا نكون قد بيّنا الظلم في قضية الإمام الحسين عليه السلام من القرآن والروايات، وأثبتنا أنّ هذه القضية واضحة وجليّة جداً؛ ولذا أكّد الأئمّة الأطهار عليهم السلام، على أنّ هناك ظلماً كبيراً وقع على الإمام الحسين عليه السلام.

الإصلاح الحسيني: من وجهة نظركم هل أنّ مظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام لها جذور قرآنية؟

الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني: من وجهة نظري أنّ مظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام لا تنحصر بالدليل الروائي، وإنّما لها أساس قرآني أيضاً.

وهذا ما صرّح به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأكّد عليه الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فيتبيّن من كلماتهم كم أوْلوا عناية كبيرة بهذا الأمر.

فلاحظوا على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾[1]، كما وردت رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، حول مَن قُتل مظلوماً، فقال الحسين: «**فلا يُسرف في القتل، إنّه كان منصوراً، قال: سمّى الله المهديّ المنصور كما سمّى أحمد، ومحمّد، ومحمود، وكما سمّى عيسى المسيح عليه السلام**»[2].

وجاء في رواية أُخرى في ذيل هذه الآية، أنّ أبا جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**هو الحسين بن علي عليهما السلام، قُتل مظلوماً، ونحن أولياؤه، والقائم منّا، إذا قام طلب بثأر الحسين عليه السلام، فيَقتُل حتّى يُقال: قد أسرف في القتل**»[3].

ومن هنا؛ بوسعنا أن نقول: إنّ أوّل مصداق من المصاديق التي يمكن تطبيقها على هذه الآية الشريفة بحسب ما ورد في الروايات، هو الإمام الحسين عليه السلام الذي قُتل مظلوماً.

---

(١) الإسراء: آية ٣٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥١، ص٣٠. الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص٢٤٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢١٨.

الإصلاح الحسيني: هل فعلاً أثّرت المظلوميّة كما أرادها الإمام الحسين(عليه السلام) على المستوى القريب أو البعيد؟ وما هي الشواهد على ذلك؟

الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني: نعم، لقد كان لمظلوميّة الإمام الحسين(عليه السلام) أثر كبير؛ لأنّ الحادثة التي تنطوي على مظلوميّة لها تأثير ووقع كبير في زمن حصولها، وفي الأزمنة اللاحقة أيضاً.

وعندما نراجع الآيات والروايات نجد أنّها تؤكّد على أنّ للظلم تأثيراً واسعاً وسريعاً، ومن الروايات التي أشارت إلى أهمّية آثار الظلم، ما ورد عن أمير المؤمنين(عليه السلام) حيث قال: «**ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر ممّا يأخذ الظالم من دنيا المظلوم**»[1]، كما ورد في جملة من الروايات أنّ «**الظالم ملوم**»[2]، «**الظلم وخِيمُ العاقبة**»[3]، «**شيئان لا تسلم عاقبتهما: الظلم، والشرّ**»[4]، «**الظلم في الدنيا بوار، وفي الآخرة دمار**»[5]، «**إيّاك والظلم؛ فإنّه أكبر المعاصي**»[6]، «**الظلم يطرد النعم**»[7]، «**...والذنوب التي تُنزل النقم: الظلم**»[8]، كلّ هذا ورد بشأن قبح الظلم.

لقد شدّدت الروايات على أنّ الله(جل جلاله) يستجيب لدعاء المظلوم بسرعة؛ وذلك يدلُّ على أهمّية موضوع الظلم. قال الإمام أبو عبد الله الصادق(عليه السلام): «**كان أبي يقول: اتّقوا الظلم؛ فإنّ دعوة المظلوم تصعد إلى السماء**»[9]، وفي رواية أُخرى، قال رسول الله(صلى الله عليه وآله):

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٣٢٦.

(٢) الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٣٧.

(٣) المصدر السابق: ص١٧.

(٤) المصدر السابق: ص٢٩٧.

(٥) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج٢، ص١٧٧٠.

(٦) الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٩٧.

(٧) المصدر السابق: ص١٨.

(٨) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٤٤٨.

(٩) المصدر السابق: ج٢، ص٥٠٩.



«إيّاكم ودعوة المظلوم؛ فإنّها تُرفع فوق السحاب حتى ينظر الله إليها، فيقول: ارفعوها حتى أستجيب لها»[1].

فيتضح أنّه لو أدّت حادثة ما إلى تعرّض جماعة من الناس إلى الظلم والاضطهاد، فإنّ ذلك سيترك تأثيراً عميقاً في قلوب الناس، خذ على ذلك مثالاً: ما لو طال الظلم في زماننا هذا شخصاً ما ـ وإن كان كافراً ـ في أيّ بقعةٍ من بقاع الأرض، فإنّ كلّ مَن يسمع بذلك الظلم لن يطيق ذلك، فما بالك لو كان المظلوم مسلماً، أو كان إمام المسلمين؟!

من الخصائص الذاتية للظلم، أنّه لا يبقى محصوراً في دائرة عمل الظالم فقط، بل إنّ الظالم نفسه يؤاخَذ بشدّة. وفي قضية عاشوراء نجد أنّ مَن طلبوا الدنيا ونشدوا الحكومة لم يحصلوا على شيء من ذلك، بل إنّ قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه كان مصيرهم القتل بأبشع صورة، وهذا أحد الآثار المترتبة على ظلمهم، وإن كان أثراً مؤقتاً مختصّاً بذلك الزمان.

وبمرور الوقت نرى آثار النهضة الحسينية ماثلةً أمامنا، فثورة الإمام الخميني رحمه الله في إيران ـ وتأسيس الجمهورية الإسلاميّة ـ ما هي إلّا إحدى بركات ثورة عاشوراء. فلما أراد الشعب الإيراني التأسي بثورة عاشوراء بنحو من الأنحاء، والعمل بالمأثور من الزيارة: **«يا ليتني كنت معكم فأفوز معكم»**، وتطبيقه على أرض الواقع، فنزل إلى الساحات والميادين؛ للدفاع عمّا قُتل الإمام الحسين عليه السلام من أجله، ألا وهو الدين الإسلامي، فكانت الثمرة هي هذه الثورة الإسلاميّة.

لاحظوا ما يقوم به حزب الله في لبنان، وما يجري في فلسطين والعراق، فمَن يكون مستعداً للتضحية بنفسه في سبيل بقاء الدين، إنّما يسير تحت لواء الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ إنّ راية الإمام هي راية المظلوميّة، فكلّ مَن يُريد أخذ حقّه، يستطيع الانضواء تحت هذه الراية، والاستفادة من هذا العنوان، من أجل استرداد ذلك الحقّ المسلوب.

---

(١) المصدر السابق.

وعليه؛ فالإمام الحسين عليه السلام كان بصدد نشر الدين الإسلامي، ولولا واقعة عاشوراء، لما بقي للإسلام من أثر، فنحن نعتقد أنّ بقاء الدين الإسلامي كان رهناً بثورة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا هو معنى قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: «**حسين منّي وأنا من حسين**»[1].

الإصلاح الحسيني: أين نُصنف المظلوميّة؟ هل نُصنفها في سلسلة أهداف الثورة الحسينية أم أساليب تحقيق الأهداف؟ وبعبارة أُخرى: المظلوميّة هدف أم منهج؟

الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني: من الواضح ـ في ضوء الكلام المُتقدّم ـ أنّها ليست بهدف، وإنّما هي منهج، بل أقوى وأبرز منهج موجود. فلا غرو أنّ مَن يُريد إثبات صواب ما يدعو إليه لا بدَّ من أن يستفيد من أبرز الأساليب والمناهج، والمظلوميّة تأتي في هذا السياق. ينبغي أن تلتفتوا إلى أنّ الظلم الذي تعرّض له الإمام لم يقتصر على قتله، ولا على بقائه هو وأصحابه عطاشى، بل حتى الطفل الرضيع الذي لم يكن عمره يتجاوز ستة أشهُر، ذبحه حرملة بسهم من الوريد إلى الوريد، وقُتل أولاد الإمام، وأهل بيته وأصحابه، في غضون نصف يوم، حتى بقي الحسين عليه السلام وحيداً، ولم ينتهِ الأمر عند هذا الحدّ أيضاً، فالأعداء لم يتركوا الإمام حتى بعد مقتل كلّ مَن كان معه، وكان بوسعهم أن يقولوا: فلنتركه إذ لم يبقَ معه أيّ ناصر، لكنّهم عمدوا إليه وقتلوه، بل ـ وبحسب ما بلغنا في الروايات الواردة في هذا المجال ـ فصلوا رأسه عن جسده بشكل فظيع (ذُبح كما يُذبح الكبش)، بل لم يرأفوا به حتى بعد القتل؛ حيث داسوا على جسده الطاهر ـ وأجساد أولاده، وأصحابه ـ بحوافر الخيل، ولم يكتفوا بهذا القدر من الظلم أيضاً، فنزعوا الأقراط من أُذن طفلته الصغيرة، وتسببوا بجرحها، وسلبوه ثيابه، وأضرموا النار بالخيم. أُريد أن أقول: لم يبقَ نوع من أنواع الظلم المختلفة يمكن تصوّره إلّا وارتكبه بنو أُميّة ويزيد بحقّ الحسين الشهيد عليه السلام، فضلاً عن سبي عياله، وأسرهم والطواف بهم في البلدان، وهو من أشدِّ أنحاء الظلم،

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١١٦.

علماً أنّ الإمام عليه السلام كان على علم ودراية بهذا الظلم.

وحيث إنّ الحسين وأهل بيته عليهم السلام كابدوا كلّ أشكال الظلم والجور، فقد أفضى ذلك إلى تخليد هذه الحادثة في التاريخ، كما أنّ ذلك أدى إلى تكشّف أبعاد هذه الواقعة بمرور الزمن، ففي كلّ مدّة زمنية تتجلى أبعاد جديدة من نهضة الإمام الحسين عليه السلام، بل أرى أنّه كلّما جاء محرّم في سنة من السنوات، ينكشف للناس بُعد جديد من أبعاد هذه النهضة الخالدة، وتتجلى حقيقة أُخرى من حقائق نهضة عاشوراء.

والنتيجة المستفادة من البحث أنّه على فرض أنّ الإسلام لم يتحدّث عن قبح الظلم، فإنّ العقل يحكم بقبحه بلا شك، لكنّ الإسلام شدّد على حُرمة الظلم في الدنيا، وكشف النقاب عن آثاره في الآخرة، كما أنّ النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله، حذّر من ظلم أهل بيته على ما أشرنا إليه سابقاً، وعلى الرغم من ذلك، جاء مَن يدّعي الإسلام وارتكب ـ باسم الإسلام ـ أبشع أنواع الظلم بحقّ عترة المصطفى صلى الله عليه وآله.

أودُّ أن أقول: مع قطع النظر عن موضوع رأي الإمام الحسين عليه السلام بعدم شرعية حكومة يزيد، وصواب رأي الإمام عليه السلام في هذا الخصوص، والإغضاء عن رفضه مبايعة يزيد، مع أنّ عبد الله بن عمر كان مخالفاً للبيعة في بادئ الأمر كذلك، غير أنّه لم يتعرّض إلى مثل هذا الظلم، وكذا الحال بالنسبة إلى عبد الله بن الزبير كما يبدو، ولكن انصبّ كلّ هذا الظلم على الإمام الحسين عليه السلام، ما جعل وجوه بني أُميّة مسودّة في الدنيا والآخرة، فلا ينظر لهم الله يوم القيامة ولا يكلمهم؟ هذا بحث إجمالي حول الموضوع، ونأمل بتوسيعه وزيادة أبعاده إن شاء الله.

الإصلاح الحسيني: تُثار هذه الأيّام شبهة تقول: إنَّه ليس من الصحيح أن نُؤكّد على المظلوميّة؛ لأنّها تتنافى مع عزَّة الإمام الحسين عليه السلام وكرامته، كيف نردّ هذه الشبهة؟

الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني: يتبيّن ممّا ذكرنا أنّ للمظلوميّة جهة سلبية تتنافى

مع كرامة الإنسان، وذلك فيما لو فعل المظلوم ما يوجب استقواء الظالم، كما لو خنع المظلوم للظلم، وعزم على ترك المقاومة، فهذا من شأنه تقوية الظالم، وهذه هي الجهة السلبية التي أشرنا لها.

وهذا قبيح؛ لأنَّ المظلوم بسكوته سيُسهم في إخفاء هدفه عن الشعوب والأُمم، ما يعني أنّه ينبغي على المظلوم العمل على نقل أهدافه إلى الأجيال القادمة من زاوية المظلوميّة؛ لأجل تنبيه الناس إلى الواقع والحقيقة. وهنا تكمن الجهة الإيجابية للمظلوميّة؛ إذ لا تتعارض مع الكرامة الإنسانيّة وحسب، بل إنّها من فروع الكرامة الإنسانيّة، فالكرامة هي أن يتفانى الإنسان، ويضحّي بنفسه في سبيل الله، وبغية إحياء الدين. هذه المظلوميّة عين الكرامة، ولا تتنافى معها مطلقاً.

الإصلاح الحسيني: تُثار في الوقت الحاضر شبهة مفادها: إنَّ التأكيد على عامل المظلوميّة، هو تخدير للحركة الشيعية؛ لذا لم يرتقِ الشيعة على المستوى الاجتماعي، والسياسي، والفكري، إلى التأثير والإبداع. كيف نردّ هذا الكلام؟

الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني: الأمر على النقيض من ذلك؛ فإنّ التأكيد على المظلوميّة يشعل قلوب الشباب، ويُلهب مشاعر الأُمّة والأجيال المختلفة. وبعبارة أُخرى: إثبات المظلوميّة أحد أسباب إثارة الحماس لدى الناس، وذلك بأنّ نقول للشريحة الشابة: إنّ الإمام الحسين عليه السلام، قُتل مظلوماً بأشدِّ أنواع الظلم، أي: ظُلِم حينما كان يُريد الدفاع عن الإسلام.

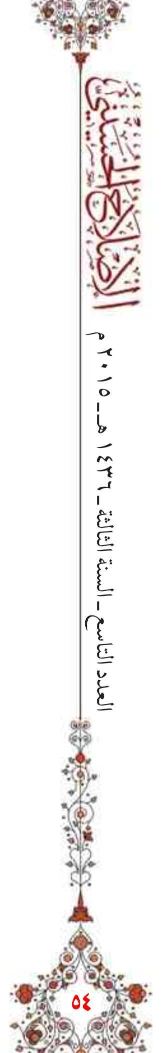
فالفرد الشيعي عندما يرى أنّ إمامه قد جرى عليه من الظلم ـ والويلات والمآسي ـ ما لم يجرِ على أحدٍ قبله، كلّ ذلك كان في سبيل وقوفه ضدّ الظلم، ومقارعته للطواغيت، حينئذٍ سيكون ذلك من أقوى الدوافع، وأشدّ المرغّبات له للقيام بالثورات، وتقديم التضحيات دفعاً للظلم، أُسوة بإمامه وقدوته؛ لذلك نرى أنّ

الثورات توالت تباعاً بعد مقتل الحسين عليه السلام، كلّها تُنشد وتترنّم باسم الحسين عليه السلام، وما وقع عليه من ظلم.

وعلى هذا الأساس؛ فالتركيز على المظلوميّة لا يوجب تخدير الشيعة، بل هو تقوية لعزمهم إن شاء الله.

الإصلاح الحسيني: سماحة الشيخ، نشكركم على إتاحة هذه الفرصة لمجلتنا، مجلة الإصلاح الحسيني.

الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني: أهلاً ومرحباً بكم، وأتمنى لكم المزيد من التألق والنجاح والموفقيّة.



هل خطط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟(١)

الشيخ نعمة الله الصالحي النجف ابادي

المترجم: هيئة التحرير

يتصوّر بعض الكتّاب أنّ هدف الإمام الحسين عليه السلام من نهضته هو فضح بني أُميّة وتعريتهم، والكشف عن حقيقتهم؛ وذلك من خلال إيجاد وخلق مشهدٍ لمظلوميّته، فقد مهَّد بموجب ذلك مقدماتِ اِنهيار الحكم الأُموي وسقوطه، حتى يكتسب بنو هاشم (أي: بنو العبّاس) ـ نتيجةً لتلك المظلومية ـ شعبيةً وإقبالاً جماهيرياً واسعاً يمكّنهم مستقبلاً من الأخذ بزمام الحكم.

تؤكّد هذه الفئة من الكتّاب على أنّ الحسين بن علي عليه السلام قد ذهب إلى مذبحه عالماً مختاراً، وسعى إلى إيقاعِ مقتله بشكل أكثر ترويعاً وإثارةً للشفقة والعطف؛ كي تؤثّر مصيبته في القلوب تأثيراً بالغاً، وتتحرّك على ضوئها مشاعر الناس وأحاسيسهم بالضدّ من بني أُميّة ووقوفاً مع بني هاشم.

---

(١) هذا المقال هو عبارة عن بحث مجتزأ من كتاب (شهيد جاويد/ الشهيد الخالد) لمؤلّفه الشيخ نعمة الله الصالحي النجف آبادي. هيئة التحرير.

يُعدّ الكاتب الألماني (ماربين)[1] من الذين أعلنوا رؤيتهم بهذا النحو من التفسير ـ فيما يتعلّق بنهضة الإمام الحسين عليه السلام وهدفه ـ حيث يقول: «**كان الحسين لسنوات متوالية يُعِدّ العُدّة لمقتله، حاملاً في رؤيته غايةً وهدفاً عالي المنال**»[2].

ويقول أيضاً: «**بما أنّ الحسين بن علي لم يكن في رؤيته هدفاً منشوداً غير قتله** ـ والذي يُعدّ مقدمة لذلك الخيال العالي وتلك المحرِّكية المقدّسة (روليسيون)[3] ـ **رأى أنّ أكبر وسيلة لتحقيق ما يصبوا إليه هي المظلومية وعدم الناصر، فاختار هذا الطريق كي تكون مصيبته مؤثِّرة في قلوب الناس**»[4].

ويقول أيضاً: «**لم يتهاون الحسين دقيقة واحدة في إفشاء ظلم بني أُميّة وجورهم وإبراز عداوتهم لبني هاشم وأولاد محمّد**»[5].

وفيما يتعلّق بمصيبة الطفل الرضيع، يقول: «**لم يصرف الحسين نظره عن هدفه المتعالي**[6] **رغم كل تلك المصائب الفجيعة، والأفكار المتراكمة، والعطش وكثرة الجراحات، ومع علمه أنّ بني أُميّة لن يرحموا طفله الرضيع، إلّا أنّه حمله بكفّيه ـ صرف تعظيم مصيبته ـ متظاهراً بطلب الماء له؛ فسَمِعَ الجوابَ بالسهم**»[7].

وفيما يرتبط بانقراض بني أُميّة، يُعلِّق قائلاً: «**وفي أقلّ من قرن سُحِبَت السلطة من بني أُميّة قاطبة... وهذه كلّها نتائج السياسة الحسينية**»[8].

---

(١) قال بعض الباحثين: إنّ الصحيح في هذا الاسم (مارتين) بالتاء، وأمّا النطق بالباء (ماربين) فخطأٌ مشهور.

(٢) أُنظر: السياسة الحسينية: ص٣٣.

(٣) روليسيون: يراد منها في هذا الموضع تحريك مشاعر الناس وعواطفهم بالضد من بني أُمية.

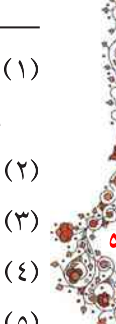
(٤) أُنظر: السياسة الحسينية: ص٢٥.

(٥) المصدر السابق: ص٢٦.

(٦) مراده من ذلك: تحريك مشاعر الناس وأحاسيسهم.

(٧) أُنظر: السياسة الحسينية: ص٢٩.

(٨) المصدر السابق: ص٣٦.



وحول تولّي بني العباس زمام الحكم، يقول: «**ولم يمضِ أقلّ من قرن حتى استقرّت المملكة الإسلامية الواسعة في بني هاشم**»[1].

وفيما يتعلّق بإحياء الإسلام بواسطة مقتل الإمام، يقول: «**قد أحيى الحسين بمقتله دين جدّه وقوانين الإسلام**»[2].

ويمكننا تلخيص أقوال هذا المستشرق الألماني بعدّة جُمَل:

١ـ إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يهيّئ لمقتله قبل استشهاده بسنوات متوالية.

٢ـ سعى الإمام ـ قدر الإمكان ـ إلى إيقاع مصيبته بشكل أكثر ترويعاً.

٣ـ المظلومية ـ التي سعى الإمام دوماً إلى إيجادها ـ هي الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الهدف.

٤ـ هدف الإمام هو تأجيج مشاعر الناس وتحريكها ضد بني أُميّة؛ حتى ينتفضوا ويُسقطوا الحكم الأُموي؛ ومن ثَمّ يمكِّن بني هاشم (أي: بني العباس) من الوصول إلى الحكم؛ وبهذا يحيى بمقتله عليه السلام الإسلامُ وقوانينه.

ونحن ـ إذا تأمّلنا بدقّة ـ لا يمكننا القبول بما ورد في كلام هذا الكاتب الألماني، وذلك من خلال بيان نقاط الضعف في الجمل الأربعة السابقة من كلامه:

مناقشة الجملة الأُولى

فيما يرتبط بالجملة الأُولى لا بدّ أن نقول: لا يُعلَم من أين جاء هذا الرجل الألماني بفرض أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يهيّئ لمقتله لسنوات متوالية؟! فأيُّ مؤرّخ ـ سواء أكان شيعيّاً أم سنّياً ـ كتب لنا أنّ الإمام عليه السلام كان لسنوات عديدة يهيّئ مقدمات مقتله؟!

(١) المصدر السابق: ص٣٨.

(٢) المصدر السابق: ص٢٢.

إذا استطاع (ماربين) ـ أو أيُّ شخص آخر يفكّر مثل تفكيره ـ أن يأتي بدليل تاريخي يُثبِت لنا أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قبل نهوضه بثورته البطولية ولو بساعة قد مهَّد وأعدَّ العدّة لمقتله.. فنحن مستعدّون من دون نقاشٍ قبول بقيّة كلامه، حتى وإن كان مجرّداً عن الدليل. ولكنّ الصحيح أنّ ما ذكره (ماربين) لم يتحدّث به أيُّ مؤرِّخ.

الشيء المؤكّد هو: أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يُعدّ أو يُهيّئ مقدمات مقتله، حتى وقع الاعتداء عليه من قِبَل السلطة الحاكمة، فتحرّك إلى الكوفة من أجل إقامة حكمٍ قويّ يهدف إلى إنقاذ الإسلام، وذلك حينما رأى أنّ العوامل الطبيعية لتحقّق النصر ممكنة ومتاحة. وعندما تغيّر الوضع الكوفي آنذاك ولم يكن بالإمكان إقامة الحكم المنشود، سعى الإمامُ حينها بكل ما يستطيع إلى الحيلولة دون وقوع الحرب. وبعد أن فُرِضت عليه تلك الحرب اللا إنسانية والمعادية للإسلام من قِبَل عمّال الحكومة الأُمويّة، كان لزاماً عليه بحكم الضرورة والقانون والوجدان أن يجاهدهم جهاداً دفاعياً، حتى قاوم ببسالة إلى الرمق الأخير رافضاً بذلك الظلم والعدوان.

إذن، لم يكن الإمام الحسين عليه السلام ـ خلافاً لمقولة ماربين ـ قد بذل جهداً في تهيئة أجواء ومقدمات مقتله عليه السلام، سواء أكان ذلك قبل وقوع الاعتداء عليه من قِبَل حكومة يزيد أم بعده.

وإذا كان المراد من ذلك أنّ الإمام كان يتنبّأ سابقاً بمقتله، ويتوقّع حدوثه، وكان متهيّأً للشهادة. فالجواب: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يتنبّأ أيضاً باستشهاده، وكان مستعدّاً للشهادة، إلّا أنّ هذا لا يعني إعداد العُدّة للشهادة وتهيئة المقدّمات لها.

مناقشة الجملة الثانية

فيما يتعلّق بالجملة الثانية لا بدّ أن نقول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يسعَ أبداً إلى جعل مصيبته أكثر ترويعاً، وإنّما سعى بكل ما يملك من قوّة إلى الدفاع والمقاومة،

وجاهد حتى آخر رمق في حياته من أجل حفظ عياله وأهل بيته. وما طلبه الماء لابنه ـ إذا صحّ النقل ـ إلّا لأجل حفظ حياة ذلك الطفل البريء، وليس لأجل أن يُقتَلَ حتى تكون مصيبته أكثر وَقْعَاً وتأثيراً في القلوب.

وعليه؛ فقد اجتهد الإمام الحسين عليه السلام في جميع مراحل النهضة في طريق الدفاع عن الدين والنفس والعيال وكل ما كان متعلّقاً به.

نعم، إنّ أجهزة حكومة يزيد المستبدّة، وأعوانه المرتزقة، هم الذين أظهروا إلى أبعد الحدود تلك القساوة والوحشية والأفعال اللا إنسانية، فلم يسلم منهم حتى ذلك الطفل الرضيع، فذبحوه بسهم من الوريد إلى الوريد؛ وهذا لا يعني أنّ الإمام عليه السلام كان يسعى جاهداً إلى جعل أعدائه أكثر همجية ووحشية؛ حتى تكون مصائبه أكثر ترويعاً وتأثيراً، كما يتخيّل هذا المستشرق الألماني.

مناقشة الجملة الثالثة

أمّا فيما يرتبط بالجملة الثالثة لا بدّ أن نقول: إنّ الحسين بن علي عليه السلام لم يفتعل تلك المظلومية إطلاقاً، وإنّما العكس هو الصحيح؛ إذ دافعَ وقاوم إلى آخر نفس في حياته؛ من أجل أن لا يرضخ للظلم والجور. فليس منطق الحسين بن علي عليه السلام القول: هذه حنجرتي وهذا خنجركم. وإنّما منطقه هو الجهاد في سبيل الحفاظ على الإسلام وإحيائه، بعد أن أيقن أنّ قبول الظلم والذلّ وتأييد الخلافة المفروضة زوراً يعود بالضرر على الإسلام، ويساعد على ضياع الحقوق الاجتماعية.

وعليه؛ فلم يذهب الإمام الحسين عليه السلام إلى استقبال الظلم، ولم يستخدم المظلومية كوسيلة كبرى يصل من خلالها إلى غايته، وإنّما تقدّم إلى المعركة لدفع الظلم والوقوف بوجه الدكتاتورية والاستبداد. وأجهزة الدولة الظالمة هي التي اعتدت ظلماً على ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وأوجدت مظلوميّته.

مناقشة الجملة الرابعة

وبالنسبة إلى الجملة الرابعة لا بدّ من القول: يبدو أنّ المستشرق الألماني خلط بين الهدف وبين الأثر القهري. وعلى سبيل المثال: إذا بنى شخصٌ لنفسه داراً؛ فهدفه أن يسكن في تلك الدار، ولكن هناك أثرٌ لهذا البناء، وهو إمكان الاستفادة من ظِلّ حائطه، ومع ذلك لا يصحّ القول: إنّ الهدف من بناء الدار هو الاستفادة من ظلّها. فهدف الإمام الحسين عليه السلام من نهضته هو إنقاذ الإسلام والمسلمين.

نعم، يوجد لهذه النهضة ـ أيضاً ـ أثرٌ قهريّ يتمثّل بجعل الحكم الأُموي المستهجن أكثر استهجاناً وازدراءً بين الناس، ومن جهة أُخرى جعل بني هاشم ـ وبالأخص أهل بيت النبوّة ـ أكثر مودّةً واحتراماً بينهم.

نعم، في ضمن ذلك أيضاً تمكّن بنو العباس من استغلال شهادة الإمام لصالحهم؛ من أجل الوصول إلى السلطة، ولم يكن الإمام يهدف أبداً إلى استجلاب الحبّ والود لبني هاشم حتى يتمكّن بنو العباس من الظفر بالحكم.

وأمّا قوله: «**إنّ في قتل الحسين إحياءً للإسلام**». فجوابه قول الإمام السجّاد عليه السلام: «**قد أحدث مقتلُ أبي ثلمةً في الإسلام عظيمةً**»[1]. ولا قيمة لكلام ماربين في قبال حديث الإمام السجاد عليه السلام.

نعم، لمّا كانت نهضة الإمام الكبرى لأجل إنقاذ الإسلام، وقد استُشهد على طريقه كذلك، فكل مسلم صاحب ضمير يتألّم ويبكي على تلك المصيبة المروِّعة، ويحدث في

(١) هيئة التحرير: ونصُ عبارته عليه السلام كما ورد في كتاب اللهوف: «**إنّ الله ـ وله الحمد ـ ابتلانا بمصائب جليلة وثُلمة في الإسلام عظيمة، قُتِلَ أبو عبد الله الحسين عليه السلام وعترته، وسُبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان، من فوق عالي السنان... أيُّ قلبٍ لا ينصدع لقتله؟! أم أيُّ فؤاد لا يحنّ إليه؟! أيُّ سَمْعٍ يسمع هذه الثُّلمة التي ثُلمت في الإسلام ولا يُصَم؟!**». ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف: ص١١٧.

نفسه انفعالاً يحرّكه ويدفعه نحو اتّباع طريق الإمام في إنقاذ الإسلام وإحيائه. وهذا أعظم أثرٍ أنتجته شهادة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة. ولكن كل هذا لم يكن مراداً لدى (ماربين).

وخلاصة البحث في كلام (ماربين): إنّ كل ما طرحه بهذا الخصوص خطأٌ مرفوض؛ وكان من الأجدر بهذا الباحث المستشرق ـ وبتعبير أصحّ: ذلك اللا مستشرق ـ أن لا يبدي رأياً فيما لا تخصّصَ له به؛ كي لا يوقع نفسه في مشكلةٍ ولا يكلّف الآخرين بمناقشته.

وبشكل عام، فإنّ هناك نقاط ضعف كثيرة برزت في كتابة (ماربين)؛ ممّا يدلّ على عدم معرفته كاملاً بالتاريخ الإسلامي؛ فعلى سبيل المثال كتب في الصفحة١٨: «**تحقّق مقتل عثمان نتيجة الإثارات والدعايات التي قام بها بنو هاشم**». وهذا خلافُ الحقيقة والواقع.

رأيٌ محتمل

كتب (ماربين): «**حضرت في تركيا برفقة مترجمي الخاص مآتمَ للحسين بن علي وسمعتُ الخطباء يقولون: كذا وكذا عن نهضة الإمام الحسين**»[1].

فهناك احتمال مطروح أنّ بعض الخطباء المحترفين والسطحيّين في تركيا قد بحثوا فلسفة النهضة الحسينية على أساس التصوّر القائل: إنّ الإمام الحسين قد نهض بداعي الاستشهاد.. وكل ما سمعه ماربين دوّنه وكتبه، وعلى سبيل الاحتمال: لّما لم تتوفّر لديه معلومات بخصوص نهضة سيد الشهداء عليه السلام، عدا تلك المسموعات، توقّع أنّ كلّ ما سمعه في مجالس العزاء في تركيا صحيحٌ مئة بالمئة. وعليه؛ فقد تلقّى كلَّ ما سمعه بقبولٍ حَسن على أنّه حقائق قطعية في تاريخ الإمام الحسين عليه السلام. وبعد رجوعه إلى أُروبا

(١) أُنظر: السياسة الحسينية: ص٤٥.

كتب لهم ما سمعه كمحصّلةٍ لسفره إلى الشرق، كما كان شائعاً عندهم ـ ولا زال ـ كتابةُ مذكّرات السفر ونشرها.

في ذلك الوقت ـ وبعد أن تُرجِمَت كتابات (ماربين) في النهضة الحسينية إلى اللّغات الشرقية ـ تلقّى الشرقيون بقبول حَسنٍ كلَّ ما قاله (ماربين) بوصفها صادرات الغرب إليهم، وقاموا بنقلها كوثيقةٍ تاريخية محكمة لساناً عن لسان وكتاباً عن كتاب، وأخذوا يتمسّكون بها وجعلوها دليلاً يستدلّون به على أقوالهم وكتاباتهم.. ويا أسفاه!!

ثمّة نقطة

إذا تصوّر الناس هكذا بأنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يطلب بخروجه القتلَ، وقد تحقّقت إرادته على يد مرتزقة السلطة الأُموية.. فلن تُثار حينها مشاعر الناس وأحاسيسهم بالضد من الحكومة؛ باعتبار أنّ الأمر الذي سعى إليه الإمام ـ حسب الفرض ـ قد تمّ تحقّقه على أيدي الحكومة الأُموية كما يريد.

نعم، يمكن لنا أن نتصوّر تلك المشاعر المتفاعلة بالضدّ من بني أُمية فيما لو علم الناس أنّ الحكومة الجائرة قد عملت على خلاف ما يرتضيه الإمام ويريده، وعمدت إلى قتل سبط الرسول صلى الله عليه وآله وأبنائه وأنصاره ظلماً وجوراً.

وثمّة نقطة أُخرى أيضاً

يقول الإمام الحسين عليه السلام: «**فلكم فيَّ أُسوة...**»[1].

إذا أردنا أن نحكم ـ كما حكم ماربين ـ بأنّ الإمام أراد أن يُلقي بنفسه في دائرة القتل وعلى أسوء حال ممكن، مع سبعة عشر نفراً ـ تقريباً ـ من خيرة رجالات البيت النبوي، وأكثر من خمسين نفراً من خيرة رجالات الإسلام وأبناء القرآن، جاعلاً طفله الرضيع

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٤.



هدفاً لمرمى السهام، وممكّناً أراذل القوم من أسر عيال الرسالة ونقلهم من مكان إلى آخر.. فهل يصحّ جعل هذا الفعل نموذجاً يقتدي به المسلمون ويسيرون على ضوئه؟!

تذكير

يقول شيخ الطائفة الطوسي قدس سره ـ حول مسألة جواز أو عدم جواز أن يكون الإمام عالماً بمقتله فخرج إلى القتال ـ: «**ولي في هذه المسألة نظرٌ**»[1].

وذهب أُستاذه العالم الكبير السيد المرتضى قدس سره علم الهدى إلى عدم جوازه؛ لأنّ دفع الضرر عن النفس واجبٌ عقلاً وشرعاً[2].

وعليه؛ إذا كان شيخ الطائفة رحمه الله متردداً في الحكم بجواز كون الإمام عالماً بمقتله حال خروجه أم لا، وكذلك ما ذهب إليه السيد المرتضى رحمه الله في الحكم بحرمته؛ فكيف يمكن بلا تحرّزٍ نسبة ذلك إلى الإمام عليه السلام بأنّه خرج عالماً بمقتله؟! وكيف يصحّ اتّباع فعل تردّد في أصل جوازه بعض العلماء وصرّح بحرمته بعضٌ من دون ترديد؟! وعليه، كيف يمكن لنا ترجيح رأي (ماربين) الألماني على رأي علماء الشيعة الكبار؟!

هل كان مقتل الإمام الحسين عليه السلام في مصلحة الإسلام؟

قد يُقال أحياناً: إنّ في قتل الإمام الحسين عليه السلام إحياءً للإسلام.

[نقول]: هنا لا بدّ من الفصل بين قضية مقتل الإمام الحسين عليه السلام ـ والتي تُعدّ من جرائم حكومة يزيد ـ وبين مسألة كفاح الإمام ونضاله حتى المرحلة الأخيرة من شهادته.

وإذا قال أحدٌ: إنّ الجريمة التي ارتكبتها حكومة يزيد بقتلها الإمام عليه السلام كانت بصالح الإسلام.. فإنّ هذا القول لا يمكن قبوله بأيّ وجه من الوجوه لما يلي:

---

(١) تلخيص الشافي: ج٤، ص١٩٠.

(٢) أُنظر: المصدر السابق.

١ـ إذا كان المراد من ذلك: أنّ قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله كان سبباً للعمل بأحكام الإسلام على نطاق واسع من قِبل مسلمي الحجاز والعراق والشام وشمال أفريقيا.

[أقول]: هذا الكلام ليس بصحيح؛ إذ كيف يمكن التصديق بأنّ مقتل الإمام كان باعثاً ومحرِّكاً نحو العمل بأحكام الإسلام بشكل أكثر؛ أي: لكي يُصلّوا أكثر، ويصوموا أكثر، ويجاهدوا أكثر، ويلتزموا بقوانين الإسلام الجنائية أكثر؟!

٢ـ وإذا كان المراد: أنّ قتل الإمام أدّى إلى قيام فتوحات أُخرى، فقد فُتِحت مثلاً ـ في زمن الوليد بن عبد الملك ـ بلاد الأندلس في الغرب، وبلاد سمرقند وبخارا في الشرق.

[أقول]: فهذا الرأي ليس بصحيحٍ أيضاً؛ فما وجه العلاقة بين مقتل الإمام عليه السلام وبين فتح الأندلس وسمرقند؟! فهل كان وجود الإمام مانعاً عن تقدّم المسلمين وانتصارهم حتى فُتِحَ لهم بمقتله عليه السلام طريق النصر شرقاً وغرباً؟!

٣ـ وإذا كان المراد: أنّ مقتل الإمام الحسين عليه السلام أدّى إلى إضعاف الحكم الأُموي، فلم يستطيعوا بعد مقتله أن يضحّوا بالإسلام مقابل أهوائهم الجاهليّة.

[أقول]: هذا أيضاً لا يمكن قبوله؛ فمن جهة يصحّ القول: بأنّ مقتله عليه السلام قد أضعف حكومة بني أُمية، إلّا أنّها قد استحكمت من جهة أُخرى؛ فقد ضَعُفَت من جهة وقوعها محلّ اشمئزازٍ وكراهية أكثر في أذهان عامة الناس. واستحكمت من جهة تمكّنها من إزاحة منافسٍ قويّ كالإمام الحسين عليه السلام من ساحة المواجهة، وقمع حركة أهل العراق وإخماد تطلّعاتهم في إقامة الحكم المنشود، حتى ساد في صفوفهم الخوف والرعب الشديدين.

ولا شكّ في أنّ جانب القوّة بعد مقتل الإمام عليه السلام كان أكثر بروزاً من جانب الضعف، باعتبار أنّ السلطة ـ بعد شهادة الإمام وقمع حركة أهل العراق ـ كانت تمثّل قدرةً بارزةً ومرعبة. أمّا جانب الضعف فيها، فقد تمثّل في تنفّر الجماهير التحررية من حكومة بني أُمية، تنفّراً مخفياً ومبيّتاً لا يجرأ أحدٌ على إظهاره.

وعليه؛ فلم يكن هناك مانعٌ أو مزاحمٌ ـ بعد وقعة كربلاء ـ يقف في طريق الحكومة الأُموية لثنيها عن تنفيذ برامجها العدائية للإسلام، بل استمرّت السلطة في تنفيذ برامجها الشيطانية بطريقة أكثر ترهيباً وتخويفاً، كما أظهرت ذلك فعلاً في وقعة (الحرّة)، وفي تعدّيها أيضاً على حرمة بيت الله الحرام حين هجومها على مكة.

زيادة على ذلك، فإنّ بني أُميّة أنفسهم استطاعوا ـ في زمن عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك ـ أن يمتلكوا واحدة من أعظم الحكومات على وجه الأرض وأكثرها قوّة، حتى وصلت الفتوحات آنذاك إلى الأندلس في أوربا[1]، وإلى سمرقند وبخارا وجميع بلاد ما وراء النهر وتخارستان في آسيا[2]، ثمّ استمرّت هذه الدولة الجائرة بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام ما يقارب السبعين سنة.

٤ـ وإذا كان المقصود: أنّ مقتل الإمام عليه السلام ساعد في رصّ الصف الشيعي وجعله أكثر تنظيماً من ذي قبل.

فلا بدّ من القول: إنّ الواقع الشيعي نراه قد قوي ـ من جهةٍ ـ واستحكم بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ومن جهة أُخرى ضَعُف وتقهقر. فجانب القوّة يكمن في تحرّك مشاعر الناس وعواطفهم لصالح الشيعة، وجانب الضعف يتمثّل بفقدان البيت الشيعي زعيماً كبيراً كالحسين بن علي عليه السلام ومقتل ثلّة من أبرز رجالات الشيعة وشخصياتها. زيادة على ذلك، فإنّ حادثة التوابين ومقتل عدّة آلافٍ من خواص الشيعة ورجالاتها قد أدّى إلى إضعاف الشيعة أكثر ممّا مضى، ثمّ جاءت ثورة المختار ومقتله والإبادة الجماعية لستة آلاف من أتباعه[3]، فتقهقرت الجماعة الشيعية تدريجياً وعجزت عن فعل أيّ شيء، حتى وصل الأمر إلى انتفاضة زيدٍ بن علي والتي أدّت إلى تجزئة الشيعة إلى زيدية وغير زيدية، بالإضافة إلى ما أعطته من خسائر جسيمة.

---

(١) ابن الأثير، محمد، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٥٥٦.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، أحمد، الأخبار الطوال: ص٢٨٢.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٦٩.

كل تلك العوامل زادت في إضعاف الشيعة، ومن دون شك، فإنّ جانب الضعف عند الشيعة ـ بعد وقعة كربلاء ـ أكثر ثقلاً من جانب القوّة عندهم؛ باعتبار أنّ جانب الضعف ناتجٌ عن مقتل الإمام عليه السلام واليأس من تشكيل الحكومة الجديدة. ذلك الضعف المخيّم المثير للخيبة والألم. وأمّا المشاعر الإيجابية المؤيِّدة للشيعة والداعية إلى تقويتهم كانت إلى حدٍّ كبير مخفية وسريّة، ولم يستطع أحدٌ من الناس إظهارها إلّا القليل منهم.

٥ـ وإذا كان المراد: أنّ مقتل الإمام الحسين عليه السلام كان سبباً لفضح آل أبي سفيان والكشف عن حقيقتهم؛ وبذلك تمّ إحياء الإسلام.

فهذا المطلب ليس بصحيحٍ أيضاً؛ لأنّ فضائح معاوية وابنه يزيد كانت على مستوى من الظهور لا يُحتاج معه إلى كشف الستار، بل لم يوجد هناك من الأساس ستارٌ مسدولٌ على كوارث وفضائح عنصري الفساد هذين حتى يُطوى جانباً. فكان معاوية بشكل ظاهرٍ وصريح ينتهك أحكام الإسلام بلا حدود. وقد ذكرنا[1] ـ كنموذجٍ ـ في بحث ماهية نهضة الإمام عليه السلام عشرين مورداً من جرائم معاوية بحق الإسلام والدين، وأوضحنا أنّ ابن أبي سفيان قد ارتكب تلك الجرائم بشكل واضح ومكشوف للعيان.

[ونتساءل]: هل طغى معاوية بالسرّ والخفاء على علي عليه السلام؟! وهل وقعت حرب صفّين ـ التي هُدرت فيها بسببه دماء أكثر من سبعين ألف نفرٍ ـ على نحوٍ سرّي؟! وهل كانت أوامر معاوية القاضية بقتل شيعة أمير المؤمنين عليه السلام والإغارة عليهم في المدينة والأنبار واليمن على نحوٍ سرّي؟! وهل إقامته لصلاة الجمعة في يوم الأربعاء كانت على نحوٍ سرّي؟! وهل كان قتله لحجر بن عدي وعمرو بن الحمق وأنصارهما بشكل خفي؟! وهل كان لعن أمير المؤمنين عليه السلام الذي أصدر فيه معاوية تعميماً على أنحاء الدولة الإسلامية وقام بتنفيذه أمراً خفيّاً؟!

فقد مزّق معاوية حجاب الحياء والدين؛ إذ يصفه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**ظاهر**

(١) في كتاب شهيد جاويد(الشهيد الخالد). هيئة التحرير.

غيّه، مهتوك ستره»[1]، فخرج مظهره الشيطاني من وراء الستار، «**فإنّما هو الشيطان**»[2]. على حدّ وصف أمير المؤمنينعليه السلام.

فهل يمكن بعد هذا الكلام الصريح والواضح لأمير المؤمنينعليه السلام حول فضائح معاوية أن يتخيّل أحدٌ أنّ تلك الفضائح والانتهاكات كانت من وراء حجاب[3]؟! وحيث إنّ فضائح معاوية كانت ظاهرةً إلى هذا الحد، فهل يمكن لأحدٍ أن يتصوّر أنّ فضائح ابنه يزيد كانت مختبئة وراء الأستار؟!

٦ـ وإذا كان المراد: أنّ مقتل الإمامعليه السلام وأسر أهل بيته كان سبباً في تأجيج مشاعر أهل الشام وتمرّدهم على يزيد؛ وبالتالي تمّ إحياء الإسلام بذلك.

فهذا أيضاً لا يمكن قبوله، فقد طغى الوضع المادّي على أهل الشام وتمسّكهم بالدنيا على امتداد أربعين سنة من حكومة معاوية، إلى درجة لو ضُرِبُوا على رؤوسهم بمطارق من حديد لما استيقظوا من نومهم العميق، ولما ثاروا وانتفضوا على يزيد.

فأهل الشام ـ بعد حادثة كربلاء ـ هم أنفسهم قاموا بالتجاوز على أعراض أهل المدينة في وقعة الحرّة بإشارةٍ من يزيد، وهم الذين قاموا ـ بأمرٍ منه ـ بالهجوم على حرم الله (مكّة المكرّمة)، وأراقوا الدماء وهتكوا حرمة بيت الله الحرام. فهل يُتوقّع من مثل هؤلاء الناس أن يتمرّدوا على يزيد[4]؟!

---

(١) نهج البلاغة: رسالة ٣٩. هذا كتاب لهعليه السلام إلى عمر بن العاص بدايته: «فإنّك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهرٍ غيّه مهتوكٍ ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفّه الحليم بخلطته...».

(٢) نهج البلاغة: رسالة ٤٤.

(٣) نعم، إنّ الجرائم التي ارتكبتها حكومة يزيد ـ وقتلهم الإمامعليه السلام ـ جعلت من آل أبي سفيان أكثر تعريةً من قَبل، بعد أن كانوا مفضوحين أساساً، إلّا أنّ تلك الفضائح التي حلّت بآل أبي سفيان نتيجة تلك الجرائم لا يمكن أن تكون هدفاً لنهضة الإمامعليه السلام.

(٤) لم يختصّ أهل الشام لوحدهم بعدم التمرّد والخروج على يزيد، بل إنّ أهل الكوفة أيضاً لم يثوروا على يزيد بن معاوية. يقول ابن طاوس رحمه الله في خصوص أهل الكوفة: «ما عرفناهم أنّهم غضبوا في أيام يزيد لذلك الفعل الشنيع، ولا خرجوا عليه، ولا عزلوه عن ولايته». كشف المحجّة: ص٤٧.

نقطة هامّة

زيادة على كل ما ذُكر، وكما مرّ في القسم الثاني[1]، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام عندما واجه الحرّ بن يزيد الرياحي قرّر حينها الرجوع إلى الحجاز، وأصرّ على هذا الأمر إصراراً كبيراً، إلى حدّ أقترح الرجوع وإيقاف النزاع خمس مرّات على الأقل منذ تلك اللحظة التي واجه فيها الحرّ وحتى بداية الحرب، كما حذّر جيش العدو في يوم عاشوراء من قتله[2]، وسعى جاهداً للحيلولة دون وقوع الحرب وإراقة الدماء.

فهل يعني قرار الإمام بالعودة إلى الحجاز، واقتراحه إيقاف النزاع بضعة مرات، وتحذيره جيش عمر بن سعد من الإقدام على إراقة دمه.. أنّه لا يريد أن يحيى الإسلامُ بمقتله؟!! فهل كان الإمام غير راضٍ وراغبٍ في إحياء الإسلام؟!!

خلاصة الكلام

وخلاصة الكلام هي: أنّنا لا نتصوّر أيَّ معنى صحيح يمكن قبوله لهذه العبارة: (إنّ بقتل الإمام الحسين عليه السلام تمّ إحياء الإسلام)؛ أي: بتلك الجريمة التي ارتكبها يزيد. سواء أكان إحياء الإسلام بمعنى:

١ـ العمل بأحكامه.

٢ـ أم الفتوحات الإسلامية.

٣ـ أم ضعف حكومة بني أُميّة.

٤ـ أم انتظام الشيعة وائتلافهم.

٥ـ أم افتضاح آل أبي سفيان وتعريتهم.

٦ـ أم قيام أهل الشام بثورة على يزيد.

---

(١) في كتاب شهيد جاويد (الشهيد الخالد).

(٢) أُنظر: المفيد، محمد، الإرشاد: ص٢١٦.

نعم، إنّ الحقيقة تتمثّل في مقاومة الإمام الحسين عليه السلام وكفاحه البطولي في طريق الإسلام، ومن أجل إحياء تعاليم القرآن، حتى نال بذلك الشهادة. فهذا هو المنهاج العملي الذي خطّه الإمام كمصباحٍ يشعّ نورُه في طريق الإنسانية؛ فعلى الجميع أن يستفيدوا قدر الإمكان من هذا المنهج الإنساني المتعالي من أجل تحقيق أهداف الإسلام والعمل على طبقها.

تشبيه خاطئ

ربّما يقال: قد يتطلّب الوضع الصحي المتدهور لمريض ما ـ في بعض الأحيان ـ إلى استخدام السكّين لإجراء عملية جراحية. كذلك في الوضع الاجتماعي، فقد يصل الفساد إلى حدٍّ لم يبقَ معه أيّ طريق للإصلاح عدا طريق الحرب وإراقة الدماء. فلمّا رأى الإمام الحسين عليه السلام أنّ فساد المجتمع وصل إلى حدٍّ لم ينفع معه إلّا إراقة الدماء، حينها أقدم على فعل مثل هذا العمل الكبير.

هنا لا بدّ من القول: هل يُستأصل ـ في حال إجراء العملية الجراحية ـ العضو السالم أم العضو الفاسد؟!

الجواب واضح: العضو الفاسد. فإذا قطع الطبيب الجرّاح عضواً سالماً مكان العضوِ الفاسد، أو كان سبباً في قطعه؛ وَقَع محلاً للوم والعتاب، وتحمّل جميع تبعات تلك الخطيئة المتعمَّدة.

فهل يصحّ القول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام لّما رأى فساد المجتمع وانحرافه؛ أقدم على جرِّ ثلّة من خيرة أفراد المجتمع وأكثرهم استقامةً وعلى رأسهم الإمام نفسه إلى عنق الموت والقتل؛ بداعي إجرائه عملية جراحية لهذا المجتمع؟! فيا تُرى، هل يمكن إصلاح المجتمع المنحرف ببقاء الجماعة الفاسدة ومقتل الجماعة المصلحة؟!

فالخطأ في هذا القول يتمثّل في كون القائل به يتصوّر أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعمل منذ بداية حركته لإيجاد حادثة كربلاء؛ ولأجل ذلك قام بتلك الثورة. في حين أنّ

الإمام عليه السلام لم ينهض لخلق مثل هكذا حادثة فضيعة ومروّعة، بل كل ما فعله الإمام هو الوقوف بوجه النظام الدكتاتوري، والنهوض من أجل إنقاذ الإسلام والمسلمين عن طريق إقامة الحكم العادل. وفي قبال ذلك: ما فعله مرتزقة الحكومة الأُموية من ضرب القوى الوطنية والإسلامية، وقتل ابن رسول الله عليه السلام وأنصاره الأوفياء.

وعليه؛ لا بدّ من الفصل بين ما قامت به مرتزقة حكومة يزيد ضد الإسلام، وبين ما قام به الإمام عليه السلام، وأن لا نضع حادثة كربلاء الدامية في رصيد سيد الشهداء عليه السلام؛ كي لا نضيف عن طريق ذلك ظلماً آخر إلى سبط النبي صلى الله عليه وآله.

تصورٌ خاطئ

يتصوّر البعض أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان عازماً منذ بداية الأمر على التضحية بنفسه، وأنّ يؤسَر أهل بيته ويُساقون من بلدٍ إلى بلد. وبعبارة أُخرى: كان الإمام يهدف من أوّل الأمر إلى وضع عياله في دائرة الأسر، وسعى جاهداً إلى تحقيق ذلك بداعي تعرية الحكومة الأُموية آنذاك وإظهار حقيقتها!

[أقول]: هل يمكن أن يُقال: إنّ دخول زينب الكبرى بثيابٍ رثّة على مجلس عبيد الله بن زياد، وجلوسها في ناحية مخبِّئة نفسها بين النساء كي لا تُعرف، وعبيد الله بن زياد مع كل ما يحمله من غطرسة ووحشية ينادي لثلاث مرات: مَن هذه المرأة؟ موجِّهاً إلى بنت أمير المؤمنين عليه السلام أنواع التهم والافتراءات[1] يذوب من الهمّ عند سماعها قلب كل إنسان غيور.. فهل كان هذا هدف الإمام الحسين عليه السلام ومراده وعمل ناشطاً من أجل تحقيقه؟!

وهل يمكن القول: إنّ الأمر بقتل الإمام السجاد عليه السلام من قِبَل ابن زياد بعد خطبته المتعجرفة بحجّة تجرّؤ الإمام بالردّ عليه، فتعلّقت به عمّته زينب عليها السلام واعتنقته وقالت: «**والله، لا أُفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه**»[2]. فتكَوَّنَ من ذلك مشهدٌ ترتعد عند سماعه



(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٢٥.

(٢) المصدر السابق: ص٢٢٦.

فرائص كل إنسان، فكيف برؤيته؟! أكان ذلك كلّه ما يصبو إليه الإمام عليه السلام ساعياً وراء إيجاده وتحقّقه؟!

وهل يمكن القول: إنّ التنقّل الإجباري لأطفال بيت الرسول صلى الله عليه وآله الميتّمون، مع تلك المسافات البعيدة والصحراوية، وتحت أشعة الشمس الحارقة، وتحت مراقبة القوات المسلّحة المترصّدة، من دون إعطائهم الحريّة والاختيار في السير والاستراحة والنوم وتناول الطعام، ممّا يتقرّح له كبد كل إنسانٍ عطوف.. فهل كلّ هذا كان مراداً للإمام عليه السلام؟!

وهل يمكن القول: إنّ وقوع بنات الإمام الحسين عليه السلام وأخواته في معرض الرؤية والمشاهدة من قِبل العصابات المجرمة، ممّا يهتزّ له قلبُ كل إنسان غيور.. كان مطلوباً للإمام عليه السلام؟! فإذا كان ذلك مراداً للإمام عليه السلام؛ فلماذا اشتكت السيدة زينب عليها السلام بحرقة قلبٍ من ذلك الأمر قائلةً: «**يتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد والدنيء والشريف**»[1]؟!

هل يمكن القول: إنّ إشارة ذلك الرجل الشامي إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام، طالباً من يزيد أن يتبرّع له بها لاتخاذها جارية، ممّا دفع بالسيدة زينب عليها السلام ـ في حالة مأساوية ـ أن تُدافع عن ابنة أخيها، متحمّلةً ذلك الكمّ الهائل من التوهين والتحقير[2] ما لا يُطيق سماعه أيُّ إنسان مسلم.. أكان ذلك كلّه ممّا قصده الإمام عليه السلام؟!

فهل يُتصوَّر من إمامٍ مجروحٍ دافع عن أهل بيته قائلاً لأعدائه: «**ويلكم! إن لم يكن لكم دينٌ وكنتم لا تخافون يوم المعاد؛ فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوي أحساب، امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجهّالكم**»[3].. أيتصوّر أن يكون هكذا إمام قد رضي أن يكون مصير النساء والبنات بيد هؤلاء الزمرة الخبيثة تُساق في الأزقّة والأسواق والمشاهد العامّة؟!

---

(١) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٦٣.

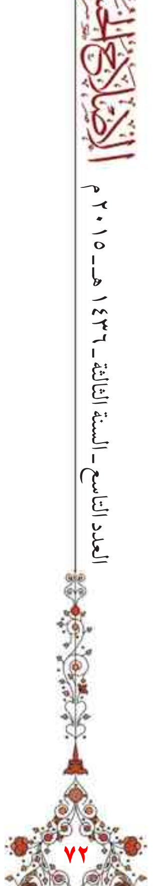
(٢) أُنظر: المفيد، محمد، الإرشاد: ص٢٢٨.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٤٤.

كم هو تصوّر طفولي لمن يرى أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يخطّط لعملٍ ما يُجبِر من خلاله مرتزقة النظام إلى سَوق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله من مكان إلى آخر؛ كل ذلك بداعي تعرية بني أُميّة وفضحهم؟!

كم هو منطقٌ عجيب لمن يقول: إنّ الإمام عليه السلام كان راضياً بكل ما وقع على أهل بيته من أفعال قاسية وغير إنسانية ومخالفة للأخلاق والإسلام!

إنّ ما وقع من أسرٍ لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ـ مع تلك الأوضاع المروّعة والمأساويّة ـ يُعدّ من الجرائم الفريدة من نوعها والتي سوَّدت وجه التاريخ الإسلامي، بل تاريخ البشرية جمعاء. فلا المولى عزّ وجلّ كان راضياً بمثل هكذا جريمة مروّعة، ولا رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا الإمام الحسين عليه السلام، ولا المسلمون، ولا يمكن أن يحيى الإسلام بهذه الوسيلة، وإنّما هي ثلمة في الإسلام لا يسدّها شيء، كما حدث ذلك بالفعل.





الشيخ رافد التميمي[1]

تمهيد

من الأُمور المهمّة التي وقع فيها اختلاف بين العلماء والمحقّقين هو تحديد الهدف، أو الأهداف التي خرج من أجلها الإمام الحسين عليه السلام، وهو بحثٌ دقيق وحسّاس، يستوجب على مَن يريد الدخول فيه أن ينظر إلى هذه المسألة من جوانب عديدة، وأن يجمع بين الأدلّة والشواهد التاريخية والفكرية والعقدية، من خلال منهج علمي، وعلى وفق مبانٍ ورؤى واضحة.

وقد عُدّت المظلومية أحد أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وقد وقع اختلاف في إثبات هذا الهدف تبعاً للاختلاف في الرؤى حول هذه المسألة، ومن بين تلك الآراء ما طرحه الشيخ صالحي نجف آبادي، في كتابه: الشهيد الخالد (شهيد جاويد) في مسألة المظلومية، وهو يُعتبر من الآراء الخاصّة والشاذة، التي لا تمثّل الرأي المشهور للطائفة في هذه المسألة المهمّة من النهضة الحسينية[2].

---

(١) مدير مركز الدراسات التخصّصيّة في النهضة الحسينيّة، فرع قم المقدّسة.

(٢) تمّ فرز رأيه من كتابه في المقال السابق، في هذا العدد من مجلّة الإصلاح الحسيني، تحت عنوان: هل خطط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟

ونحن نرى أنّ الكاتب لم يكن مُوفّقاً في إثبات رؤيته لمسألة المظلومية؛ وذلك إمّا لعدم الدليل الواضح على مُدّعاه، ممّا يجعل دعواه بدون دليلٍ أو شاهد، وإمّا لأنّ رؤيته لم تكن متكاملة حول ملابسات المسألة آنذاك، وإمّا لوجود الدليل المخالف على بعض فقرات دعواه. جميع ذلك أدّى بالكاتب -لأن يذهب إلى بعض الآراء الشاذّة في هذه المسألة نوعاً ما، حتى في غير مسألة المظلومية، بحيث امتدّ تبنّيه للآراء الخاصّة في مجمل أبعاد النهضة الحسينية المباركة.

تنويه

لا يفوتني أن أُنوّه إلى أنّه ليس هدفنا من هذا المقال اختيار رأي بعينه، أو تحديد الصحيح من تلك الآراء، وإنّما هدفنا هو الرّد على كيفية العرض والاستدلال التي اعتمدها الكاتب في هذا الموضوع.

بيان أصل المسألة

يتمحور أصل المسألة حول الأمر التالي: وهو هل أنّ المظلومية من أهداف كربلاء التي سعى الإمام الحسين عليه السلام لتحقيقها، أو أنّها أمر ثانوي تحقّق بسبب بشاعة الأعداء وظلمهم؟

فالرأي الأول يذهب إلى أنّ من أهداف الثورة الحسينية، بل من أهمّها هو تحقيق المظلومية، بمعنى أنّ الإمام عليه السلام سعى لأن يكون مظلوماً وبأشدّ الصور، وهيّأ أسباب ذلك، وهذا ما يُعبّر عنه عادةً بنظرية الشهادة.



والرأي الآخر يذهب إلى أنّ الإمام عليه السلام سعى لأن ينتصـر، ويحقّق حكومة عادلة، إلّا أنّ ذلك لم يتحقّق؛ فكانت المظلومية، وهذا ما يُعبّر عنه بنظرية الحكومة.

وقد بيّن الكاتب أنّه لا يمكن قبول أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يُقتل بأبشع صورة،

العدد التاسع ـ السنة الثالثة ـ ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م

وأنّه هيّأ أسباب ذلك القتل من أجل تحقيق المظلومية، ومع بطلان هذا الأمر يثبت أنّ الإمامعليه السلام كان قصده من نهضته الوصول إلى الحكومة.

نقاشٌ وردٌّ

ربّما يتصوّر القارئ من بيان الكاتب أنّ في المسألة رأيين: إمّا الرأي القائل بالشهادة والمظلومية، وإمّا الرأي القائل بالحكومة، مع أنّ الأمر ليس كذلك؛ فإنّ في هذه المسألة الحساسة عدّة آراء ونظريات[١]:

منها: نظرية الشهادة، كما عن ابن طاوس[٢]، ومحسن الأمين[٣]، والشيخ لطف الله الصافي[٤]، والسيد محمد سعيد الحكيم[٥]، وغيرهم.

ومنها: نظرية الحكومة، كما قد يظهر عن الشيخ المفيد[٦]، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي[٧]، وغيرهم.

ومنها: إنّ الإمامعليه السلام خرج لأجل حفظ نفسه، فهو لم يخرج لا إلى إقامة حكومة، ولا إلى الشهادة، قال الاشتهاردي: «**خروج الإمام الحسين من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق لأجل حفظ نفسه، وليس لأجل الحرب والثورة وتشكيل حكومة**»[٨].

ومنها: تعدّد الأهداف وتنوّعها حسب الظروف المتغيرة وحسب المراحل، وهذه

---

(١) أُنظر: مهريزي، مهدي، مقال تحت عنوان: (تحليلي در باره أهداف قيام إمام حسين)، حماسة حسيني، مجموعة مقالات.

(٢) أُنظر: ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٨.

(٣) أُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٥٨١.

(٤) أُنظر: الصافي الگلپايگاني، لطف الله، شهيد آگاه (الشهيد العالم): ص٨٠.

(٥) أُنظر: الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص٣٣.

(٦) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، المسائل العكبرية: ص٦٩.

(٧) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تلخيص الشافي: ج٤، ص١٨٢.

(٨) الاشتهاردي، هفت رسالة (سبع رسائل): ص١٩٣.

الرؤية أيضاً على أقسام بحسب التفصيلات التي ذهب إليها كلّ واحدٍ من المحقّقين، كما عن الشيخ الشهيد المطهري[1]، وكما عن السيد مرتضى العسكري[2]، وكما عن السيد الأُستاذ منير الخباز[3]، وكما عن الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني[4]، وغيرهم.

إذاً؛ فالأمر ليس كما يصوّره الكاتب من أنّه في هذه المسألة الحسّاسة يوجد رأيان، ومع بطلان أحدهما يتعيّن الثاني، فيصِل إلى مراده بأسهل الطرق، وإنّما هناك آراء متعدّدة، ومَن يريد أن يُبدي رأياً فعليه متابعة الآراء والأدلّة جميعاً، والآراء المتقدّمة، وإن كان بعض مَن قال بها ممَّن تأخّر عن زمن الكاتب، إلّا أنّ مَن كان في زمنه ومَن كان متقدّماً عليه فيه الكفاية لمرادنا.

السعي لتهيئة ظروف الشهادة

ممّا أثاره الكاتب وشنّع به على قائله أنّه كيف يمكن تصوّر أن يقال: إنّ الإمام سعى لتهيئة الظروف المناسبة لقتله، فهذا أمرٌ لم يقُل به أحد من الشيعة، ولا يوجد عليه أيُّ شاهد أو دليل، ناسباً ذلك إلى مستشرق ألماني، حيث يقول: «**لا يُعلَم من أين جاء هذا الرجل الألماني بفرض أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يهيّئ لمقتله لسنوات متوالية؟! فأيُّ مؤرّخ ـ سواء أكان شيعيّاً أم سنّياً ـ كتب لنا أنّ الإمام عليه السلام كان لسنوات عديدة يهيّئ مقدمات مقتله؟! إذا استطاع (ماربين) ـ أو أيُّ شخص آخر يفكّر مثل تفكيره ـ أن يأتي بدليل تاريخي يُثبِت لنا أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قبل نهوضه بثورته البطولية ولو بساعة**

(١) أُنظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات الأُستاذ الشهيد مطهري: ج١٧، ص٣٧١.

(٢) أُنظر: العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج٣، ص٣٠٨.

(٣) أُنظر: الخباز، منير، مقال تحت عنوان: (مشروع دراسة الحركة الحسينية)، مجلّة الإصلاح الحسيني، السنة الثانية، العدد السادس: ص٤٩.

(٤) أُنظر: اللنكراني، محمد جواد فاضل، مقال تحت عنوان: (النهضة الحسينية بين نظرية الشهادة وإقامة الحكومة)، مجلة الإصلاح الحسيني، السنة الثانية، العدد الثامن: ص٣٩.

قد مهَّد وأعدَّ العدّة لمقتله.. فنحن مستعدّون من دون نقاشٍ قبول بقيّة كلامه، حتى وإن كان مجرّداً عن الدليل»[1].

نقاشٌ وردٌّ

قبل الدخول في نقاش ما تقدّم ينبغي أن نبيّن أمراً، وهو: ما المقصود من أنّ الإمام عليه السلام سعى وراء تهيئة أسباب قتله؟

فهنا معنيان:

المعنى الأول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام قدّم نفسه كالقربان الذي يكون بيد ذبّاحه، ومن دون حولٍ ولا قوة، ولا مقاومة؛ فيكون بذلك قد سرّع مصرعه، وأراح عدوه، وهيّأ الظروف وأعدّها لذلك، ثمّ بعد القتل ربّما تتحقّق فائدة من القتل المقدّس، ولا فائدة مرجوة أصلاً ـ بناءً على رأي الكاتب ـ وهذا المعنى واضح البطلان، بل هو من سخيف القول؛ لأنّ هذا موتٌ بذلّة وهوان، وضعف واستسلام، وهذه حالة تخالف أوضح النصوص الحسينية (هيهات منّا الذلة)، (والله، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل)، وهكذا مقتل لا يمكنه أن يحرّك ضمير الأُمّة، ومشاعر المجتمع، وأحاسيس الأحرار.

فإن كان قصد الكاتب من أنّ الإمام عليه السلام هيّأ ظروف قتله هذا المعنى، فهو ممَّا لم يقُل به أحد على الإطلاق، بل لم يقله حتى أعداء الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن علمائنا وعظمائنا، وهو رأي خلاف أوضح أهداف النهضة المقدسة، ومن المستبعد أن يكون الكاتب قاصداً لهذا المعنى.

المعنى الثاني: أن يكون المقصود هو أنّ الإمام عليه السلام بما أنّه كان عالماً بمقتله، وأنّ هذا أمر سوف يؤدّي إلى حياة الأُمّة وإيقاظ ضمائر المسلمين، فلأجل ذلك كان عليه السلام مسرعاً لتحقيق

---

(١) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطَّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص٥٨.

مشروعه وهدفه الإلهي بأحسن صورة، ذلك المشروع الذي يرسم للأجيال أفضل المواقف البطولية والممانعة للظلم والطغيان والانحراف، فقد خطّ الإمام عليه السلام بمواقفه وكلماته وأنصاره أروع نماذج المقاومة الحرّة والحقّة، وقد علّم بذلك أحرار العالم كيف يقولون: (كلا). بوجه كلّ ظالم متهتّك جبّار. فكلّ مَن يراجع النهضة المقدّسة يتعلّم أنّه لابدّ من المقاومة ولو في الرمق الأخير، ولا بدّ من المحافظة على العزّة ولو في أشدّ الظروف، فهذه هي المعاني التي سعى إليها الإمام الحسين عليه السلام، وأسرع لتحقيقها، وهيّأ الظروف المناسبة لإبرازها بأفضل صورة، مع الحفاظ على جميع الشرائط العرفية والشرعية.

وهذا المعنى هو مقصود مَن ذهب إلى نظرية الشهادة[1]، وأنّ الإمام عليه السلام قد سعى إلى مقتله وهيّأ الظروف لذلك.

وبناءً على هذا المعنى الثاني؛ فيمكن مناقشة الكاتب:

أولاً: إنّ بعض علماء الشيعة ذهب إلى نظرية الشهادة، وأنّ الإمام عليه السلام ذهب إلى مقتله وهيّأ الظروف لذلك، قال السيد الحكيم: «**كانت نتيجة اتّفاقه عليه السلام مع الحرّ أن وصل إلى مكانٍ بعيد عن الكوفة، قريب من نهر الفرات، حيث الماء والزرع والقرى، وحيث يسهل تجمّع الجيوش لقتاله، ويصعب أو يتعذّر على مَن يريد نصره الوصول إليه**»[2]. إلى غير ذلك من كلمات الأعلام بهذا الصدد.

ثانياً: هناك شواهد تاريخية عديدة على نظرية الشهادة، وأنّ الإمام سعى لذلك، وقد ذكر بعضها السيد الحكيم في كتابه فاجعة الطف، تحت عنوان: (الشواهد على أنّه عليه السلام لم يتحرّ مظانّ السلامة)[3]، وكذا ذكر الشيخ الصافي بعض الشواهد في مواضع متعدّدة من كتابه[4].

---

(١) أُنظر: الصافي الگلبايگاني، لطف الله، شهيد آگاه (الشهيد العالم): ص١٧٠.

(٢) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص٣٣.

(٣) المصدر السابق: ص٢٩.

(٤) أُنظر: الصافي الگلبايگاني، لطف الله، شهيد آگاه (الشهيد العالم): في مواضع متعدّدة، أُنظر: فهرست الكتاب.

وبذلك يتبيّن أنّ دعوى الكاتب المتقدّمة ليست في محلّها؛ فهي خلاف التحقيق، ولا نريد أن نقول: إنّ نظرية الشهادة وكون الإمام سعى لذلك، نظرية صحيحة أو خاطئة. ولكن نقول: ليس من الصحيح أن يُقال: إنّها نظرية لا قائل بها، ولا شاهد عليها.

القتل بأفجع صورة

ناقش الكاتب دعوى أنّ الإمام عليه السلام سعى لأن يُقتل بأفجع صورة، هو وأهل بيته، قال: «**إنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يسعَ أبداً إلى جعل مصيبته أكثر ترويعاً، وإنّما سعى بكل ما يملك من قوّة إلى الدفاع والمقاومة، وجاهد حتى آخر رمق في حياته من أجل حفظ عياله وأهل بيته**»[1].

نقاشٌ وردٌّ

يمكن النقاش فيما ذُكر من خلال بيان تصوير لمسألة الفاجعة يثبت أن الإمام عليه السلام سعى لتحقيق أشدّ أنواع المظلومية، ومن دون أن يلزم أيّ إشكال أو نقض أو استبعاد، وذلك بأن نقول:

يمكن أن يكون الإمام عليه السلام قد رأى في اليوم العاشر أو قبله بيوم[2] أنّه مقتول لا محالة، حتى وفق المعطيات الظاهرية الخارجية التي لا ربط لها بعلم الإمام عليه السلام الغيبي، وفي مثل هذه الحالة وهذه الظروف من المناسب جدّاً أن يُظهر الإمام عليه السلام بشاعة الأعداء، وتدنّيهم الخُلقي والثقافي والإنساني، على كلّ المستويات، ويبيّن مستوى الهمجية التي

(١) أُنظر هذا العدد، مقال (هل خطَّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص٥٩.

(٢) أقول: وهذا يجتمع مع جميع النظريات في أهداف النهضة الحسينية، سواء التي تقول بالشهادة أو الحكومة أو غير ذلك؛ حيث أشارت تلك النظريات إلى أنّ في اليوم العاشر وفي اللحظات الأخيرة لم يبقَ للإمام عليه السلام سبيل إلّا السلّة أو الذلّة، فقالها الإمام عليه السلام مدوّية: «هيهات منّا الذلّة».

كان عليها هؤلاء، فبدل أن يموت الطفل الرضيع عطشاً في مهده، يموت وهو شامخٌ أمام الأعداء، تُخلّده الأجيال إلى قيام الساعة، وبدل أن يموت الإمام عليه السلام ضامئاً عطشاناً بسكوت، يموت وهو طالب للماء، مبيّناً بذلك عمق الخسّة التي كان عليها هؤلاء، فالكاتب لم يميّز بين نوعين من المظلومية:

الأول: أصل المظلومية.

والثاني: كيفية وحدود المظلومية.

فلو تنزّلنا عن الأول ـ وقد قبله الكثير ـ فلا يمكن أن نتنزّل عن الثاني؛ لأنّه هو الذي أبرز عامل المظلومية بشكلٍ واضح في تلك النهضة المباركة، وهو الذي خلّد المواقف الشجاعة والبطولية، فهو يعتبر مكمّلاً لصورة كربلاء الناصعة والمشرقة عبر الزمان.

وبعبارةٍ أُخرى: إنّ ما تقدّم من اعتراض الكاتب، تارة يُجاب عنه مبنائياً، وأُخرى بنائياً، فالأول بأن نقول: إنّ الشواهد والأدلّة قد قامت عند البعض على أنّ الإمام عليه السلام قد سعى لتحقيق المظلومية من أول الأمر؛ لأنّ الهدف يقتضي ذلك.

وأمّا الثاني، فإنّه حتى مَن يرى أنّ الإمام عليه السلام سعى للحكومة، قال: بأنّه عليه السلام قد أدرك في اللحظات الأخيرة ـ من خلال الشواهد الظاهرية والمعطيات الخارجية ـ أنّ تحقيق الحكومة أمْرٌ غير ممكن، ولا سبيل إلّا الشهادة، حينئذٍ نقول: القتل والشهادة على أنواع، وأكثرها تأثيراً أشدّها فاجعةً، كما تقدّم.

بل حتى طلب العودة من قِبَل الإمام عليه السلام ـ بناءً على ثبوته ـ كان يصبّ في هذا الأمر ويؤكّده؛ فإنّ الشواهد كانت تُشير إلى أنّ يزيد وجلاوزته لا يقبلون إلّا بأحد أمرين: إمّا البيعة والذلّة، أو القتل والشهادة، ومع ذلك فإنّ الإمام عليه السلام عرض عليهم أن يَدَعوه يذهب، فالإمام عليه السلام بموقفه هذا أثبت للتاريخ وللأجيال أنّ هؤلاء قومٌ طغاة متجبّرون، لا يحترمون الديانات ولا الحريات، ولا الفطرة السليمة.

فإن قلت: إنّ البشاعة التي عند الأعداء لا تحتاج إلى مَن يُظهرها ويُبرزها؛ فإنّ مَن يقتل وليّ الله وابن بنت نبيّه، ويقتل شخصيّة مثل شخصية الإمام الحسين عليه السلام، لم يبقَ شيء من بشاعته وسوئه خافياً حتى يحتاج إلى الإظهار.

قلت:

أولاً: لو لم يُظهر الإمام عليه السلام عبد الله الرضيع لما حصلت تلك الواقعة الأليمة، ولو لم يطلب الإمام عليه السلام الماء لما تحقّق ذلك المظهر الرهيب.

ثانياً: ليس المدَّعى أنّ الإمام عليه السلام أظهر كلّ ما كان خافياً في سرائر هؤلاء القوم، بل جلّها كانت ظاهرة، وإنّما الإمام عليه السلام أبرز جوانب منها، والتي لولا إبرازه لها لما تبيّنت.

ثالثاً: ربّما تجد مَن لا يفهم معنى العالِم والإمام، والشخصية الإسلامية العظيمة، ولا يفهم معنى النبوة، بل ولا معنى الدين، إلّا أنّه يفهم معنى المظلومية وعمقها من خلال تصرفات الظالمين البشعة مع الأطفال والنساء، ومع مَن لا قوة ظاهرية مادية عنده.

رابعاً: إنّ قابلية فعل الشيءِ أمرٌ، وفعل ذلك الشيءِ أمرٌ آخر، فمجرّد القابلية إمّا أن لا تُدرك، أو تُدرك ولكن لا يُدرك عمقها وأبعادها.

خُطَط الإمام عليه السلام الدفاعية

فإن قلت: كيف تصنعون بموقف الإمام عليه السلام الدفاعي؛ حيث رتّب الصفوف، وحفر الخندق، وأشعل النار، وما إلى ذلك من الخطوات التي تدلّ على أنّ الإمام عليه السلام لم يُرِد أن يكون مظلوماً؟

قلت:

أولاً: إنّ الدفاع عن النفس هو الذي يعطي قيمةً للمظلومية، وهو الذي يظهر بشاعة الأعداء؛ لأنّ مَن يذهب إلى عدوّه ليقتله العدو لا قيمة لمقتله، فضلاً عن أن يكون قيمة وثقل في التأريخ، كما تقدّم بيان ذلك.

ثانياً: إنّ الجمع بين الموقفين يمكن أن يكون من خلال التفريق بين أصل المظلومية وبين كيفيتها، كما تقدّم في الجواب البنائي.

ثالثاً: إنّ ما سعى إليه الإمام عليه السلام هو أن يكون مظلوماً، لا أن يكون مسلوب الإرادة، مغلوب الرأي، ضعيف العزم والهمّة؛ فإنّ مَن يكون كذلك لا يُسمّى مظلوماً، بل هو مسلوب الإرادة، وإذا سُمّي مظلوماً فليس هو المظلوم الذي يشحذ الهِمم، ويقوّي العزائم، بل يكون محلاً للشفقة والرحمة والعطف.

رابعاً: بناءً على أنّ لله تعالى البداء في كلّ شيء، وفي كلّ لحظة فإنّ الإمام عليه السلام كان يسعى للشهادة وللمظلومية، ومع ذلك كان يعمل عمل المقاوم لاحتمال البداء، سواء كان الإمام عليه السلام يعمل على وفق علمه الغيبي، أو كان يعمل على وفق المعطيات الخارجية الظاهرية.

تحديد منشأ الخطأ

أفاد الكاتب أنّ منشأ الخطأ الذي دعا البعض إلى القول بنظرية الشهادة، وأنّ الإمام عليه السلام سعى لتهيئة ظروف ذلك، هو ما قاله المستشرق الألماني: «**حضرت في تركيا برفقة مترجمي الخاص مآتم للحسين بن علي، وسمعت الخطباء يقولون كذا وكذا عن نهضة الإمام الحسين**»[1].

ثمّ علّق على ذلك بقوله: «**فهناك احتمال مطروح أنّ بعض الخطباء المحترفين والسطحيّين في تركيا قد بحثوا فلسفة النهضة الحسينية على أساس التصوّر القائل: إنّ**  **الإمام الحسين قد نهض بداعي الاستشهاد..**»[2].

(١) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطَّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص٦١.

(٢) أُنظر هذا العدد: ص٦١.

أقول: إنّ ما حدّده الكاتب من منشأ الخطأ أمر لا يمكن قبوله؛ وذلك لأنّ من علمائنا مَن ذهب إلى هذا الرأي قبل ماربين بفترات طويلة، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، وعلى هذا الرأي الكثير من العلماء والمحقّقين المعاصرين، فكيف يُصوّر الكاتب أنّ ماربين أخذ من بعض الوعّاظ في تركيا شيئاً، ثمّ أخذ عنه غيره ذلك الشيء وانتشر فيما بعد؟! فهذا تفسير وتصوير بعيد كلّ البعد عن الحقيقة والواقع.

القدوة والأُسوة

ذكر الكاتب أنّ الرأي المذكور لا ينسجم مع كون الإمام عليه السلام قدوة، فمَن يذهب إلى مصرعه ومصرع رجالاته وأهل بيته لا يمكن أن يكون قدوة للآخرين، قال: «**إذا أردنا أن نحكم ـ كما حكم ماربين ـ بأنّ الإمام أراد أن يُلقي بنفسه في دائرة القتل وعلى أسوء حال ممكن، مع سبعة عشر نفراً ـ تقريباً ـ من خيرة رجالات البيت النبوي... فهل يصحّ جعل هذا الفعل نموذجاً يقتدي به المسلمون ويسيرون على ضوئه؟!**»[1].

أقول: هذا كلام بيّن البطلان؛ فالإمام الحسين عليه السلام أُسوة في الوقوف بوجه الظلمة، ونصرة المظلوم، وفضح الظالم، قدوة في جميع المبادئ والقيم الشامخة التي حقّقتها كربلاء وأبطال كربلاء، برجالاتها ونسائها، وشيوخها وأطفالها، فالإمام الحسين عليه السلام أُسوة وإن استلزم ذلك الموقف قتله وتعرّض عيالاته للخطر والاضطهاد؛ وذلك لأنّ أصحاب هذا الرأي لا يدّعون أنّ الإمام عليه السلام أراد القتل باختياره بطراً، وإنّما أُجبر على ذلك؛ إذ لا سبيل لإحياء الأُمّة إلّا بهذا الأمر، فالإمام عليه السلام اضطرّ لذلك؛ كي يحيي دين جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، ويحقّق مقولة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «**حسين منّي وأنا من حسين**»[2].

(١) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص٦٣.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٢٧.

وأين هذا من كلام الكاتب: بأنّ هذا الرأي لا ينسجم مع كون الإمام عليه السلام أُسوة وقدوة للآخرين؟!

رأي الطوسي والمرتضى

استشهد الكاتب بكلام الشيخ الطوسي والسيد المرتضى على رأيه وبطلان مَن خالفهما، قال: «**يقول شيخ الطائفة الطوسي قدس سره ـ حول مسألة جواز أو عدم جواز أن يكون الإمام عالماً بمقتله فخرج إلى القتال ـ: (ولي في هذه المسألة نظرٌ) وذهب أُستاذه العالم الكبير السيد المرتضى قدس سره علم الهدى إلى عدم جوازه؛ لأنّ دفع الضرر عن النفس واجبٌ عقلاً وشرعاً. وعليه؛ إذا كان شيخ الطائفة رحمه الله متردداً في الحكم بجواز كون الإمام عالماً بمقتله حال خروجه أم لا، وكذلك ما ذهب إليه السيد المرتضى رحمه الله في الحكم بحرمته؛ فكيف يمكن بلا تحرّزٍ نسبة ذلك إلى الإمام عليه السلام بأنّه خرج عالماً بمقتله؟! وكيف يصحّ اتّباع فعل تردّد في أصل جوازه بعض العلماء وصرّح بحرمته بعضٌ من دون ترديد؟! وعليه؛ كيف يمكن لنا ترجيح رأي (ماربين) الألماني على رأي علماء الشيعة الكبار؟!**»[1].

يرد عليه:

أولاً: إنّ الاستشهاد بمثل كلام الطوسي والمرتضى، لا يعني خطأ مَن خالفهما في الرأي، فإنّ رأي هذين العلمين يُعتبر أحد الآراء في المسالة ـ كما تقدّمت الإشارة إلى مجموعة من الآراء في بداية هذا المقال ـ ورأيهما ورأي مَن خالفهما يخضع للأدلّة.

ثانياً: قد اتّضح ممّا تقدّم أنّه لا يصحّ أن يُجعل الرأي القائل بالشهادة على أنّه رأي لمستشرق ألماني، والرأي القائل بالحكومة هو رأي كبار علماء الإمامية.

(١) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص٦٣.

ثالثاً: هناك نقاش في أصل نسبة هذا الرأي إلى الطوسي والمرتضى، أعني بهذا التفسير وهذا الاستنتاج، فقد ذكر الشيخ الصافي الگلپايگاني، وكذا السيد مهدي مرتضوي: أنّ جواب العَلَمين كان لأحد أبناء العامّة، وقد أُخذ في الجواب مراعاة حال السائل، ومقدار فهمه وعقائده، ثمّ ذكرا مجموعة من الشواهد على هذا المعنى، بعضها مرتبط بكيفية السؤال، وبعضها مرتبط بفقرات الجواب، وبعضها مرتبط بالوضع العام الذي كان يعيشه العَلَمان ـ خصوصاً السيد المرتضى ـ وبعضها يرتبط بأُمور تاريخية عامّة[1].

وعليه؛ فلا يحقّ للكاتب الاستشهاد بكلام العَلَمين؛ لأنّه فسّر كلامهما بما لا يمكن أن يقصداه.

وقد علّق الكاتب على الجواب الأخير في الملحق الذي اضافه لكتابه شهيد جاويد (الشهيد الخالد) في الطبعة التالية من الكتاب ـ في معرض ردّه على كتاب: شهيد آگاه (الشهيد العالم)ـ حيث قال ما مضمونه: إنّ تأويل جواب المرتضى والطوسي بما ذُكر لا شاهد ولا دليل عليه، فهو مجرّد دعوى لا يمكن قبولها[2].

أقول:

أولاً: لو سلّمنا بهذا الردّ، فإنّه لا ينفي ما تقدّم في الردّ الأول والثاني الذي ذكرناهما على مطلب الكاتب.

ثانياً: قد ذكرنا في الردّ الثالث أنّ هناك مجموعة من القرائن على هذا المدّعى، وأنّ المرتضى والطوسي كانا في مقام الردّ على سؤال من بعض العامّة.

نعم، هذه الشواهد غير مذكورة في الصفحات التي نقلها الكاتب عن كتاب شهيد

(١) أُنظر: الصافي الگلبايگاني، لطف الله، شهيد آگاه (الشهيد العالم): ص٨٧، ص١٧٢. جواب او از كتاب او، يا پاسخ شبهات شهيد جاويد (جوابه من كتابه، أو جواب شبهات الشهيد الخالد): ص٨٧ ـ ٩٧.

(٢) أُنظر: شهيد جاويد (الشهيد الخالد): ص٤٧٨.

آگاه (الشهيد العالم)، وهي الصفحات (٨٧، ١٧٢، ٢٣٠)، وإنّما شواهد مبثوثة في صفحات أُخرى، بالإضافة إلى ما نقلناه عن كتاب (جواب او از كتاب او، يا پاسخ شبهات شهيد جاويد (جوابه من كتابه، أو جواب شبهات الشهيد الخالد) الذي قد جمعها في مكانٍ واحد، في أكثر من عشرِ صفحات.

الثمرة والمصلحة من قتل الإمام عليه السلام

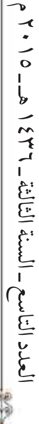
أراد الكاتب أن يصوّر أنّ قتل الإمام عليه السلام ومظلوميته والفاجعة التي جرت عليه لم يكن فيها ثمرة، أو كانت ولكن كان الضـرر أكبر وأعظم، فاستعرض مجموعة من الثمرات المحتملة، ثمّ ردّها جميعاً؛ فيثبت من خلال ذلك أنّه لا يمكن أن يكون هدف كربلاء هو الشهادة والمظلومية، ونحن سنناقش في ردوده المذكورة على كلّ ثمرة.

الثمرة الأُولى: عمل المسلمين بأحكام الدين

أن تكون الثمرة من النهضة الحسينية هي عمل المسلمين بأحكام الإسلام، فردّ على هذا المحتمل بأنّه لا يمكن تصوّر أنّ قتل الإمام عليه السلام يؤدّي إلى ذلك، قال: «**إذا كان المراد من ذلك: أنّ قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله كان سبباً للعمل بأحكام الإسلام على نطاق واسع من قِبل مسلمي الحجاز والعراق والشام وشمال أفريقيا.**

[أقول]: هذا الكلام ليس بصحيح؛ إذ كيف يمكن التصديق بأنّ مقتل الإمام كان باعثاً ومحرِّكاً نحو العمل بأحكام الإسلام بشكل أكثر...»[1].

ويرد عليه: إنّ ما نفاه الكاتب ممكن جداً؛ لأنّ مَن يتابع الهدف الذي كان يسعى إليه بنو أُميّة، والذي أسّس له معاوية يرى ذلك ممكناً، بل هو المتعيّن، حيث كان معاوية وبنو أُميّة يخطّطون لمحو الإسلام على مرحلتين:



(١) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص٦٤.

الأُولى: تفريغه من واقعه وروحه وحيويته.

الثانية: محو مظاهره وعلائمه وهويته.

فالإمام عليه السلام ومن خلال نهضته وشهادته وقف بوجه المرحلتين معاً، فقد حافظ على روح الإسلام وعلى مظاهره في البيت الشيعي، وحافظ على مظاهر الإسلام عند بقية المسلمين، ووقف سدّاً منيعاً بوجه مَن أراد أن يمحو الإسلام، وقد فصّلنا الكلام في هذا المعنى في مقالٍ مستقلّ منشور في هذه المجلة المباركة[1].

الثمرة الثانية: الفتوحات الإسلامية

أن تكون الثمرة هي الفتوحات الإسلامية لبني أُميّة التي وقعت بعد حادثة عاشوراء، فأجاب عن ذلك: إنّه لا ربط لمقتل الإمام الحسين عليه السلام بهذه الفتوحات، قال: «**وإذا كان المراد: أنّ قتل الإمام أدّى إلى قيام فتوحات أُخرى، فقد فُتِحت مثلاً ـ في زمن الوليد بن عبد الملك ـ بلاد الأندلس في الغرب، وبلاد سمرقند وبخارا في الشرق.**

[أقول]: **فهذا الرأي ليس بصحيحٍ أيضاً؛ فما وجه العلاقة بين مقتل الإمام عليه السلام وبين فتح الأندلس وسمرقند؟!...**»[2].

ونقول في مقام الجواب: لم يدّعِ أصحاب نظرية الشهادة هذا المعنى وهذه الثمرة، بل ولم يدّعِه أحد حسب علمي وتتبّعي، وما هذا الاحتمال إلّا من ذهن الكاتب، وهو واضح البطلان، ولا يحتاج ردّه إلى بيان.

الثمرة الثالثة: إضعاف بني أُميّة

إنّ قتل الإمام عليه السلام ومظلوميته أضعف حكومة بني أُميّة، فردّ الكاتب على هذه الثمرة:

---

(١) أُنظر: مقال تحت عنوان: (النهضة الحسينية وحفظ المبادئ والمظاهر الدينية)، مجلة الإصلاح الحسيني، السنة الأُولى، العدد الرابع: ص٩٧.

(٢) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص٦٤.

إنّ قتل الإمام عليه السلام كما أضعفها من جهة، فإنّه قد قوّاها من جهةٍ أُخرى؛ حيث إنّ الحكومة الأُموية أزاحت عن طريقها عدوها اللدود والقوي، وبذلك قمعت حركة أهل العراق، وأخافت بقية الحركات المعارضة لها، وهذا الجانب أقوى من جانب الإضعاف الذي لحق بني أُميّة؛ ولأجل ذلك واصلت حكومة بني أُميّة قمعها، كما في واقعة الحرة وحرق الكعبة، كما أنّها توسّعت من حيث الجغرافيا ومسك الأرض، وأنّها لم تسقط إلّا بعد سبعين سنة من واقعة عاشوراء، قال: «**وإذا كان المراد: أنّ مقتل الإمام الحسين عليه السلام أدّى إلى إضعاف الحكم الأُموي، فلم يستطيعوا بعد مقتله أن يضحّوا بالإسلام مقابل أهوائهم الجاهليّة.**

[أقول]: هذا أيضاً لا يمكن قبوله؛ فمن جهة يصحّ القول: بأنّ مقتله عليه السلام قد أضعف حكومة بني أُمية، إلّا أنّها قد استحكمت من جهة أُخرى...»[1].

يرد عليه:

أولاً: إنّ الكاتب قد اعترف أنّ هناك جنبة أضرّت بني أُميّة، وهي حسب تعبيره: «**فقد ضَعُفَت من جهة وقوعها محلّ اشمئزازٍ وكراهية أكثر في أذهان عامة الناس**»[2].

وقال أيضاً: «**أمّا جانب الضعف فيها، فقد تمثّل في تنفّر الجماهير التحرّرية من حكومة بني أُمية، تنفّراً مخفياً ومبيّتاً لا يجرأ أحدٌ على إظهاره**»[3].

فهذا الأمر الذي اعترف به الكاتب نفسه، أعظم نتيجة يمكن أن تحقّقها حركة معيّنة ضدّ طاغيٍ، وضدّ حكومة باغية، فإنّ تحويل الرأي العام أمر في غاية الأهمّيّة والخطورة والصعوبة؛ لأنّه البداية الحتمية لزوال كلّ حكومة، وأُفول كلّ إمبراطورية، فلو ملك شخص الأرض بما فيها وكان مبغوضاً لا يمكنه الاستمرار، ولا الراحة، ولا



(١) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص ٦٤.

(٢) أُنظر: هذا العدد: ص٦٤.

(٣) أُنظر: هذا العدد: ص٦٤ ـ ٦٥.

العيش الهنيء إلّا من خلال القتل والترهيب؛ لذلك نجد أنّ جميع الطغاة يعملون على تلميع صورهم أمام المجتمع والرأي العام، فحتى لو سلّمنا بالإيجابيات التي حصلت عليها حكومة يزيد من قتل الإمام عليه السلام، إلّا أنّها جميعاً لا تضاهي هذه الخسارة العظيمة التي خسرتها، والتي لم تتخلّص من عارها إلى يومنا هذا، بل وإلى قيام الساعة.

ثانياً: مَن قال: إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد قُتل، وإنّ الحكومة الأُموية تخلّصت منه عليه السلام، وإنّه عليه السلام انتهى أمره؟ فإنّ الإمام عليه السلام منهج وسيرة، مبادئ وقيم، حرية وشموخ وكبرياء، وكلّ حسنات الدهر، وهذه أُمور حيّة حيوية تعيش مع المجتمع في كلّ زمانٍ ومكان، فالإمام عليه السلام صار فكرة وعقيدة يعيش في القلوب، ويحيى في الضمائر، يزلزل أركان الظلام في كلّ حين، ليس فقط عرش يزيد، بل كلّ طاغٍ متجبّر عنيد، فالإمام عليه السلام قد انتصر وقد استمر انتصاره إلى يومنا هذا وسيبقى، فلم تتخلّص منه حكومة بني أُميّة ولا لحظة واحدة، فدعوى الكاتب لا يمكن قبولها بوجه؛ فإنّ خسارة بني أُميّة ابتدأت من كربلاء، فصارت اللعنات عليها إلى الأبد.

ثالثاً: إنّ حركة أهل العراق وإنّ قُمعت، إلّا أنّها لم تنتهِ، بل اشتدّت وزادت، وتعدّدت الثورات، مثل: ثورة التوابين، والمختار، وزيد الشهيد، وغيرها من الحركات الحقّة، فضلاً عن غيرها، وهي كثيرة ذُكرت مفصّلة في كتب التاريخ والسير.

رابعاً: مَن قال: إنّ حكومة بني أُميّة واصلت قمعها؟ فإنّما كانت حكومة يزيد تلفظ أنفاسها الأخيرة، وما واقعة الحرّة إلّا ثمرة من ثمرات كربلاء في وجه تلك الحكومة الباطلة، لا أُريد القول: إنّ تلك الواقعة حقّة في جميع تفاصيلها، وإنّما أُريد أن أقول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام كسر طوق الخوف الذي كان يحيط بالأُمّة، فتحرّكت وثارت، وقامت وكسرت الأغلال، وضجّت بوجه ذلك الطاغي، لا كما يصوّر الكاتب من أنّ يزيد أحكم سيطرته على الأُمّة وأخافها بعد واقعة عاشوراء، فهذا قولٌ ناقص مجتزأ من التاريخ.

خامساً: ما فائدة كلّ الفتوحات فيما لو لم تكن الحكومة محبوبة، فهي بدون ذلك لا

قيمة ولا عيش هنيئاً لها، فقد حقّقت عاشوراء نفرة المجتمع من تلك الحكومة، وما ذلك إلّا لعمق الفاجعة والمظلومية في كربلاء بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى.

سادساً: ما قيمة السبعين سنة في قبال (١٤٠٠سنة)، بل في قبال التأريخ وأعماقه وامتداده، بل وإلى الأبد، فالسبعون لا تساوي شيئاً، هذا من جهة، ومن جهةٍ أُخرى ربّما تجد موقفاً واحداً يساوي عمراً كاملاً، وعمرٌ كاملٌ تجده في مزبلة التأريخ، وموقفٌ واحدٌ تخلّده الأجيال، ويكون مناراً تستضيء به الأُمم، وتجد في قبال ذلك عشرات، بل مئات السنين لا قيمة لها.

لا أدري كيف يقرأ هذا الكاتب الأُمور؟! وكيف يحللها؟! وكيف يستنتج منها، لعلّه لو دقّق أكثر لكان قد غيّر رأيه.

الثمرة الرابعة: قوّة الشيعة

أن تكون الثمرة هي أنّ الشيعة قد استفادوا وتشكّلت جماعتهم بعد قتل الحسين عليه السلام، فأجاب: إنّ الشيعة وإن استفادوا من جهة، إلّا أنّهم ضعفوا من جهةٍ أُخرى، قال: «**وإذا كان المقصود: أنّ مقتل الإمام عليه السلام ساعد في رصّ الصف الشيعي وجعله أكثر تنظيماً من ذي قبل. فلا بدّ من القول: إنّ الواقع الشيعي نراه قد قوي ـ من جهةٍ ـ واستحكم بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ومن جهة أُخرى ضَعُف وتقهقر. فجانب القوّة يكمن في تحرّك مشاعر الناس وعواطفهم لصالح الشيعة، وجانب الضعف يتمثّل بفقدان البيت الشيعي زعيماً كبيراً كالحسين بن علي عليه السلام ومقتل ثلّة من أبرز رجالات الشيعة وشخصياتها. زيادة على ذلك، فإنّ حادثة التوابين ومقتل عدّة آلافٍ من خواص الشيعة ورجالاتها قد أدّى إلى إضعاف الشيعة أكثر ممّا مضى، ثمّ جاءت ثورة المختار...**»[1].

(١) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطَّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص٦٥.

العدد التاسع ـ السنة الثالثة ـ ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م
الإصلاح الحسيني

يرد عليه: ما تقدّم في الجواب عن الثمرة السابقة؛ فإنّ كسب الرأي العام من أهم الأُمور التي تسعى كلّ حركة لتحقيقه، حتى يمكن التحرّك وسط المجتمع، والوصول للغايات المطلوبة، فإنّ التغيير لا يمكن أن يتحقّق إلّا من خلال كسب الرأي العام أو تغييبه، والأول هو عادة المصلحين وقيادات طريق الخير، فإنّهم دائماً يسعون إلى كسب الرأي العام، من خلال الإرشادات والمواعظ الحسنة، وبيان الأدلّة الخطابية والبرهانية لعموم الناس[1].

وأمّا الفاجعة بمقتل الإمام عليه السلام، فهي وإن كانت عظيمة وجسيمة، وقد تأثّر لها الكون بأرضه وسمائه، ومَن وما فيهنَّ، إلّا أنّ النتيجة المترتّبة أيضاً عظيمة، وهي حفظ الدين الخاتم، وهو الهدف والغاية من الخلقة؛ ولذلك تُعدّ هذه الفاجعة ضمن سلسلة فجائع الأنبياء والأوصياء التي كانت من أجل عبادة الله، إلّا أنّها أعظمها وأفجعها.

وأمّا قوله: إنّ بقية الثورات أضعفت الشيعة، وقتلت رجالها، فهذا منه غريب؛ وذلك:

أولاً: مَن قال: إنّ كلّ قتلٍ يضعف الوضع العام الشيعي؟ فكم من قتلةٍ أحيت مجتمعات، وكم من حياة دمّرت حضارات، فكم من دماءٍ سقت أُمماً، وكم من أنفاسٍ ذابت بسكوت، ولم يكن لها في التأريخ إلّا العدم أو الخنوع.

ثانياً: لو كان كلّ قتلٍ مضعفاً لمشروع مَن قُتل، لكان الرسول صلى الله عليه وآله قد أضعف الإسلام بحروبه ودفاعاته، وكذا أمير المؤمنين عليه السلام، عندما قدّموا خيرة الرجالات في تلك الحروب.

ولكن لا غرابة من الكاتب أن يدّعي مثل هذا الأمر في ثورة التوابين والمختار وزيد الشهيد، بعد أن أفرغ مضمون الثورة الحسينية وجعلها خسارة، وخسارتها أكبر وأكثر من فائدتها.

ثمّ لو كان الانقسام علامة البطلان لبطل الإسلام، وهذه النقطة كما ترى لا تحتاج إلى ردٍّ وتوقّف.

---

(١) أُنظر الكلام مفصّلًا عن هذا الموضوع: مقال تحت عنوان: (النهضة الحسينية وحفظ المبادئ والمظاهر الدينية)، مجلة الإصلاح الحسيني، السنة الأُولى، العدد الرابع: ص١١٣.

الثمرة الخامسة: فضيحة بني أُميّة

أن تكون الثمرة من قتل الإمام عليه السلام ومظلوميته فضيحة آل أبي سفيان، فأجاب عن ذلك: بأنّهم مفضوحون من الأساس، قال: «**وإذا كان المراد: أنّ مقتل الإمام الحسين عليه السلام كان سبباً لفضح آل أبي سفيان والكشف عن حقيقتهم؛ وبذلك تمّ إحياء الإسلام. فهذا المطلب ليس بصحيحٍ أيضاً؛ لأنّ فضائح معاوية وابنه يزيد كانت على مستوى من الظهور لا يُحتاج معه إلى كشف الستار...**»[1]. ثمّ ذكر بعض الشواهد على ذلك.

يرد عليه:

أولاً: صحيحٌ أنّ سياسة بني أُميّة التكفيرية الظالمة الجاهلية كانت مفضوحة بعض الشيء، إلّا أنّ شهادة الإمام عليه السلام ومظلوميته فضحتهم بشكلٍ أكبر، بحيث لو أمكنهم التستّر على بعض جرائمهم لما أمكنهم التستّر على هذه الجريمة الشنيعة، فزيادة فضيحتهم، وبيان زيفهم أمرٌ أساسي ومهمٌّ جدّاً.

ثانياً: إنّ مجموعة من الانتهاكات التي كان يمارسها معاوية ويزيد، والتي ذكر لها الكاتب بعض الشواهد، كانت تُمارس تحت غطاء الدين، وتحت غطاء مبدأ الجبر وإنّ بني أُميّة اختارهم الله، وفرضهم على الأُمّة، بل ونجد إلى هذا اليوم مَن يُبرّر لمعاوية ويزيد، فضلاً عمَّن مضى، ولولا دم الحسين عليه السلام لأُخفيت وحُذفت تلك المعاصي الشنيعة ليزيد وأبيه معاوية، ولبني أُميّة بشكلٍ عام، فدم الإمام الحسين عليه السلام كما فضحهم فقد أثبت فضائحهم الأُخرى؛ لذلك يُعتبر دم الإمام عليه السلام أبرز وأهمّ حلقات فضائح بني أُميّة.

ثالثاً: لم يدّعِ أحدٌ أنّ فضيحة بني أُميّة هو الهدف الوحيد للثورة الحسينية، وإنّما هو أحد أهدافها، وكونه كذلك من المسلّمات والواضحات، ولا أتصوّر أنّ الكاتب

---

(١) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص٦٦.

يدّعي أنّ قتل الإمام عليه السلام لم يساهم في فضح بني أُميّة ولو بنسبةٍ قليلة، وهذا المعنى ذكره الكاتب في الهامش معلّقاً عليه: «**إلّا أنّ تلك الفضائح التي حلّت بآل أبي سفيان نتيجة تلك الجرائم لا يمكن أن تكون هدفاً لنهضة الإمام عليه السلام**»[1].

أقول: من أين جاء عدم الإمكان؟! وكيف ثبت؟! ولماذا جزم به الكاتب؟! ولأيّ سببٍ لا يمكن أن نعتبرها مقصودة من الأول؟!

الثمرة السادسة: إثارة مشاعر أهل الشام

أن تكون الثمرة هي إثارة مشاعر أهل الشام، فأجاب بأنّ أهل الشام لم تتحرّك مشاعرهم قط، قال: «**وإذا كان المراد: أنّ مقتل الإمام عليه السلام وأسر أهل بيته كان سبباً في تأجيج مشاعر أهل الشام وتمرّدهم على يزيد؛ وبالتالي تمّ إحياء الإسلام بذلك. فهذا أيضاً لا يمكن قبوله، فقد طغى الوضع المادّي على أهل الشام وتمسّكهم بالدنيا على امتداد أربعين سنة من حكومة معاوية..**»[2].

ويرد عليه:

أولاً: لا نجزم بأنّ أهل الشام جميعهم يعلمون الحقّ وينكرونه، ويصرّون على البقاء مع يزيد مع علمهم بفسقه، بل ربّما يوجد العديد من المغرّر بهم، والذين يحتاجون إلى مَن ينبّههم ويوقظهم، أو لا أقلّ إلى مَن يُقيم الحجّة عليهم، فالمجتمع على طبقات متفاوتة في الفهم والإدراك وما إلى ذلك.

فإن قلت: قد كان قبل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام، ولم تكن هناك فائدة تُذكر من أهل الشام.

---

(١) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): هامش ص٦٧.

(٢) أُنظر: هذا العدد: ص٦٧.

قلت: لا نسلّم بعدم الفائدة أولاً. وثانياً: هذا دليل لزوم تعدّد المنذرين، ولأجل ذلك تعدّد الأنبياء والأوصياء؛ ولذلك كانت محاولات الإمام الحسن عليه السلام، وقد ادّعى بعض المحقّقين أنّ صلح الإمام الحسن عليه السلام كان من أجل هداية أهل الشام وإيصال المعلومة الصحيحة إليهم فيما يرتبط بأهل البيت عليهم السلام ومجمل حركة الإمام علي عليه السلام[1].

ثانياً: ليس من الصحيح أن نطلب أن يكون الأثر والتغيّر آنيّاً، بل الأهمّ من ذلك أن يكون التغيّر تدريجيّاً ينعكس على الأجيال القادمة، وهذا النوع من التغيّر أهمّ من ذاك بمراتب؛ لأنّه ممتدّ على طول الزمن.

ثالثاً: مَن قال: إنّ كلّ أهل الشام هجموا على المدينة وعلى مكة؟! فالمجتمع الشامي مجتمع كبير، وجيش يزيد لا يعني كلّ الشام، كما أنّ جيوش بعض الطغاة في الدول الإسلامية لا يمثّل جميع أبناء الشعب.

رابعاً: مَن قال: إنّ الثورة ضدّ الظلم والطغيان تكون في ليلةٍ وضحاها؟! فإنّ الكثير من الثورات تبتدئ بقضيةٍ ما، ثمّ تأتي ثمارها بعد حين، بل بعد عشرات السنين أو أكثر، متأثّرة بتلك الوقعة التي أشعلت الفتيل، وكسرت أطواق الخوف.

نقاش في نقطةٍ هامّة

ذكر الكاتب تحت عنوان نقطة هامّة: أنّ الإمام عليه السلام أراد الرجوع، وهذا لا يجتمع مع الأهداف المذكورة، قال: «**فإنّ الإمام الحسين عليه السلام عندما واجه الحرّ بن يزيد الرياحي قرّر حينها الرجوع إلى الحجاز، وأصرّ على هذا الأمر إصراراً كبيراً، إلى حدّ اقترح الرجوع وإيقاف النزاع خمس مرّات على الأقل...**»[2].

---

(١) وهذا ما يتّضح جلياً عن مراجعة كتاب (صلح الإمام الحسن عليه السلام)، للسيد سامي البدري.

(٢) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطَّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص٦٨.

يرد عليه: إنّ هذا لا ينافي الأهداف المذكورة بوجه، نعم، قد يؤثّر في تحديد الوقت الذي قُصدت فيه تلك الأهداف لأن تكون أهدافاً ـ طبعاً حسب المعطيات الظاهرية ـ وهذا لا يُؤثّر على بحثنا في المقام؛ لأنّنا لسنا بصدد بيان تحديد الهدف من أول الحركة الحسينية ومن حين الخروج من المدينة.

عودٌ على بدء

قال الكاتب: «**نعم، إنّ الحقيقة تتمثّل في مقاومة الإمام الحسين عليه السلام وكفاحه البطولي في طريق الإسلام، ومن أجل إحياء تعاليم القرآن، حتى نال بذلك الشهادة**»[1].

أقول: وهذا عين ما يقوله الجميع.

نقاش (التشبيه الخاطئ)

قال الكاتب تحت عنوان تشبيه خاطئ: «**ربّما يقال: قد يتطلّب الوضع الصحي المتدهور لمريض ما ـ في بعض الأحيان ـ إلى استخدام السكّين لإجراء عملية جراحية. كذلك في الوضع الاجتماعي، فقد يصل الفساد إلى حدٍّ لم يبقَ معه أيّ طريق للإصلاح عدا طريق الحرب وإراقة الدماء. فلمّا رأى الإمام الحسين عليه السلام أنّ فساد المجتمع وصل إلى حدٍّ لم ينفع معه إلّا إراقة الدماء، حينها أقدم على فعل مثل هذا العمل الكبير. هنا لا بدّ من القول: هل يُستأصل ـ في حال إجراء العملية الجراحية ـ العضو السالم أم العضو الفاسد؟!**»[2].

أقول: مع أنّه ليس من دأب المحصلين النقاش في المثال، إلّا أنّ الكاتب اشتبه في فهم المثال؛ وذلك لأنّ المقصود من التشبيه أنّ هناك حالات فساد في المجتمع، لا يمكن

(١) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص٦٩.

(٢) أُنظر: هذا العدد: ص٦٩.

أن تُرفع إلّا بتضحيات ومعانات وألم، فإذا صارت تلك التضحيات ارتفع ذلك الفساد، واجتُثّ من المجتمع، كما في الجسم عندما يتعرّض إلى مرض يحتاج في استئصاله إلى أن يفتح الجلد، ويشقّ اللحم، ويجرح العصب، ثمّ يستأصل العنصر الفاسد والغدّه المرضية، فهناك مراحل اختيارية من الألم يتحمّلها المريض حتى يُستأصل العنصر الفاسد، وأين هذا المعنى مما صوّره الكاتب؟!

تعبير خطير

قال الكاتب: «**في حين أنّ الإمام**عليه السلام **لم ينهض لخلق مثل هكذا حادثة فظيعة ومروّعة**»[1].

أقول: لا أُريد أن أُعلّق على هذا الكلام، فهو لا يستحقّ التعليق، ولكن أدعو القارئ إلى قراءة هذا النصّ في ضمن سياقه من كلام الكاتب؛ حتى يحكم بنفسه، ولا يُقال: تمّ اقتطاع الكلام وعزله عن محيطه؛ فتغيَّر معناه، وتشوّه المراد منه.

الفصل بين فعل يزيد وفعل الإمام الحسين عليه السلام

أكّد الكاتب أنّه لا بدّ من الفصل بين فعل حكومة يزيد وبين ما قام به الإمام الحسين عليه السلام، وألّا توضع حادثة كربلاء الدموية في حساب الإمام الحسين عليه السلام.

أقول: هذا مسلّم، ولم يدّعِ أحد أنّ المُسبّب لحادثة كربلاء هو الإمام الحسين عليه السلام، وأنّ حكومة يزيد بريئة من ذلك، فهذا أمرٌ لم يدّعِه أحد من العامّة ـ إلّا بعض النواصب ـ فضلاً عن الخاصّة.

وأمّا أنّ الكاتب فهِمَ ذلك من بعض العبارات فهذا أمرٌ يخصّه، وكان عليه أن يدقّق أكثر في فهم الكلمات.

(١) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطَّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص٧٠.



غرابة تصوّر

قال الكاتب تحت عنوان تصور خاطئ: «**يتصوّر البعض أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان عازماً منذ بداية الأمر على التضحية بنفسه، وأنّ يؤسَر أهل بيته ويُساقون من بلدٍ إلى بلد. وبعبارة أُخرى: كان الإمام يهدف من أوّل الأمر إلى وضع عياله في دائرة الأسر، وسعى جاهداً إلى تحقيق ذلك بداعي تعرية الحكومة الأُموية آنذاك وإظهار حقيقتها.**

[أقول]: **هل يمكن أن يُقال: إنّ دخول زينب الكبرى بثيابٍ رثّة على مجلس عبيد الله بن زياد...**»[1].

أقول: إنّ الكاتب قد خلط بين أمرين:

الأول: رضى الإمام عليه السلام بما حدث في واقعة الطف وما بعدها، وأنّه أمر أفرحه وأفرح رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

الثاني: إنّ ما وقع في كربلاء أمرٌ لا بدّ منه؛ لإحياء أُمّة لا ترجع لوعيها إلّا بذلك، فالإمام عليه السلام رضي بذلك مضطرّاً لتحمّل كلّ هذه المصائب؛ لأجل الظروف العصيبة التي أحاطت بالأُمّة آنذاك، فلو ادّعى شخصٌ أنّ الإمام عليه السلام كان راضياً قلباً بما حدث لأجل ما حدث لا لأجل النتائج المترتّبة عليه، لوردت جميع نقوضات الكاتب، ولكنني أستغرب أشدّ الاستغراب من هذا الفهم السطحي لبعض الكلمات، أنا لا أدّعي أنّ الإمام عليه السلام كان قاصداً لما حدث من أول الأمر، ومن أول التحرّك، فهذا بحثٌ آخر يرتبط بعلم الإمام عليه السلام الغيبي والظاهري، والشواهد والظواهر الأُخرى، ولكن أقول: لا بدّ أن لا نُحمّل أحداً ما لا يمكن أن يقصده، فكان على الكاتب أن يُميّز بين هذين الأمرين، ولو ميّز لما أشكل.

---

(١) أُنظر: هذا العدد، مقال (هل خطَّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص٧٠.

طلبٌ أخير

قد نقلنا مجموعة من كلمات الكاتب وردّدنا عليها، وكان النقل لجزء من كلماته معتمدين بذلك على قراءة المقال السابق، الذي فصّل فيه الكاتب آراءه وأدلّته؛ لذلك أطلب من القارئ الكريم أن يقرأ كلّ ما نقلناه عن الكاتب في ضمن كلامه وسياقه؛ حتى يمكنه أن يؤيد الكاتب، أو يقتنع بما رددنا به عليه، أو يكون له رأي آخر، وهذه دعوة لإنصاف الجميع.

انتهاك حقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء

الشيخ محمد جليل الكروي القيسي[1]

مقدّمة

لعلَّ المستشرف لتاريخ البشرية وما جرى عليها منذ نشأتها إلى يوم الناس هذا لا يجد عناءً كبيراً في الوقوف على الكثير الكثير من الصفحات السوداء المشوبة برائحة الدم، في هذا التاريخ الضارب في القِدم والمليء بالمواقف القاسية التي تنمّ عن قساوة قلوب الكثير من بني الإنسان، الذي إنّما أوجده خالقه‎ﷻ على الأرض لغرض إعمارها، وإنشاء حكومة الله تعالى عليها، وبسط الأمن والعدل في ربوعها.

لكن خلف ذاك الوجه القاسي للبشرية الذي عجَّ بالصراعات والمنازعات، يختبأ الوجه الآخر الذي يمثِّل العاطفة والرّقة والبراءة والصفاء، والذي يشكِّل كلٌّ من المرأة والطفل دعامتيه الأساسيّتين.

إذ الملاحظ في طبيعة المرأة «**إرهاف العاطفة وسرعة الانفعال، وشدّة الحنان، وقد خُلِقَت هذه الصفات في المرأة لتستطيع بها أن تؤدّي وظيفتها الأُولى وهي: الأُمومة**

---

(١) عضو هيئة التحرير في مجلة الإصلاح الحسيني.

والحضانة»[1]. فالمرأة مثار الرقّة والعاطفة، وهي جزء علّةٍ في حفظ النوع الإنساني؛ لذا كان التفاعل الإيجابي مع المرأة ورعايتها موافقاً تماماً للفطرة الإنسانية، وما عداه خروج عنها، ودخول في حدود البهيمية.

أمّا الطفولة؛ فهي الركن المشرق الآخر لوجه البشرية المخفي؛ إذ بنعومتها وبراءتها تمثّل بساطة الإنسان الفطرية التي فُطِر عليها؛ لذلك عُدَّ ظلم الطفل والقسوة عليه من أبشع صور انتهاك حقوق الإنسان، إذ الطفل كائن غاية في الضعف، فالإساءة إليه إساءة لكل القيم الإنسانية؛ ولذا كان وأد البنات أمراً مستهجناً قبيحاً لجأت إليه بعض القبائل في الجاهلية تخلّصاً ـ بظنّهم الخاطئ ـ من احتمال السبي والعار.

والغرض من هذه المقدّمة ـ والبحث ككل ـ تسجيل حالات انتهاك حقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء، وذلك في خصوص عيال الحسين عليه السلام وعيال أهل بيته وأصحابه، ومحاولة إلقاء الضوء على ما حدث في تلك الملحمة التي غيَّرت وجه التاريخ، وإثبات أنّ كل ما صنعه المعسكر المعادي للإمام الحسين عليه السلام كان أمراً خارجاً عن حدود الفطرة الإنسانية، ومصنَّفاً ضمن أفعال السباع الضواري ووحوش القفار، بل لعلّه أبشع من ذلك بمراتب كثيرة كما لا يخفى.

وعليه نعقد بحثنا هذا في محورين:

المحور الأوّل: مكانة المرأة والطفل وحقوقهما

قبل عرض الانتهاكات البشعة لحقوق المرأة والطفل التي حصلت في يوم عاشوراء لا بدّ من الوقوف ـ أوّلاً ـ على مكانتهما لدى ذلك المجتمع التي حصلت فيه تلك الانتهاكات، بغضّ النظر عن الشريعة الإسلامية وأحكامها وقوانينها، ثم النظر ـ ثانياً ـ إلى تلك الانتهاكات بالنظر إلى قوانين الشرع الإسلامي؛ باعتبار أن المنتهِك يدّعي الانتماء إلى

---

(١) الشلبي، أحمد، مقارنة الأديان: ص٢٢٢.

الإسلام. ثمّ التطرّق ـ ثالثاً ـ إلى تلك الانتهاكات من وجهة نظر القوانين الوضعية ومنظمات حقوق الإنسان؛ لنستخلص من جميع تلك الصور بشاعة ما جرى على النساء والأطفال في ذلك اليوم المهول.

المبحث الأوّل: مكانة المرأة والطفل عند عرب الجاهلية

١ـ مكانة المرأة عند عرب الجاهلية

لقد اقتسم هذا الموضوع فريقان لا ثالث لهما، ففريق نظر للمرأة على أنّها موضوع غزل الشعراء ومفتتح المعلّقات، وإنّ العربي شديد الاهتمام بها؛ إذ يقف على أطلالها ويفيض شاعريته بذكراها، وهذه هي الصورة الشاعرية الحالمة. يقول في ذلك أحد الباحثين المعاصرين: «**يحاول الكثير من الكتّاب أن يرسموا صورة سوداوية لحالة المرأة العربية قبل الإسلام، فهم يشيرون إلى صور لمعاملة المرأة عند العرب قبل الإسلام، ومنها: أنّ العرب في تلك المدّة لم يكونوا يورِّثون المرأة؛ لأنّهم لم يروا للمرأة حقاً في الميراث، بل جعلوها تُورَث مع ما يُورَث؛ أي: إنّ الولد يمكن أن يرث عن أبيه نساءه، بل ويمكنه أن يتزوّجهن، ويقولون: إنّ العربي لا ينظر إلى زوجته إلّا على أنّها خادمة في بيت زوجها تُنجب له الأولاد... إنّنا لا ننكر** [والكلام للباحث] **صحّة بعض ما ورد منها آنفاً، لكن هؤلاء الكتّاب يأخذون ما جرى من حالات فردية في وسط شبه جزيرة العرب ويستشهدون بها ويعممونها على كلّ الجنس العربي، وهذا غير صحيح إطلاقاً، فضلاً عن أنّ هؤلاء الكتّاب أنفسهم يشيرون إلى العربي بالكثير من الصفات الحميدة التي كان يتمتّع بها قبل الإسلام، ولعلّ في مقدمتها غيرة الرجل العربي على نسائه، وتوفير الحماية اللازمة للمرأة، بل إنّه كان يثأر إذا ما امتهنت كرامة امرأته. أمّا الأمثلة التي ساقها هؤلاء الكتّاب دليلاً على انحطاط كرامة المرأة فهي حالات فردية تركَّزت وسط شبه جزيرة العرب عند أُسرٍ فقيرة. في بعض القبائل... كانت المرأة العربية قبل الإسلام**

تحظى بمكانة اجتماعية مرموقة، إذ كان الشعراء يفتتحون قصائدهم بوصف محاسن المرأة... وكان للمرأة العربية في تلك الحقبة حرّية اختيار الزوج...»[1].

أما الفريق الآخر المعارض لتلك النظرة، فلديهم من النصوص القرآنية والتاريخية ما يكفيهم لإثبات مدّعاهم بكلّ وضوح، فقد وردت نصوص قرآنية تُشير إلى عادة وأد البنات، وحالات ردّ الفعل السلبي عند أغلب الناس آنذاك حينما تُولَد له أُنثى، كما وردتْ نصوص مأثورة عن كيفية التعامل المتدنّي مع المرأة وأنّها كالمتاع تتنقّل من المورِّث إلى الوارث.

ويمكن القول: بأنّ المرأة وإن عومِلت على مدى التاريخ عند أغلب الأُمم معاملة العبد أو المتاع؛ لكونها بطبيعتها وتكوينها تمثّل الكائن الأضعف المقاد، لكن في المقابل كانت أُمم أُخرى أخفّ وطأةً في ذلك، ففي الوقت الذي نظرت فيه إلى المرأة على كونها الكائن الأدنى والأضعف، وسلبتها الكثير من حقوقها، لكنّها بالوقت ذاته عُدَّت ـ عند هذا البعض ـ من أهمّ الحرمات، ومن أعظم المصونات. فخُذ عرب الجاهلية مثلاً لذلك، فمع أنّ بعض القبائل منهم كانت تئدّ البنات، وبعضهم إذا بُشّر بالأُنثى ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ﴾[2]، مع كلّ هذا فإنّ المرأة عندهم كائن له خصوصيّاته وأحكامه؛ لأنّها تمثّل العرض والشرف، فهضم حقوقها لا يعني أبداً جعلها عرضة للابتذال والمهانة إبان ذلك العهد المظلم؛ لذا صانوها بالأستار، حتى عُدَّ (الخمار، والقناع، والبرقع، واللثام)[3] من الألبسة المشهورة عند عرب الجاهلية، بل وصارت هذه موضوعاً لشعر الشعراء آنذاك، فقال قائل منهم يصف زوجته:

---

(١) قيس حاتم هاني، رؤية إسلامية في الأوضاع الاقتصادية للمرأة العربية قبل الإسلام: ص١ـ٢. وهذا هو رأي الباحث محمد فروخ في كتابه (تاريخ الأدب العربي) أيضاً.

(٢) النحل: آية ٥٨.

(٣) احتمل بعض المحقّقين أنّ أصل الحجاب أخذه العرب من أهل الديانات الحنيفية آنذاك، ووافق هوى أنفسهم وغيرتهم العربية فألزموا المرأة به، فالحجاب أمرٌ متّفق عليه عند أهل الديانات. أُنظر: العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم: ج١٤، ص١٥٥.

ولقد أعجبتني لا سقوطاً قناعها إذا ما مشت ولا بذات تلفت[1]

وافتخر النابغة الجعدي بأنّه وقومه إذا ما غلبوا أعداءهم في وقعةٍ ما، صانوا وحافظوا على حجاب النساء، فقال:

ملكنا فلم نكشف قناعاً لحرّةٍ ولم نستلب إلّا الحديد المسمّرا

ولو أنّنا شئنا سوى ذاك أصبحت كرائمهم فينا تُباع وتُشتَرى[2]

فالمرأة ـ عند العرب ـ لا تؤاخذ بقولٍ ولا تُضرب ولا تُثار ولا تُهيَّج ولا يُرعَد عليها قالت ما قالت. وعُدَّ هذا من كرائم صفات العربي قبل الإسلام، بل عُدَّ ضربها عاراً يبقى في الأصلاب، وتتناقله الأجيال، كما عبَّر عن ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث يقول في وصيّته لعسكره قبل لقاء العدو بمعركة صفين: «**ولا تُهيِّجوا النساء بأذًى وإن شتمن أعراضكم وسببنَ أُمراءكم... وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر**[3] **أو الهراوة**[4] **فيُعيَّر بها وعقبه من بعده**»[5].

فقول الإمام عليه السلام يكشف عن أنّ العرب في الجاهلية كانت ترى من العار ضرب المرأة؛ إذ إنه ليس من الشجاعة في شيء، إن لم يكن علامة على عكسها؛ لذا فقد ذهب قول حاتم الطائي مثلاً حين لطمته امرأة فقال: (لو غير ذات سوار لطمتني)[6]، إذ أبت له شهامته وغيرته أن يلطم امرأة لطمته حينما جاءته ببعير ليفصده لها فذبحه خطأً فلطمت وجهه، فأعرض عنها قائلاً تلك الكلمات التي تنمّ عن نُبله ورفعته.

---

(١) للشاعر الشنفرى المتوفّى سنة ٥١٠ ميلادي.

(٢) السبكي، عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى: ج١، ص٢٤٨.

(٣) الفهر: حجر أملس يكسر به الجوز مثلًا.

(٤) الهراوة: العصا، أو شبه الدبوس من الخشب.

(٥) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج٣، ص١٥.

(٦) أُنظر: الميداني، أحمد، مجمع الأمثال: ج٢، ص١٥٣. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١١، ص٣٦٩.

فإذا كان هذا حال ضرب المرأة ولطمها، فما القول في إشهار السلاح بوجهها أو ترويعها، وقتلها؟! بل إنّ بعض العرب خاف من لحوق العار به في نساءٍ أسّرهن في أحد الحروب فأطلقهنّ حذراً من ذلك، كما نقل لنا اليعقوبي في تاريخه حين وقعت حرب بين قبيلة طي وبني أسد قبل الإسلام، فأسرت بنو أسد (زيد الخيل) ـ وكان كبير طي ـ مع نسائه وأطفاله، فخاطب زيد الخيل كبار بني أسد وهم (قيس بن نوفل وقيس بن أهبان وقيس بن جابر) قائلاً:

ألا أبلـغ الأقياس قيـس بن نوفل — وقيـس بن أهبان وقيـس بن جابر

بنـو أسـدٍ رُدّوا علينـا نسـاءنا — وأبناءنـا واسـتمتعوا بالأباعـر

وبالمـال إنّ المـال أهـون هالـكٍ — إذا طرقـت إحدى الليـالي الغوابر

ولا تجـعـلوهـا سنّـة يـقتـدي بها — بـنو أسـدٍ وأعـفوا بأيدٍ قوادرِ[1].

فسارعت بنو أسدٍ إلى إطلاقه وإطلاق نسائه وأطفاله معه خوف العار والشنار.

٢ـ مكانة الطفل عند عرب الجاهلية

لا بدّ قبل عرض هذا الموضوع من التعرّف إلى ما تعنيه كلمة (الطفل) في لغة العرب؛ لأنّها جزءٌ من تكوين المفهوم لديهم، فقد جاء على لسان أحد أهل اللغة بأنّ «**الصبي يُدعى طفلاً حين يسقط من بطن أُمّه إلى أن يحتلم**»[2]. وقال صاحب (التحقيق في كلمات القرآن الكريم): «**إنّ الأصل الواحد في هذه المادة: هو نعومة في حداثة، سواء كانت في إنسان أو حيوان أو نبات أو شيء يُفرض فيه تولّد وحداثة، ومن أتمّ مصاديقه الوليد الصغير من الإنسان ما دام بدنه ليّناً ناعماً**»[3].

---

(١) اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي: ج١، ص٢٣٠.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١١، ص٤٠٢.

(٣) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج٧، ص٩٣.

فالطفولة مثار الشفقة والرحمة، وقد بلغ من اعتزاز العرب بأطفالهم أنّهم «**إذا ما تصالحوا بعد حربٍ وتحالفوا بعد حرب تبادلوا تربية أطفالهم؛ ليكون رمزاً للودّ ورهائنَ ضدَّ كلّ مَن تُسوِّل له نفسه التنكيل بالصلح والحلف، وهو دليل يشير بوضوح إلى عمق ما يكنّونه من الاعتزاز بهم؛ بحيث إنّهم لم يتحالفوا على مالٍ ولا غيره من متاع الحياة؛ لأنّهم قد يغدرون به، إلّا الطفولة فهي الوثاق الأمتن الذي يربطهم إلى حلفهم ويُبعدهم عن الغدر**»[1].

ونحن إنّما نتحدَّث عن ذلك باعتبار أنّ المجتمع الذي حدث فيه انتهاك للطفل في واقعة عاشوراء كان مجتمعاً عربياً، تمسّك بأُصول وقواعد عريقة قبل الإسلام، اعتبرها أُسساً وضوابط من العار الخروج عليها، كالكرم والشجاعة والغيرة، ومنها عدم إيذاء الطفل أو الاقتصاص منه أو قتله أو ترويعه؛ لأنّ ذلك لا يُعدّ شجاعةً ولا فخراً، بل هو وصمة عارٍ تلحق فاعليه إلى الأبد، فعرب الجاهلية قبل الإسلام كانوا ينظرون إلى الطفل على أنّه «**رجل الغد وشيخ المستقبل، وهو سلاحهم في الاستمرار والبقاء**»[2]، و«**لم تختلف نظرة الجاهليين إلى الطفل عن غيرهم من الأُمم، بل كانت امتداداً لها، فأحاطوا أطفالهم بحالةٍ من القداسة... وأوجدوا الكثير من الطقوس لحمايتهم**»[3].

فهم مع بداوة الكثير منهم، وقساوة بيئتهم، وجشوبة عيشهم، إلّا أنّ لهم مع الطفل والطفولة نوع تراحمٍ وتوادّ، فهذا شاعرهم يصف بنيّاته فيقول:

لولا بنياتٌ كزغب القطا ... حططن من بعضٍ إلى بعضِ
لكان لي مضطرب واسع ... في الأرض ذات الطول والعرض
وإنّما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض

---

(١) البياتي، عادل، الطفولة ومشاهدها المتغيّرة في التراث والأدب، مجلّة آفاق عربية: العدد٤، السنة ١٩٧٩م.

(٢) شحادة، ربى، صورة الطفل في الشعر الجاهلي (رسالة ماجستير): ص٢٠.

(٣) المصدر السابق.

لـو هبّت الـريح عـلى بـعـضـهـم   لامتنعت عيني مــن الـغـمــضِ[1]

فالميل نحو الطفولة والطفل أمرٌ فطريّ بعدّة لحاظات، منها: لحاظ الحاجة والضعف، فالنفس الإنسانية بطبعها ـ لو خُلّيت ونفسها دون تأثير العوامل الطارئة المخالفة للفطرة ـ ميّالة إلى الحنو والتفاعل مع الضعيف حتى يقوى. ومنها: أنّ الإنسان السوي يتذكّر في الطفل طفولته وبراءته، وهذا دافع إنسانيّ يدفع المرء للتفاعل الإيجابي مع الطفل، ومنها رؤية الطفل على أنّه إنسان المستقبل ـ رجل كان أم امرأة ـ فيدفع بالإنسان نحو رعاية الطفل والطفولة؛ فحفظ النوع من الدوافع الفطرية الغريزية التي تدفع بالإنسان للقيام بالكثير من الأعمال.

وعليه؛ يُعدُّ انتهاك حقوق الطفل أمراً مخالفاً للفطرة البشرية، ولا يتماشى مع الأعراف والقيم الإنسانية.

المبحث الثاني: نظرة إجمالية إلى حقوق المرأة والطفل أثناء الحرب في نظر الإسلام

إنّ واقعة عاشوراء لمّا كانت قد حدثت في سنة إحدى وستين للهجرة المباركة؛ أي: في الصدر الأوّل للإسلام، وكان الطرف المعادي للإمام الحسين عليه السلام يدّعي انضواءه تحت خيمة الإسلام، بل حاول تأطير أفعاله بإطار ديني لخداع الناس آنذاك بأنّ حربه مشروعة، فلا بدّ ـ لمعرفة عظم بشاعة الانتهاكات التي قام بها ذلك المعسكر المناوئ للإمام الحسين عليه السلام ـ من مقايسة تلك الأفعال الشنيعة بما ضمنه الإسلام للمرأة والطفل من حقوق في زمن الحرب، ومعرفة مدى عمق الانتهاكات والتجاوزات التي وقعت على النساء والأطفال في ذلك الحدث العظيم. فما هي حقوق المرأة التي يجب أن تُكفَل بأيّ حال من الأحوال في نظر الإسلام، والتي لا يمكن تخطّيها لأيّ مسلم مهما كانت المبرّرات؟ وما هي حقوق الطفل التي ينبغي أن تكون خطّاً أحمرَ لا يجوز تجاوزه؟

---

(١) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار: ج٣، ص١٠٩.

١ـ حقوق المرأة أثناء الحرب في نظر الإسلام

لمّا كان كيان المرأة مبنيّاً على الضعف والرقّة والعاطفة ـ وذلك ليس نقصاً فيها أبداً، بل ذلك كمال لها ليمكّنها من أداء وظيفتها العظيمة في تربية وحضانة الأجيال على أتمّ وجه، حتى إنّ نبيّنا الأكرمﷺ كان في أُخريات عمره الشريف يشير إلى ضعف المرأة قائلاً: «**أوصيكم بالضعيفين: النساء، وما ملكت أيمانكم**»[١]ـ فلذلك كفل المشرِّع الإسلامي للمرأة إبّان الحروب حقوقاً يُعدّ تجاوزها تجاوزاً على التشريع، ومعصية للمشرِّع عَزَّ وَجَلَّ ويمكن إجمالها بما يلي:

أ) **حقّها في الحياة**: فلا يجوز قتل المرأة، أو المساس بحقّها في الحياة؛ فقد ورد عن رسول اللهﷺ أنّه نهى عن قتل نساء الكفّار في دار الحرب[٢]، وروي عن الإمام الصادقعليه السلام في حديث حفص بن غياث قال: «**وَسَأَلْتُهُ عَنِ النِّسَاءِ كَيْفَ سَقَطَتِ الجِزْيَةُ عَنْهُنَّ ورُفِعَتْ عَنْهُنَّ؟ فَقَالَ: لأَنَّ رَسُولَ اللهﷺ نَهى عَنْ قِتَالِ النِّسَاءِ والوِلْدَانِ فِي دَارِ الحَرْبِ إِلَّا أَنْ يُقَاتِلُوا فَإِنْ قَاتَلَتْ أَيْضاً فَأَمْسِكْ عَنْهَا مَا أَمْكَنَكَ ولَمْ تَخَفْ خَلَلاً..**»[٣]. فهكذا أمر المشّرع الإسلامي بالتعامل مع نساء الكفّار؛ فقد حثّ على التحاشي والإمساك عن قتل الكافرة ما أمكن. وكان النبيﷺ يبعث البعث إلى الكفّار ويوصيهم بأن «**لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة...**»[٤].

قال العلّامة الحلّيرحمه الله: «**لا يجوز قتل صبيان الكفّار ونسائهم إذا لم يقاتلوا؛ لأنّ**

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٧، ص٥٢.

(٢) دار الحرب: هي بلاد الكفّار المحاربين، يقابلها دار الإسلام. اُنظر: فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ص١٨٦.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٢٨.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٥، ص٥٨.

النبي صلى الله عليه وآله نهى عن قتل النساء والصبيان...»[1].

ويجمع كلّ ما تقدّم قول الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[2]. وقال العلّامة الطباطبائي في تفسير ذلك: «**سياق الآيات الشريفة يدلّ على أنّها نازلة دفعة واحدة، وقد سِيق الكلام لبيان غرض واحد وهو تشريع القتال لأوّل مرّة مع مشركي مكّة... على أنّه تعالى قيّد القتال بالقتال في قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾، وليس معناه الاشتراط؛ أي: قاتلوهم إن قاتلوكم وهو ظاهر، ولا قيداً احترازياً، والمعنى: قاتلوا الرجال دون النساء والولدان الذين لا يقاتلونكم كما ذكره بعضهم؛ إذ لا معنى لقتال مَن لا يقدر على القتال حتى ينهى عن مقاتلته. ويقال: لا تقاتله، بل إنّما الصحيح النهي عن قتله دون قتاله**»[3]. وقال السيّد الخوئي في ذلك: «**قد استُثني من الكفّار الشيخ الفاني والمرأة والصبيان؛ فإنّه لا يجوز قتلهم**»[4].

كلّ ما تقدم كان في شأن المرأة الكافرة، أمّا المرأة المسلمة فقد أجمع علماؤنا [5] على عدم جواز سبي حتى ذراري البغاة[6] أو تملّك نسائهم.

ب) حقّها في عدم مسّها بأيّ أذى: وهذا الأمر أيضاً ممّا اقتضته الفطرة الإنسانية السليمة؛ لأنّ المرأة ـ كما تقدّم ـ مثار الضعف والاحتياج، والفطرة السليمة تتفاعل مع كل ضعيف لرفع ضعفه، ويعضد هذا الحكم الذي تقتضيه الفطرة الإنسانية الصافية تأكيدات جمّة من الشارع المقدّس ومن الناطقين باسمه عليهم السلام الكاشفين عن أحكامه، فهذا



---

(١) العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: ج٩، ص٦٤.
(٢) البقرة: آية ١٩٠.
(٣) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج٢، ص٦٠.
(٤) الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين: ج١، ص٣٧١.
(٥) المحقّق الحلّي، جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام: ج١، ص٢٥٧.
(٦) البغاة: هم المسلحون الذين خرجوا على إمام زمانهم الشرعي وبغوا عليه وقاتلوه ظلماً وعدواناً.

أمير المؤمنين علي(عليه السلام) يوصي جنده في حرب صفين قائلاً: «... **وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلّا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تُهيِّجوا**[1] **إمراةً بأذى**[2] **وإن شتمن أعراضكم وسببن أُمراءكم، فإنّهنّ ناقصات القوى والأنفس والعقول، وقد كنّا نُؤمَر بالكفّ عنهنّ وهنّ مشركات...**»[3].

والنهي عن تهييج النساء بأذى يمكن أن يستبطن عدّة أُمور:

أوّلاً: شتم المرأة أو سبّها أو أهانتها؛ إذ كلّ هذه الأُمور تُعدّ تهييجاً بالأذى لها، وهو مخالف لوصيّة أمير المؤمنين(عليه السلام) المزبورة، قال أحد شرّاح نهج البلاغة: «*نهى*(عليه السلام) **عسكره أن يُثيروا غضب النساء البغاة وشرورها ويحركوهنّ ويؤذوهنّ مطلقاً، حتى إنّهنّ إن شتمن أعراضهم وسببنَ أمراءهم وجب عليهم الإمساك عن ردّ السّب إليهنّ والكفّ عنهنّ، وعدم الاعتناء بشتمهنّ وسبّهنّ**»[4]. فعلى هذا؛ فإنّ السبّ والشتم يُعدّان مصداقين واضحين من مصاديق الأذى.

ثانياً: تخويف المرأة وترويعها؛ فإنّ التخويف والترويع يُعدّان من المصاديق الجليّة للأذى، كيف ورسول الله(صلى الله عليه وآله) قد أهدر دم (هبّار بن الأسود) وذلك قبل فتح مكّة؛ لأنّه أخاف زينب ربيبة رسول الله(صلى الله عليه وآله) حين خروجها من مكة مهاجرة إلى المدينة، فأشار لها بالرمح وروّعها به وهي في هودجها، وكانت حاملاً فألقت ما في بطنها وأسقطت جنينها؟![5].

---

(١) قال ابن منظور: «هاج الشيء يهيج هيجاً وهياجاً وهيجاناً... ثار لمشقةٍ أو ضرر.. والهيجاء: الحرب... لأنّها موطن غضب». لسان العرب: ج٢، ص٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٢) قال (محمد عبده) أحد شّراح نهج البلاغة في خصوص هذه الفقرة: «هذا حكم الشريعة الإسلامية، لا ما يتوهّمه جاهلوها من إباحتها التعرّض لأعراض الأعداء نعوذ بالله».

(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج١٥ ص٩٥.

(٤) الهاشمي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج١٨، ص١١٦.

(٥) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٩، ص٣٥١. البلاذري، أحمد، أنساب الأشراف: ج١، ص٣٩٧.

فأيّ أذًى أشدّ من الترويع والتخويف؟! فقد يؤدّي بالحامل إلى وضع حملها، فهذا أمير المؤمنين علي عليه السلام قد حكم على عمر بن الخطّاب بثبوت ديّة السقط عليه حينما روّع حاملاً أثناء حكمه في المدينة فأسقطت ومات سقطها[1].

وقد ورد من طرق الفريقين روايات تنهى عن تخويف المؤمن والمسلم وترويعهما بشكل عام، روى الشيخ الصدوق بسنده إلى الإمام الرضا عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**لا يحلّ لمسلم أن يروِّع مسلماً**»[2]. وفي رسالة الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله النجاشي قال: «**يا عبد الله، إيّاك أن تُخيف مؤمناً، فإنّ أبي محمد بن علي حدّثني عن أبيه عن جدّه عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه يقول: مَن نظر إلى مؤمنٍ نظرة ليخيفه بها، أخافه الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه...**»[3]. وفي مسند أحمد مرويّاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إنّ الملائكة تلعن أحدكم إذا أشار لأخيه بحديدة، وإن كان أخاه لأبيه وأُمّه**»[4]. فكيف إذا كانت المروَّعات بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

ثالثاً: إمرار النساء على قتلاهنَّ؛ فإنّه من المصاديق الواضحة للأذى، فقد ورد في الأثر نهي نبي الرحمة صلى الله عليه وآله عن ذلك مع نساء الكفّار المحاربين في أثناء الحرب، فما بالك بالنساء المسلمات المؤمنات؟! فقد روى ابن إسحاق في سيرته قال: «**لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله ـ حصن ابن أبي الحقيق ـ[5] أُتي بصفية ابنة حَيِي، ومعها ابنة عمّ لها، جاء بهما بلال، فمرّ بهما على قتلى من إليهود، فلمّا رأتهم التي مع صفيّة صكّت وجهها وصاحت،**

(١) أُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٩، ص٢٦٧. والبيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ج٦، ص١٢٣. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني: ج١٢، ص١٤٩.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٧٥.

(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٧، ص٢٠٩.

(٤) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل: ج٢، ص٢٥٦.

(٥) وهو أحد حصون خيبر ويدعى (القموص).

وحثت التراب على رأسها... وقال [رسول الله ﷺ]**: يا بلال، نُزِعَت منك الرحمة حين تمرُّ بامرأتين على قتلاهما؟!»**[1].

رابعاً: سلب الأموال، ويُعدّ ذلك من أوضح مصاديق الأذى، لا للمرأة فحسب، بل لكل إنسان؛ لأنّ المال أحد الحرمات التي يذود عنها الإنسان، وهذا ما تقتضيه الفطرة الإنسانية، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ـ وهو المرآة الصافية التي تعكس الإسلام المحمدي الأصيل ـ يُبدي غاية أسفه وغمّه وحزنه لغارة شنّها جماعة من جيش معاوية على بعض أطراف دولته عليه السلام، إذ دخل أُولئك الجند على المرأة المسلمة، والمرأة الذمّية المعاهدة فسلبوهنّ حليّهنّ، فلم يستطعن الامتناع منهم، بل أضاف عليه السلام أنّ ذلك الغمّ والحزن لو أدّى إلى موت المحزون والمغموم جرّاء تلك المصائب فإنّ ذلك ليس محلاً للّوم عنده عليه السلام، فقال في خطبته بهذا الصدد: «**هذا أخو غامدٍ**[2] **قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأُخرى المعاهدة**[3] **فينتزع حجلها وقُلبها**[4] **وقلائدها ورعاثها**[5]**، ما تمتنع منه إلّا بالاسترجاع والاسترحام**[6]**، ثمّ انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كَلْم**[7]**، ولا أُريق له دم. فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً، فيا عجباً ـ والله ـ يميت القلب، ويجلب الهمّ من**

---

(١) ابن إسحاق المطلبي، محمد، سيرة ابن إسحاق (السير والمغازي): ص٢٤٦.

(٢) وهو سفيان بن عوف الغامدي من أصحاب معاوية وقوّاده.

(٣) أي: المرأة الذمّية (النصرانية التي تعيش في ظلّ وحماية دولة الإسلام).

(٤) القُلْب: السوار.

(٥) الرعاث: القرط.

(٦) الاسترجاع: إما قولها: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون)، أو هو: ترديد الصوت بالبكاء والعويل. الاسترحام: طلب الرحمة.

(٧) الكَلْم: الجرح.

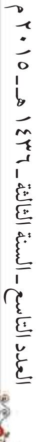
اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقكم...»[1].

فسلب المال ظلماً من أشنع الأفعال، ويزداد قبحاً وشناعةً بالنسبة للمرأة؛ لأنّ المرأة ـ كما تقدّم ـ ممّا يجب أن تُصان ولا تُمسّ بأيّ نوعٍ من أنواع الأذى على العموم، فكيف والحال أنّ النساء ـ في محلّ بحثنا ـ هنّ من أشرف النساء؟! فهنّ عقائل النبوّة وبنات الوحي والرسالة.

٢ـ حقوق الطفل أثناء الحرب من وجهة نظر الإسلام

لعلَّ الكثير من الحقوق الآنفة الذكر في المرأة يمكن أن يُقال بها للطفل أيضاً، وقد تقدّم نهي المشرّع الإسلامي عن قتل أولاد الكفّار حال كونهم كذلك، وحال كونهم في دار الحرب، وكذا ذراري البغاة، بل لا يجوز أسرهم و«**قد حُكِي إجماع أصحابنا الإمامية ـ بل إجماع المسلمين ـ على عدم جواز سبي النساء والذراري، وعدم اغتنام ما لم يحوها العسكر من أموالهم**»[2]، «**والذي يراه الفقهاء من الوظيفة الفعلية هو عدم جواز التعرّض للنساء والذراري من البغاة وعدم سبيهم**»[3]. هذا كلّه في أطفال البغاة الخارجين على المعصوم، فكيف يجب التعامل مع أبناء الوحي والرسالة إذا ما سُبوا ظلماً وعدواناً؟!

وقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله في أماليه: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دفع مالاً من مال المسلمين ـ كغرامةٍ ـ لبني المصطلق لفزع وخوف نسائهم وصبيانهم؛ لما فعله بهم خالد بن الوليد حينما بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله لجباية أموال الصدقة منهم ـ وكان في صدر خالد حقداً عليهم أيام الجاهلية ـ فغدر بهم وقتل منهم رجالاً على حين غِرّةٍ وأرهب النساء



(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج١، ص٦٨.

(٢) المنتظري، حسين علي، نظام الحكم في الإسلام: ص٥٧٨.

(٣) الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة: ج٢، ص١٦٦.

والأطفال، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أن بعث علياً عليه السلام ليصلح ما أفسده خالد، فسارع أبو الحسن عليه السلام لتنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وآله، فلمّا رجع إليه قال صلى الله عليه وآله: «**يا علي، أخبرني بما صنعتَ. فقال عليه السلام: يا رسول الله، عمدتُ فأعطيتُ لكل دمٍ ديّة، ولكلّ جنين غرّة**[1]**، ولكل مالٍ مالاً، وفضلت معي فضلة فأعطيتُهم لميلغة**[2] **كلابهم، وحبلة**[3] **رعاتهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتُهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتُهم لما يعلمون ولما لا يعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتُهم ليرضوا عنك يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله: يا علي، أعطيتَهم ليرضوا عنّي، رضي الله عنك يا علي، إنّما أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي**»[4].

حقّاً إنّ مثل هذه المحطّات الوضّاءة تُعدّ دُرراً زيَّنتْ وجه التاريخ الإنساني الذي سوّدته أيادي الظلمة، بل في واقعة مشابهة قال عليه السلام لمن أُصيب من المسلمين بظلم خالد: «**خذوا.. فاكسوا عيالكم وخدمكم ليفرحوا بقدر ما حزنوا...**»[5]؛ لذا قال أحد كبار المؤرِّخين: «**وهذا تأصيل لمعنى جديد لا بدّ من مراعاته في مجالات التعامل مع الناس، ولم يكن هذا المعنى معروفاً، ولا مألوفاً قبل هذه الحادثة... كما أنّنا لم نجد أحداً قد راعى هذا المعنى في معالجته لآثار العدوان على الآخرين**»[6].

وعلى أيّة حال، فإنّ ترويع الطفل وإخافته أمرٌ لا تقبله الفطرة الإنسانية السليمة، ولا تقرّه الشرائع السماوية ولا الأرضية، فهو من أوضح مصاديق الظلم، وقد روي عن

---

(١) الغرة: معناها هنا العبد أو الأَمة؛ أي: مقابل كل جنين سقط يُعطَى عبداً أو أَمةً ملكاً للمتضرر.

(٢) الميلغة: الإناء الذي يشرب به الكلب.

(٣) الحبلة: الجنين الساقط من مواشيهم ودوابهم.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٣٧، وروي براءة النبي صلى الله عليه وآله من فعل خالد بن الوليد في صحيح البخاري: ج٨، ص١١٨.

(٥) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج١، ص٣٩١.

(٦) العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام: ج٦، ص٢٣.

النبي الأكرمﷺ: «**لا تروّعوا المسلم؛ فإنّ روعة المسلم ظلمٌ عظيم**»[1].

كما لا ينبغي في الحروب أن يفرَّق بين الأُم وولدها إذا وقعا في الأَسر حتى لو كانا كافرَين، بل حرّمه بعضهم ـ وهو الشيخ الطوسي في كتابه الخلاف ـ[2]. وقال آخرون بكراهة ذلك[3]، حتى روى العامة عن النبيﷺ قوله: «**مَن فرّق بين والدةٍ وولَدها فرّق الله بينه وبين أحبّته يوم القيامة**»[4].

المبحث الثالث: حقوق المرأة والطفل إبّان الحروب من وجهة نظر المنظمات الدولية

قبل الخوض في غمار هذا المبحث لا بدّ من الإشارة إلى أمرٍ في غاية الأهمّية، وهو أنه قد يُقال: ما الغرض من ذكر النصوص التى اتّفقت عليها المنظّمات الدولية في الوقت الحاضر، والحال أنّ الحدث الذي نريد إسقاط تلك الاتفاقيات عليه كان قد جرى قبل ما يقرب من (١٣٠٠ سنة) مضت وانقضت؟! وهو سؤال جدير بالإهتمام والإجابة.

فيقال في ذلك: إنّ الكثير من تلك الاتفاقيّات التي تمّ التعاقد عليها وإصدارها من قِبل تلك المنظمات الدولية الفاعلة، إنّما هي قوانين وأحكام عقلائية تتلاءم مع الفطرة الإنسانية التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان. وهذا لا يعني أبداً كفاية الفطرة في ذلك، بل إنّ أغلب الأحكام الجزئية لا يمكن للفطرة أن تتناولها من دون مرشدٍ هادٍ وهم الأنبياء وأوصياؤهم، فالفطرة يمكنها أن تحكم بأحكام كلّية عامة. قال أحد العلماء ـ في خصوص كون الإسلام دين الفطرة وعلاقة الفطرة بالدين ـ ما نصّه: «**عندما نقول: إنّ**

(١) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٦، ص٢٥٣.

(٢) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، كتاب الخلاف: ج٥، ص٥٣١.

(٣) أُنظر: العلّامة الحلّي، يوسف بن المطهر، تذكرة الفقهاء: ج٩، ص١٧٢. الجواهري، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٢٤، ص٢٢١.

(٤) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل: ج٥، ص٤١٣.

الإسلام دين الفطرة، فهذا لا يعني أنّ كلّ حكم جزئي منه يوافقها، بل يعني أنّ الأُصول الكلّية في مجالي العقائد والشريعة تنسجم مع الفطرة وتومي إليها بشكل واضح؛ ولذلك كانت تعاليم الأنبياء ـ وفي مقدّمتهم الشريعة الإسلامية ـ تُثير مكنون الفطرة، لذا فهم [أي: الأنبياء] قبل أن يكونوا معلّمين كانوا مذكّرين بما أودع الله سبحانه في فطرة الإنسان من ميول نحو العبودية لله سبحانه، والانشداد إلى ما وراء الطبيعة، والجنوح إلى العدل ومكارم الأخلاق، والنفور عن الظلم ومساوئ العادات. فكأنّ الفطرة أوّل مدرسةٍ يتعلّم فيها الإنسان أُصول المعارف ومكارم الأخلاق وآدابها من دون معلّم، وهذا لطفٌ وامتنان منه سبحانه لعباده، ويُعدّ الحجر الأساس لسائر الهدايات الإلهية الواصلة إليهم عن طريق أنبيائه ورسله، وإلى ذلك يشير قوله سبحانه ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ...﴾[1]؛ فإنّ المراد من الدين في الآية مجموع العقيدة والشريعة، كما فسّره به مشاهير المفسّرين، وكلمة (فطرة الله) التي نُصِبَت على الاختصاص تفسير للدين، فالدين ـ بتمام معنى الكلمة ـ يوافق فطرة الإنسان، بالمعنى الذي عرفت؛ أي: إنّ أُصوله وكلّياته تنسجم مع الفطرة، وليست الآية وحيدة في بابها، بل لها نظائر في الذكر الحكيم تؤكّد مضمونها، وتثبت بوضوح كون معرفة المحاسن والمساوئ ـ والفجور والتقوى، والميل إلى الفضائل، والانزجار عن الرذائل ـ أمراً فطريّاً إلى حدٍّ يقول سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[2]. وفي آيةٍ أُخرى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[3]. فالإنسان الطبيعي الذي لم يتأثّر بالمناهج البشرية يُدرك المحاسن والمساوئ، والفجور والتقوى، والخير والشر، كرامةً من الله إليه.

---

(١) الروم: آية ٣٠.

(٢) الشمس: آية ٧ـ٨.

(٣) البلد: آية ٨ـ١٠.

ومن روائع الكلم ما روي عن الإمام علي عليه السلام حول تحديد دعوة الأنبياء، وإنّ دورهم في مجال التربية تذكيرهم بمقتضيات الفطرة، يقول عليه السلام: فبعث الله فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسي نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول...[1].

وعلى ذلك؛ فالشريعة ـ وفق الفطرة ـ مصباحٌ يُنير الدرب لكلّ ساعٍ في طلب الحق، وكلّ فكرةٍ أو مَيلٍ توحي إليهما الفطرة هو آية كونه حقاً، وكلّ فكرةٍ أو جنوحٍ يناقض الفطرة وترفضها فهو آية كونه باطلاً؛ ولأجل ذلك تخلّينا عن الرهبانية والتعزّب ووأد البنات؛ لأنّها تخالف مقتضى الفطرة»[2].

إذن؛ فالفطرة جوهرة أودعها الله عزّ وجلّ في ضمير الإنسان، تستطيع أن تميّز ـ بشكل عام ـ الظلم من العدل، والحقّ من الباطل، هذا إذا لم تتلوّث وتُمسَخ بفعل الذنوب والجرائم والموبقات؛ ولذلك ترى أنّ الأحكام العقلائية هي أُمور تنسجم مع الفطرة السليمة غير الملوّثة بشوائب الجهل أو العصبية أو العُقَد الأُخرى، وجاء الدين ليؤكّد أحكام الفطرة تلك؛ ويُوسّعها ويُعمّقها ويُذكّر المنسي منها، ويُشير إلى مواطن الخلل فيها عند انحرافها؛ لذا فجميع أحكام الدين منسجمة مع الفطرة السليمة، والفطرة السليمة منسجمة مع الدين كذلك. فالدين مُكمِّل ومُعمِّق للفطرة، والفطرة تُشير وتؤدّي إلى الدين.

وعليه؛ ففي معرض الإجابة عن التساؤل المتقدّم يُقال: إنّ أحكام هذه المنظّمات إن كانت أحكاماً عقلائية نابعة من الفطرة السليمة غير الملوَّثة؛ فتلك الأحكام غير خاضعة للزمان والمكان، فالفطرة تشخّص الظلم سواء عند بدء الخليقة، أم حالاً أم بعد مرور

---

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج١، ص٢٣.

(٢) السبحاني، جعفر، في ظلال التوحيد: ص٢٣١ـ٢٣٣.

آلاف السنين، فلو أنّ تلك المنظّمات كانت حاضرة أيّام وقوع فاجعة كربلاء، ورأت ما جرى على عيال الإمام الحسين عليه السلام وإخوته وأولاده وأصحابه، لصرخت بملء فيها مستنكرة ذلك الظلم والجور.

إذن؛ لنرى ما هي الحقوق التي كفلتها تلك المنظّمات أثناء الحرب للمرأة والطفل والتي تمّ انتهاكها في واقعة كربلاء، ومن خلال ذلك سوف يمكننا مخاطبة ضمير الإنسان بما هو إنسان ـ بغضّ النظر عن لونه وجنسه ومعتقده ـ بأنّ ما حدث في تلك البقعة مأساة بكلّ المقاييس، الأرضية منها أم السماوية، ثمّ لتكون درساً للإنسانية جمعاء في مكافحة الظلم ومناوأته، ونصرة المظلوم ومؤازرته، كما أنّ الأمر لا يخلو من دقّ ناقوس الفطرة والتذكير بأحكامها وأوّلياتها التي أودعها الله فيها.

ويمكننا النظر إلى حقوق النساء والأطفال أثناء اندلاع الحروب من وجهتين رئيسيتين:

الوجهة الأُولى: حقوقهم باعتبارهم أُناساً مدنيين

وهذه الحقوق لا تختلف عن حقوق الإنسان ـ المدني المسالم غير المقاتل ـ التي كفلتها المنظمات الدولية أثناء اندلاع الحروب. فالمرأة والطفل في الحرب يُعدّان من المدنيين[1].

وقد جاء في مبادئ قانون (لاهاي) ـ الذي يُعدّ من مبادئ القانون الدولي الإنساني ـ عدّة بنود، منها: «**مبدأ التفرقة بين المدنيّين والأهداف العسكرية: ينصّ المبدأ أنّ المدنيين** [بما فيهم النساء والأطفال] **لا يمكن أن يكونوا عرضة للهجوم الذي ينبغي أن يقتصر على الأهداف العسكرية؛ أي: القوات العسكرية بما في ذلك المقاتلين والمنشآت التي تساهم في تحقيق هدف عسكري؛ وبالتالي لا يمكن مهاجمة الأموال المدنية...**»[2].

(١) المدنيّون: غير المقاتلة من نساء وأطفال وفلّاحين وغيرهم. أُنظر: الزحيلي، وهبة، العلاقات الدولية في الإسلام: ص٦٦.

(٢) القاضي جمال شهلول، القانون الدولي الإنساني: ص٥، موقع: *www.ao.academy.org*.

وجاء أيضاً في المبادئ الأساسية لقانون (جنيف):

«... أ) حصانة الذات البشرية: ليست الحرب مبرّراً للاعتداء على حياة مَن لا يشاركون في القتال، أو الذين لم يعودوا قادرين على ذلك.

ب) منع التعذيب بشتّى أنواعه، ويتعيَّن على الطرف الذي يحتجز رعايا العدو أن يطلب منهم البيانات المتعلّقة بهويّتهم فقط، دون إجبارهم على ذلك.

ج) احترام الشخصية القانونية: فضحايا الحرب الأحياء ممّن يقعون في قبضة العدو يحتفظون بشخصيّتهم القانونية، وما يترتّب عليها من أعمال قانونية مشروعة.

د) احترام الشرف والحقوق العائلية والمعتقد والتقاليد...

هـ) الملكية الفردية محميّة ومضمونة.

و) عدم التمييز: فالمساعدة والعلاج ومختلف الخدمات، والمعاملة بصورة عامّة تُقدَّم للجميع دون فرق، إلّا ما تفرضه الأوضاع الصحّية والسن.

ز) توفير الأمان والطمأنينة، وحظر الأعمال الانتقامية، والعقوبات الجماعية، واحتجاز الرهائن، وإذا ارتكب شخص ـ يحميه القانون الإنساني ـ جريمة فإنّه يعاقَب وفقاً للنصوص المعمول بها مع مراعاة الضمانات القاضية على مستوى الإجراءات قبل التحقيق وبعده وعند المحاكمة وبمناسبة تنفيذ الحكم.

ح) حظر استغلال المدنيّين واستخدامهم لحماية أهداف عسكرية.

ط) منع النهب والهجوم العشوائي والأعمال الانتقامية.

ي) منع أعمال الغش والغدر» [1].

وجاء أيضاً في اتفاقية (جنيف) بشأن حماية الأشخاص المدنيّين في وقت الحرب، والتي تمّ المصادقة عليها من قِبل جميع الدول الأعضاء في (١٢ آب ١٩٤٩م) وفي المادة

(١) المصدر السابق: ص٦ـ٧.

(٣) ما يلي: «الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال العدائية بمن فيهم أفراد القوات المسلَّحة الذين ألقوا عنهم أسلحتهم، والأشخاص العاجزون عن القتال بسبب المرض أو الجرح أو الاحتجاز أو لأيّ سبب آخر، يُعامَلون في جميع الأحوال معاملة إنسانية، دون أيّ تمييز ضارّ يقوم على العنصر أو اللون، أو الدين أو المعتقد، أو الجنس أو المولد أو الثروة، أو أيّ معيار مماثل آخر.

ولهذا الغرض تحظر الأفعال التالية فيما يتعلّق بالأشخاص المذكورين أعلاه، وتبقى محظورة في جميع الأوقات والأماكن:

أ) الاعتداء على الحياة والسلامة البدنية، وبخاصةٍ القتل بجميع أشكاله، والتشويه، والمعاملة القاسية والتعذيب.

ب) أخذ الرهائن.

ج) الاعتداء على الكرامة الشخصية، وعلى الأخص المعاملة المهينة والحاطّة بالكرامة.

د) إصدار الأحكام وتنفيذ العقوبات دون إجراء محاكمة سابقة أمام محكمة مشكَّلة تشكيلاً قانونياً، وتُكفَل جميع الضمانات القضائية اللازمة في نظر الشعوب المتمدّنة.

هـ) يُجمَع الجرحى والمرضى ويُعتَنى بهم»[1].

وقد أضاف الملحق (البروتوكول) الثاني الإضافي ـ الذي أُلحِقَ عام (١٩٧٧م) لاتفاقيات جنيف المعقودة في (١٢/٨/١٩٤٩م)، المتعلِّق بحماية ضحايا المنازعات المسلَّحة غير الدولية ـ عدّة بنود أُخرى في هذا الصدد منها: «**المادة ٤ : الضمانات الأساسية:**

١ ـ يكون لجميع الأشخاص الذين لا يشتركون بصورة مباشرة، أو الذين يكفّون عن الاشتراك في الأعمال العدائية ـ سواء قيّدت حرّيتهم أم لم تقيَّد ـ الحق في أن تُحترَم أشخاصهم وشرفهم ومعتقداتهم، وممارساتهم لشعائرهم الدينية، ويجب أن يعاملوا في

(١) حقوق الإنسان، مجموعة صكوك دولية، المجلد الأوّل، الأُمم المتّحدة، نيويورك، السّنة ١٩٩٣.

جميع الأحوال معاملة إنسانية، دون أيّ تمييز مجحف، ويُحظر الأمر بعدم إبقاء أحد على قيد الحياة.

٢ـ تُعدّ الأعمال التالية الموجّهة ضد الأشخاص المشار إليهم في الفقرة الأُولى محظوراً حالاً واستقبالاً وفي كلّ زمان ومكان، وذلك دون الإخلال بطابع الشمول الذي تتسم به الأحكام السابقة:

أ) الاعتداء على حياة الأشخاص وصحّتهم وسلامتهم البدنية أو العقلية، ولا سيما القتل والمعاملة القاسية كالتعذيب أو التشويه، أو أيّة صورة من صور العقوبات البدنية.

ب) الجزاءات الجنائية.

ج) أخذ الرهائن.

د) أعمال الإرهاب.

هـ) انتهاك الكرامة الشخصية، وبوجهٍ خاص المعاملة المُهينة والمُحِطَّة من قدر الإنسان و... وكلّ ما من شأنه خدش الحياء.

و) الرقّ وتجارة الرقّ بجميع صورها.

ز) السلب والنهب.

ح) التهديد بارتكاب أيّ من الأفعال المذكورة...»[1].

فيتّضح من كلّ ما سبق أنّ المدنيين ـ ومنهم المرأة والطفل ـ مكفولون من قِبل المنظمات الدولية، ولا يمكن التعامل معهم معاملة الرجل المقاتل.

الوجهة الثانية: حقوق المرأة والطفل بعنوانهما الخاصّ

قد صدرت عدّة وثائق وقوانين دُولية تشرّع حقوق المرأة والطفل بما هم كذلك

(١) موقع مركز المعلومات في منظمة الصليب الأحمر.

بنصوص صريحة، إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على تعاطف الفطرة الإنسانية معهما؛ لأنّهما مثار العطف والشفقة، منها القرار الصادر عن الجمعية العامّة للأُمم المتحدة بشأن حماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والنزاعات المسلَّحة بتاريخ (١٤/ ١٢/ ١٩٧٤م)، والذي أصدرته تلك الجمعية نتيجة استشعارها لعظيم القلق من معاناة المرأة والطفل من السكّان المدنيين الواقعين كضحايا للحروب؛ وتضمَّن عدّة فقرات مهمّة، منها:

الفقرة الأُولى: «**يحظر الاعتداء على المدنيّين وقصفهم بالقنابل؛ الأمر الذي يلحق آلاماً لا تُحصى بهم، وخاصّة بالنساء والأطفال الذين هم أقل أفراد المجتمع مناعة. وتُدان هذه الأعمال**»[1].

الفقرة الرابعة: «**يتعيَّن على جميع الدول المشترِكة في منازعات مسلَّحة، أو في عمليات عسكرية، في أقاليم أجنبية أو في أقاليم لا تزال تحت السيطرة الاستعمارية، أن تبذل كلّ ما في وسعها لتجنيب النساء والأطفال ويلات الحرب. ويتعيَّن اتخاذ جميع الخطوات اللّازمة لضمان حظر اتخاذ تدابير كالاضطهاد والتعذيب والتأديب والمعاملة المُهينة والعنف، وخاصّة ما كان منها موجَّهاً ضدّ ذلك الجزء من السكّان المدنيين المؤلَّف من النساء والأطفال**»[2].

الفقرة الخامسة: «**تُعتبَر أعمالاً إجرامية جميعُ أشكال القمع والمعاملة القاسية واللا إنسانية للنساء والأطفال، بما في ذلك الحبس والتعذيب والإعدام رمياً بالرصاص، والاعتقال بالجملة، والعقاب الجماعي، وتدمير المساكن، والطرد قسراً التي يرتكبها المتحاربون...** »[3].

الفقرة السادسة: «**لا يجوز حرمان النساء والأطفال ـ من بين السكّان المدنيين... ـ من**

(١) حقوق الإنسان، مجموع صكوك دولية، المجلد الأول، الأُمم المتحدة، نيويورك ١٩٩٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

المأوى أو الغذاء أو المعونة الطبيّة أو غير ذلك من الحقوق الثابتة وفقاً للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنيّة والسياسية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وإعلان حقوق الطفل، وغير ذلك من صكوك القانون الدولي»[1].

وورد في خصوص الطفل توصيات مهمّة من تلك المنظّمات؛ باعتباره أشدّ بني الإنسان ضعفاً واحتياجاً، فقد ورد في (إعلان حقوق الطفل الصادر من الجمعية العامّة للأُمم المتحدة لعام ١٩٥٩م): «**إنّ للطفل على الإنسانية أن تمنحه خير ما لديها... لتمكينه من التمتع بطفولةٍ سعيدة ينعم فيها لخيره وخير المجتمع**»[2].

كما جاء في اتفاقية حقوق الطفل الصادرة من الجمعيّة نفسها:

«**المادة ٣٧: أ)لا يُعرَّض أيّ طفل للتعذيب أو لغيره من ضروب المعاملة القاسية واللا إنسانية أو المُهينة.**

ب) لا يُحرَم الطفل من حرِّيّته بصورة غير قانونية أو تعسّفية...»[3].

وبعد هذه الجولة السريعة في العهود والمواثيق الدولية بشأن رعاية حقوق المرأة والطفل بصورة عامّة، أو أثناء الحرب خاصة، يمكن للبصير أن يستشفّ من تلك القوانين ـ التي منبعها إمّا نصوص دينية متقدّمة عليها زماناً، أو فطرة إنسانية أودعها الله تعالى في ضمائر بني البشر ـ أنها ممّا يقتضيه الطبع البشري، فالعمل ضدّها يُعدّ خروجاً عن الفطرة الإنسانية، وإن تَلبَّس الخارج عنها ثوب البشر.

---

(١) المصدر السابق

(٢) الإعلان العالمي لحقوق الطفل، قرار رقم ١٣٨٦ الصادر عن الجمعية العامة للأُمم المتّحدة. مع العلم أنّ هذا الإعلان لم يكن ذا إطار قانوني مُلِزم للدول الأعضاء.

(٣) اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الجمعية العامة للأُمم المتحدة للعام ١٩٨٩. علماً أنّها الإطار القانوني المُلِزم للدول الأعضاء.

المحور الثاني: ما جرى من انتهاك لحقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء

قبل الولوج في بيان ما جرى من انتهاك لحقوق المرأة والطفل في معركة كربلاء، لا بدّ من نظرةٍ إجمالية سريعة إلى العلّة التي من أجلها اصطحب الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء؛ لما لهذا الموضوع من صلة وثيقة بالبحث، فيقال في ذلك:

إنّ هناك عدّة تصوّرات ونظريات طُرِحَت لتحليل فعل الإمام الحسين عليه السلام في ذلك، وإن كان لا بدّ من التركيز على أمرٍ في غاية الأهمّية ألا وهو: إنّ العقول مهما بلغت من العلم وغارت فيه، فإنّها لا يمكنها الإحاطة التامّة بجميع الملاكات لفعل المعصوم، وخصوصاً إذا كان الفعل ضخماً وعظيماً، غيَّر مجرى التاريخ، وخطّ منهجاً قوياً للإصلاح والمصلحين على مدى الحقب. بل إنّما تُفسَّر مثل هكذا أفعال إلهية على قدر فهم الباحث وعقله، وما أُوتي من أدوات معرفية.

وعليه؛ فإنّ كلّ التصوّرات المحتملة التي قيلت في علّة اصطحاب الإمام الحسين عليه السلام لأهله وعياله إلى كربلاء، إنّما هي تحليلات تكشف عن جانبٍ محدود من الملاك الواقعي لذلك الحدث الجم، وأنّى لنا أن نُدرك تمام الملاك لفعلٍ مأمورٍ به من قِبل الله تعالى، بصريح قول الإمام الحسين عليه السلام «**شاء الله أن يراهنّ سبايا**»؟[1].

فتفسير ذلك الفعل بالواقع يرجع إلى تفسير علّة تلك المشيئة الإلهية. ومهما يكن من أمرٍ فإنّ أهمّ ما قيل في تفسير علّة اصطحاب الإمام الحسين عليه السلام لعياله وعيال أبيه وأطفاله إلى ساحة المعركة هو:

إنّ الإمام الحسين عليه السلام إنّما أخرجهم «**لنظر سياسي وفكر عميق، وهو تكميل الغرض وبلوغ الغاية في قلب الدولة على يزيد، والمبادرة إلى القضاء عليها قبل أن تقضي على**

(١) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٤٠.

الإسلام وتعود الناس إلى جاهليّتها الأُولى...»(١).

وقيل: إنّ «**الحسين لو أبقى النساء في المدينة لوضعت السلطة الأُموية عليها الحَجْر، لا بل اعتقلتها علناً، وزجّتها في ظلمات السجون، ولا بدّ له** [أي: للحسين عليه السلام] **من أحد أمرين خطيرين كل منهما يشلّ أعضاء نهضته المقدّسة: إمّا الاستسلام لأعدائه وإعطاء صفقته لهم طائعاً، ليستنقذ العائلة المصونة.. وهذا خلاف الإصلاح الذي ينشده، وفرض على نفسه القيام به مهما كلّفه الأمر من الأخطار، أو يمضي في سبيل إحياء دعوته ويترك المخدّرات اللواتي ضرب عليهنّ الوحي ستراً من العظمة والإجلال، وهذا ما لا تُطيق احتماله نفس الحسين الغيور...»**(٢).

وهناك أقوال أُخرى لا يهمّ التعرّض لها، ولكن مهما قيل في ذلك، فإنّنا إذا سلّمنا بكون إخراج العائلة كان أمراً قد أُمِرَ به الإمام الحسين عليه السلام، فلا كلام، ولا حاجة بنا ـ كمتديّنين ـ أن نفسِّر الأمر الإلهي؛ إذ إنّ تمام علل الأحكام غير مكشوفة لكل أحد، وملاكات الأوامر والنواهي ليست شرعة لكل وارد، بل لا يعلمها إلّا الله والراسخون في العلم.

وعلى كل حال، فقد لعب وجود عيال الإمام الحسين عليه السلام دوراً جبّاراً في وصول صوت عاشوراء إلى الأجيال، ولعلَّ وجودهم ونقلهم للكثير من الحقائق في ذلك اليوم العصيب، وعدم إرادة الإمام الحسين عليه السلام أن يكون أعداؤه وقاتلوه هم مَن يصوغ تاريخ نهضته، هو أحد الملاكات لإحضار العائلة الكريمة في ذلك اليوم الرهيب، وكذا الحفاظ على حياة الإمام السجاد عليه السلام، وفضح يزيد وأتباعه، و... فمن الممكن أن تجتمع كل الملاكات المتصوَّرة وتشكّل علّة أو جزء علّة لهذا الفعل المعصومي العظيم.

---

(١) نسب هذا القول الشيخ باقر شريف القرشي للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء. اُنظر: حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج٢، ص٢٩٨.

(٢) نسب هذا القول الشيخ باقر شريف القرشي للعلاّمة عبد الواحد المظفّر. اُنظر: حياة الإمام الحسين: ج٢، ص٣٠٠.

أمّا في خصوص البحث عن المحور الثاني، فلا شكّ ولا ريب في أنّ ما جرى في يوم عاشوراء من أحداث جسام يصعب استقصاؤه والإحاطة بجزئياته، فالحدث حدث مهول تراجعت فيه كلّ القيم الإنسانية ـ من قِبَل المعسكر المعادي للإمام الحسين ـ حتى عُدَّت المقايسة بين أُولئك الظلمة، والوحوش الضواري ظلماً لتلك الوحوش؛ إذ إنّها إن أرادت الافتراس اكتفت بفريسة واحدة لسدّ جوعتها، أمّا أُولئك فقد أعمتهم الدنيا، والخوف، والجبن، والدناءة والحقد، حتى أضاعوا سبب القتل، فنراهم لم يحيروا جواباً حينما سألهم الإمام الحسين عليه السلام عن سبب مقاتلتهم له بعد ما ذكّرهم بجده وجدّته وبأُمّه وأبيه عليهما السلام، وذكّرهم بفضائل أبيه، ثم قال مخاطباً لهم: «**فبِمَ تستحلّون دمي وأبي عليه السلام الذائد عن الحوض، يذود عنه رجالاً كما يُذاد البعير الصادر عن الماء، ولواء الحمد في يد أبي يوم القيامة؟!**». قالوا: «**قد علمنا ذلك كلّه، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً**»[1]، فأين الوحوش الضواري من أُولئك؟!

وسنحاول فيما يلي استعراض أبرز الانتهاكات البشعة التي جرت على النساء والأطفال في يوم عاشوراء، والتي ناقضت كلّ القيم والأعراف الإنسانية والقوانين الإلهية، مراعين التسلسل التاريخي للأحداث:

١ـ قطع الماء عن عيال الإمام الحسين عليه السلام ومعسكره

لما نزل الإمام الحسين عليه السلام أرض كربلاء بمعيّة عسكره وعياله وعيال أصحابه[2]، وبعد مداولات وكُتُبٍ بين عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد، ورد كتاب عبيد الله بن

(١) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٥٣.

(٢) كان ذلك يوم الخميس الموافق لليوم الثاني من محرّم الحرام سنة إحدى وستّين. اُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٨٤.

زياد فيه: «**حُلْ بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فلا يذوقوا منه قطرة...**»[1]. وأضاف الشيخ المفيد قائلاً: «**فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين الحسين وأصحابه، وبين الماء أن يستقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام، ونادى عبد الله بن الحصين الأزدي... بأعلى صوته: يا حسين، ألا تنظر إلى الماء كأنّه كبد السماء، والله، لا تذوقون منه قطرة واحدة حتى تموتوا عطشاً...**»[2].

فالملاحظ أنّ الحصار ومنع الماء استمر ثلاثة أيام، وعبيد الله بن زياد وجنده يعلمون أنّ في معسكر الإمام الحسين نساءً وأطفالاً، ومع ذلك فقد أمعنوا بهذه الجريمة المخزية عرفاً وقانوناً (إلهياً ووضعياً)، فكانت حرب إبادةٍ جماعية بالمقاييس الحديثة.

فأين هذا الفعل من فعل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في صفين حينما استولى معاوية وجنده على الفرات وحاولوا منع جيش الإمام علي منه، فقاتلهم وكشفهم وأزالهم عن الماء، فلمّا أرادوا أن يستقوا، حاول بعض أفراد جيش الإمام علي أن يمنعوهم الماء، فنهاهم أمير المؤمنين عن ذلك، وسمح لجيش الشام بالتزوّد من الماء[3]، بل هذا هو عين فعل الإمام الحسين حينما عطش جيش الحر بن يزيد ـ وكانوا ألف فارس ـ في وسط الصحراء، وكان الإمام الحسين يعلم سبب مجيئهم، وأنّهم أنما بُعثوا لحصاره والتشديد عليه، لكن لم يمنعهم الماء، وسقاهم وخيلهم أجمعين[4]، علماً أنّ كلتا الحادثتين لم يكن فيهما نساء أو أطفال، بل كانوا جنوداً مقاتلين، أما فيما نحن فيه فالكلّ قد علم أنّ العطش قد بلغ بمعسكر الإمام الحسين ـ بما فيهم النساء والأطفال

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٨٤.

(٢) المصدر السابق: ص٨٧.

(٣) أُنظر: المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص١٦٣.

(٤) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٨.

ـ إلى حالٍ قد أشرفوا فيها على الهلاك، فهذا الحسين عليه السلام في ساعاته الأخيرة يأمر أخاه أبا الفضل العباس عليه السلام أن يطلب قليلاً من الماء للأطفال، حينما سمعهم ينادون: العطش العطش[1]. بل وصفهم أحد أصحاب الحسين عليه السلام في محاورته مع أحد الأعداء بأنهّم يموتون عطشاً[2]. فأين ذهبت فطرة أُولئك الأشرار وفطرة قادتهم؟! بأيّ قانون كانوا يعملون؟! وبأيّ شرعةٍ تُحَرَم أمٌّ مرضع من الماء ثلاثة أيام هي ورضيعها، فيجفّ صدرها من اللبن، ويروّع رضيعها من العطش، فيُخرجه أبوه ليطلب له الماء، فيُجاب بدل الماء بسهمٍ ينحر ذلك الرضيع من الوريد إلى الوريد؟!‏[3].

٢ـ الإرهاب والتخويف

وهذا المعنى يشتمل في طيّاته على عدّة مفردات كلّها تُدلّل على سياسة ممنهجة اتُّبِعَت من قِبل بني أُمية بحق الإمام الحسين عليه السلام ومَن معه، بما فيهم الأطفال والنساء، ومن تلك المفردات:

أ) **التضييق والحصار العسكري**: فلم يكد الإمام الحسين عليه السلام أن يصل إلى الغاضرية حتى وصل كتاب من عبيد الله بن زياد، يأمر فيه الحر بن يزيد الرياحي أن يُضيِّق على الحسين عليه السلام وأصحابه[4]، وكانوا يمنعونه تارة ويسايرونه أُخرى، ولا شكّ في أنّ حصار الجند المدجَّجة بالسلاح، مع تعدادهم الكبير وقعقعة أسلحتهم لمعسكرٍ فيه نساء

---

(١) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٢.

(٢) المصدر السابق: ج٤٤، ص٣٨٨.

(٣) نقل القندوزي: أنّ الحسين عليه السلام قال لأعدائه: «يا قوم، لقد قتلتم أصحابي وبني عمّي وإخوتي ووُلدي، وقد بقي هذا الطفل، وهو ابن ستة أشهُر، يشتكي من الظمأ فاسقوه شربة من الماء. فبينما هو يخاطبهم، إذ أتاه سهم فوقع في نحر الطفل فقتله». القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج٣، ص٧٨. وأُنظر أيضاً: محمد تقي خان، ناسخ التواريخ: ج٢، ص٣٦٤.

(٤) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٤٧.

وأطفال هو من أشدّ مصاديق التخويف والإرعاب، ثم استمرّ منهج الإرعاب ذاك ولم ينتهِ حتى مع استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وكانت الصورة تزداد بشاعة منذ الثاني من محرّم؛ لأنّ أعداد الجند وقعقعة السلاح وطبول الحرب وأصوات الخيل كلّها أُمور مرعبة بحقّ النساء والأطفال، وقد اعترف أحد قادة الجند التائبين ـ وهو الحرّ بن يزيد رحمه الله ـ بذلك الإرهاب والإرعاب؛ إذ يقول في ساعة توبته أمام الإمام الحسين عليه السلام: «**اللّهمّ! إليك أنبت فتُب عليَّ؛ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيّك**»[1].

ب) **محاولات الاعتداء على خيم النساء**: فقد وصلت الخسّة والدناءة بعُمر بن سعد قائد جيش ابن زياد إلى حدٍّ أمر فيه بتخريق خيم الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه على ما نقله لنا البلاذري؛ إذ قال: «**وأمر عمر بتخريق أبنيتهم وبيوتهم فأخذوا يخرقونها برماحهم وسيوفهم، وحمل شمر في الميسرة حتى طعن فسطاط الحسين برمحه ونادى: عليَّ بالنار حتى أُحرق هذا البيت على أهله. فصحن النساء وولولن وخرجن من الفسطاط، فقال الحسين عليه السلام: ويحك! أتدعو بالنار لتُحرق بيتي على أهلي!! وقال شبث بن ربعي** [لشمر]: **يا سبحان الله! ما رأيتُ موقفاً أسوأ من موقفك، ولا قولاً أقبح من قولك. فاستحيا شمر منه**»[2]. فكانت حرب ذلك اليوم حرباً بلا حدود عند عسكر عمر بن سعد وابن زياد، وكأنّهم تعاقدوا على إسقاط كلّ القيم، إنسانية كانت أم إلهيّة أم قوميّة أم غيرها، وللمتصوِّر أن يتصوّر كم من الرعب الذي داخَلَ قلوب النساء والأطفال جرّاء تلك الأعمال اللاإنسانية؟!

ج) **قطع الرؤوس ورفعها أمام أعين النساء والأطفال**: إذ لم يكتفِ عمر بن سعد وجيشه بقتل المقاتلة من جيش أبي عبد الله عليه السلام، بل: «**وأمر ابن سعد برؤوس الباقين من**

(١) المصدر السابق: ص٦٢.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٩٤.

أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته فقُطعت، وكانت اثنان وسبعون رأساً، وسرّح بها مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج، فأقبلوا حتى قدموا بها على ابن زياد...»[1].

وللمتأمّل أن يسرح بخياله ليرى عظم الجريمة وبشاعتها؛ عندما يُرفَع رأس إنسان أمام ذويه وأطفاله ونسائه قرابة الشهرين من الزمان يرونه ماثلاً أمامهم كلّ صباح ومساء!! وما عسى الواصف أن يقول في مثل هذه المأساة.

٣ـ الضرب

فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «**سألتُ أبي علي بن الحسين عن حمل يزيد له، فقال: حملني على بعير يطلع**[2] **بغير وطاء، ورأس الحسين عليه السلام على عَلَم، ونسوتنا خلفي على بغال أكفٍ**[3]**، والفارطة**[4] **خلفنا وحولنا بالرماح إذا دمعت من أحدنا عين قُرع رأسه بالرمح...»**[5]؛ وهذا يعني أنّ أيّ باكٍ يبكي سواء أكان طفلاً أم امرأة فإنّه يُضَرب بالرمح على رأسه لمجرد بكائه، فأيّ طغيان هذا؟! والبكاء أمرٌ لا إرادي.

٤ـ القتل

لم يسلم النساء والأطفال في يوم عاشوراء من القتل؛ إذ إنّ الأعداء فعلوا ما هو أشنع وأقبح من القتل، فقد مثّلوا بالجثث وسحقوها بالخيل وقطعوا الرؤوس و... ولذا لم يُعدّ قتل النساء والأطفال أبشع أعمالهم، وفعلاً فقد قاموا بقتل زوجة (عبد الله بن عمير

---

(١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٩٦.

(٢) كذا في المصدر، ولعل الصحيح (يظلع).

(٣) أكف: جمع إكاف: شبه الرحال أو البرذعة من غير سرح.

(٤) الفارطة: الجلاوزة.

(٥) ابن طاوس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ص٩، وص٨٩.



الكلبي) وهي أُمّ وهب النمرية؛ قُتِلَت لأنّها وقفت على جسد زوجها وقالت: «**أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك**». فقتلها رستم وكان عبداً لشمر بن ذي الجوشن[1].

أمّا من الأطفال الذين لم يبلغوا الحُلم فقد قُتل منهم سبعة، خمسة مع الإمام الحسين عليه السلام، وهم:

* عبد الله الرضيع عليه السلام، ابن الإمام الحسين عليه السلام، وكان عمره ستة أشهُر.

* عبد الله بن الحسن السبط عليه السلام؛ فإنّه خرج وعمّه الحسين عليه السلام في ساعاته الأخيرة، خرج يشتد وهو يقول: «**لا والله، لا أُفارق عمّي**». فرماه حرملة بن كاهل بسهم وذبحه وهو في حجر عمّه الحسين عليه السلام[2].

* القاسم بن الحسن السبط عليه السلام، وهو أيضاً غلام لم يبلغ الحُلم بعدُ، قاتل مع عمّه الحسين عليه السلام حتى استُشهد.

* محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب، وهو طفل صغير قُتِلَ بعد مصرع عمّه الحسين عليه السلام.

* عمرو بن جنادة الأنصاري، وكان ابن إحدى عشرة سنة، وهو الذي قال بحقّه الإمام الحسين عليه السلام: «**هذا شابٌّ قُتِلَ أبوه ولعلّ أُمّه تكره خروجه**»[3]. فقال: أُمّي أمرتني يا بن رسول الله[4]... ثم قاتل فقُتِلَ، وحُزّ رأسه ورُمي به إلى عسكر الحسين.

واثنان بعد الواقعة، وهم إبراهيم ومحمد ولَدَيْ مسلم بن عقيل، قُتِلا بعد أن سجنهما ابن زياد سنة كاملة بلا ذنب ارتكباه.



---

(١) أُنظر: السماوي، محمد، إبصار العين في أنصار الحسين: ص٢٢٧.

(٢) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٧٢.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٧.

(٤) المصدر السابق.

٥. السلب والنهب

إنّ أعداء الإمام الحسين عليه السلام لم يتركوا موبقة إلّا وفعلوها، فكانوا متعطّشين لفعل كل ما هو مشين، فقد نقل لنا الشيخ الصدوق في أماليه بسنده، عن عبد الله بن الحسن المثنّى، عن أُمّه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت: «**دخلت الغاغة**[1] **علينا الفسطاط وأنا جارية صغيرة، وفي رجلي خلخالان من ذهب، فجعل رجل يفضّ الخلخالين من رِجْلي وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك يا عدو الله؟! فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله؟! فقالت: لا تسلبني. قال: أخاف أن يجيء غيري فيأخذه. قالت: وانتهبوا ما في الأبنية حتى كانوا ينزعون الملاحف عن ظهورنا**»[2].

وروي عن حميد بن مسلم، قال: «**رأيت امرأة من بكر بن وائل، كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلمّا رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام في فسطاطهن وهم يسلّبونهن، أخذتْ سيفاً وأقبلتْ نحو الفسطاط وقالت: يا آل بكر بن وائل، أتُسلب بنات رسول الله؟! لا حكم إلّا لله، يا لثارات رسول الله. فأخذها زوجها وردّها إلى رحله**». وفي رواية: «**إنّهم أشعلوا النار في الفسطاط، فخرجن منه النساء باكيات مسلّبات**»[3].

يحقّ للغيور هنا أن يبكي بدل الدموع دماً، وخصوصاً إذا وقف على جملة (اقتحموا على نساء الحسين فسطاطهن). فهذا التعبير ـ بالميزان الدقيق ـ ليس بالهيّن، فما معنى دخول رجال غرباء على نساء هنَّ رمز الفضيلة والعفاف والشرف؟! دخولهم عليهن عنوة وسلبهم إياهن! ثم إحراق خيمتهن فيما بعدُ!

---

(١) الغاغة: الكثير المختلط من الناس.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٩.

(٣) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٩٤.

٦ـ السجن

لم يكتفِ أُولئك الأوغاد بكلّ ذلك، وأنى للذئب أن يكتفي من الولوغ بالدماء؟!

فما أن وصل ركب سبايا أهل البيت عليهم السلام ومَن معهم إلى الكوفة أمر ابن مرجانة جنده بأن يغلّوا الإمام زين العابدين عليه السلام ويقيدوه ويودعونه السجن مع السبايا من النساء والأطفال[1].

٧ـ المعاملة الهمجيّة البعيدة كل البُعد عن قيم الإسلام

ومفردات هذه المعاملة التي تنمّ عن عدم النُّبل ممّا لا يُحصى، فمنها: إدخال السبايا ـ وهنَّ بنات الرسالة ـ مكشَّفات الوجوه إلى دمشق[2]، ثمّ إيقافهم في مكانٍ يُشرف عليه عامة الناس ليتصفّح وجوه النسوة الزكيات كلّ شارد ووارد[3]، بل إنّ إخراجهنّ من الكوفة تمَّ بصورة لا تليق بشأن المرأة المسلمة، فضلاً عن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقد وصفها أرباب التاريخ والعلماء بقولهم: «**ومعهم الأجناد يحيطون بهم، وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلما أُقبِلَ بهم على الجِمال بغير وطاء، جعل نساء الكوفة يبكين**»[4].

فإهانة المؤمن وإذلاله وأذيّته كلّها من الموبقات الكبيرة والأفعال القبيحة عرفاً وعقلاً، فكيف إذا فُعِلتْ تلك الكبائر مع أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، ونسائه اللواتي هنَّ من أطهر نساء أهل الأرض؟!

كلّ ما مرَّ كان صوراً مقتضبة على عجالة من مأساةٍ عارمة سوَّدت وجه الإنسانية، ووصمت التاريخ بعارها، وإلّا فيمكن لمن أراد الاستزادة وسبر أغوار التاريخ أن

---

(١) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٩١.

يستخرج ما هو أبشع من ذلك.

فهل انتهت تلك الانتهاكات؟! أم ما زال أُمويّو العصر وأتباع ابن مرجانة في يومنا هذا يقومون بنفس الدور الذي قام به أسلافهم من قبلُ؟! ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾[1].

(١) القمر: آية ٤ـ٥.

المأساة والمظلومية في أبعادها الإنسانية
الثورة الحسينية أنموذجاً

السيد محمد باقر الهاشمي[1]

المقدّمة

تُعتبَر الثورة الحسينية إشعاع نورٍ للعالم؛ بما قدَّمته من تفانٍ وإيثار يعجز قلم البيان عن وصفه، فما وقع آنذاك من عظمة تسامت فخُلّدت بفضل ما أعطت، إلّا أنّ السمو والرفعة لم تكن لتُبسَط أمام الملحمة الحسينية دون عناء، بل أُعطيت لأجلها دماءٌ زاكية، وهان كلّ غالٍ في سبيل الله تعالى.

لقد كانت المأساة تفيء بظلالها على الركب الحسيني، منذ خروجه من مكّة وانتهاءً بعودة السبايا، مأساة تتحرّك على الأرض، وتنطق بما يعجز عنه اللسان، وتشرح دناءة الإنسان حين يتجرّد من حقيقته، وفي المقابل نرى أنّ هذه المأساة لامست الفطرة الإنسانية في أسمى معانيها؛ لتغدو تلك الدماء دماء البشرية، تتّحد معها وتتجاوز اختلافاتها، وتُعبّد الطريق لنهضة الإنسان، بما قدَّمته من قيمٍ متعالية.

---

(١) باحث إسلامي.

تحوّل المأساة من أُفق محدود إلى قضيةٍ عالمية

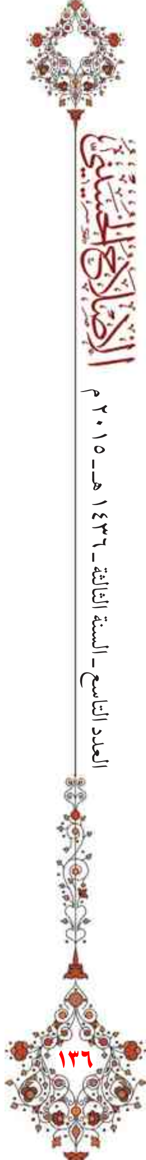
إنَّ المأساة والمظلومية الحقّة دائماً ما لا تقف عند حدود مَكانها ولا زمانها، بل لها القدرة الكامنة لتصل إلى أبعد مدًى يمكن أنْ تصل إليه، وهو أمرٌ حريٌّ بالتدبّر؛ فمن المؤكّد أنَّ للمأساةِ انطلاقتين: انطلاقة في زمانها التي تتعرّض من خلاله للصعوبات، والنفي الدّائم، والمظلومية، وتنتهي دائماً بخسران كثير من أفراد الثّورة، إلّا أنَّ الانطلاقة الثّانية هي الكفيلة بإحياء الأُولى وإعادتها إلى الواجهة، حين تتحوّل إلى قضيّة إنسانية، فتصيرُ قضيةً عامّةً تتبنّاها البشريّةُ بمختلف قومياتها وأطباعها وديانتها، فتتحوّل من إطارها المحدود إلى قضيّة عالمية.

ودون السّبر العميق للتّاريخ، والبحث في أغواره عن مثل هذا التحوّل من الأُفق الضيّق إلى العالمية، فإنَّ الواقع القريب الذي نعيشه شهِدَ مثل هذا الأمر؛ فقد تعاطف العالمُ مع مأساة الزّعيم الهنديّ غاندي، وما لاقاه من ألمٍ وعذاب، حتى صار العالم مترقّباً لأيِّ أمرٍ يصدرُ منه؛ ليكون قضية عامّة تتبنّاها الإنسانيّة، ناهيك عن شعبه.

وقد شكّلت قضية مانديلا رأياً عامّاً، فكانت مأساته أشبه بالمأساة للإنسانيّة جمعاء، وأشخاص آخرون، بل هناك مأساة شعوبٍ صارت حديثَ الإنسانيّة كلّها، كالشّعب الفيتناميّ وغيره، ناهيك عن الشّعوب الإسلاميّة.

وليس التّركيز على مثل هؤلاء الأشخاص للتّرويج لهم، بل لبيان أمرٍ مهم، وهو أنَّ الإنسانيّة المستيقظة تُلغي الفوارق الدينية والطبقيّة والقوميّة؛ للتواصل عبر لغةٍ إنسانيّة، فليس غاندي ولا مانديلا ولا غيرهما بمسلمين أبداً، إلّا أنَّ مراجعةً بسيطةً لتلك الحُقبة تجدُ أنَّ الإنسان المسلم تأثّر بها، ونادى بالخلاص لأفرادها، وتحمّل أَعباءَ الدّفاع عنها.

إن عالمية المأساة ليست إلّا دغدغةً لمشاعر الإنسان، حينَ لا يكون هناك جامعٌ



مع الإنسان الآخر إلّا الإنسانيّة وحدها، وهنا لا بدَّ من ملاحظة: إذْ لا يعني ذلك نبذ كلِّ مشتركٍ بين الإنسان والإنسان الآخر، والتّواصل معه عبر الإنسانيّة وحدها، فللدّين موقعيةٌ في نفس الأفراد، تجعل الانجذابَ للآخر المشترك معه في ذلك الدّين أقوى حراكاً وفاعلية، فالأُخوّة في الدّين هي أسمى أُخوّة يمكن أنْ تُحرّكَ الإنسان تجاه أخيه الإنسان، والدّين أقدر على تحريك الإنسان تجاه الآخر؛ لأنّه يجد نفسه مسؤولاً عن مناصرة الحق، غير أنَّ الرّابط الإنسانيّ لا يمكن أنْ يحدّه دِين، وهو ما صَرّح به أمير المؤمنين عليه السلام: «**فإنّهم [الناس] صنفان: إمّا أخٌ لكَ في الدّين، وإمّا نظيرٌ لكَ في الخَلقْ**»(١).

لقد أثبتت المأساة قدرتها على تحريك الإنسان ليتجاوب معها تجاوباً فاعلاً، فتتحوّل المأساة من أُفقها الضيّق إلى قضيةٍ عالمية، هذا الأمر ينطبق على كربلاء وأحداثها، والمظلومية التي وقعت على أهلها، حيث بدت صحراء كربلاء لغةً خضراء، تتناقلها الأقلام والألسن بمختلف قومياتها وطوائفها ودياناتها، لتغدو مأساةً إنسانيّةً عالميّةً، بعد أن كانت حكراً على تلك البقعة الرّمضاء النّائية، وهو ما نتحدّث عنه وعن أسبابه لاحقاً.

كربلاء وصور المأساة (غياب الإنسانية)

لا بدَّ قبل العرض لصور المأساة والمظلومية في كربلاء أن نتطرَّق للحديث عن الإنسانيّة بادئ الأمر، فليست مأساة الحسين عليه السلام إلّا جزءاً من غياب الإنسانية آنذاك.

لم تُعرَّف كلمة (إنسانية) تعريفاً محدّداً خلال تاريخ المعرفة البشرية، فقد أخذت معانٍ متعدّدة في كلّ زمان، فهناك مَن يعرِّفها باعتبارها حركة سياسية أو اجتماعية أو فلسفية.

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٨٤.

وآخر يعتبرها نزعةً لتخليد الإنسان وتقديسه؛ لما له من قيمٍ يمتاز بها عن باقي الموجودات.

وهناك مَن يسم بها نوعاً من المعارف، وهي التي تُعرف في زماننا بـ(العلوم الإنسانية).

إلّا أنّ الجميع متفقٌ على أمرٍ، وهو وجود أبعاد وقيم داخل البنية الذهنية للإنسان، تجعل منه مخلوقاً متفرّداً عن باقي المخلوقات، هذه القيم والمبادئ هي محصّلة الذهن البشري وتفاعله مع واقعه؛ لينتج سلوكاً يُعبِّر عن هذا الفكر.

فكثيرٌ ما يصف البشر أمراً معيّناً بأنّه إنساني، حتى دون أن يفكّر في سرّ هذه الكلمة، ولِمَ انسبقت إلى اللسان دون غيرها؟ وليس ذلك إلّا لأنّ الإنسانية تُولَد مع الفرد، وتنمو بنموّه، فتتصاعد مع تصاعد المعرفة والتّسامي، وتنحدر بانحدارهما.

وهنا لا بدَّ من الالتفات إلى أنّ الإنسانية جزءٌ لا يتجزّأ من فطرة الإنسان، ولا تعني الفطرة إلّا الحيثية التي خُلِقَ الإنسان عليها، دون التدخّل ببراءة وصفاء هذه الفطرة بدايةً، ولكن قد يطرأ عليها طارئ أو تربيةٌ محدّدة لتنزع عنها نقاءها، وهو ما سيأتي الحديث عنه.

إلّا أنَّ هناك تساؤلاً لا بدَّ من الإجابة عنه: ما أسباب غياب الإنسانية؟

هناك عوامل عديدة تؤدّي لبروز أو ضمور الإنسانية طرداً أو عكساً في الفرد أو المجتمع، نذكر منها:

أولاً: تُساهم التربية والبيئة الاجتماعية للإنسان في بروز الإنسانية أو ضمورها، يُضاف إلى ذلك البُعد الديني الذي يخلق عند الإنسان طرداً حافزاً للتعامل بإنسانية أكبر؛ لِما يُوجده من محفِّزات وارتباط بالله تعالى، فالمجتمع الذي يعيش أفراده حالة من الانفصال والمخاصمة لا يمكن أن ترجو منه إنسانية كبيرة، والبيئة التي يسيطر عليها البُعد الدنيوي والسعي وراء الملذّات الفردية ـ أيّاً كان السبيل لها ـ لا يسع أفرادها

التعامل بإنسانية.

ثانياً: الخوف؛ فإنّ استشعار الخوف عند الإنسان يُفقده كثيراً من إرادته وقوّته التي أودعها الله فيه، فيعيش مواكباً لخوفه، مجانباً لأيّ عمل يمكن أن يُوقِعه فيما يخاف ويحذر، حتى وإن نازعته نفسه للتحرّك نحو عملٍ ما، إلّا أنّ خوفه يسبق عزمه فهو يتناسب عكساً مع الحالة الإنسانية.

ثالثاً: اللا مبالاة، وهو شعور يُفقد الإنسان الإحساس بالغير، ولا يعنيه الآخر بشيء، سواء أكان في فرحه أم حزنه، وهذا الإنسان يعيش حالة الأنانية تجاه المجتمع وأفراده؛ ولذا فإنّه لا يمكن أن تحرّك إنسانيته أيّ المواقف، حتى وإن عاش التأنيب في بعض الفترات، إلّا أنّ هذه الصيحة الدّاخلية تخبو فتخبو معها إنسانيّته.

ولو عدنا إلى كربلاء الحسين عليه السلام لوجدنا المجتمع المفكَّك الذي لا يعرف فيه الفرد المسلم عن مصائب أخيه المسلم في البقاع الأُخرى شيئاً، ومن ثمَّ فإنّ أفراده بين خائفٍ من بطش السلطة يفضّل الحياة مع الذلّ والهوان، وآخر لا يُبالي فيكرّر مقولة: (ما لنا والدخول بين السلاطين). فينظر إلى الجميع بعينٍ واحدة، المظلوم والظالم، الثائر والسلطان الجائر، وليس هذا في حقيقته إلّا جزءاً من غياب الإنسانية وضمورها، إن الجيش الذي نادى الحسين عليه السلام أفرادَه طالبهم أن يكونوا أحراراً فقط، ولم يطلب منهم أن يكونوا غير ذلك؛ لأنَّ الحاجة إلى الحرية لا تكون مع غياب الإنسانية، حين لا يستشعر الإنسان وجوده وقيمه ومبادءه خوفاً أو طمعاً؛ ولذا شهدت كربلاء صوراً للمأساة والمظلومية والاعتداء على نفرٍ قليل، رُوّعَ بهم أشد الترويع، وسيقوا إلى الموت بمرارة وألم، لتكون جبهة الأعداء في كربلاء عنواناً بارزاً لغياب الإنسانية.

ومن هذه المأساة نذكر صورتين:

الصورة الأُولى: فنادى: يا قوم، قتلتم أنصاري وأولادي، وما بقي غير هذا الطفل،

إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل، لقد جفّ اللبن في صدر أُمّه. فرماه حرملة بسهم فوقع في نحره، فذبحه من الوريد إلى الوريد، فوضع الحسين كفّيه تحت نحر الطفل، فلمّا امتلأتا دماً رمى به إلى السماء، وقال: هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله، اللهم لا يكوننَّ طفلي هذا أهون عليك من فصيل ناقة صالح[1].

هذه الصورة لها ثلاثة مضامين:

١ـ إنَّ الطفل يصارع الموت بالعطش.

٢ـ يُزاد على عطشه سهم يشارك الظمأ في قتل هذا الطفل.

٣ـ كلّ هذه المأساة والطفل بين يدي الحسين عليه السلام يتحسّس عطشه، والسهم في نحره، وشهقة الغياب، صورة كافيةٌ لفضح السلطات الحاكمة آنذاك، وبيان لغياب إنسانيتها.

كثيراً ما تقع الحروب والويلات والظلم على مختلف الأماكن والأفراد، إلّا أنّ أكثر ما يهزّ الضمير الإنساني هو مقتل الأطفال؛ إذ لا يمكن أن يُدانوا بشيء؛ ولذا سريعاً ما توصف مثل هذه الجرائم ـ التي تقع على الأطفال والصغار ـ بالجرائم ضدَّ الإنسانية، ففي كربلاء كان للطفولة نصيب ممّا نال أهليهم من المأساة والظلم وبأبشع صور المعاناة، التي بقيت شاخصةً كوصمة عار في جبين التاريخ حين تُذكَر تلك الملحمة الخالدة.

الصورة لعبد الله الرضيع طفلٌ بعدُ في المهد، يستسقي أبوه القوم له، فتأبى تلك النفوس الخالية من الرحمة أن تتجرّد عن أحقادها وتتناسى اختلافاتها، لتصوغ صورة إنسانية كان بالإمكان أن تبيّض وجوههم في صفحات التاريخ، إلّا أنّ شيئاً من ذلك لم يحدث، إلى أن نال الطفل الموت.

الصورة الثانية: وتسابق القوم على نهب بيوت آل الرسول، وقرّة عين الزهراء البتول، حتّى جعلوا ينتزعون ملحفة المرأة عن ظهرها، وخرجن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٦.



وحريمه يتساعدن على البكاء، ويندبن لفراق الحماة والأحباء[1].

هذه الصورة في كربلاء بقيت لمئات السنين تؤرّق أهل البيت عليهم السلام، فما من إمامٍ إلّا وقد أحسَّ بمرارة إيذاء النساء وسلبهنّ، ومن ثمَّ سبيهنّ.

وهنا سؤال يُطرَح أمام هذه الصورة: هل كان هناك من حاجة لنهب الخيام؟

لقد كان المخيّم في صحراء مكشوفة، ولم يُنشأ ليكون دار مقام، خيامٌ تضمّ بين جنباتها أُسرة رسول الله صلى الله عليه وآله، تحضن الواحدة منهنَّ أُختها وتصبِّرها ليس إلّا، وكان ذلك معلوماً وليس بالأمر الخفي، إلّا أنّ الدناءة تصل بالبشر ليتخلّى عن كلّ قيمه ومبادئه، فيتحوّل إلى مخلوقٍ متوحشٍ، يتجاوز حدود دينه وأخلاقه وإنسانيّته.

لم يكن من حاجةٍ لنهب المخيم؛ إذ لا يضمّ رجالاً متخفّين ولا هاربين، فقد عُرِفَ عن أهل بيت الحسين عليه السلام وصحبه الشجاعة العُظمى، وليس في المخيم ذاك الكنز العظيم لينهال الجيش عليه كما لو أنَّ غنائم حرب تنتظرهم، لم يكن نهب المخيم وحرقه إلّا غياب الإنسانية في أعماق ذاك الجيش، وكان بالإمكان أن تُسجّل في صفحات التاريخ منقبة تُنبئنا بأنّ الجيش لم يقترب من المخيم، ولم يروّع النساء، إلّا أنّ الإنسانية المفقودة أضاعت أيّ فرصة، لتبدو تلك الحقبة من التاريخ أحسنَ ممّا هي عليه.

لقَد عَرفت كربلاءُ كثيراً من الصّور المأساويّة، بل هي المأساةُ في أبرزِ تجلّياتها، فقُتِل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله واحتُزَّ رأسه، وصُرِعَ أصحابه وأهلُ بيته، ولكن لا يسع البحث أن يُحيط بهذه المأساة بصورةٍ كاملة، ولا تسعها مُجلداتٌ ضَخمةٌ أيضاً.

كربلاء من غياب الإنسانية إلى التواصل الإنساني

شهدت كربلاء غياب الإنسانية في تلك اللحظة التي لم تستجب الأُمّة لنداء

---

(١) أُنظر: ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٧٧.

الحسين عليه السلام؛ كيما يخلّصها من هوانها والذلّ الذي تُكابده، فعاشت بين خائفةٍ وغير مبالية، حينها واجه المولى أعتى ظلم آنذاك، وانتهت كربلاء بغروب الشمس لتُعلِن فجيعةً عُظمى.

إلّا أنَّ اللحظة التي غيّبت الحسين عليه السلام بفعل وحشيتها، خلقت نهضةً إنسانيةً أُخرى، فقد أورق دم الحسين عليه السلام لتنتصر مبادؤه الدينية والإنسانية، وتستشعر الأُمّة فداحة تخاذلها، وعدم وعيها لأهداف الثورة الحسينية.

كانت المبادئ الدينية التي نادى بها الحسين عليه السلام تحمل في طياتها الإنسانية بأسمى معانيها؛ ذلك لأنّها التشريع الإلهي بحدّ ذاته، فليست الزكاة إلّا نوعاً من الإنسانية للتواصل مع الآخر المعدَم، وليس الأمر بالمعروف إلّا لصلاح المجتمع، فتسمو قيمه على منفعته وشهوته، وغير ذلك من الأهداف البارزة في الخطاب الحسيني.

لقد تتالت الثورات المنادية بالثأر للمولى أبي عبد الله عليه السلام، بعد أن بلغت القلوب الحناجر، فثورة التوابين، وثورة المختار، وثورة زيد الشهيد.

«**انهزم**[1] **الحسين في كربلاء، وأُصيب هو وذووه من بعده، ولكنّه ترك الدعوة التي قام بها مُلْك العباسيين والفاطميين، وتعلّل بها أُناس من الأيّوبيين والعثمانيين، واستظلّ بها الملوك والأُمراء بين العرب والفرس والهنود، ومَثُل للناس في حلّةٍ من النور تخشع لها الأبصار، وباء بالفخر الذي لا فخر مثله في تواريخ بني الإنسان، غير مستثنى منهم عربيّ ولا أعجميّ، ولا قديم ولا حديث**»[2].

---

(١) الانهزام الذي يقصده العقّاد الانهزام العسكري لا غير، فإنّه أوضح في موضع آخر من الكتاب أنّ الحسين عليه السلام انتصر؛ لأنّه استطاع أن يبقى خالداً على الدوام، واستطاعت مبادؤه أن تجد لها أرضيةً خصبةً للتحرّك الثوري، وحتى غير الملتزمين بخطّه استطاعوا أن يشكّلوا باسمه حكومات كبيرة، كالعباسيين وغيرهم.

(٢) العقاد، عباس محمود، الحسين عليه السلام أبو الشهداء: ص١٩٤.

واستمرّت الثورات ـ إلى عصرنا الحاضر ـ مستمدّة من الحسين عليه السلام ونهضته القوّة في مواجهة الاستكبار الجديد.

إلّا أنَّ السّؤال الّذي يُطرح هو: ما الدّافع الذي يجعل كثيراً من البشريّة تتعاطف مع الملحمة الحُسينيّة؟

يبحث علماء الدّين والمجتمع في مَسألةٍ مُهمّة، وهي الفطرة الإنسانيّة، فإنَّ هذه الفطرة المودعة في الإنسان تُخلَق بنحوٍ سليم صافٍ، وعلى إثرها يمكنه أنْ يتجاوب مع أيّ مسألة تناغم هذه الفطرة، فالإنسان جُبل على حُبّ الخير، وهو ما عبّر عنه القرآن: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1].

هذه الفطرة التي يمكنها أنْ تميّز الصحيح من الخطأ، وأن تتفاعل مع ما يقاربها دون عناءٍ بالغ، فإنّها تتجاوب مع المظلوم، وترفض الظلم، وترى في الكذب قُبحاً، وغير ذلك من الإدراكات البديهية، التي تنسبق إلى النفس بموجب الفطرة السليمة، وهي ذاتها التي تدفع الإنسان للبحث عن الخالق، وتصديق رسل الله تبارك وتعالى.

إلّا أنّ هذه الفطرة يمكن أن تُغطّى بحُجبٍ تُزيل صفاءها، فلا يمكن المراهنة على فطرة الإنسان حينئذٍ، بيدَ أنّ القدرة التي جعلها الله في هذه الفطرة على تجديد نفسها، والعودة بالإنسان إلى صفائه ـ وإن كان في درجات أقل ـ يمكن حينئذٍ أن تتجاوب بنحوٍ إيجابي مع قضايا الإنسانية والتشريعات والمرسلين.

إنَّ التّعاطف مع القضية الحسينيّة لا يحتاج إلّا لبعض الصفاء في الفطرة؛ لتدرك عظمة ذاك المشهد المأساوي في عرصات كربلاء، حيث الحشود البشرية التي تتكالب على خيام أُسرةٍ ضعيفةٍ قُتِل أهلوها، أو التكاثر على عدد قليل من الرجال ليقتلوهم بمنظرٍ يقرح الجفون.

---

(١) الروم: آية ٣٠.

بل إنّ مأساةً أقلّ شأناً من كربلاء يمكن أن تُثير هذه الفطرة لتستنكر الفعل الشنيع، وتقف في صف المظلوم وتُطالب بنصرته، وتحمل أعباء الدفاع عنه، ولا تحتاج الفطرة السليمة أو التي تؤوب إلى رُشدها لمثل هذه المصائب لتميل، بل إنَّ ظلماً يقع على فردٍ معيَّن يمكن أنْ يحرّك فطرة الإنسان و إنسانيّته.

من هنا؛ كان الحسّ الإنساني والفطرة السليمة للبشرية لها الدور الكبير في الاندفاع نحو القضية الحسينية، حتى أصبحت قضيةً إنسانيةً، بغضّ النظر عن الأديان والقوميات، وليس الكلام مصادرة؛ فإنّ الواقع يشهد بمثل هذا الانجذاب، فقد شهد كثيرون احتفاء الصابئة بيوم عاشوراء، وإلغاء أعياد النصارى احتراماً ليوم عاشوراء، ناهيك عن الجهد المعرفي والأدبي في عاشوراء، وهو ما سنبيّنه لاحقاً.

الفطرة الإنسانية السليمة وحدها تشدّ لذاك المنظر الشّاخص في أعماق التاريخ الحيّ على الدوام، كما تنجذب الفطرة لأيّ مظلوم، ولأيّ كلمة حقّ، فكيف لو كانت مظلومية ندر أن يشهد التاريخ مثلها؟!

إنّ غياب الإنسانية في كربلاء استحال فيما بعدُ انتقاماً للمظلومين؛ لأنّ الإنسانية لا بدّ أن تستيقظ مهما خبا نجمها، لتقف وقفة حقٍّ، كما هو الحال مع الملحمة الحسينية.

وقد أكّدت «**التجارب في المجتمعات البشرية المختلفة أيضاً أنّ جميع الناس ميّالون إلى النداء الإلهي، والصوت الثوري التحرّري، المدافع عن الحقّ والعدالة، والمنتصر للمظلومين، والثائر ضدّ الظلم والضلالة، والموافق للفطرة السليمة... فالمسار العامّ للبشرية إذن ـ على الرغم من التسلّط الصوري للمستبدّين الفاسدين ـ هو في الحقيقة حركة في خطّ النهضة الحسينية؛ إذ هو مسار في خطّ العقل والمبدأ الإلهي، والدفاع عن العدالة والحقيقة**»[1].

(١) الفرحي، علي الحسيني، النهضة الحسينية دراسة وتحليل: ص٥٧٩.

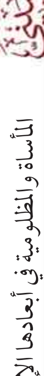
كلّ ذلك يؤكّد أنَّ ظاهرة الحسين عليه السلام لم تكن ظاهرة إسلامية فقط، وإنّما كانت نموذجاً إنسانياً تعاطفت معه كلّ القلوب الخيرة، الطامحة إلى الحرية والانعتاق، وإلى الارتقاء بكرامة الإنسان وآدميّته، ما يؤكّد كلّ ذلك التعاطف الكبير الذي حظيت به واقعة الطف، وردود الأفعال من غير المسلمين، التي شهدها المجتمع على أكثر من صعيد؛ ولذلك ركّز أهل البيت عليهم السلام في تجذير المأساة وتعميقها؛ لأنّها أقدر على جذب الأُمّة[1].

شخصية الإمام الحسين عليه السلام عاملٌ لصناعة الثورات

لقد عاشت القضيّة الحُسينيّة على مَدى قرونٍ مديدةٍ مصدرَ إشعاعٍ للعديد من ثورات وحركات العالم الإسلاميّ وغيرها، فقد كانت المبادئ التي تحملها كربلاء ذات دلالات يمكن الارتكاز عليها، والأخذ منها لعدّة أسبابٍ وقوانين رسمتها الثّورة آنذاك؛ فقد أكّدت على أنَّ الدّم أقوى من السّيف، وأنّ الإرادة الصادقة للأفراد يمكن أنْ تُحرّك مجتمعاً يعيش الانهزام، وليس المُهم أن يعيش جيلُ الثّورة نَشوةَ الانتصار الآني، بل النّصر هو ما يحقّقه الحِراك من نتائجَ مرجوّة في زمنٍ لاحق، ولا يمكن أن تكون الثّورة دونَ تضحياتٍ جَسيمة يُقدّمها أفرادٌ أو مجتمعٌ؛ بغيةَ تصحيح مسار مجتمعٍ آخر لاحق، وغير ذلك من المبادئ الأخلاقية والدينيّة لكربلاء الحسين عليه السلام.

إلّا أنَّ السّؤال الذي يمكن أن يُثار في هذا الصّدد: هل شخصية الإمام الحسين عليه السلام ومأساته الخالدة لوحدها كافية لصنع ثورات، أم أنّ كربلاء بمختلف عواملها وحيثياتها، والآلام والمآسي التي وقعت فيها، شكّلت مجموعة متكاملة؛ لتكون منطلقاً للعديد من الثورات؟

(١) أُنظر: في هذا الصدد: البخاتي، د.حاتم، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد٣، ص٥٠، سنة٢٠١٣م، مقالاً بعنوان: (النهضة الحسينية بين انتكاسة الأُمّة وإيقاظها).



بطبيعة الحال، فإنّ نجاح أيّ ثورة قائم بالقائد والعناصر الثورية الأُخرى التي تكون معه، فلا نجاح لثورة دون قيادة، ولا قوّة للقيادة دون عناصرها الثورية الباقية، وهو أمرٌ بيّن وواضح، بمختلف أنواع الثورات والقيادات، وضمن هذا المخطَّط الطبيعي، فإنّ شخصية القائد لوحده لا تكفي لأن تكون السبيل في نجاح ثورة، ومن ثمّ ليس لها قوة تأثير بمفردها على عناصرٍ أُخرى تسعى لإقامة ثورة.

إلّا أنّ فارقاً كبيراً بين الشخصيات الرسالية التي تسعى للربط بين الجنبة الإلهية والدنيوية في حراكها، وبين أُخرى تنظر للعدالة الاجتماعية في الدنيا لا غير، هنا يكون البون واسعاً بين القيادتين؛ باعتبار الأُولى تجد شرعيتها من السماء، والأُخرى لا تبحث إلّا عن عدالة أرضية، هذا التمايز يعكس تمايزاً في البُنية النفسية والاجتماعية والمعرفية لكلٍّ من الشخصين، ولا جَرَمَ أنّ القائد الرسالي قائد يمتلك الصفات التي تخوّله بذاته أن يصنع فارقاً كبيراً في التاريخ والمجتمع والرسالة، وتكون الأنظار متّجهة نحوه؛ باعتباره كياناً منفرداً يُشكّل أُمّة في ذاته وحراكه، ويكون لفرحه أثرٌ على المجتمع، وكذلك لمأساته، فإنّ له القدرة على إيجاد وصنع حراك ثوري مستمرّ، بفعل القوة الرسالية والكيان النفسي الذي يحمله بين جنبات صدره، وهو لا شكّ خطّ الأنبياء والرساليين، وقد صرّح القرآن بأمثال هؤلاء الأشخاص الذين يشكّلون بأنفسهم ثقلاً يعدل أُمّة، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[1].

وهنا يمكن إعادة السؤال مرّة أُخرى: هل تكفي شخصية المولى أبي عبد الله عليه السلام ومأساته فقط لتحريك الشعوب والثورات، أو تحتاج لضميمة كربلاء وأحداثها؛ ليشكّلا معاً عنصر إحياءٍ ثوري على مدى العصور والأجيال؟

ترتكز الإجابة عن هذا التساؤل من خلال النظر إلى شخصية المولى أبي عبد الله عليه السلام،

---

(١) النّحل: آية١٢٠.

وما تمثّله من أبعاد رسالية، مع الإيمان بأنّ ما حمله من تحرّك ضد النظام القائم، والفساد المتمثّل بالخطّ الأُموي آنذاك كان تحرّكاً رسالياً، يمتدّ عبر سلسلة طويلة، تربطه بِخُطى الأنبياء، ومدى الالتزام بشريعة السماء، «**لقد ثار الحسين عليه السلام من أجل أن يرفع الراية التي حملها رواد التّوحيد، منذ انطلاقة التّاريخ البشريّ، وتوارثها أنبياء الحقّ العظام، منذ آدم عليه السلام حتّى وصلت بيد نبي الإسلام آخر الأنبياء، ومن ثمّ بيد الإمام علي والحسن، ثار ليرفع هذا اللواء عالياً خفاقاً في تاريخ الإنسان**»[(١)].

لقد عاش الحسين عليه السلام مكرّساً حياته في سبيل هذا الهدف الإلهي، وهو حفظ الخطّ النبوي، وكان له من الثقل ما يساعد في القيام بعدة تحرّكات للكشف عن البُنية الفاسدة داخل المجتمع ومحاربتها، وكان لثورته الأثر الواضح في الحفاظ على المجتمع، وخلق القدرة داخله على النهوض أمام عوائق الخط الشيطاني، إلّا أنّ ما يجب ملاحظته أنّه لولا شخصية الحسين عليه السلام لما تحقّق النجاح الذي تحقّق معه عليه السلام، فالذات الرسالية التي يحملها خلقت من وجوده ثورةً يُخشى منها، وفي كلّ كلمة يتفوّه بها عنصر إحياء ومعارضة للمنهج الآخر.

لقد كانت شخصية الحسين عليه السلام ـ بغضّ النظر عن بقية العوامل ـ شخصية تستطيع أن تُحقّق أهدافها المنشودة؛ كلُّ ذلك لأنّها الشخصية الرسالية التي تتحمّل أعباء التكليف الإلهي بقوّة، كما تحمّلها من قبل ذلك أنبياء سبقوه، كإبراهيم عليه السلام، ويحيى عليه السلام، ومحمد صلى الله عليه وآله، وغيرهم من الأنبياء.

إنّ الشخصية الرسالية هي مَن تصنع الحدث، وهي مَن تجعله خالداً، ومن خلالها يرتفع ما يُلحق بها، ولولاها لما كان للحدث ولا لأشخاصه بروزٌ يُذكَر.

وبناءً على ذلك، فشخصية الحسين عليه السلام لها القدرة ـ دون بقية العوامل ـ في أن تكون موضع القدوة، ولها القدرة على صنع ثورات كبيرة في العالم، لقد كان الحسين عليه السلام ـ

(١) شريعتي، علي، الحسين عليه السلام وارث آدم، ترجمة: د. إبراهيم دسوقي شتا: ص٢٨٨.

بما يملكه من ثباتٍ وتحدّي ـ موضع إعجابِ كثيرٍ من الثورات في العالم؛ لأنّ شخصه يستطيع التغلغل داخل النفوس البشرية الثائرة.

الحسين عليه السلام هو مَن صنع كربلاء، ومن خلاله صار لها ذكر، ولو قُدّر أن تكون هناك ثورةٌ في كربلاء من غير الحسين عليه السلام لما كان لها هذا الشأن الذي هي عليه اليوم، وكلّ ذلك بفضل الروح السامية للمولى أبي عبد الله عليه السلام.

بطبيعة الحال، لا يمكن أن ننكر أنَّ أحداث كربلاء مجتمعةً تساهم أكبر الإسهام أيضاً في صنع ثورات تحتذي حذوها، فالظلم والمعاناة والوحشية الواضحة تُحرّك الفطرة الإنسانية لاتخاذ موقف من كل ذلك، والاستزادة من تلك الوقعة؛ لمعرفة سبل انتصار المظلوم على الظالم، إلّا أنَّ كلّ ذلك إنّما اعتمد على وجود شخصية عظيمة، تمتلك من الإيمان والإمداد السماوي ما لا تملكه شخصية أُخرى، هذه الذات المتفانية في سبيل المشروع الربّاني، إنّه المولى أبو عبد الله عليه السلام.

المأساة والمظلومية في كربلاء والأدب العالمي

لم تقف المأساة والمظلومية عند حدود الحراك الثوري، بل رافق هذا الحراك حراكٌ معرفيّ أدبيّ، فقد وجد الكثير من أُدباء العالم بمختلف قومياتهم وأديانهم في الحسين عليه السلام محوراً مهمّاً في البيئة المعرفية والأدبية، يمكن من خلالها إسماع صوت المظلوم، والمناداة بالقيم الرصينة للنهضة الحسينية.

فقد عرف الشعر والأدب منذ القرن الهجري الأول[1] محوراً هاماً وهو كربلاء وصولاً إلى الحاضر، ويمكن القول: بأنّه ما من موضوعٍ في الأدب أخذ حيّزاً واهتماماً كبيراً كما هي القضية الحسينية ومأساة كربلاء.

(١) يمكن في هذا الصدد مراجعة موسوعة أدب الطف (شعراء الحسين من القرن الأول الهجري حتى القرن الرّابع عشر)، جواد شبّر.

خلال هذا الأمد كان الشعر قد استوفى جُلَّ ما وقع على آل البيت عليهم السلام من أسى، ولم يقتصر الشعر على الفصيح منه، بل كانت كلّ ملّة تصدح بلهجتها شعراً في الحسين عليه السلام.

أمّا عالم التحليل في طيات كربلاء، فإنّه ليس بأقلّ من الشعر، فقد عرفت المكتبة الإسلامية والعالمية أسفاراً عديدة تتناول جوانب كربلاء، بدءاً من الخروج ونهايةً بالمأساة الخالدة، هذا العرض المعرفي اشتركت البشرية بمختلف أديانها في صنعه وإظهار عظمة الحسين عليه السلام من جانب، ومأساته من جانبٍ آخر، فتحرّك النصارى، والبوذ، والصابئة، ناهيك عن بقية مذاهب المسلمين، لأجل القضية الحسينية؛ لأنّها قضية إنسانية أوّلاً وأخيراً.

ولم تقف عالمية المأساة عند الشعر والمعرفة، بل سلكت مسالك أُخرى في الأدب، فراحت تصوغ أكفّ الأُدباء مسرحيات[1]، تحكي وتصوّر واقعة كربلاء.

بطبيعة الحال، لا يمكن للبحث أن يستوعب الجهد الأدبي والمعرفي المُنتج في سبيل مأساة كربلاء، إلّا أنّنا نختار بعض المقاطع الشعرية، وأُخرى مقولات في الحسين عليه السلام وثورته الخالدة.

أمّا في الشعر، فقد قال أحمد شوقي العديد من الأبيات في الحسين عليه السلام، إلّا أنّ أجملها ما يُعبرّ بها عن ظلم الأُمويين وبطشهم، وتخاذل المجتمع مع نصرة الحسين عليه السلام، فقال:

وأنت إذا ما ذكرت الحسين ... تصامت لا جاهلاً موضعه

أُحبّ الحسين ولكنّني ... لساني عليه وقلبي معه

حبست لساني عن مدحه ... حذار أُميّة أن تقطعه[2]

---

(١) يمكن في هذا الصدد مراجعة مسرحية: الحسين مسرحية تراجيدية في ثلاثة فصول، وليد فاضل، دار الغدير، ١٩٩٨م. ورواية غادة كربلاء، لجورجي زيدان.

(٢) جواد شبر، أدب الطف: ج٩، ص١٤٠.



وللشاعر (بولس سلامة) قصائد عديدة في الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، ومنها:

دمُك السمح يا حسين ضياءٌ ... في الدياجير يلهم الشعراءَ
أيُّ فضلٍ لشاعرٍ منكَ يعتا ... مُ اللآلي يصوغ منها رثاءً
شاعرٌ مقعدٌ جريحٌ مهيضٌ ... كلُّ أيامهِ غدت كربلاءً[1]

وفي هذا الصدد نذكر أبياتاً لـ(عبد الرزاق عبد الواحد) في تعظيم الحسين عليه السلام، وتخليد مظلوميته:

لقد قلتَ للنفسِ هذا طريقُكِ ... لاقي بهِ الموتَ كي تسلمي
وخُضتَ وقد ضُفِرَ الموتُ ضَفراً ... فما فيه للروحِ مِنْ مَخرمِ
وما دار حولَكَ بل أنتَ دُرْتَ ... على الموتِ في زَرَدٍ محكمِ
من الرفضِ والكبرياءِ العظيمةِ ... حتى بَصرتَ وحتى عمي
فَمسَّكَ من دونِ قصدٍ فمات ... وأبقاكَ نجماً من الأنجمِ[2]!

أمّا فيما يخصّ الدائرة العالمية فيما قيل في الإمام الحسين عليه السلام فنذكر منهم:

١ـ المستشرق إدوارد براون: وهل ثمّة قلب لا يغشاه الحزن والألم، حين يسمع حديثاً عن كربلاء؟! وحتى غير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح، التي وقعت هذه المعركة في ظلّها.

٢ـ المؤرّخ غيبون: مأساة الحسين تتغلغل في كلّ شيء، حتى تصل إلى الأساس، وهي القصص القليلة التي لا أستطيع أن أقرأها دون أن ينتابني البكاء.

٣ـ المؤرخ دوكابري: إنّ الحسين ضحّى بنفسه لصيانة شرف الإسلام، ولم يرضخ لتسلّط ونزوات يزيد، فتعالوا نتّخذه قدوةً لنتخلّص من الاستعمار، ونفضّل الموت

(١) مؤسّسة الحكمة (لندن)، علي والحسين عليهما السلام في الشعر المسيحي: ص٢٤٣.

(٢) *http://www.yahosein.com/vb/showthread.php*

الكريم على الحياة الذليلة[1].

لقد كانت مأساة الحسين عليه السلام سلاحاً تهاوت من خلاله عروشٌ كثيرة، وكان مناراً للثوّار والأُدباء وأهل العلم؛ من هنا استطاعت المأساة أن تكون لغةً إنسانية تكشف عن مظلومية عُظمى، استجابت لها الإنسانية جمعاء.

(١) السعيد، حسن، فاجعة الطّف (شهادات من الضّفة الأُخرى): ص١٠٤ ـ ١٠٥.



الشيخ إسكندر الجعفري[1]

توطئة

كيف يمكن للمظلومية المقرونة بالعزّة والإباء أن تنتصر؟ وكيف يمكن للمأساة الممزوجة بالصبر والثبات أن تكون لوناً من ألوان الغلبة والتفوّق؟ وهل يمكن أن يحدُث ذلك ضمن القوانين الطبيعية، أو أنه لا يكون إلّا من خلال المعجزة الخارقة لنواميس الكون؟

فإذا كان أمراً ممكناً في الحسابات الطبيعية ـ بحيث يمكن أن يتحقق لكلِّ مظلوم ينشد الانتصار على ظالمه ـ دَفَعَنا ذلك لدراسة المقدّمات والظروف المتكفّلة لتحقيقه؛ لأننا نحتاج إلى هذا الانتصار في كلِّ زمانٍ طالما هناك ظالمٌ ومظلومٌ، وأما إذا لم يكن ممكناً، وكان تحققه ضرباً من المعجزة، علمنا أنَّ ما صنعه الإمام الحسين عليه السلام في ملحمته التاريخية لا يمكن أن يكون إلّا له، على حدِّ تعبير الشاعر:

فيـا أيُّهـا الوتـر في الخالدين فــذَّاً إلى الآن لم يُـشــفَعِ

---

(١) باحث وكاتب إسلامي.

لأنَّ ذلك من تدبير الله تعالى لأوليائه المخلصين، حيث يهبهم الخلود مدى العصور والدهور؛ لسرٍّ لا نعرف منه إلّا ما روي عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال: «**إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً**»(١).

إنَّ الانتصار الذي حققه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ليس انتصاراً عسكرياً، فالغلبة كانت للجهاز الحاكم، حيث استُشهد الإمام وأهل بيته وأصحابه، كما هو واضح، ولكن الجميع يتفق على انتصار الحسين عليه السلام، من المسلمين وغير المسلمين، حتى سُمّيَ هذا اليوم بأسماء متعددة، من قبيل: (يوم انتصار الدم على السيف) و(يوم انتصار المظلوم على الظالم) و(يوم انتصار مشروع الأُمة على مشروع السّلطة) إلى غيرها من التسميات والتعابير التي تؤكد هذه الحقيقة.

ومن هنا يَحِقُّ لنا أن نتساءل:

إذا كان الجهاز الحاكم قد انتصر عسكرياً، وأزاح معارضه من الوجود، فكيف كان الإمام الحسين عليه السلام هو المنتصر؟

وإذا كانت الغلبة العسكرية لا تكفي لوحدها في تحقيق الانتصار فهذا يعني وجود أسباب أُخرى للنصر، فما هي هذه الأسباب؟

وهل حقاً أنَّ المظلومية المقترنة بالعزّة والإباء من تلك الأسباب؟. وهل مظلومية الإمام الحسين عليه السلام هي السبب المهم والبارز في حسم الملحمة لصالحه، على حدِّ تعبير القائد الهندي: **تعلّمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر**(٢)؟

هذه الأسئلة وغيرها سنحاول ـ إن شاء الله ـ الإجابة عنها في هذا البحث، وتسليط الأضواء بشكل كبير على عامل مهم من عوامل النصر في المعارك المصيريّة، وهو عامل المظلومية المقترنة بالعزّة والإباء.

وعليه: سيقع البحث ضمن ثلاثة محاور رئيسية:



---

(١) المحدث النوري، حسين، المستدرك: ج١٠، ص٢٣٣.

(٢) الإمام الحسين عليه السلام في الفكر الغربي، مقال منشور على شبكة الإنترنيت.



الأوّل: مفهوم النصر والانتصار في اللغة والمنظور القرآني والإنساني.

الثاني: المظلومية والانتصار.

الثالث: مظاهر العزّة والإباء في مظلومية الحسين عليه السلام.

المحور الأوّل: مفهوم النصر والانتصار في اللغة و المنظور القرآني والإنساني

إنّ مفهوم الانتصار، هو مفهوم واسع جداً، ويحتوي على شموليّة كبيرة، ولأجل هذه الشمولية والسعة اختلفت أطراف النزاع!، فقال كل طرف: إني أنا المنتصر!؛ وذلك لشمولية هذه اللفظة.

ولمّا كان لها هذا الوسع، أردنا أن نبحث في مفهومها ومعناها لغةً واصطلاحاً قرآنياً وإنسانياً. فنقول:

أوّلاً: النصر والانتصار في اللغة

إنّ الغرض من استعراض أقوال اللغويين هو الوقوف على موارد استعمالات هذه اللفظة في كلام العرب؛ للاستعانة بذلك على تفسير الآيات القرآنية المتضمّنة لها، فقد ذكر اللغويون عدّة معانٍ للفظة النصر، وهي كالآتي:

١ـ **الإعانة**: فقد جاء في كتاب العين: «**النصر: عونُ المظلومِ. وفي الحديث: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**، وتفسيره: **أن يمنعه مِن الظلم إن وجده ظالماً، وإن كان مظلوماً أعانه على ظالمه. والأنصار جماعة الناصر، وأنصار النبي صلى الله عليه وآله أعوانه**»[1].

وجاء في الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري في الفرق بين النصر والمعونة، أنَّ: «**النصر: يختص بالمعونة على الأعداء، والمعونة: عامة في كل شيء، فكل نصر معونة ولا ينعكس**»[2].

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ص١٠٨.

(٢) العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية: ص٥٤٠ (حرف النون).

إذن النصر: الإعانة على الأعداء، فيقال: أَعِن الفقير على فقره، ولا يقال: انصره على فقره؛ لأنَّ الفقر ليس عدوّاً.

٢ـ **العطاء**: قال الجوهري في الصحاح: «**والنصر: العطاء**»[١]، وفي معجم مقاييس اللغة: «**والنصر: العطاء**»[٢]، وفي أساس البلاغة: «...**ووقف السائل على قوم فقال: انصروني نصركم الله، يريد أعطوني أعطاكم الله**»[٣].

ويظهر من الزمخشري، أن استعمال النصر في العطاء مجاز، حيث قال: «**ومن المجاز أرض منصورة، و...**» ثم ذكر من جملة ذلك الكلام السابق.

٣ـ **الإتيان والإيتاء**: قال ابن فارس في مقاييس اللغة: «**نصر، النون والصاد والراء، أصل صحيح يدلّ على إتيان خير وإيتائه. ونصر الله المسلمين آتاهم الظفر على عدوهم... وأما الإتيان فالعرب تقول: نصرت بلد كذا إذا أتيته**»[٤].

٤ـ **الانتصار من الظالم (الانتصاف والانتقام والامتناع)**: قال ابن منظور في لسان العرب: «**وانتصر الرجل إذا امتنع من ظالمه، قال الأزهري: يكون الانتصار من الظالم الانتصاف والانتقام، وانتصر منه: انتقم**»[٥].

ثانياً: مادة (نصر) في القرآن الكريم

لقد استُعملت هذه اللفظة مع مشتقاتها في الكثير من الآيات الكريمة في معانٍ متعددة، والذي يهمّنا من ذلك هو الآيات التي تتعلق ببحثنا، من قبيل:

١ـ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[٦].

---

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج٢، ص٨٢٩.

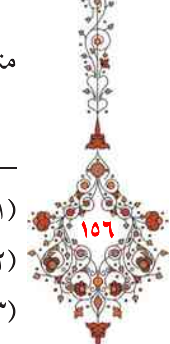
(٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٥، ص٤٣٥.

(٣) الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة: ص٩٦١.

(٤) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٥، ص٤٣٥.

(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: مادة (نصر).

(٦) غافر: آية٥١.





٢ـ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

٣ـ ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[٢].

٤ـ ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[٣].

٥ـ ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[٤]، إلى غيرها من الآيات.

إنّ هذه الآيات ـ ما عدا الأُولى ـ وإن كانت مطلقة من حيث محلّ النصر، وأنه في الدنيا، أو في الآخرة، أو في كليهما، ولكنّ الآية الأُولى؛ قد صرّحت بذلك وأنه يكون في الدنيا والآخرة حيث قالت: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ليتّضح أن المقصود في بقية الآيات الأُخرى هو ذلك.

وإذا رجعنا إلى المفردات التي وردت في هذه الآيات وجدناها تقول: (لننصر، نصر، لأغلبنَّ، المنصورون، الغالبون). إذن توجد لفظتان: هما النصر، والغلبة.

والتأمل في هذه الآيات ومفرداتها يوصلنا إلى هذه النتائج:

١ـ إنّ هذه الآيات وعدٌ الهيٌّ بالنصر والغلبة لأنبيائه وأوليائه والمؤمنين، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[٥].

٢ـ إنّها تصرّح بشمول هذا الوعد للمؤمنين، ولا تختص بالأنبياء، أو الأوصياء، كما إنها شاملة لجميع الأنبياء والمؤمنين، وليست خاصّة ببعضهم، كما هو واضح من تعابيرها.

---

(١) الروم: آية٤٧.

(٢) المجادلة: آية٢١

(٣) الصافات: آية١٧١ ـ ١٧٣.

(٤) المائدة: آية٥٦.

(٥) آل عمران: آية٩.

٣ـ إنّها لم تقيّد النصر والغلبة بنوع خاص منه، فلم تقل: إننا لننصر رسلنا والمؤمنين في معاركهم وحروبهم الميدانية، أو إنَّ حزبنا غالبٌ دائماً في الصرعات المسلّحة، كلا، إنها لم تقل ذلك، بل أطلقت النصر والغلبة، وقد تقدم في البحث اللغوي أن النصر يستعمل في المعونة على الظالم، وهو مطلق أيضاً من حيث نوع المعونة، فهو شامل لجميع أشكالها.

وحينئذ: فالنصر والغلبة له معنى وسيع يشمل كل ألوان وأشكال الإعانة والتأييد والدعم والإمداد، وإليك بعض تلك الألوان والأشكال:

أ) النصر والغلبة بالحجّة والبرهان، فإنّ الله تعالى ينصر أولياءه دائماً بتلقينهم الحجّة البالغة، فهم يغلبون خصومهم بالأدلة والبراهين: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[1]، فمن ذلك ما حصل للخليل إبراهيم عليه السلام عندما ألقم النمرودَ حجراً في فمه، فأعجزه عن الجواب، حيث قال تعالى ـ وهو يحكي قصّة المحاججة التي وقعت بينهما ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2]، وهنا يعني أنّ من صور النصر والغلبة؛ النصر بالحجة، والغلبة بالبرهان.

ب) قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾[3]، والمراد من (إحدى الحسنيين): إما الظفر والغنيمة، وإما الشهادة والجنة[4]، إذن، فالشهادة ليست هزيمة، بل هي حسنى تضاهي الغلبة والظفر، ومقتضى ذلك أن المؤمن لا يُهزم أبداً

(١) الأنعام: آية١٤٩.

(٢) البقرة: آية٢٥٨.

(٣) التوبة: آية٥٢.

(٤) الطبرسي، أبو علي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج٥، ص٧٢.

ولا يخسر، فهو في نصر دائم، سواء تغلّب على خصمه عسكرياً، أو لا، فإنَّ نصره وانتصاره في دخول الجنة والفوز برضى الله، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1]، فما تعرّض له الأنبياء والمؤمنون ـ على امتداد التاريخ ـ من الظلم والاضطهاد والقتل، ما هو إلّا شكل من أشكال النصر، وهو كذلك بحسابات الله تعالى، لا بحسابات البشر، فإنَّ البشر لا يرون الشهادة إلّا فناء، ولكنّها عند الله حياة متجددة.

ج) من ألوان النصر أيضاً إهلاك الظالمين والمناوئين لحركة الأنبياء والمصلحين، بإنزال العذاب عليهم وإبادتهم، كما حصل مع بعض الأنبياء، فهذا نوحعليه السلام دعا ربه ليُهلك قومه بعد أن يئس من هدايتهم، وبعد أن أذاقوه شتّى أنواع الظلم والأذى، وقد استجاب الله دعاءه، وانتصر له بإهلاكهم، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ * فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ * وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾[2]، ففي هذه الآيات دعا نوحعليه السلام ربه لينتصر له من أعدائه، وقد استجاب الله دعاءه فأهلكهم، إذن، من أنواع النصر إهلاك الظالمين.

د) ومن معاني النصر أيضاً انتصار الغاية وتحقق الهدف، فإنّ الصراعات التي يخوضها الأنبياء وأتباعهم مع أعدائهم هي من أجل تحقيق إرادة الله في الأرض، فإذا تحققت تلك الإرادة ولو بعد حين فقد انتصر أُولئك الأنبياء، حتى لو قُتلوا أو شُرِّدوا، فإنّ الأُمور بخواتيمها، فمن ذلك ما جاء في قصة أصحاب الكهف، حيث تعرّض المسيحيون في تلك الحقبة الزمنية إلى ظلم شديد، واضطهاد مرير، وقتل مُريع، وبسبب ذلك التجأ الفتية إلى

______

(١) آل عمران: آية١٨٥.

(٢) القمر: آية٩ـ١٦.

الكهف هروباً من بطش الجهاز الحاكم، فضرب الله على آذانهم سنين عدداً، ثم أيقظهم بعد ذلك ليُريهم ثمرات كفاحهم ونتيجة مجهودهم، وليكونوا آيةً للعالمين.

إذن، من معاني النصر انتصار الغاية والهدف وانتشار العقيدة التي يدعوا لها ذلك النبي أو ذلك المؤمن.

هذه بعض معاني النصر، وهي ـ كما ترى ـ لا تنحصر بالغلبة العسكرية والانتصار المسلّح، ولعلّ المتتبع يجد غيرها من المعاني.

نعم، يمكن أن نفسّر (النصر) الوارد في الآيات بالنصر العسكري والغلبة المادية في ساحة المعركة، ولا يتنافى ذلك مع الآيات التي تحكي تعرّض الكثير من الأنبياء والمؤمنين للقتل والظلم والاضطهاد، وذلك بأنْ نقول: يمكننا أن ننظر إلى الصراع القائم بين الحق والباطل منذ عصر آدم إلى يومنا هذا كمعركة واحدة مستمرّة، فتارةً تميل إلى هذا الجانب وأُخرى إلى ذلك الجانب، ولكنّها في نهاية المطاف ستُحسم لصالح المؤمنين للوعد الإلهي القاضي بذلك، إذ الآيات المذكورة لم تحدّد سقفاً زمنياً لهذا النصر، نعم صرّحت بأنَّ الأرض ستكون لعباد الله الصالحين: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[1]، وأنَّ الدين الحق سيحكم الأرض على رغم الكفار والمشركين، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[2].

إذن، الآيات الكريمة تتحدث عن وعدٍ إلهي يتحقق في نهاية الصراع بين الحق والباطل.

لمن تعود فائدة النصر؟

لنا أن نتساءل: لمن تعود فائدة النصر؟ ومن هو المنتفع بذلك؟

---

(١) القصص: آية٥.

(٢) التوبة: آية ٣٣.

بكل تأكيد ليس المنتفع هو الله عز وجل؛ لأنّه لا تضره المعصية، ولا تنفعه الطاعة، فإنّه الغني المطلق: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1]، ومعه لا بدَّ أن تعود إلى الناس، إلى أتباع الأنبياء والمرسلين، وبناءً على هذا يمكن أنْ نجيب عن السؤال بهذا الشكل: المنتصر هو ذلك الذي تعود الفائدة على أتباعه، وحيث إننا وجدنا أن أتباع الأنبياء والمصلحين هم المنتفعون، لسلامة الدين الواصل إليهم، عَلِمنا أنَّ أُولئك الأنبياء والمصلحين هم الذين انتصروا على أعدائهم، حتى لو كانوا قد قُتِلوا أو تعرّضوا للظلم والإهانة، فهذا الإمام الحسين عليه السلام قد تعرّض لأبشع مجزرة شهدتها الإنسانية، ولكنّه انتصر رغم ذلك؛ لانتفاع الناس بجهاده وتضحيته، فهذا هو قبره أضحى قبلة لأحرار العالم يقصدونه من كُلّ مكان ليستلهموا منه دروساً في الإباء، وليتعلّموا منه أساليب الثبات على المبدأ وعدم المساومة مهما كانت المغريات.

وهذه الحقيقة بلغت حداً من الوضوح بحيث لفتت أنظار غير المسلمين، ليقفوا عندها ويسجلوا انطباعاتهم، فهذا المستشرق الألماني (كارل بروكلمان) يقول: «**الحق إن ميتة الشهداء التي ماتها الحسين، قد عجّلت في التطوّر الديني لحزب علي، وجعلت من ضريح الحسين في كربلاء أقدس محجّة**»[2]، ويقول المستشرق الإنكليزي (د.ج. هوكار): «**دلّت صنوف الزوّار التي ترحل إلى مشهد الحسين في كربلاء والعواطف التي ما زال تؤججها في العاشر من محرم في العالم الإسلامي بأسره... كُلّ هذه المظاهر استمرت لتدلَّ على أنَّ الموت ينفع القديسين أكثر من حياتهم مجتمعةً**»[3].

ولعلّ إلى هذا المعنى يشير الإمام زين العابدين عليه السلام عندما سُئل: مَن المُنتصِر؟

(١) فاطر: آية١٥.

(٢) الإمام الحسين في الفكر الغربي، بحث منشور في الإنترنيت.

(٣) المصدر السابق.

فأجاب عليه السلام: «**إذا أذّن المؤذن تعرف من المنتصِر**»[1]، فإنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت تهدف إلى حماية الإسلام من التزييف والتحريف، فإذا تحقّق ذلك فقد انتصر الحسين عليه السلام، إذ لا هدف له وراء ذلك.

إذن، يمكن أن يكون النصر الذي تحدثت عنه الآيات الكريمة هو هذا المعنى.

ثالثاً: النصر في مفهومه الإنساني

بعد أن اتضح لنا معنى النصر في الكتاب العزيز، وأنه أعم من الغلبة المادية والنصر العسكري الآني، بقي أن نعرف معناه في مفهومه الإنساني، وهل هو بمعنى الغلبة المادية العسكرية فقط، أو يشمل ما هو أوسع من ذلك؟ وبتعبير آخر: هل يستعمل الناس لفظة النصر والانتصار في الانتصار العسكري فقط أو يستعملونه في معنى آخر من الانتصار؟ فهذا ما نريد أن نتعرّف عليه الآن، فنقول:

عند مراجعة الدراسات السياسية والفكرية والثقافية لا نجد لمفهومي (النصر، والهزيمة) معنىً واضحاً، بل نجد لهما عدّة معانٍ مختلفة، ويبدو أنَّ منشأ الاختلاف في تشخيص المعنى هو اختلاف الناس أنفسهم في تفسير النصر والهزيمة، وتباين أنظارهم في ذلك، ويمكن تلخيص الآراء بما يلي:

١ـ بعض يفهم النصر فهماً عسكرياً مجرداً، فالذي يتغلّب ميدانياً على خصمه منتصر، والمغلوب منهزم، مع قطع النظر عن الجوانب الأُخرى، كمقدار الخسائر المادية والمعنوية التي تعرّض لها المنتصر، أو النتائج التي حصل عليها فيما بعد المعركة، وما إلى ذلك من الجوانب والحيثيات التي ترافق الحروب والصراعات، فليس المهم ذلك، وإنّما المهم تحقق الغلبة العسكرية.

٢ـ وبعض آخر ينظر إلى نتائج المعركة، من حيث حجم الخسائر، والدمار الذي حلّ

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٦٧٧.

بهذا الطرف أو ذاك، فكلّما كان الطرف أكثر خسائر من الآخر فهو المهزوم، والعكس هو المنتصر، فالمدار عند هؤلاء على مقدار الخسائر، وليس المدار على التغلّب العسكري.

٣ـ وبعض ثالث يأخذ الجوانب السياسية للمعركة بعين الاعتبار، فليس المنتصر هو مَن يتغلّب عسكرياً أو يخرج بخسائر أقلّ من الآخر، وإنّما المنتصر هو مَن يحقّق مكاسب سياسية على أرض الواقع؛ لأنَّ الحرب سياسة في واقعها، فالمهم هو أن ننظر إلى ما حققه هذا الطرف من مكاسب سياسية، وما حققه ذلك الطرف، وما نوعها وتأثيرها على المدى القريب والبعيد[1].

هذه مجمل الآراء في مفهومي النصر والهزيمة، هي متباينة فيما بينها ولا تكاد تتفق على شيء، ولكن يمكن من خلال الالتفات إلى بعض الشواهد أنْ ندعم أحد هذه الآراء، وهو الرأي الثالث، وفي هذا المجال نذكر شاهدين:

الشاهد الأوّل: بعد انتهاء الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، أطلق السياسيون والمختصون والعالم بأسره عبارة (النصر) على الولايات المتحدة، وقالوا انتصرت في هذه الحرب، مع أنها لم تكن حرباً عسكرية بين الطرفين، وإنما هي حرب مشروع، وقد انتصر المشروع الأمريكي على المشروع السوفيتي، وهذا يدلل على أنّ الملحوظ في النصر المكاسب السياسية والاستراتيجية التي تضمن للطرف المنتصر الانتشار والتوسع والبقاء والديمومة.

الشاهد الثاني: وَصَفَ كثير من القادة السياسيين الإمام الحسين عليه السلام بالمنتصر، رغم خسارته العسكرية في المعركة، كما صنع ذلك الزعيم الهندي البوذي (غاندي)، حيث أطلق عبارته الشهيرة: «**تعلمت من الحسين أن أكون مظلوماً لأنتصر**» فلولم يكن الانتصار ذا مفهوم وسيع لما ساغ له إطلاقه عليه، وهكذا نجد المؤرخ الإنكليزي (توماس كارليل) يُطلق هذه اللفظة أيضاً على الإمام الحسين عليه السلام، حيث يقول: «**أسمى**

(١) أُنظر: هذه الآراء في مجلة (إيلاف) الإلكترونية، العدد: ٤٥٢٩، الثلاثاء ١٥ تشرين الأول ٢٠١٣م.

درس نتعلمه من مأساة كربلاء هو أنَّ الحسين وأنصاره كان لهم إيمان راسخ بالله، وقد أثبتوا بعملهم ذاك أنَّ التفوق العددي لا أهمية له حين المواجهة بين الحق والباطل والذي أثار دهشتي هو انتصار الحسين رغم قلّة الفئة التي كانت معه»[1].

إذن، لفظة النصر تُطلق على الطرف الذي يحقق أهدافه سواء تحقق له ذلك عسكرياً أو سياسياً.

الخلاصة: اتضح لنا من خلال ما تقدم كله أنَّ مفهوم النصر والانتصار لا يقتصر على معنى الغلبة العسكرية، بل يشمل ما هو أوسع من ذلك، ويمكن أن نختصره بكلمة هي (غلبة المشروع) فمن غلب مشروعه فهو منتصر.

المحور الثاني: المظلومية والانتصار

قد لا تكون المظلومية دائماً سبباً للانتصار؛ لأنَّ المظلوم أحياناً يساهم في صناعة الظالم، فيكون شريكه في الظلم والطغيان، وذلك عندما لا يحرّك ساكناً، ولا يبدي ردة فعلٍ تجاه ما يراه من مظاهر الظلم والاضطهاد والاعتداء والتجاوز على الحقوق الشخصية أو النوعية، فالذي يسلّم عنقه للجلّاد يساهم في قتل نفسه، ويسهّل على الجلّاد المهمّة، بينما الذي يُمانع ويُدافع يصعّب على الجلّاد المهمّة، ويجعله يفكّر بجد في كيّفية قتله.

ومن هنا؛ نجد القرآن الكريم عندما يتحدّث عن هذا الصنف من المظلومين يصفه بالظالم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ

(١) الإمام الحسين في الفكر الغربي، بحث منشور على الإنترنيت.

﴿وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾(١).

فهذه الآيات تتحدث عن المستضعفين والمستكبرين وتصفهم بالظالمين، مع أنَّ المستضعفين مغلوب على أمرهم، وقد وقعوا تحت تأثير المستكبرين، وما ذاك إلّا لأنهم كانوا يعيشون حالة الضعف والاستسلام أمام المستكبرين.

والآيات تشير إلى ظاهرة خطيرة يمكن أن تعيشها الأُمة، وهي عندما يتحوّل السكوت والضعف والاستسلام إلى ثقافة فيما بعد، بحيث يكون الخروج عن ذلك مخالفةً صارخة للمألوف والمعروف، ويكون نشازاً؛ ومن هنا نجد أنَّ الحكومة الأُموية سعت بشكل كبير إلى تأطير هذه الحالة، حالة السكوت والاستسلام التي كانت تعيشها الأُمة، بأُطر إسلامية من قبيل حرمة الخروج على الحاكم الجائر، وقد نجحت إلى حدٍّ كبير، لولا النهضة الحسينية التي قَلَبَت كلَّ الموازين، ولهذا نجد في الأحاديث الحثَّ الأكيد على مخالفة الظالمين وتسجيل موقف الإدانة والشجب، وضرورة الخروج عن صفة الاستسلام والضعف، فمن ذلك ما ورد عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله: «**أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر**»(٢)، والسلطان الجائر يشمل السلطان المسلم، والسلطان غير المسلم، ولنا أن نتساءل، كيف يكون ذلك من أفضل الجهاد؟ والجواب: إنَّ ترك السلطان الجائر يعيث في الأرض فساداً دون رادع ـ لا سيما إذا كان مسلماً ـ يشكّل خطراً كبيراً على مستقبل الإسلام، لأنه يحكم باسم الإسلام، يقتل، يضطهد، ينتهك، يشرّع، ويفعل كلَّ شيء باسم الإسلام، والناس على دين ملوكهم، فيتحول ذلك ـ تدريجياً ـ إلى جزء من الثقافة الإسلامية. وورد عن الإمام الحسينعليه السلام قوله: «**أما بعدُ فقد علمتم أنَّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قد قال في حياته: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لـحُرَم الله، ناكثاً لعهد**

(١) سبأ: آية٣١ ـ ٣٣.

(٢) الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللآلي: ج١، ص٤٣٢.



الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغيّر بقولٍ ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مُدخله»[1]، وفي هذا الحديث يشير الإمام عليه السلام إلى الحقيقة التي نتحدث عنها، وهي أنَّ المظلوم الساكت يشارك الظالم في ظلمه وجوره؛ لأنه لم يغيّر عليه بقولٍ ولا فعل، ومن ثَمَّ يتحوّل هذا المظلوم إلى ظالم، على حدِّ تعبير الآية المتقدمة.

ويمكننا ـ بعد هذا ـ أن نقول بشكل صريح: إنَّ السكوت عن جور السلطان والاستسلام له من أعظم الفتن التي تعصف بالمجتمع الإسلامي؛ لأنه لا يُري الناس إلّا ما يريد هو أن يروه، ولا يسمح لهم بالاعتقاد إلّا وفق ما يعتقد هو، قال الله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[2]. ومن هنا جاء قوله تعالى ـ وهو يتحدث عن الغاية من الجهاد، أو إحدى غاياته ـ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[3]، فليست الغاية قتل المفسدين بالضرورة، وإنّما المهم قتالهم، وعلى حدِّ تعبير أحد الباحثين: «**إنَّ الهدف الأصلي للجهاد الإسلامي ليس الانتصار على الأعداء كأشخاصٍ، بل انتصار الغايات والأهداف حتى مع بقاء أشخاص الأعداء، ويتحقق ذلك بتوجيه أفكار عموم الناس ضد هؤلاء المفسدين**»[4].

إذن، الغاية قتل الفتنة والحيلولة دون ضلال الناس وانحرافهم، وليس المهم قتل رموز الفتنة وقادتها؛ إذ بعد القضاء على الفتنة لا يبقى لأصحابها أيّ دور في إذكائها.

ومن خلال ما تقدّم كله اتضح؛ أنَّ المظلومية المهزومة لا يمكن أن تنتصر؛ لأنها تعيش روح الاستسلام والضعف والذل، وهذه المظلومية ليست محلّ كلامنا وبحثنا، لأنها لو وُضعت في إحدى كفتي الصراع بين الحق والباطل لكانت في كفة الباطل ضد

(١) المجلسي، محمد باقر، البحار: ج٤٤، ص٣٨٢.

(٢) غافر: آية٢٩.

(٣) البقرة: آية١٩٣.

(٤) الحسيني الفرحي، السيد علي، النهضة الحسينية (دراسة وتحليل): ص٢٥٢.

الحق، وفي الحديث: «**الساكت عن الحق شيطان أخرس**»[1].

وكلامنا في المظلومية الثورية التي لا تعرف الاستسلام، الداعية إلى الانتصاف من الظالم، التي لا تتجرّع الذُلّ أبداً، لأنها تعيش روح الإباء والعزّة والكرامة، تلك هي مظلومية الإمام الحسين عليه السلام التي لطالما تغنّى بها أبطال العالم الأحرار وهم يعيشون الصراع ضد الباطل، ويخوضون الحروب ضد الأعداء، والحقيقة أنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد أسس لانتصارٍ من نوعٍ فريد لم يكن ليخطر ببال؛ إذ لم يكن ليُتصوّر أن ينتصر المقتول على القاتل، أو ينهزم الحاكم الظالم الطاغي على يد ثائر لا يملك من سلاح سوى هذه الكلمة: «**والله! لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرُّ فرار العبيد**»[2]، ولكي تتضح هذه القضية لا بدَّ من تسليط الأضواء عليها أكثر.

المجتمع الإسلامي في عصر النهضة

هناك حالتان بارزتان كان يعيشهما المجتمع الإسلامي في عصر النهضة الحسينية:

الحالة الأُولى: الشعور بالمظلومية والاضطهاد والذل ومصادرة الحريات الشخصية والنوعية، وهذه الحالة كانت سائدة في المجتمع وعند الكثير من الشخصيات الإسلامية كبقايا الصحابة، حيث يشعرون بالاضطهاد الديني؛ لأنهم يعلمون مدى خطورة انحراف الحاكم ومدى تأثير ذلك وانعكاسه على الواقع الإسلامي.

الحالة الثانية: حالة الضعف والانهزام، وهي حالة سائدة وعامة أيضاً، ولها مبرراتها، ولعلّ من أبرزها أمرين:

١ـ قسوة الحكومة على معارضيها، وشدة بطشها بهم.

٢ـ الغطاء الديني المزيّف الذي كانت تتستر به الحكومة، لتبرر جرائمها، من خلال



---

(١) الحديث لا مصدر له يتصل بالمعصوم ويظهر أنه من كلام الصوفية أو العرفاء، اُنظر: النووي، الأذكار النووية: ص ٣٣٥.

(٢) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد: ج٢، ص٩٨.

وضع الأحاديث التي تخدم مصلحتها، كوضع أحاديثٍ تحرّم الخروج على الحاكم الإسلامي ولو كان جائراً، وبذلك تستطيع قمع المعارضين باسم الإسلام؛ إذ الخروج على الحاكم حرام، فيلزم على الحكومة منعه ومعاقبته لمنع الناس من ارتكاب الحرام.

والموقف مع وجود هاتين الحالتين كان يتطلب تحرّك شخصية إسلامية تتمتع بخصائص ومميزات ومؤهلات تمكنها من مواجهة هاتين الحالتين، وتغييرهما من الحالة السلبية إلى الحالة الإيجابية، ولم تكن هناك شخصية تمتلك هذه المؤهلات غير الإمام الحسين عليه السلام، إذ هو يتمتع بعدة مميزات منها:

أ) نسبه المبارك، فهو ابن فاطمة بنت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، مع ما يعلمه المسلمون من سيرة النبي صلى الله عليه وآله من اهتمامه به وبأخيه الحسن عليه السلام وتربيته لهما، وحبّه الكبير لهما.

ب) حبّ المسلمين له، وتقديرهم واحترامهم له.

ج) صحبته للرسول ومعرفته بشريعة جده.

د) نزول الآيات في فضله، وأحاديث النبي في حقه، جعلته يحتل مكانة خاصة عند عامة المسلمين. إلى غيرها من المميزات والخصائص التي كان يتمتع بها.

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى هذه الحقيقة ـ وهي امتلاكه للمؤهلات الخاصة للتغيير المطلوب ـ حيث قال في بعض كلماته: «**ومثلي لا يبايع مثله**»[1]، وقال في مناسبة أُخرى: «**وأنا أحق مَن غير**»[2]، وقال أيضاً: «**وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله**»[3]، ففي هذه الكلمات يتحدث الإمام عليه السلام عن مقامه السامي ومنزلته الرفيعة في المجتمع الإسلامي، وهذا يجعله أمام مسؤولية كبيرة، إذ هو الراعي الأوّل لشريعة جده، فيلزمه الدفاع عنها وحمايتها، وهذا الشعور الذي كان يعيشه الإمام عليه السلام «**الشعور**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٣٥.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٠٤، وفي الكامل في التاريخ: ج٤، ص٤٨ (وأنا أحق من غيري).

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

بمسؤوليته تجاه شريعة جده» كان يشعر به المسلمون عامة، فهم جميعاً ينظرون إلى الإمام الحسين عليه السلام كشخصٍ يمثّل بمواقفه الشريعة الإسلامية، وهذه الحقيقة كان يدركها الجهازُ الحاكم، فقد أوصى معاوية ولده يزيد بضرورة أخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، وقام يزيد بدوره بالتشديد على واليه في المدينة لأخذ البيعة له من الإمام الحسين عليه السلام، كلُّ ذلك لعلمهم بمكانة الإمام في قلوب المسلمين.

وهذه المؤهلات وهذه الموقعية تحتم على الإمام عليه السلام أن يتعامل مع الموقف من خلال قضيتين:

الأُولى: سلب الغطاء الديني المزيّف الذي كان الجهاز الحاكم يتستر به لتنفيذ مشاريعه.

الثانية: تغيير المظلومية السلبية التي كان يعيشها المجتمع إلى مظلومية إيجابية، وتحويلها من حالتها الانهزامية إلى الحالة الثورية.

وقد اعتمد عليه السلام في التعامل مع القضية الأُولى على أمرين:

١ـ إعلام الأُمة بالأحاديث النبوية الصحيحة الحاثّة على معارضة السلطان الجائر، والداعية إلى مخالفته، فمن ذلك خطبته الشهيرة التي قال فيها: «**أمّا بعدُ، فقد علمتم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغيّر بقولٍ ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يُدخله مُدخله، وقد علمتم أنَّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وإني أحقُّ بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله**»(١). ولم يكتفِ عليه السلام بنقل الحديث، بل طبّقه على السلّطة القائمة، وكان الإمام يهدف من التذكير بهذا الحديث وأمثاله إلى نقطتين:

* توفير الغطاء الشرعي للخروج على الحاكم الجائر، وأنَّ ذلك واجبٌ شرعيٌّ.

* تكذيب ما يبثّه الجهاز الحاكم من أحاديث موضوعة تحرّم الخروج عليه.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٨٢.

٢ـ خروجه عليه السلام بنفسه على السلطة الجائرة، ومعارضته لها بشكل علني، وهو أقوى برهان، وأدلّ دليل على مشروعية الخروج على الحاكم الجائر، إذا لم يكن أمراً واجباً.

وبما أنَّ الإمام عليه السلام كان يتمتع بمميزات ومؤهلات تقدم الحديث عنها، صار خروجه أمراً مشروعاً عند عامة الناس بما لا يدع مجالاً للشك، فاستطاع بذلك أن يسلب من الحاكم غطاءه الديني المزيّف الذي كان يتستر به لمنع الناس من الخروج عليه.

والقضاء على هذه الحالة لا يكفي بكلّ تأكيد لتحقيق الغاية؛ إذ الاعتقاد بمشروعية الخروج أو وجوبه لا يكفي لدفع الفساد والانحراف ما لم يتبعه خروج عمليّ، والخروج العمليّ يحتاج إلى تحرير الأنفس من الشعور بالضعف والاستسلام والخضوع.

ولهذا، فقد اعتمد الإمام الحسين عليه السلام في التغلّب على الحالة الثانية على المثيرات العاطفية، والمنبهات الوجدانية، وهذا الأمر يحتاج إلى حشدٍ عاطفيٍّ كبير، وملحمة مأساوية عظيمة، تشدّ الناس إليها بقوّة، وتهزّهم من أعماقهم، وتحرّك ضمائرهم نحوها.

وهذا ما صنعه الإمام الحسين عليه السلام بالفعل في نهضته المباركة، حيث صنع ملحمةً مأساوية دامية لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، راح ضحيتها ريحانة المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته وأصحابه، في أبشع صورة، وأسوأ منظر، مع تعرّض الأُسرة النبوية الكريمة للأسر والتنكيل والاحتقار.

وبهذا نستطيع أن نجيب عن الكثير من الأسئلة التي طُرِحَت وما تزال تُتناقل، من قبيل، لماذا اصطحب الإمام عليه السلام معه العائلة الكريمة، وتعريضهم للأسر والسبا؟ ولماذا لم يحشّد الإمام جيشاً كبيراً لمواجهة الحاكم، حيث كان بإمكانه الاتصال بالعديد من شيعته المنتشرين في شرق البلاد وغربها؟ ولماذا لم يغيّر مقصده بعد أن عَلِمَ بمقتل مسلم بن عقيل عليه السلام وتغيّر الأوضاع في الكوفة؟ إلى غيرها من الأسئلة التي تدور حول هذه الملابسات، والجواب عن جميع هذه الأسئلة وما كان من قبيلها قد اتضح من خلال هذه النقطة، فالإمام الحسين عليه السلام لم يكن يسعى للانتصار العسكري الآني، فلعلّ ذلك يضرّه ولا ينفعه، لأنَّ الهدف هو تفهيم الرأي العام حقيقة الأمر، ليميّز بين الحق والباطل، بين

الحق الذي يدعو له الإمام الحسين عليه السلام والباطل الذي يدعو له الجهاز الحاكم، وإذا أردنا استيضاح الأمر أكثر، نطرح هذا السؤال:

لو انتصر الإمام الحسين عليه السلام عسكرياً وقتل أعداءه واستلم مقاليد الخلافة، فما هو موقف المجتمع الإسلامي من هذا التغيير والانتصار؟ هل سيكون المجتمع بأكمله مقتنعاً تماماً بأحقية الحسين عليه السلام من يزيد؟ وهل هو مقتنع تماماً بشرعيّة الانتصار والانقلاب الذي حدث؟ وهل هو مقتنع تماماً بظلم بني أُمية وتحريفهم للدين وزيفهم؟ وهل سيسلم الإمام عليه السلام من الحركات المناهضة لحكومته؟

الجواب: كلا، لأن انكشاف الحقيقة بشكلها الكامل لم يتحقق بعدُ، ومعه ستبقى فئة من الناس لا تعتقد بشرعية الحكم القائم، وسيبقى الحاكم المهزوم أو المقتول يجد مَن يتعاطف معه طالما هناك ضبابية في الرؤية، وعدم وضوح في الحقيقة.

بينما بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في تلك المجزرة الرهيبة التي اعترف بقسوتها وبشاعتها كلُّ البشر من مسلمين وغيرهم، لم يبقَ مجالٌ للشكّ والريب في بطلان الجهاز الحاكم وعدم مشروعيته، واقتنع المجتمع بأسره بحقّانيّة خروج الحسين عليه السلام وحقّانيّة أهدافه، والدليل على ذلك الثورات التي حدثت بعد نهضة الحسين عليه السلام بفترة قصيرة جداً، حيث ثار أهل المدينة على الجهاز الحاكم، وهم يمثلون ـ وقتئذ ـ الثُّلة الباقية من الصحابة من البدريين وغيرهم، وثار ابن الزبير بمن معه من أهل مكة، والملاحظ أنَّ هاتين الثورتين لا تمثلان الخط الشيعي، وهذا يؤكد نجاح النهضة الحسينية، وقد روى الطبري في تأريخه أنَّ مصعب بن الزبير لمّا خذله أهل الكوفة وحُوصر من قِبل جيش الشام التفت إلى رجلٍ من أصحابه يُدعى عروة وقال له: أخبرني عن الحسين بن علي، كيف صنع بإبائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب؟ فأخبره.

فأنشد يقول:

وإنَّ الأُولى بالطفّ من آل هاشمٍ	تأسوا فسنّوا للكرام التأسّيا



يقول الراوي: فعلمت أنه لا يريمُ حتى يُقتل[1].

حيث تأثّر بها مَن لا ينتمي لخط أهل البيت، بل تأثر بها حتى غير المسلمين، قال المفكر المسيحي (إنطوان بارا) في كتابه القيّم (الحسين في الفكر المسيحي) في هذا الصدد: «**وليس أدلّ على ما لسحر شهادة الحسين عليه السلام من قوّة جذب للشعور الإنساني في حادثة رسول قيصر إلى يزيد حينما أخذ هذا ينكث ثغر الحسين الطاهر بالقضيب على مرأى منه، فما كان منه إلّا أن قال له مستعظماً فعلته: إنَّ عندنا في بعض الجزائر حافر حمار عيسى، ونحن نحج إليه في كلّ عام من الأقطار، ونهدي إليه النذور ونعظّمه كما تعظمون كتبكم، فأشهد أنكم على باطل**»[2].

العلاقة بين المظلومية والعاطفة

يبقى أن نعرف سرَّ التعاطف مع المظلوم الذي يطالب بحقه ولا يُعطى، بل يُمنع ويُدفع ويُقتل.

ولعلَّ السرّ في ذلك يعود إلى الفطرة؛ فإنها تقتضي الميل النفسي إليه، والتعاطف مع قضيته، فإننا نشعر بالوجدان وفي أعماقنا بالتعاطف معه، ولكنَّ التعاطف يكون أشدّ فيما لو كان المظلوم لا يطالب بحقه الشخصي، وإنّما يطالب بحقوق الأُمة، ويدافع عن مقدساتها، بل يدافع عن أثمن شيء لديها وهو كرامتها وعزتها.

إنَّ هذه هي النقطة المهمة، أي، عندما تشعر الأُمة أنَّ القتيل إنّما قُتل لدفاعه عن كرامتها المسلوبة، وحقها الضائع، عندما تشعر أنَّ هذا القتيل قد عُرضت عليه الدنيا بأسرها مقابل سكوته عن كرامة الأُمة، لكنّه رفض المساومة، ورفض الامتيازات، ورفض حياة الذل: «**إني لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[3]، إنَّ



(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٥، ص٦.

(٢) بارا، أنطوان، الحسين في الفكر المسيحي: ص٨٥.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، المناقب: ج٣، ص٢٢٤.

هذه المظلومية من شأنها أن تزيد من مشاعر الحقد والكراهية تجاه الظالم، كما أنَّ اعتزاز المظلوم بموقفه وإبائه عن التنازل من شأنه أن يبعث بمشاعر الحبّ والاحترام لشخصه في قلوب الناس ومن ثَمَّ التأسّي به والاقتداء بموقفه، وقد جُبِلَت القلوب على حبِّ مَن أحسن إليها وبُغض مَن أساء إليها.

والخلاصة: إنَّ المظلومية يمكنها أن تنتصر في صراعها مع الظالم، شريطة الاتصاف بالمظلومية الإيجابية التي ترفض أشكال الذلّ والظلم والاضطهاد، كما حدث ذلك في النهضة الحسينية، وأمّا المظلومية السلبية فلا يمكنها أن تنتصر؛ لأنها لا تعيش صراعاً مع الظالم، بل تعيش معه حالة الذل والاستسلام، والانقياد لإرادته.

المحور الثالث: مظاهر العزّة والإباء في مظلومية الحسين عليه السلام

اتسمت نهضة الإمام الحسين عليه السلام بكلِّ معاني العزة والإباء، وفي جميع جوانبها ومراحلها، سواء على مستوى الخطاب أو على مستوى المواقف.

وإذا أردنا الوقوف على بعض تلك المعاني للعزّة والإباء وجوانبها، نذكر:

مظاهر العزة والإباء في الخطاب الحسيني

كثيرة هي الخُطب والبيانات التي كان يُلقيها الإمام الحسين عليه السلام على مسامع المسلمين، وكلّها كان يتسم بطابع العزّة والإباء، واستنهاض هِمَم المسلمين للدفاع عن كرامتهم المسلوبة، وحقوقهم المغصوبة، وحرياتهم التي صادرها الجهاز الحاكم، وفيما يلي بعض النماذج:

النموذج الأوّل

قال الإمام الحسين عليه السلام في خطبة له: «**ألا وإنَّ الدعيَّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين:**



بين السِّلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأُسرة مع قلّة العدد وخذلة الناصر»[1].

إيضاح لبعض المفردات:

الدعيّ: هو المنسوب إلى غير أبيه[2]، والمقصود منه عبيد الله بن زياد.

السِّلّة: استلال السيوف عند القتال[3]، والمراد منه القتل.

أُنوف: جمع أنف. قال: رجل حمي الأنف، إذا كان أَنِفاً يأنف أن يُضام. وأنف الطعام وغيره أنفاً: كرهه[4].

أبيّة: من أبى يأبى، أي: امتنع، وأبى الشيء يأباه إباءً وإباءةً: كرهه[5].

دلالات الخطاب

١ـ إنَّ الإمامعليه السلام في هذا النص يشير إلى الخيارات المتاحة له، وهي أمران: الموت أو الذل، والمراد من الذل، التنازل عن المبادئ والقيم التي جاء بها الدين الحنيف، والخيار الثاني لا يمكن أن يختاره الإمامعليه السلام؛ لأنه يعني التنازل عن كلّ الإنجازات التي حققها الإسلام في صراعه ضد الكفر، وهذا ما عبّر عنه الإمام بقوله: «**وهيهات منّا الذلّة**»، أي أنَّ الخيار الثاني لا يمكن أن يصدر منيّ، وأنا الراعي الأساسي للشريعة، والمسؤول عن حفظها ورعايتها، «**يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون**»، فالله سبحانه يأبى لي هذا الاستسلام ويأباه لي رسولهصلى الله عليه وآله والمؤمنون، وهو يشير في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ



(١) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٥٩.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: مادة (دعا).

(٣) المصدر السابق: مادة (سلل).

(٤) المصدر السابق: مادة (أنف).

(٥) المصدر السابق: مادة (أبى).

﴿ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، وجاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عقّب على هذه الآية، قائلاً: «**إنَّ الله فوّض للمؤمن أمره كلّه، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً**»[2].

٢ـ إنَّ هذا النص يفيد أنَّ الصراع الذي يخوضه الإمام عليه السلام مع الجهاز الحاكم، ليس صراعاً شخصياً، وتصفية حسابات بين البيت العلوي والبيت الأُموي، كلا، ليس الأمر كذلك، وإنما هو صراع بين الحق والباطل، والشاهد على ذلك قوله: «**يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون**»؛ إذ لو كان الصراع شخصياً، ولا يمثل موقف الإسلام، لم يكن معنىً لأن يأبى الله ذلك ورسوله، فإنه سبحانه إنما يأبى الباطل ويرفضه، وهكذا رسوله، ومعه يكون موقف الإمام عليه السلام هو موقف الإسلام وعزّته وأيّ تنازل أو استسلام يعني ذلة الإسلام وتنازله، وهو ما لا يمكن أن يحدث.

٣ـ ثم يشير الإمام عليه السلام في آخر كلامه إلى أنَّ الصراع عندما يكون بين الحقّ والباطل فهو لا يحتاج إلى تكافؤ عسكري، عدة وعدد؛ لأنَّ الصراع من هذا النوع لا يهدف إلى الحسم العسكري، وإنّما يهدف إلى تسجيل موقف، وكشف حقيقة، وأحياناً يتطلب موقف من هذا النوع إلى زيادة في التضحية، كما حدث ذلك مع الإمام عليه السلام حيث تطلب الموقف أن يضحي بكلّ شيء؛ لأنَّ انكشاف الباطل كان يتوقف على زيادة في المأساة والمظلومية، فلهذا زحف الإمام بأُسرته وعائلته الكريمة وهي أعزّ ما يملك:

تركت الخلق طُراً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني بالحبّ إرباً لما مال الفؤاد إلى سواكا

النموذج الثاني

تمثّل الإمام الحسين عليه السلام في أثناء المعركة بهذه الأبيات:

---

(١) المنافقون: آية٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٤، ص٧٢.



فإن نَهزم فهزّامون قدماً	وإن نُهزم فغير مُهزّمينا
وما أن شابنا جبن ولكن	منـايانا ودولـة آخرينا

دلالات الأبيات

١ـ النصر والهزيمة في المعارك على نحوين، نصر وهزيمة في المعارك العسكرية، ونصر وهزيمة في المعارك الحضارية، وأحياناً يجتمعان في معركة واحدة، كما حدث في واقعة كربلاء، فالجيش الأُموي كان يطلب نصراً عسكرياً، من خلال تصفية الإمام والثلّة القليلة التي معه جسدياً، بينما الإمام كان ينظر إلى المعركة من جهة ثانية، فهي تمثّل له صراعاً حضارياً بين مشروعين، بين مشروع الإسلام الأصيل المتمثل بالحسين عليه السلام وبين مشروع الإسلام المزيّف المتمثّل بالجهاز القائم، والنصر والهزيمة بلحاظ النحو الأوّل من الصراع يتحقق بالغلبة العسكرية، بينما ذلك لا يتحقق في النحو الثاني من الصراع، إلّا بتنازل أحد الطرفين عن مشروعه، ومبادئه، وأهدافه، وإلّا سيبقى الصراع قائماً حتى مع القضاء على أصحاب المشروع؛ لأنَّ المشروع يبقى ببقاء مبادئه، وهذا ما حصل في واقعة الطف، فإنَّ الإمام عليه السلام وأصحابه لم يتنازلوا عن الأهداف والمبادئ التي خرجوا لأجلها حتى النفس الأخير، وهذا ما يشير له الإمام في عجز البيت الأوّل، إذ الهزيمة التي يمكن أن يتعرّض لها الحسين عليه السلام في هذه المعركة هي هزيمة عسكرية فقط، وأما الهزيمة الحضارية، هزيمة المبادئ والقيم والأهداف فلا يمكن أن تتحقق للجهاز الحاكم؛ لأن الإمام لا يمكن أن يتنازل عن مبادئه بأيّ شكل من الأشكال[1].

٢ـ من خلال التمثل في البيت الثاني يحاول الإمام عليه السلام تعليل الانتصار العسكري المُتَوقّع للجهاز الحاكم، بأنَّ ذلك ليس لجُبنٍ أصابنا أو ضعفٍ في التخطيط والحسابات، أو لشجاعةٍ في جيش العدو. كلا، ليس الأمر كذلك، بل ذلك لسُنّةٍ إلهيّة، وقانونٍ

---

(١) استفدت هذا المضمون من بحث لسماحة الشيخ الآصفي (حفظه الله) تحت عنوان (الشعائر والشعائر الحسينية)، نُشر في (مختارات من المحاضرات الحسينية): ج٢، ص٣٣٦، وما بعدها.

سماويٌّ لا يمكن الحياد عنه، وهو سُنّة (تداول الأيام) قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[1]، وهذه السُّنّة تدخل ضمن أشكال الابتلاء والامتحان الذي يتعرّض له عباد الله الصالحين، فمقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته يقع في ضمن هذه السُّنّة، وقد أشارت عقيلة الطالبيين عليها السلام إلى ذلك في جوابها للطاغية عبيد الله بن زياد عندما قال لها متشفّياً: كيف رأيتِ فعل الله بأهل بيتك؟ قالت عليها السلام: «**ما رأيت إلّا جميلاً. هؤلاء قوم كُتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجّ وتُخاصم**»[2].

إذن، يشير الإمام عليه السلام في البيت الثاني إلى تعليل الهزيمة العسكرية التي سيتعرّض لها بأنها سُنّة إلهيّة ومشيئة ربانيّة، ولكنَّ ذلك ليس مهمّاً بعد أن كان الهدف هو انتصار المبادئ والقيم، وقد تحقق ذلك.

النموذج الثالث

قال الإمام الحسين عليه السلام في جوابه لمن عَرَض عليه النزول على حكم يزيد: «**لا والله! لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرُّ فِرار العبيد**»[3].

دلالة الخطاب

في هذا الخطاب يشير الإمام إلى قضية في غاية الأهمية؛ وهي قضية المعارضة السلبية الانهزامية التي يرفض صاحبها الإذعان للجهاز الحاكم، ولكنّه في نفس الوقت يفرُّ

(١) آل عمران: آية١٣٩ـ١٤٠.

(٢) المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٤٠٤.

(٣) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد: ج٢، ص٩٨.



من المواجهة، ويعيش مختبئاً في جبلٍ أو كهفٍ بعيداً عن ساحة الصراع، وبعيداً عن أنظار السلطة، حاله في ذلك حال العبد الآبق الذي يفرّ من مولاه، وقد عُرِض ذلك على الإمام الحسينعليه السلام لّما عزم على الخروج على السّلطة، عندما كان في المدينة، ولكنَّ أصحاب هذا المقترح غفلوا عن شيء مهم وهو ما يتحدّث عنه الإمام في هذا الخطاب، وهو أنَّ هذا الخيار لا يختلف عن خيار الاستسلام، والتنازل عن المبادئ؛ ولذا فقد عطفعليه السلام الفرار على الاستسلام، لأنّهما من وادٍ واحد؛ لأنَّ الفرار ليس موقفاً، بل هو عدم موقف، وهروب من تحمّل المسؤولية.

النموذج الرابع

قال الإمام الحسينعليه السلام مخاطباً أصحابه: «**أَلا ترون الحق لا يُعمَل به، والباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[1].

والبَرَم، بالتحريك: مصدر بَرِم بالأمر، بالكسر، بَرَماً إذا سَئِمه، فهو بَرِم ضَجِر، وقد أبرمه فلان إبراماً، أي: أملَّه وأضجره.[2]

ومقتضى التقابل بين السعادة والبرم، أن يكون المراد من البَرَم الشقاء والسآمة والضجر.

دلالة الخطاب

يشير الإمامعليه السلام في هذا الخطاب إلى مفهوم الحياة عند المؤمن، وأنها تختلف عن مفهومها عند غيره، فالحياة عند غير المؤمن عبارة عن شهوات ولذائذ ورغبات وأهواء، دون أي هدف أو غاية، وإنّما الغاية أن يعيش في هذه الحياة فترة بقائه متنعّماً يحصل على كلّ ما يطلبه من شهوة ولذّة، بينما الحياة عند المؤمن عبارة عن (إحقاق حق وإبطال

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٤.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: مادة (برم).



باطل) لأنَّ المؤمن يؤمن بأنه خليفة الله في الأرض، فهو مسؤول عن تنفيذ إرادته فيها، وهي متمثّلة بإقامة العدل، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1]، فالهدف من إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية، تحقيق العدل بين الناس، وقال عزوجل: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2]، وفي هذه الآية يتحدث القرآن الكريم عن وظيفة خليفة الله في الأرض، وهي أمران؛ الأوّل: العمل بالحق، والثاني: اجتناب الهوى، ومعنى ذلك أنَّ إرادة الله تعالى تتمثل بذلك.

وبناءً على هذا، لو كانت الحياة لا تسمح للمؤمن بأداء هذه الوظيفة التي خُلق لأجلها، فلاشكّ في أنها ستكون سآمةً وشقاءً، ومعه يرجح موت الشهداء على حياة الأشقياء؛ لأنَّ الالتحاق بقوافل الشهداء ـ والحال هذه ـ يمثّل راحةً من هذه الشقاوة والتعاسة، فيكون الانتقال من هذا الشقاء إلى العالم الآخر هو السعادة بعينها، وقد أشار سيد الشهداء إلى هذا المعنى في مضمون آخر، حيث أنشأ قائلاً:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وخالف مجرما

فإن عشتُ لم أندم وإن متُّ لم ... أُلم كفى بك ذلاً أن تعيش وتُرغما[3]

مظاهر العزّة والإباء في مواقف الحسين عليه السلام

كما إنَّ الخطاب الحسيني قد اتسم بطابع العزّة والإباء، وقد تقدمت منه بعض النماذج، كذلك المواقف الحسينية قد اتّسمت بطابع العزّة والإباء أيضاً، وفيما يلي نعرض نموذجاً واحداً:

(١) الحديد: آية٢٥.

(٢) ص: آية٢٦.

(٣) المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢١٦.

من ذلك موقفه من الثوب الذي طلبه عليه السلام ليرتديه تحتَ ثيابه لئلا يُجرّد منها، حيث طلب ثوباً لا يرغب فيه أحد، فأتوه بتُبّانٍ، لكنه رفضه، وعلل ذلك بأنه من لباس الذلة[1].

والتُبّان، بالضم والتشديد: سراويل صغيرة مقدار شبر، يستر العورة المغلَّظة فقط، يكون للملّاحين[2].

ثياب العزّة

أتُراه أمراً طبيعياً أن يفكر الإنسان وهو في لحظاته الأخيرة بعد أن فقد أصحابه وأهل بيته، في ثيابه التي ينبغي أن يموت فيها؟!

كلّا، ليس أمراً طبيعياً، بل ذلك شيء يفوق قدرات الإنسان العادي الذهنية والنفسية، بل لا يمكن أن يكون ذلك إلّا للحسين عليه السلام (بطل العزّة والكرامة)؛ لأنَّ مشيئة السماء قد اختارته ليكون سفيرها في تعليم الناس، معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3]، فقد جسّد الحسين عليه السلام العزة الإلهية في كربلاء أيُّما تجسيد، فكان عزيزاً في تفكيره، وعزيزاً في طموحه، وعزيزاً في أهدافه، وعزيزاً في خطابه، وعزيزاً في كل شيء، وأراد أن يكون عزيزاً في ملابسه أيضاً؛ حتى لا يجد فيه أعداؤه نقطة ضعف أو ذلة، ولتبقى ثيابه المضرّجة بالدماء الطاهرة الزكية وشاحاً يرتديه كلّ المظلومين في العالم وهم يخوضون صراعاً مع الظالمين، لتحقيق العدالة والحرية التي سينعم في ظلها العالم بالخير والبركة.

(١) المصدر السابق: ص٣٣٠.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: مادة (تبن).

(٣) المنافقون: آية٨.

التوظيف العقدي والديني لمأساة كربلاء في تراث المعصومين عليهم السلام

الشيخ صباح عباس الساعدي[1]

تمهيد

حينما يستشرف القارئ والمتتبع على كتب السير والتأريخ في العصور المتقدمة ـ بل والكتب الدينية كذلك وفي رأس قائمتها القرآن الكريم ـ بإمعان يخرج بإحصائية دقيقة ولائحة كبيرة من الحوادث المروّعة والوقائع المؤلمة التي وقعت بين بني البشر على مختلف ألوانهم وأصنافهم، وقد يتّسم بعضها بأن تكون الجناية فيها عظيمة وبشعة، يتفنّن مرتكبوها بالطُّرق الإجرامية التي يُمارسونها مع أبناء نوعهم من البشر، مضافاً إليها أن الضحيّة والشخص المجني عليه قد تجرأوا عليه ظلماً وعدواناً، ومن دون أن يكون له أيُّ ذنب اقترفه، وبخلافها في موارد أُخرى؛ إذ لم تكن الحادثة وعملية إزهاق الأرواح فيها إلّا جزاءً عادلاً للشخص المقتول، ونتيجةَ فعلٍ ارتكبه.

وأوّل حادثة تُطالعنا هي حادثة مقتل هابيل ـ نجل النبي آدم عليه السلام ـ على يد أخيه قابيل، في قصة يسردها لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ

---

(١) مدير تحرير مجلة الإصلاح الحسيني.

﴿...ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ * لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[1]، وهكذا وقعت أوّل جريمة نتيجة الحقد الذي حمله قابيل تجاه أخيه. وقد توالت الوقائع التاريخية المؤلمة في عالم الدنيا بعد هذه الحادثة.

ولا شك في أنَّ كلّ واقعة وحادثة من هذا القبيل يبقى أثرها عالقاً في الأذهان، وخصوصاً لدى أولياء المقتول وذويه؛ مما يحدو بهم إلى بثّها والترويج لها، والحفاظ عليها في ذاكرة التأريخ وعِبر الأجيال اللّاحقة.

إلّا أنَّ النقطة المهمّة في هذه المسألة هو توظيفها من قِبَل بعض أولياء المقتول، والاستفادة منها لأجل الحصول على بعض المآرب والأهداف التي يبتغيها هؤلاء الأشخاص.

وهذا التوظيف ـ الذي نريد أن نُسلّط الضوء عليه في بحثنا ـ قد يكون في بعض الأحيان ذريعةً للمغرضين وأصحاب الأهواء للوصول إلى غايات شيطانية، من خلال إبداء التظلّم لشخص من الناس، وإن لم يكن مظلوماً، بل كان القتل جزاءه العادل، فقد تذرّع بنو أُمية بمقتل عثمان بن عفان الذي قتله المسلمون المنتفضون عليه في قصر الخلافة جرَّاء أعماله الباطلة؛ فنال جزاءه العادل على أيدي ثلّة من المسلمين يتقدمهم مجموعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا أن معاوية ـ المتخاذل عن نصرته[2] ـ وأذنابه من الحزب الأُموي وظّفوا هذه الحادثة توظيفاً باطلاً؛ بغية الحصول على السّلطة وتغيير مسار الخلافة الحقّة التي عادت إلى أهلها ـ بعد ضياعٍ تجاوز العقدين ـ وتحويلها إلى مُلْكٍ عَضوض.

بل إنّ هناك صنفاً آخر من المنتهزين النفعيين وظَّف بعض الوقائع ـ التي تسالم

(١) المائدة: آية٢٧ـ ٣٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص١٦. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج١٦، ص١٤٥. واُنظر: العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم: ج١٨، ص٣٢٣.

المسلمون على أن أصحابها الذين راحوا ضحيتها قد ظُلموا أيّما ظلم ـ توظيفاً ظاهره التعاطف والانكسار مع صاحب المصاب، إلّا أن واقع الحال يُبيِّن لنا خلاف ذلك، بل كان الغرض من ورائها الحصول على مصالحهم الدنيوية، من باب كلمة حقّ أُريد بها باطل، وهذا ما تمثّل في العباسيين الذين خرجوا لتغيير السّلطة الأُموية وسحب البساط من تحتهم؛ متذرّعين بالثأر للمظلوم الشهيد في أرض كربلاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام ـ الذي اعترف بمظلوميته كافة شرائح المجتمع إلّا مَن شذَّ منهم ـ رافعين شعار (الرضا لآل محمد)[1]، غير أنَّ الزمان كشف حقيقتهم للمسلمين وأظهر الغايات المبطّنة والنوايا الخبيثة التي كان يحملها هؤلاء القوم.

وفي قبال ذلك كلّه يوجد خط مغاير لكلا النموذجين المتقدمين، سِمَتهُ البارزة وعلامته الشاخصة هي سلوك الطُّرق الواضحة والحقيقية من جهة، وتوظيفها والاستفادة منها لأجل إرجاع الحق لأهله والانتصار للمظلوم الذي هُظِم حقه وأُخذ منه، أو سُفِك دمه ظلماً وعدواناً من جهة أُخرى. وكان روّاد هذا الخط والمنهج الحقّ هُمْ أهل البيت عليهم السلام؛ إذ إنه عُرف عنهم توظيفهم للحوادث الحقّة وابتعادهم عن التشبث بالباطل، واستخدامهم لهذه الوقائع الحقّة لغرض هداية الناس.

ومن أبرز وأوضح أمثلة هذا الكلام هو الاستفادة من المأساة والمظلومية التي وقعت في كربلاء، وتوظيفهم عليهم السلام لها توظيفاً يصبُّ في الصالح الديني والتركيز عليه تركيزاً عقدياً ودينياً.

الوجهة الفقهية لإبداء التظلُّم

يُعتبر إبداء التظلّم والترويج لبيان المظلومية من المفاهيم التي تعارف عليها الناس

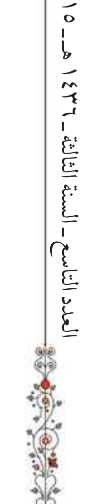
(١) أُنظر: الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٣٦٧. واليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٣٤٩.

فيما بينهم؛ فلا تجد مَن يستنكر على مظلوم فيما لو أراد بيان مظلوميته أمام الآخرين، بل قد أجاز الشرع المقدّس للفرد المسلم إبداء تظلمه وذكر الوقائع التي جرت عليه، وإن استلزم من ذلك ذِكْر ما يُعتبر انتقاصاً من الظالم، بل عُدَّ هذا النمط من الكلام من الموارد المستثناة من الغيبة، فلا يأثم المظلوم بذلك[1].

توظيف المظلومية منهج قرآني

يُعدُّ توظيف المظلومية وإبداؤها للأجيال المتأخرة من المناهج التي اعتمدها القرآن الكريم في آيات كثيرة؛ من أجل الحصول على نتائج مهمّة في سبيل هداية الإنسان، لعل من أهمها بيان أن المنتصر للمظلوم هو الله‎، ومن النماذج البارزة لهذه الآيات الكريمة هي:

١ـ ما ورد في سورة القمر، عند قوله‎: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[2]، حكاية عن النبي نوح؛ إذ إنه‎ بعد أن قاسى من قومه العذاب النفسي، وبعد أن قرّروا أن يرجموه فيما لو بقي على معتقده ولم يتراجع عن ذلك[3]، دعا الله‎ أن ينتصر له وينصره؛ وقد انتصر له الله تعالى من هؤلاء القوم، وانتقم منهم شرَّ انتقام، كما بيّنت ذلك الآيات التي ذكرت في هذا السياق.



---

(١) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة: ج١، ص٥٣٣. وقد صدَّر كلامه بقوله: «أقول: ذكر الشيعة والسنّة من مستثنيات حرمة الغيبة تظلُّم المظلوم، وإظهار ما أصابه من الظالم، وإن كان متستراً في ظلمه إياه، كما إذا ضربه أو شتمه أو أخذ ماله أو هجم على داره في مكان لا يراهما أحد، أو لا يراهما مَن يتظلم إليه؛ فإنّه يجوز للمظلوم أن يتظلم بها إلى الناس».

(٢) القمر: آية ٩ـ١٠.

(٣) جاء في بعض التفاسير أن معنى قوله‎: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ هو أنهم أرادوا زجره بشتّى الأساليب القاسية والمروعة؛ فقد ذكر القمي‎ في تفسيره في معنى قوله: ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾. «أي: آذوه وأرادوا رجمه». القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج٢، ص٣٤١. وأُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع: ج٣، ص٤٦٤.

٢ـ قوله ﷻ في سورة هود، ناعياً ناقة النبي صالح عليه السلام والمأساة التي مرّ بها هذا النبي، من تمرّد قومه وتجرئ على معجزته التي جاء بها، فيقول: ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ * فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ * فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ * وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾[1]. وقد ضمّ الله تعالى في سورة الشمس ـ إلى جانب مظلومية عَقْرِ الناقة التي جاء بها النبي معجزة ودليلاً على صدق نبوته ـ مظلومية أُخرى، وهي مظلومية تكذيب النبي والمسّ بكرامته متهمينه بالكذب والافتراء، كما في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا﴾[2]. والملفت للنظر في هذه الحادثة أن الله ﷻ انتقم منهم شرّ انتقام؛ إذ أصبحوا في ديارهم جاثمين.

٣ـ قوله ﷻ في تصوير المأساة التي مرّ بها النبي هارون عليه السلام، عندما خلَّفه أخوه النبي موسى عليه السلام مع قومه وذهب إلى ميقات ربه، وحصل خرق الدستور الإلهي من قِبَل السامري وقومه؛ فقال لأخيه ـ حين عاتبه على ما جرى ـ: ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، مستعرضاً في ذلك المأساة والمظلومية التي وقعت عليه جرّاء الاعتداء الذي مارسته هذه الفئة الضالّة عن الحق؛ إذ إنهم مضافاً إلى مصادرة جهوده ـ بصفته نبي تحمَّل المشاق والمصاعب من أجل خلاص بني إسرائيل ـ وحرف الناس عن المسار الحق استغلوا انفراده عن أخيه واستضعفوه في تلك الفرصة التي انتهزها عدو الله السامري وشارفوا على التمكّن من قتله.

(١) هود: آية ٦٤ـ٦٧.

(٢) الشمس: آية ١٤.

(٣) الأعراف: آية ١٥٠.

٤ـ بعض الآيات في سورة التكوير يصوّر الباري عزّ وجلّ من خلالها المظلومية التي وقعت على النفس البريئة ـ على جميع الاحتمالات في المعنى المراد منها ـ التي وأدها أعداء الإنسانية، ومن دون أيّ ذنب أو جناية ارتكبتها، فاستعرض هذه المظلومية أيّما استعراض، ووظّفها على أتمّ وجه من أجل أن يحرّك الرأي العام ضد هذا التيار العدواني في الدنيا قبل الآخرة، بقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[1]، إلى غير ذلك من الآيات التي تمّ من خلالها توظيف المظلومية والمأساة التي مرّت على بعض الأولياء والصالحين.

الجنبة العقدية والدينية في توظيف مظلومية ومأساة كربلاء

لا يحقّ لنا أن نعتقد بأن أحداً من الأئمة كان يتظاهر أمام الناس بالحزن والتعاطف مع واقعة كربلاء بمظهر وتعاطف لا واقع له، وليس لأحد منّا أن ينكر ما لحادثة الطف الدامية من وقع وأثر في نفوس المعصومين عليهم السلام؛ فما ينعكس على تصرّفاتهم وأقوالهم حين تذكُّرهم لما جرى ـ بل ما سيجري ـ على السبط الشهيد الإمام الحسين عليه السلام ما هو إلّا فعل متوقع ونتيجة طبيعية تصدر من ذوي المجني عليه، بل إن النفس التي يحملها المعصوم عليه السلام تجعل منه أشد الناس تأثُّراً لتذكر أيّ حادثة مؤلمة راح ضحيتها الأبرياء من الناس، فضلاً عن كون المجني عليه في هذه الحادثة هو ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وخامس أصحاب الكساء والبقية الباقية منهم.

إلّا أنهم عليهم السلام بصفتهم منصَّبون من قِبَل الله عزّ وجلّ لهداية البشر فلا يُعاب عليهم فيما لو اعتمدوا طريقة الاستفادة من هذه المظلومية والمأساة المؤلمة، وتوظيفها للأغراض العقدية والدينية، بما أنها منهج اعتمده القرآن لبيان بعض المسائل المهمة التي تصبُّ في صالح البشر وهدايتهم.

---

(١) التكوير: آية٨ـ٩.

العدد التاسع ـ السنة الثالثة ـ ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م

الإصلاح الحسيني

وليس الغرض من بحثنا هذا أن ندوّن جميع المسائل العقدية والدينية التي وظّف لها أهل البيت عليهم السلام مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، وإنّما نكتفي بذكر بعض العيّنات من ذلك، تاركين الطريق سالكاً أمام الباحثين بعد رسم خارطة الطريق في المقام، وإعطاء الخطوط العريضة للموضوع، ومن جملة هذه الأُمور هي:

الأوّل: التركيز على أن أعداء الإمام الحسين عليه السلام هم أعداء الله

تدخل تحت لائحة هذا العنوان مجموعة من نصوص التراث الديني التي وردت في خصوص مأساة واقعة الطف، التي كسر أهل البيت عليهم السلام من خلالها الطوق الخرافي الذي بناه علماء السوء ـ من أتباع السّلطة الحاكمة ـ الذين رفعوا لافتةً عنوانها: (عدم السماح للناس بالحكم على أيّ أحد من المسلمين بالكفر بمجرد أن يظهر الإسلام وإن جاء بما يوجب الكفر والإلحاد)؛ كلّ ذلك من أجل منح الحصانة لأزلامهم العتاة المردة الذين كانوا يرتكبون الموبقات والآثام، فتبلور من ذلك عقيدة الإرجاء، إلّا أن النصوص الصادرة عنهم عليهم السلام في هذا الخصوص ـ بداية من الفترة النبويّة ونهاية بخطابات الإمام الحجة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ أبطلت هذه الفكرة من خلال الحكم على هذه الفئة الضالّة التي ارتكبت مجزرة كربلاء بهذه الكيفية البشعة، بل كلّ مَن اصطف معهم ورضي بفعالهم الشنيعة، ومن جملة النصوص البارزة لهذا العنوان هي:

١ـ ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات، قال رحمه الله: حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمان الأصم، عن مسمع بن عبد الملك، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**كان الحسين عليه السلام مع أُمّه تحمله، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لعن الله قاتليك، ولعن الله سالبيك، وأهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين مَن أعان عليك. فقالت فاطمة: يا أبه، أيّ شيء تقول؟ قال: يا بنتاه، ذكرت ما يُصيبه بعدي وبعدك**

من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عُصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم. فقالت: يا أبه، وأين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: موضع يُقال له: كربلاء، وهي ذات كرب وبلاء علينا وعلى الأُمة، يخرج عليهم شرار أُمتي، ولو أن أحدهم شفع له مَن في السماوات والأرضين ما شُفّعوا فيهم، وهم المخلدون في النار. قالت: يا أبه، فيُقتل؟ قال: نعم يا بنتاه، وما قُتِل قتلته أحد كان قبله، وتبكيه السماوات والأرضون والملائكة والوحش والحيتان في البحار والجبال، لو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفّس»[1].

٢ـ ورد في نص آخر عن الإمام زين العابدين عليه السلام، ترويه له أسماء بنت عميس حول ولادة الإمام الحسين عليه السلام فتقول: «هلمّي ابني يا أسماء؟ فدفعته إليه في خرقة بيضاء، ففعل به كما فعل بالحسن عليه السلام، قالت: وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: إنه سيكون لك حديث، اللّهمَّ العن قاتله، لا تُعلمي فاطمة بذلك... فلما كان يوم سابعه جاءني النبي صلى الله عليه وآله فقال: هلمي ابني. فأتيته به، ففعل به كما فعل بالحسن... ثم وضعه في حجره، ثم قال: يا أبا عبد الله، عزيز عليّ. ثم بكى، فقلت: بأبي أنت وأُمي فعلت في هذا اليوم وفي اليوم الأوّل فما هو؟ قال: أبكي على ابني هذا تقتله فئة باغية كافرة من بني أُمية لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم، ثم قال: اللّهمّ [و] إني أسألك فيهما ما سألك إبراهيم عليه السلام في ذريته، اللّهمّ أحبهما وأحِبّ مَن يحبهما، والعن مَن يُبغضهما ملء السماوات والأرض»[2].

٣ـ ومن أوضح النصوص التي أطَّرت لهذه الفكرة هي مجموعة من الزيارات التي تُقرأ عند زيارة الإمام الحسين عليه السلام وهي كثيرة جداً، منها:

أ) ما ورد في مناسبات مختلفة وفي نصوص كثيرة، كزيارة عرفة وعاشوراء وزيارة

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٤٥.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٣٦٨.

وارث أيضاً: «**لَعَنَ الله أُمَّةً قَتَلَتْكَ، ولَعَنَ الله أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، ولَعَنَ الله أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِه**»[1].

ب) «**لُعِنَتْ أُمَّةٌ قَتَلَتْكُمْ وأُمَّةٌ خَالَفَتْكُمْ وأُمَّةٌ جَحَدَتْ وِلايَتَكُمْ وأُمَّةٌ ظَاهَرَتْ عَلَيْكُمْ وأُمَّةٌ شَهِدَتْ ولَمْ تُسْتَشْهَدْ، الحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ النَّارَ مَأْوَاهُمْ وبِئْسَ وِرْدُ الوَارِدِينَ وبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ**»[2].

ج) وقد ورد في زيارة أُخرى: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ المُنْكَرِ، وَجاهَدْتَ المُلْحِدِينَ، وَعَبَدْتَ الله حَتّى أَتاكَ اليَقِينُ، السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ**»[3].

د) وقد روى ابن قولويه﵀ زيارة أُخرى فقال: حدثني أبي ومحمد بن عبد الله، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن عبد الله بن محمد بن خالد الطيالسي، عن الحسن بن علي، عن أبيه، عن فضيل بن عثمان الصايغ، عن معاوية بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله﵇: «**ما أقول إذا أتيت قبر الحسين﵇؟ قال: قل: السلام عليك يا أبا عبد الله، صلى الله عليك يا أبا عبد الله، رحمك الله يا أبا عبد الله، لعن الله مَن قتلك، ولعن الله مَن شرك في دمك، ولعن الله مَن بلغه ذلك فرضي به، أنا إلى الله من ذلك بريء** »[4].

هـ) وقال﵀ أيضاً: حدثني الحسن بن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن جده محمد بن عيسى بن عبد الله، عن إبراهيم بن أبي البلاد، قال: قلت لأبي الحسن﵇: «**ما تقول في زيارة قبر الحسين﵇، فقال لي: ما تقولون أنتم فيه؟ فقلت: بعضنا يقول: حجة. وبعضنا يقول: عمرة. قال: فأيّ شيء تقول إذا أتيت، فقلت: أقول: السلام**

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٧٢١.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٧٧.

(٣) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤٣٦.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٧٤.

عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله، أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة. وأشهد أن الذين سفكوا دمك واستحلوا حرمتك ملعونون معذبون على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»[1].

٤ـ ورد عن الإمام الحسن العسكري صلوات مفصلة في حق النبي وأهل بيته عليهم السلام، وحين وصل الكلام إلى الإمام الحسين عليه السلام قال: «...**اللّهم صل على الحسين بن علي المظلوم الشهيد، قتيل الكفرة، وطريح الفجرة، السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين، أشهد موقناً أنك أمين الله وابن أمينه، قُتلت مظلوماً، ومضيت شهيداً، وأشهد أن الله تعالى الطالب بثارك ومنجز ما وعدك من النصر، والتأييد في هلاك عدوك، وإظهار دعوتكَ، وأشهد أنّك وفيت بعهد الله، وجاهدت في سبيل الله، وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين. لعن الله أُمة قتلتك، ولعن الله أُمة خذلتك، ولعن الله أُمة ألّبت عليك»**[2].

إلى غير ذلك من النصوص التي تضمَّنت عبائر تدلّ على المعنى الذي ذكرناه في هذه النقطة، إلّا أننا تركناها رعاية للاختصار.

وفي هذه الروايات ـ والمضامين التي يُزار بها الإمام الحسين عليه السلام ـ دلالات واضحة على تربية أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام على حسم بعض المسائل المهمة التي باتت محل جدل بين سائر فرق المسلمين؛ إذ بعد ظهور التيارات المنحرفة والمشوشة لأفكار المسلمين في كثير من المسائل والتي من جملتها الإرجاء وعدم الحكم على أحد بالكفر أو استحقاق العذاب ما دام يشهد الشهادتين؛ فجاء حكمهم عليهم السلام في روايات كثيرة ـ بصريح القول ـ على جمع كبير من الذين يدّعون الإسلام بأنهم مخلدون في النار وأنهم



(١) المصدر السابق: ص٣٧٨.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٣٩٩.

مستحقون للعذاب الإلهي. من خلال قوله صلى الله عليه وآله: «**لعن الله قاتليك، ولعن الله سالبيك، وأهلَكَ الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين مَن أعان عليك**»، وكذلك قوله: «**يخرج عليهم شرار أُمتي، ولو أن أحدهم شفع له مَن في السماوات والأرضين ما شُفّعوا فيهم وهم المخلدون في النار**»، وأوضح منها نصوص الزيارات المتقدّمة. في حين أن بعض أدعياء الإسلام يتردد في الحكم عليهم بذلك.

الثاني: التثقيف لزيارة قبور المعصومين عليهم السلام

ما نريد ذكره في هذه النقطة ليس تكراراً لما يُبحث في موضوع زيارة قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام، من التطرّق إلى ثواب الزيارة وآدابها وأوقاتها، وغير ذلك من الجوانب التي اعتاد الباحثون على الكلام عنها، وإنّما يتميّز عنها بجهة أُخرى أردنا تسليط الضوء عليها، وهي أن زيارة قبور الأئمة والأولياء عليهم السلام لم تكن متعارفة ـ بما لها من قداسة واحترام ـ في أوساط المسلمين عموماً، وإنّما كانت منحصرة في الوسط الشيعي فقط؛ ولم يكن يلحظها المسلمون كممارسة من قِبَل الشيعة لساداتهم وأئمتهم الذين دُفنوا في ذلك الزمان؛ لعدم وجود قبر منفصل في بقعة معينة يقصدها أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام أمام الملأ من المسلمين، فلم يكن قبر أمير المؤمنين عليه السلام معلوماً لجميع المسلمين في ذلك الزمان، بل أُخفي قبره في بادية الكوفة ضمن رقعة جغرافية شاسعة لا يعلم مكانه إلّا فئة خاصة جداً، ولم يسمح الأئمة لمن علم مكان القبر من أصحابهم بالتدليل عليه؛ لقضايا أمنية تعود لصالح الشيعة، وخوفاً على جثمان أمير المؤمنين عليه السلام من أن يُنبَش القبر من قِبَل أعدائه الذين لا يرعون حرمةً لشيء من أجل مآربهم. ولهذا السبب لم تكن زيارته متعارفة بين المسلمين في ذلك الزمان، هذا بالنسبة إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

وأما قبر سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، فلم يزل غير معلوم المكان لأيّ أحد من المسلمين على الإطلاق ـ إلّا أهل البيت عليهم السلام ـ فمع كونها ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ورغم أنّها

دُفنت في أرض المدينة، إلّا أنك لا تجد أحداً من المسلمين يعلم مكان قبرهاعليها السلام، وعلى هذا الأساس؛ فمن الطبيعي جداً أن يغفل المسلمون أمر زيارتها والتردد على قبرها.

غاية الأمر هو أن مكان قبر الإمام الحسن المجتبى ـ السبط الأوّل للنبي الأكرمصلى الله عليه وآله ـ كان معلوماً لدى جميع أهل المدينة، إلّا أن زيارة قبره من قِبل أتباعه ـ فيما لو كانوا يزورونه بمرأى ومسمع من المسلمين ـ لم تكن ملفتة للنظر؛ لكثرة القبور في ذلك المكان وهو بقيع الغرقد، وكان من ضمنها قبر حمزة سيد الشهداء في زمانه؛ فلا يلتفت المسلمون إلى أن زيارتهعليه السلام من قِبل أتباعه وشيعته للقدسيّة التي يمتاز بها على سائر الناس؛ أو لكونه إماماً مفترض الطاعة.

نعم، كان المَعْلَم البارز لدى جميع المسلمين بصفته قبراً يُزار من قِبل بعضهم هو قبر خير الخلق رسول اللهصلى الله عليه وآله المدفون في المدينة المنورة، وكان أوّل مَن زاره من الناس وتردد عليه كثيراً هم أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء وسبطاه الحسن والحسينعليهم السلام، إلّا أن بعضاً من المسلمين يرى أن هذه الممارسة كانت بدافع العاطفة الأُسرية بينهصلى الله عليه وآله وبينهمعليهم السلام، وأما سائر المسلمين فإنما كانت زياراتهم لهصلى الله عليه وآله ضمن زيارة المسجد النبوي الذي يقصده الناس من سائر المدن والبلدان النائية، ولم يكن الغرض الوحيد زيارة القبر بما له من قداسة كما هو عليه في هذه الأزمنة.

والمحصلة النهائية في هذه النقطة هي: أن زيارة قبور الأئمةعليهم السلام في تلك الفترة لم تكن ثقافة معروفة بين المسلمين وسمة واضحة من سمات أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام، ومن هنا؛ وظّف أئمة أهل البيت مظلومية الإمام الحسينعليه السلام ومأساته الأليمة للتثقيف لزيارة قبره الشريف وقبور سائر المعصومينعليهم السلام؛ إذ سجّل لنا تراثهم الروائي كمّاً هائلاً من الروايات التي تتكلم عن زيارة الإمام الحسين المظلوم الشهيدعليه السلام، وأن زيارته فريضة واجبة على كلِّ مَن يُقرّ له بالإمامة، بالإضافة إلى تعليمهم طرق التخاطب التي يُزار بها الإمام من قِبل شيعته ومواليه، فقد روى الحميري عن الإمام الصادقعليه السلام أنه

قال: «... **زوروه ولا تجفوه؛ فإنه سيد شباب الشهداء، وسيد شباب أهل الجنة، وشبيه يحيى بن زكريا، وعليهما بكت السماء والأرض**»[1]، وفي رواية أُخرى عن عبد الله بن حمّاد البصري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «...**قلت: جُعلت فداك، وما هذا الذي وصفت ولم تُسمه؟ قال: زيارة جدي الحسين بن علي عليهما السلام، فإنه غريب بأرض غربة، يبكيه مَن زاره، ويحزن له مَن لم يزره، ويحترق له مَن لم يشهده، ويرحمه مَن نظر إلى قبر ابنه عند رجله، في أرض فلاة لا حميم قربه ولا قريب، ثمّ مُنع الحق وتوازر عليه أهل الردة، حتى قتلوه وضيعوه وعرّضوه للسباع، ومنعوه شرب ماء الفرات الذي يشربه الكلاب، وضيّعوا حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيته به وبأهل بيته، فأمسى مجفواً في حفرته، صريعاً بين قرابته وشيعته بين أطباق التراب، قد أوحش قربه في الوحدة والبُعد عن جده، والمنزل الذي لا يأتيه إلّا مَن امتحن الله قلبه للإيمان وعرّفه حقّنا. فقلت له: جُعلت فداك، قد كنت آتيه حتى بُليت بالسلطان وفي حفظ أموالهم وأنا عندهم مشهور، فتركت للتقية إتيانه وأنا أعرف ما في إتيانه من الخير. فقال: هل تدري ما فضل مَن أتاه وما له عندنا من جزيل الخير؟ فقلت: لا. فقال: أمّا الفضل فيباهيه ملائكة السماء، وأما ما له عندنا فالترحّم عليه كلّ صباح ومساء**»[2].

فإذا أضفنا إلى ذلك ما تقدم معنا من النصوص التي خاطب بها الأئمة عليهم السلام الإمام الحسين عليه السلام أو التي علّموا أتباعهم كيفية مخاطبتهم له عليه السلام، بما تحمل من مضامين تدلّ على علوّ منزلته عليه السلام وعظيم قدره عند الله عزّ وجلّ، والتي انطلقوا فيها من بيان مظلوميته والمأساة التي لاقاها عليه السلام؛ فيتّضح لنا المغزى من تأكيدهم على زيارته عليه السلام من منطلق حقيته وإمامته وأنه مفترض الطاعة.

ونُلفِت أنظار القراء الكرام إلى أن هذه النقطة بالخصوص تختزل عدة حقائق

(١) الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد: ص٩٩.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٥٣٧.

دينية وعقدية مهمة، إذ تحمل في طياتها المعارف التوحيدية، والإقرار بالنبوة، والمعاد، والتعريف بحقيقة الإمام وحقه على الناس وغيرها من العلوم التي أضحت واضحة للجميع بعد تداول النصوص المختصة بزيارته عليه السلام وقراءتها في مناسبات عديدة.

الثالث: التأكيد على لزوم التضحية من أجل الدين

من الأُمور الغريزية لدى الإنسان هو حب الدعة والراحة والعافية، والبحث عن حياة هادئة بمنأى عن المصادمات مع الآخرين؛ وهذا الأمر في حد ذاته ليس معيباً فيما لو كان بنحو من الاعتدال، وإنما الإفراط فيه يكون باعثاً إلى التخاذل وضعف المواقف ضد الباطل والمبطلين، وهذه هي الصفة البارزة لدى غالبية المجتمعات وفي شتّى العصور والأزمنة، ولما كانت هذه الخصيصة نقطة ضعف شخصها الطغاة والظلمة أوجدوا أساليب متشابهة يتبعونها لإخافة الناس وإرعابهم، مما جرأهم على التمادي في الظلم والاستبداد؛ ولهذا السبب سلّط الأئمة عليهم السلام الضوء على لزوم تحمُل المصاعب والتضحية بكل غالٍ ونفيس في سبيل الاصطفاف مع الحقّ وأهله، موظفين ـ في ذلك ـ المظلوميةَ التي تحمّلها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته في سبيل الله، ومستعرضين ما تحمَّله الدعاة والهداة والمستضعفين في العصور المتقدمة، فقد أُثر عن الإمام زين العابدين عليه السلام حين سأله المنهال «**فقال له: كيف أمسيت يا بن رسول الله؟ فقال: ويحك! كيف أمسيت؟! أمسينا فيكم كهيئة بني إسرائيل في آل فرعون، يُذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها، وأمسى آل محمد مقهورين مخذولين، فإلى الله نشكو كثرة عدونا، وتفرُّق ذات بيننا، وتظاهر الأعداء علينا**»(1). وروى لنا ابن قولويه أيضاً قال: حدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن أبي داود المسترق، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**بكى علي بن الحسين على**

(1) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٣٠٥.

أبيه حسين بن علي عليهما السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وُضع بين يديه طعاماً إلّا بكى على الحسين، حتى قال له مولى له: جُعلت فداك يا بن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: إنما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون؛ إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة لذلك»[1]، وقد استعرض عليه السلام ـ في رواية أُخرى مشابهة لما ذكرناه سابقاً ـ عدد القتلى الذين سقطوا في هذه الواقعة الأليمة حيث قال: «**أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال له: ويحك! إن يعقوب النبي كان له اثنا عشر ابناً فغيب الله واحداً منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حياً في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟!**»[2]، وفي هذا التظلّم والشكوى من الواقع المرير الذي يعانيه سلام الله عليه إثر ما جرى عليهم في واقعة كربلاء الأليمة رسالة ودعوة واضحة إلى أنه يتحتم على كلّ مؤمن أن يُعاهد الله بتحمل كلّ المصائب والمآسي في سبيله ومن أجل نصرة دينه.

الرابع: التشجيع على قراءة القرآن والتمعّن فيه

تتعدد الأساليب والطرق التي اتبعها أهل البيت عليهم السلام في دعوة شيعتهم وتشجيعهم إلى قراءة القرآن والتدبر في آياته؛ لما لذلك من تأثير على روحية الفرد المسلم وعلى تصرّفاته وسلوكياته تجاه نفسه ومجتمعه، وقد ورد كَمٌّ هائلٌ من الأحاديث التي تحبّب قراءة الكتاب، كما روى لنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص قال: «**سمعت موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: لرجل أتُحب البقاء في الدنيا؟ فقال: نعم. فقال: ولِـمَ؟ قال: لقراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فسكت عنه، فقال له بعد ساعة: يا حفص، مَن مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يُحسن القرآن عُلّم في**

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٥٣٧.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٣٠٣.

قبره ليرفع الله به من درجته؛ فإن درجات الجنة على قدر آيات القرآن، يُقال له: اقرأ وارقَ. فيقرأ ثم يرقى...»[1]، ولأجل حثّ أتباعهم وشيعتهم على قراءة القرآن استخدموا عليهم السلام هذه النقطة التي ينجذب المحب لأهل البيت من خلالها لقراءة القرآن والتأمّل فيه، وهي بيان السور والآيات التي ترتبط بالإمام الحسين عليه السلام، أو التي تنطبق عليه باعتباره المصداق الأجلى والأوضح لها، وهذا ما نلحظه في التراث الديني الوارد عنهم عليهم السلام بكثرة كاثرة؛ إذ إنهم بدأوا في تربية شيعتهم من نقطة الانطلاق المؤثرة في نفوسهم، أَلَا وهي بيان الترابط الوثيق بين الإمام الحسين المظلوم والآيات القرآنية، وبينوا المواضع التي عُني فيها الإمام الحسين عليه السلام؛ فقد ورد عن أبي عبد الله أنه قال: «**اقرأوا سورة الفجر في فرايضكم ونوافلكم؛ فإنها سورة الحسين بن علي** عليهما السلام**، مَن قرأها كان مع الحسين** عليه السلام **يوم القيامة في درجته من الجنة، إن الله عزيز حكيم**»[2]، وفي ذيل هذه الرواية ما يبعث بالقارئ إلى الدهشة والاشتياق لإدمان قراءة هذه السورة بغية حصوله على الأجر الذي يترتب عليها، وهو الكون مع الإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة.

وكم هو واضح الفرق بين دخول الجنة أو الرُّقي في درجاتها ـ كما في سائر الروايات التي تتكلم عن ثواب قراءة القرآن ـ وبين الكون مع الإمام الحسين في درجته، فيحضى برؤيته عليه السلام وصحبته في تلك النُّزل التي تتمناها ملائكة الرحمان في الدنيا والآخرة.

وقد رويت هذه الرواية في البحار بتفصيل أكثر، يتضمن حواراً دار بين الإمام وبعض الحضّار آنذاك، فقال رحمه الله: «**كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: روى محمد بن العباس بإسناده عن الحسن بن محبوب بإسناده عن صندل، عن دارم بن فرقد قال: قال أبو عبد الله** عليه السلام**: اقرؤوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم؛ فإنّها سورة الحسين** عليه السلام **وارغبوا فيها، رحمكم الله. فقال له أبو أسامة ـ وكان حاضراً المجلس: كيف صارت هذه**

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٠٦.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص١٢٣.

السّورة للحسين عليه السلام خاصّة؟ فقال: ألا تسمع إلى قوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾. إنّما يعني بها: الحسين بن عليّ عليهما السلام، فهو ذو النّفس المطمئنّة الرّاضية المرضيّة، وأصحابه من آل محمّد ـ صلوات الله عليهم ـ الرّاضون عن الله يوم القيامة، وهو راضٍ عنهم، وهذه السّورة نزلت في الحسين بن عليّ عليهما السلام، وشيعته وشيعة آل محمّد خاصّة. مَن أدمن قراءة الفجر، كان مع الحسين عليه السلام في درجته في الجنّة، إنّ الله عزيز حكيم»[1].

وأما تفسيرهم للآيات القرآنية التي فُسّرت من قِبلهم عليهم السلام فهي كثيرة جداً، كما ذكر جعفر بن محمد بن قولويه، قال: حدثني أبي، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد وإبراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عز وجل: «﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ * بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾، **قال: نزلت في الحسين بن علي عليهما السلام**»[2]. وغير ذلك من الروايات التي يطول الكلام بذكرها وسوف يأتي بعضها في النقطة اللاحقة عند الكلام عن الأخذ بالثأر.

فعلى الرغم من تأكيدهم عليهم السلام على أن القرآن يجري كمجرى الشمس والقمر، وأنه ينطبق على الأحياء كما ينطبق على الأموات[3]، إلّا أنهم عمدوا إلى ربط شيعتهم بهذه الآيات التي يتذكرون من خلالها إمامهم المظلوم المهتظَم عليه السلام؛ لكي يزدادوا تلهفاً وشوقاً لقراءة القرآن؛ فيحصلون على الثواب الذي أُعدّ لقارئ القرآن والمتدبّر في معانيه.

الخامس: توظيف المظلومية ومبرِّرية الأخذ بثأره عليه السلام

إحدى النقاط المهمّة والتي أضحت مثار جدل في أوساط المسلمين المعاصرين

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢١٨.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٣٤.

(٣) الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، ص٢٢٣.

للأئمة المعصومين عليهم السلام ـ فضلاً عن المجتمعات المعاصرة التي تردد شعارات حقوق الإنسان وغيرها من القوانين التي سنَّها القانون الوضعي ـ هو النداء بالثأر للإمام الحسين عليه السلام في النصوص التي يُطلقها الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف حينما يتنعّم المستضعفون بحضوره بينهم، فقد أفادت بعض النصوص أنه عجل الله تعالى فرجه الشريف يأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام من أعدائه، فروُي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**لمّا كان من أمر الحسين ما كان ضجّت الملائكة وقالوا: يا ربّنا، هذا الحسين صفيّك وابن بنت نبيّك. قال: فأقام الله ظلّ القائم** عليه السلام **وقال: بهذا أنتقم لهذا**»(1). بل قد روي في عقاب الأعمال عن ابن الوليد، عن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «**القائم ـ والله ـ يقتل ذراري قتلة الحسين** عليه السلام **بفعالِ آبائها**»(2)؛ وقد أطَّروا عليهم السلام لهذه الحقيقة من خلال تفسيرهم للآيات التي حملت هذه الفكرة، كما في الرواية الواردة عن الحسن بياع الهروي، يرفعه عن أحدهما عليهما السلام في قوله: «﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. **قال: إلّا على ذريةِ قتلةِ الحسين** عليه السلام»(3)، الأمر الذي أثار استغراب بعض الحضَّار والسامعين ـ بل كلّ مَن وصلت إليه هذه الروايات ـ ودفع بهم إلى التساؤل حول ملاءمة ذلك مع النصوص التي تنفي مؤاخذة الآخرين بذنوب وفعال غيرهم.

وقد انطلق أهل البيت عليهم السلام من مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، موظفين ذلك لبيان هذه المسألة الإلهية، كما روى أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، قال: عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: يا بن رسول الله، ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام: أنه قال: «**إذا خرج القائم** عجل الله تعالى فرجه الشريف **قتل ذراري قتلة الحسين** عليه السلام **بفعال آبائهم؟ فقال** عليه السلام: **هو كذلك. فقلت: وقول الله** عزّ وجلّ:

---

(1) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج1، ص465.

(2) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص135.

(3) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج1، ص86.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. ما معناه؟ قال: صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بأفعال آبائهم ويفتخرون بها؛ ومَن رضيَ شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قُتل بالمشرق فرضيَ بقَتله رجلٌ في المغرب لكان الراضي عند الله عزّ وجلّ شريكَ القاتل، وإنما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم...»[1]. مع أن الإمام الصادق عليه السلام أوضح هذه الفكرة أيضاً وذلك في روايات أُخرى يسأل فيها بعض أهل الكوفة عن قتلة الإمام الحسين عليه السلام، قائلاً لأحدهم: «تنزل الكوفة؟ فقلت: نعم. فقال: ترون قتلة الحسين عليه السلام بين أظهركم؟ قال: قلت: جُعلت فداك ما بقي منهم أحد. قال: فأنت ـ إذن ـ لا ترى القاتل إلّا مَن قتل أو مَن وليَ القتل؟! ألم تسمع إلى قول الله: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، فأيّ رسول قتل الذين كان محمد صلى الله عليه وآله بين أظهرهم، ولم يكن بينه وبين عيسى رسول، وإنما رضوا قَتْلَ أُولئك فسُمّوا قاتلين»[2].

وإذا أردنا أن نطبق مضامين هذه الروايات على واقعنا المعاش وظرفنا الراهن فإننا نجد نماذج كثيرة وكمّاً هائلاً ـ في وقتنا الحاضر ـ من هؤلاء الذين يرضون بأفعال قتلة الحسين عليه السلام، بل إنهم بصريح قولهم يُقرون بذلك أمام الملأ وعبر شبكات التواصل، فيصفون كربلاء الشهادة بأوصاف يصعب على الفرد المؤمن سماعها، ويعيبون على كلّ مَن يتفاعل مع مصيبة الإمام الحسين عليه السلام كائناً مَن كان، وقد باتت هذه النماذج من الأُمور التي لا يحتاج إثباتها إلى برهنة؛ إذ ما نراه بأعيننا لا يفتقر إلى دليل.

فيتضح للقارئ السرّ والسبب الذي يُبرّر للإمام الحجة المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف تنفيذ القصاص العادل في حق هؤلاء الظلمة ذرية الظالمين، من خلال توظيفهم عليهم السلام لهذه المظلومية الأليمة في النصوص التي ذكرناها في هذه النقطة.

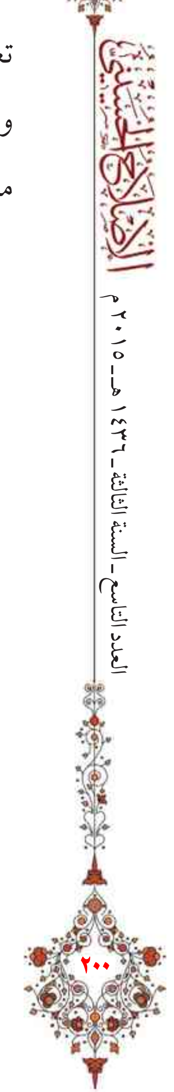
---

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص٢٤٧.

(٢) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج١، ص٢٠٩.

وفي نهاية المطاف نخرج بنتيجة مهمّة: وهي أن هناك مجموعة من المسائل الدينية والعقائدية تم بيانها عن طريق ذكر الإمام الحسين عليه السلام ومظلوميته التي يتفاعل معها كل مَن له أدنى رحمة في قلبه.

وهناك مجموعة من المسائل العقدية والدينية التي يطول الكلام فيها لو أردنا تعدادها مفصلاً، إلّا أننا أسلفنا فيما سبق أن الباب مفتوح والطريق سالك أمام الباحثين والمحققين لإشباع هذا الموضوع، وعلى هذا الأساس؛ فكلّنا أمل أن نجد كتاباً أو دراسة مفصلة في هذا الشأن، لإثراء الساحة العلمية.



المشيئة الإلهية لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

السيد شهيد طالب الموسوي[1]

تمهيد

إنّ البحث في المشيئة الإلهية للمظلومية والمأساة يمكن تصوّره في أمرين:

الأوّل: تبنّي مفهوماً واضحاً حول المشيئة الإلهية؛ باعتبارها من المباحث الدقيقة، والتي تدخل في مجال علم الكلام إلى جانب مبحث الإرادة؛ فإنّ تكوين مثل هذا المفهوم أمرٌ ضروري، خاصّةً عند البحث في قضية الإمام الحسين عليه السلام، وتلك المظلومية التي أضحت تُمثِّل أوضح أشكال الظلم على الإنسان، ذلك الموجود الذي كرَّمه الله تعالى على كثيرٍ ممَّن خلق.

الثاني: إنّ المظلوميّة والمأساة نوعٌ من أنواع البلاء والامتحان، الذي يُعتبَر من السُّنن الإلهية الجارية على الخلق، والتي من شأنها تحقيق أهداف إلهية في هذا الوجود، سواء على مستوى الكمال الفردي؛ باعتبار ما للمظلومية أو البلاء ـ بشكلٍ عام ـ من أثرٍ فعّال على مستوى تربية الفرد وبنائه نفسياً؛ ليكون محلّاً لفيض الرحمة والهداية الإلهية، أو على مستوى الكمال العام؛ باعتبار ما يحقّقه الفرد أو الجماعة الداخلة في هذا الاختبار،

---

(١) كاتب وباحث إسلامي.

والناجحة فيه من أن يكونوا الأُسوة الحسنة للمؤمنين في تحمّل أعباء الرسالة الإلهية، أو الحفاظ عليها بمستوى من المستويات، وعلى أقلّ تقدير الحفاظ على معالمها من الاندراس تحت تأويلات المبطلين، وسطوة الظالمين على الناس فكرياً ومادّياً.

وهي مسؤولية عظيمة يتصدّى لها رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه في أن يكونوا حماة الدين والقيم الإنسانية، التي رسَّخت معالمها الأديان السماوية على مرِّ العصور وتدافع الدهور.

تعريف المشيئة

المشيئة في اللّغة محل نزاع بين اللُّغويين:

فمنهم مَن ذهب إلى ترادف المعنى بين المشيئة والإرادة.

ومنهم مَن ذهب إلى تغايرهما.

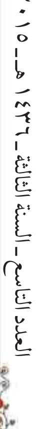
ذَكَر ابن منظور ما نصّه: «**المَشِيئةُ: الإِرادة، شِئْتُ الشيءَ أَشاؤُه شَيئاً، ومَشِيئةً، ومَشاءةً، ومَشايةً**»[1].

وفي موضعٍ آخر يُنقل عن الجوهري قوله: «**والإِرادة: المشيئة...**»[2].

وعليه؛ يظهر أنّ بعض علماء اللُّغة قائلون بالترادف بين المشيئة والإرادة.

إلّا أنّ الزبيدي في تاج العروس فرَّق بينهما في قوله: «**شِئْتُه ـ أَي: الشَّيْءَ ـ أَشاؤُه شَيْئاً ومَشِيئَةً كخَطيئة، ومَشَاءةً ككَراهة، ومَشائِيَةً كعَلانية: أَردته. قال الجوهريّ: المَشِيئَة: الإرادة. ومثله في المصباح والمُحكم، وأَكثرُ المتكلّمين لم يُفرِّقوا بينهما، وإن كانتا في الأَصل مُختلِفَتَيْنِ، فإنَّ المَشِيئَة في اللُّغة: الإيجاد، والإرادة: طَلَبٌ**»[3].

إلّا أنّه يمكن القول: إنّ المشيئة لغة غير الإرادة ـ كما ذكر الزبيدي ـ وما أورده



---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص١٠٣.

(٢) المصدر السابق: ج٣، ص١٩١.

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج١، ص١٨٥.

الأصفهاني في المفردات بقوله: «**والمشيئة عند أكثر المتكلِّمين كالإرادة سواء، وعند بعضهم المشيئة في الأصل: إيجاد الشيء وإصابته. وإن كان قد يُستعمَل في التعارُف موضع الإرادة، فالمشيئة من الله تعالى: هي الإيجاد، ومن الناس: هي الإصابة.**

قال: والمشيئة من الله تقتضي وجود الشيء؛ ولذلك قيل: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»[1].

فالمشيئة لغة: إيجاد الشيء، ولكن ليس إيجاد الشيء على نحو التحقّق الفعلي الخارجي، بل هو أوّل مراتب وجوده، كما ورد عن الرضا عليه السلام حين سأله يونس: «**قلتُ: لا يكون إلّا ما شاء الله، وأراد وقضى؟ فقال: لا يكون إلّا ما شاء الله وأراد وقدَّر وقضى. قال: فقلتُ: فما معنى (شاء)؟ قال: ابتداء الفعل. قلتُ: فما معنى (أراد)؟ قال: الثبوت عليه. قلتُ: فما معنى (قدَّر)؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه. قلتُ: فما معنى (قضى)؟ قال: إذا قضاه أمضاه فذلك الذي لا مردَّ له**»[2].

وورد عنه عليه السلام أيضاً قوله: «**المشيئة: الاهتمام بالشيء، والإرادة: إتمام ذلك الشيء**»[3]. حيث إنّ الشيء يتسلسل بمراتب وجوده إلى حدّ القضاء، فيُمضيه الله تعالى؛ أي: يُحقّقه ويُعيّنه، وإلى ذلك يُشير قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[4].

المشيئة الإلهيّة في روايات أهل البيت عليهم السلام

إضافةً إلى ما تضمّنته آيات الذكر الحكيم من بيانٍ لمفهوم المشيئة، فإنّنا نجد أنّ الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام كذلك قد بيَّنت ـ وبشيءٍ من التفصيل ـ هذا

---

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص٢٧١.

(٢) الخبوشاني، عزيز الله، مسند الإمام الرضا عليه السلام: ج١، ص٢٠.

(٣) الديلمي، الحسن بن علي، إعلام الدين في صفات المؤمنين: ص٣٠٧.

(٤) البقرة: آية١١٧.

المصطلح باعتباره مفهوماً قرآنياً، إضافةً إلى المسؤوليّة الإلهيّة التي يتحمّلونها في بيان الحقّ، ودفع الأباطيل عن فهمه؛ وباعتبار ما له من مدخلية تصبّ في فعل العبد، وهو ما رَوَّج له بنو أُميّة وأتباعهم، بطرح مفاهيم خاطئة من شأنها التشويش على أذهان العامّة من الناس؛ لتبرير أفعالهم الوحشية، ونسبتها إلى الله تعالى ظلماً وعدواناً.

وأوّل محاولة كانت في مجلس ابن زياد، حيث تذكر الرواية: «**ثم قال لعلي بن الحسين**عليه السلام: **مَن أنت؟ قال: علي بن الحسين. قال: أليس قَتَل الله علي بن الحسين؟ قال: كان لي أخٌ يُسمّى علياً قتله الناس. قال ابن زياد: بل الله قتله. فقال علي بن الحسين: الله يتوفَّى الأنفس حين موتها**»[1].

كذلك ما ورد في مخاطبة ابن زياد للعقيلة زينب عليها السلام: «**فأقبل إليها فقال: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أحدوثتكم!! فقالت: إنّما يُفتضَح الفاسق ويُكذَّب الفاجر، وهو غيرنا. فقال ابن زياد: كيف رأيتِ صُنْعَ الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيتُ إلّا جميلاً، هؤلاء قومٌ كُتِبَ عليهم القتال، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتُحاجَّ وتُخاصَم، فأُنظر لَمَن يكون الفَلْج يومئذٍ، هبلتك أُمّك يا بن مرجانة**»[2].

وبعد هذه المقدّمة نقول: إنّ روايات أهل البيت عليهم السلام تعرَّضت بشكلٍ غير محدود لبيان المشيئة الإلهية، وإن كنّا نجد الغرابة والغموض في بعض الأخبار، إلّا أنّنا بضمّ الأخبار الأُخرى نستطيع الوقوف على معنًى واضح للمشيئة الإلهية، ومن جملة الأخبار الواردة في بيان المشيئة الإلهية ما جاء عن الصادق عليه السلام: «**خَلَقَ الله المشيئة بنفسها، ثمّ خَلَقَ الأشياء بالمشيئة**»[3].

ذكر الشيخ المجلسي في البحار خمسة وجوه لبيان الغموض في هذه الرواية، وقد



---

(١) ابن نما الحلّي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٧١.

(٢) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٢٠١.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١١٠.

رجَّح الوجه الأوّل؛ حيث قال: «**هذا الخبر الذي هو من غوامض الأخبار، يحتمل وجوهاً من التأويل:**

الأوّل: أن لا يكون المراد بالمشيئة الإرادة، بل إحدى مراتب التقديرات التي اقتضت الحكمة جعلها من أسباب وجود الشيء، كالتقدير في اللوح مثلاً والإثبات فيه، فإنّ اللوح وما أُثبِتَ فيه لم يحصل بتقديرٍ آخر في لوحٍ سوى ذلك اللوح، وإنّما وُجد سائر الأشياء بما قُدِّر في ذلك اللوح، وربما يلوح هذا المعنى من بعض الأخبار... وعلى هذا المعنى؛ يُحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير». إلى أن قال: «**والأوفق بأُصولنا هو الوجه الأوّل**»[1].

فالمشيئة هي مصدر الشيء وعلّته، وبالمشيئة وُجِدَت الأشياء، لا أنّ المشيئة هي ذلك الشيء الموجود[2]، وهو واضحٌ من قول الصادق عليه السلام: «**خَلَقَ الأشياء بالمشيئة**». أمّا قوله عليه السلام: «**خَلَقَ الله المشيئة بنفسها**». فهو يدلّ على أنّ المشيئة أوّل خلقٍ ابتدعه الله تعالى، والابتداع غير الخلق، فالابتداع: خلق شيءٍ لا من شيء. والخلق: خلق شيءٍ من شيء.

فالمشيئة مخلوقةٌ بنفسها وليس من شيءٍ آخر، فهي الخلق الأوّل، وسائر الأشياء مخلوقةٌ بالمشيئة، كما ورد عن الرضا عليه السلام: «**يا يونس، تَعلَمُ ما المشيئة؟ قلت: لا. قال: هي الذكر الأوّل**»[3].

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤، ص١٤٥.

(٢) وقع الخلاف في أنّ المشيئة هل هي مصدر ميمي، أو أنها مصدر بمعنى الاسم؟ والفرق بين كونها مصدراً أو اسماً: أنّ المصدر يدلّ على أصل العملية؛ أي: إنّ المشيئة هي مَن جعلت الأشياء تكون أشياءً، وقبل ذلك لم تكن شيئاً.

أمّا الاسم فيدلّ على الحالة التي نشأت بتأثير هذه العملية؛ أي: إنّ المشيئة هي ذلك الشيء الموجود. وكونها مصدراً أقرب؛ لأنّ المصدر يدلّ على صنع الشيء وفعله، والاسم هو ذلك الشيء المتحقّق وجوداً، فنقول: شاء ذلك؛ أي: أوجده وصيّره شيئاً موجوداً، لا أنّ المشيئة هو ذلك الشيء الموجود، كما سيأتي بيان ذلك في روايات أهل البيت عليهم السلام.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٥٨.

وربَّ قائلٍ يقول: إنّنا نلحظ روايات متعدّدة ذكرت الخلق الأوّل، أو أوّل الخلق الذي ابتدعه الله تعالى، كاللوح، والقلم، ونور نبيّنا محمدﷺ، وغير ذلك، فهل المشيئة غير ذلك؟ وبالتالي كيف تكون كلّها مخلوقة أوّلاً مع تعدّدها؟

فنقول: إنّ الروايات تُشير إلى حقيقةٍ واحدة، وهذه الحقيقة لها اعتبارات وحيثيات، فسُمِّيت طِبقاً لاعتباراتها، فالحقيقة سُمِّيت مشيئة باعتبار أنّها علّة إيجاد الأشياء، كما أشارت إلى ذلك رواية الإمام الصادقعليه السلام.

أمّا قول بعض المحقّقين من أنّ المشيئة صفة أزلية للذات، أو أنّ المشيئة التي هي مصدر الأشياء وعلّتها الأُولى، وأنّ هذه المشيئة كائنة بمشيئةٍ أزلية، وهي المشيئة في مقام الذات، فهي إشارة إلى العلم في مقام الذات، ولا يمكن أن نقول: إنّ لله مشيئة أزليّة، فنُثْبت صفةً أزليةً غير العلم والقدرة والحياة؛ وذلك لعدّة وجوه نذكر منها:

الأوّل: وردت روايات جاء فيها حدوث المشيئة لا قِدَمها وأزليّتها، منها:

ما ورد في الكافي عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد اللهعليه السلام، قال: «**المشيئة مُحدَثة**»[1].

وفي التوحيد عن سليمان بن جعفر الجعفري، قال: قال الرضاعليه السلام: «**المشيّة والإرادة من صفات الأفعال، فمَن زعم أنّ الله تعالى لم يزل مريداً شائياً فليس بموحِّد**»[2].

ولم ترد روايات تتحدّث عن المشيئة في مقام الذات، بل ورد أنّ ما يكون سابقاً على المشيئة هو العلم، كما في روايةٍ عن معلّى بن محمد، قال: سُئِل العالمعليه السلام كيف علم الله؟ قال: «**عَلِمَ، وشاء، وأراد، وقدَّر، وقضى، وأبدى، فأمضى ما قضى، وقضى ما قدَّر، وقدَّر ما أراد، فبعلمه كانت المشيَّة، وبمشيَّته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، فالعلم متقدّم المشيّة، والمشيّة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقعٌ على القضاء بالإمضاء، فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء، وفيما**

(١) المصدر السابق: ج١، ص١١٠.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص٣٣٨.



أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، فالعلم بالمعلوم قبل كونه، والمشيّة في المُنشَأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه...»[1].

الثاني: إنّ من شأن المشيئة التبدّل والتغيّر، كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[2].

وهذا محال بالنسبة إلى الذات، إضافةً إلى أنّ المشيئة هي تقدير عالم الإمكان؛ وبهذا المعنى فكلّ شيءٍ ينتهي إلى المشيئة كما بدأ منها، ولا نستطيع أن نفهم شأنية معيَّنة للذات لم تصدر منها، فهي ممّا استأثر الله به عنده وشأن عالم الإمكان في مشيئة الله الحادثة؛ لأنّها علّة الأشياء، وما هو خارج عن هذا التقدير فليس لعالم الممكنات فيه شأن.

الثالث: إنّ ما يُصطلح عليه بالمشيئة الأزلية هو في الحقيقة العلم الذي هو عين ذاته تعالى كما هو محقَّق، وهذا العلم ليس مشيئة؛ لأنّ المشيئة هي تقدير عالم الإمكان، وهذا هو معنى قوله عليه السلام: «**خَلَقَ الله المشيئة بنفسها**». لا أنّ المشيئة مخلوقة بمشيئةٍ ذاتية أو أزلية؛ لأنّه يلزم التسلسل، كما ذكر الشيخ المجلسي ذلك بقوله: «**إنّه لّما كان ههنا مظنّة شبهةٍ، هي أنّه: إن كان الله عزّ وجلّ خلق الأشياء بالمشيئة فبِمَ خلق المشيئة؟ أبمشيئةٍ أُخرى؟ فيلزم أن تكون قبل كلّ مشيئةٍ مشيئة إلى ما لا نهاية له، فأفاد الإمام عليه السلام: أنّ الأشياء مخلوقة بالمشيئة، وأمّا المشيئة نفسها فلا يحتاج خلقها إلى مشيئةٍ أُخرى، بل هي مخلوقة بنفسها؛ لأنّها نسبة، وإضافةٌ بين الشائي والمشيء، تتحصّل بوجوديها العيني والعلمي؛ ولذا أضاف خلقها إلى الله سبحانه؛ لأنّ كلا الوجودين له وفيه ومنه، وفي قوله عليه السلام: بنفسها. دون أن يقول: بنفسه. إشارة لطيفة إلى ذلك، نظير ذلك ما يُقال: إنّ الأشياء إنّما توجَد بالوجود، فأمّا الوجود نفسه فلا يفتقر إلى وجودٍ آخر، بل إنّما يوجد بنفسه**»[3].

---

(١) المصدر السابق: ص٣٣٤.

(٢) الرعد: آية ٣٩.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤، ص١٤٦.

أمّا وجه التفريق بين المشيئة والإرادة: فإنّ الشيخ المجلسي وإن احتمل هذا الأمر ولم يقطع، وتبنّى هذا الاحتمال في قوله: «**الأوفَق بأُصولنا**». إلّا أنّ الفرق واضحٌ، فالمشيئة مرتبة سابقة على الإرادة، كما أنّ متعلَّق المشيئة غير متعلَّق الإرادة، فالمشيئة متعلّقة بالموجود بما هو موجود في علم الله تعالى، فتعلّق المشيئة به يصيّره على نحوٍ من الوجود التفصيلي، هذا الوجود الذي يجعله قابلاً لأن يكون بأمره تعالى، أو قُل: إنّ اختيار الشيء الموجود في علم الله تعالى يُصيّره شيئاً معلوماً تفصيلاً، وهو معنى الاهتمام بالشيء، أو ابتداء الفعل، كما في الروايات التي وردت في تعريف المشيئة، ثمّ تتعلّق به الإرادة على نحو الإيجاد الفعلي، فهناك مرتبة سابقة على المشيئة وهي العلم، ووجود الأشياء في علم الله تعالى إجمالي لا تفصيلي؛ أي: إنّه بسيط، والبساطة ليست من شأن المشيئة؛ لأنّ المشيئة مركّبة لتعلّقها بالأشياء، أو بعالم الإمكان، فالمشيئة هي الوجود العلمي التفصيلي للأشياء، وهذا الوجود على نحو الكلّي لا الجزئي، وما ينفذ إلى مرحلة الإيجاد هو الجزئي، وإلى ذلك تُشير الآية: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1].

فالخزائن هي مشيئته تعالى، والتنزيل إرادته؛ لأنّ الإرادة من الله تعالى هي نفس الفعل والإحداث، لا الشوق أو الرغبة أو الحب ـ تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ـ كما ورد عن الرضا عليه السلام عندما سُئل عن الإرادة من الله ومن المخلوق، قال: «**الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزّ وجلّ فإرادته إحداثه لا غير ذلك؛ لأنّه لا يروي، ولا يهم، ولا يتفكّر، وهذه الصفات منفيّة عنه، وهي من صفات الخلق، فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك**»[2].

أقسام المشيئة

لا شكّ في أنّ من المرتكز في الأذهان هو تعدّد الإرادة الإلهية إلى تكوينية وتشريعية،

(١) الحجر: آية٢١.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص١٤٧.

ومحلّ اختيار العبد هو الإرادة التشريعية، أمّا الإرادة التكوينية فتارة تكون ابتدائية، وتارة تكون أفعال العباد متوقّفة عليها.

والسؤال الذي يمكن أن نطرحه: هل لله تعالى مشيئتان كما في الإرادة، والمشيئة الأُولى ثابتة وحتمية، والثانية غير حتمية، بل متعلّقة بأفعال العباد؟

والجواب عن هذا السؤال: إنّ المشيئة الإلهية هي كذلك تنقسم على قسمين: الأُولى حتميّة والثانية غير حتميّة، أي: إنّها مشيئة متوقّفة على أفعال العباد؛ والدليل على ذلك ما ورد عن الرضا عليه السلام، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: **«إنّ لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء، أوَ ما رأيت أنّه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى»**[1].

فالمشيئة كالإرادة تارة حتمية أو تكوينية، وأُخرى غير حتمية؛ بمعنى أنّ للعبد احتمالات متعدّدة كلّها واقعة في هذه المشيئة، ويثبت منها ما كان واقعاً في المشيئة الحتمية، ويُطلَق عليها مشيئة العلم، ويُطلَق على الحتمية مشيئة الأمر، كما ورد في البحار قوله: **«ويؤيّد ذلك ما حُكيَ عن الفقه الرضوي من أنّه عليه السلام قال: قد شاء الله من عباده المعصية وما أراد، وشاء الطاعة وأراد منهم؛ لأنّ المشيئة مشيئة الأمر ومشيئة العلم، وإرادته إرادة الرضا وإرادة الأمر، أمر بالطاعة ورضيَ بها، وشاء المعصية ـ يعنى علِم من عباده المعصية ـ ولم يأمرهم بها»**[2].

ويمكن القول: إنّ الإرادة إذا كانت حتميّة باعتبار أنّ المشيئة كذلك؛ لأنّ الإرادة بعد المشيئة، فالمشيئة حتميّة، وإذا كانت الإرادة على نحو العزيمة لا الحتميّة؛ أي: إنّ الله تعالى ينفذ بإرادته أفعال العباد، فهي بذلك تكون أيضاً طِبقاً للمشيئة الإلهية، وهي مشيئة العلم.

كذلك هذا الأمر يجري في القدر والقضاء، أمّا القدر فإنّ الله تعالى قدَّر أشياءً تقديراً

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٥١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤، هامش ص١٣٩.

حتميّاً أو تكوينياً، كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾(١)، وأُخرى قدَّر أشياءً بما هي معلّقة على فعل العبد، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾(٢). فامرأة لوط قد استحقّت هذا التقدير؛ لأنّه من أسباب تسويل نفسها الأمّارة بالسوء، وركونها إلى ما يفعل قوم لوط، ولم تتّبع لوطاً عليه السلام في دعوته، فاستحقّت هذا التقدير.

والقضاء كذلك، فمن القضاء ما للعبد فيه الاختيار، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾(٣).

وتارة يكون القضاء حتميّاً أو تكوينياً وليس للعبد أن يخالفه كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(٤).

فالمشيئة تارة تكون على نحو الاختيار الحتمي من الله تعالى المستلزم للإرادة أو الأمر الإلهي، وأُخرى على نحو العلم بالفعل الصادر من العبد، إلّا أنّ هذا الفعل وفي كلّ مرتبة من مراتب وجوده، سواء كان موافقاً لما هو فيه مختاراً أو مخالفاً، فهو متوقّف على ما هو حتميّ أو تكويني من المشيئة والإرادة، وإلى ذلك يُشير العلّامة الطباطبائي بقوله: «**وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾(٥)، إلى غير ذلك، فإرادتنا ومشيئتنا إذا تحقّقت فينا فهي مرادة بإرادة الله ومشيّته لها، وكذا أفعالنا مُرادة له تعالى من طريق إرادتنا ومشيّتنا بالواسطة، وهما ـ أعني: الإرادة والفعل ـ جميعاً متوقّفان على أمر الله سبحانه، وكلمة (كُنْ)**»(٦).

---

(١) الواقعة: آية٦٠.

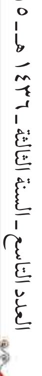
(٢) الحجر: آية٦٠.

(٣) الإسراء: آية٢٣.

(٤) آل عمران: آية٤٧.

(٥) يونس: آية٩٩.

(٦) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١، ص٤٣.



المشيئة والإرادة وأفعال العباد

قابلية الموجودات على إحداث الفعل يحتاج إلى أمرين:

الأمر الأوّل: يتعلّق بنفس الموجود، فلا بدّ له من تصوّر واختيار وقدرة واستطاعة على الفعل، كما في الحديث القدسي المروي عن الرضا عليه السلام: «**قال أبو الحسن الرضا عليه السلام، قال الله: يا بن آدم، بمشيئتي كنتَ أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوّتي أدّيتَ فرائضي، وبنعمتي قويتَ على معصيتي، جعلتُك سميعاً بصيراً قوياً، ما أصابك من حسنةٍ فمن الله، وما أصابك من سيّئةٍ فمن نفسك، وذاك أنّي أوْلى بحسناتك منك، وأنت أوْلى بسيئاتك منّي، وذاك أنّني لا أسأل عمّا أفعل وهم يُسألون**»[1]. فالله تعالى أودع في المخلوقات الاختيار والقدرة على الفعل، وهذه القدرة هي علّة إرادة المخلوقات.

الأمر الثاني: إنّ هذه الإرادة محكومة بالمشيئة والإرادة الإلهية، فإنّ الأفعال تحتاج أيضاً إلى إذنٍ إلهي بالحدوث، فالفعل الذي يصدر من الموجودات والمقدَّر له بمشيئة الله تعالى بالحدوث، فهو كائن، فإذا كان فعل العبد مطابقاً للمشيئة الإلهية، وإنّ الله تعالى قد اختاره بمشيئته، فإنّه تعالى ينفّذه بإرادته التكوينية، بعد تعلّق إرادة العبد به؛ لأنّه لا يخالف التخطيط العام للكون، والعبد في موقع الاختيار لهذا الفعل، أمّا إذا كان فعله مخالفاً للمشيئة الإلهية فإنّ إرادته تتعارض مع إرادة الله تعالى؛ لأنّ إرادته تعالى طِبقاً لمشيئته، فيضع الله تعالى الموانع لتحقيق هذا الفعل، كما يقول تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾[2]. وهذه الآية تُشير إلى طبيعة الموانع التي يضعها الله تعالى أمام مشيئة مَن يريد النفاذ وإرادته، وعدم توافر الشرط

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٥٢.

(٢) الرحمن: آية٣٣ـ٣٥.

الأوّل عند المخلوق لا يعني تخلّفه إذا كان حدوثه وتحقّقه موافقاً لمشيئة الله تعالى، فعندها يكون التدخّل الإلهي بإيجاده وتحقّقه الخارج عن قدرة العبد، وهذا التدخّل الإلهي لا يكون إلّا وفق الحكمة الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1]. فالفئة القليلة وإن كانت لها مشيئة واختيار في مقارعة الظلم إلّا أنّها لا تمتلك القدرة، فالله تعالى يفعل النصر لهم، ولدينا شواهد تاريخية كثيرة، منها: معركة بدر، فالله تعالى شاء وأراد النصر للمؤمنين ـ طبعاً النصر المشروط كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2]، فأيّدهم بالملائكة.

أمّا في معركة أُحد فلم يكن الأمر كذلك؛ لأنّهم لم ينصروا الله، بل أرادوا نصر أنفسهم وأطماعهم.

وهذا أيضاً واضح في معركة الأحزاب؛ حيث إنّ الله تعالى هو مَن هزم الأحزاب وحده، كما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**وأخذ بعضادتي الباب، ثمّ قال: لا إله إلّا الله، أنجز وعده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده**»[3].

وعلى هذا يتّضح أنّنا أمام ثلاث حيثيات للإرادة الإلهية من جهة فاعليّتها في الأشياء حدوثاً:

الأُولى: ما هو متعلّق بفعل العبد من حيث توقّف فعل العبد عليها، فإذا كان فعله طبقاً للمشيئة الإلهية فإنّ الإرادة الإلهية تمضيه له بحسب أسبابه ومسبَّباته، وأمّا إذا تعارض مع المشيئة الإلهية فإنّ الإرادة تضع الموانع لعدم تحقّقه، والأمران طبقاً لمشيئته تعالى وحكمته، كما في آية نفاذ الجن والإنس إلى أقطار السموات والأرض.

الثانية: ما هو غير متوقّف على فعل العبد وإرادته، بل متوقّف على نمط إدارة الكون،



(١) البقرة: آية ٢٤٩.

(٢) محمّد: آية ٧.

(٣) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى: ج١، ص٢٢٥.

فالله تعالى يفعل ما يشاء سواء كان للعبد مشيئة وإرادة أم لا، كما هو حال اليتيمين في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[1]، فاليتيمان ليس لهما أيّ فكرة أو اختيار في استخراج الكنز، فضلاً عن أن تكون لهما إرادة.

الثالثة: كما أنّ للإرادة الإلهية حيثية أُخرى غير متعلّقة بطبيعة عالم الخلق من حيث الثقل والزمان والمكان، بل هي طبيعة عالم الأمر وهو أمره تعالى ﴿كُن﴾، فإنّنا وإن كُنّا نقول: إنّ طبيعة الأوامر الإلهية هي قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. إلّا أنّ هذه الأوامر عند نزولها إلى عالم الخلق تتقيّد بقيد الزمان والمكان، وهذا التقييد بحكمة الله تعالى ومشيئته، لكنّه تعالى في بعض الأوامر الإلهية يرفع هذا القيد، فيحصل نوع اندكاكٍ بين الأمر والخلق؛ لحكمته في بيان عظمته والدلالة على وجوده تعالى؛ لأنّها أبلغ في النفس ممّا لو تقيّدت بقيود عالم الخلق، وهما: (الخلق والأمر) بيد الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

ومن الشواهد القرآنية على هذا القول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[3]. فالأمر غير موجَّه إلى أبدانهم؛ لأنّ البدن من عالم الخلق، بل هو موجَّه إلى حقائقهم أو أرواحهم، التي هي موجودات أمريّة، وخاضعة إلى قوله تعالى: ﴿كُن﴾. كذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ

---

(١) الكهف: آية٨٢.

(٢) الأعراف: آية٥٤.

(٣) البقرة: آية٦٥.

﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾[1]. فإنّ من ذاتيات النار الإحراق، وقوله تعالى: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾. أي: إنّ حقيقتها هي مَن تغيَّرت، ولم يكن الخطاب موجَّهاً إلى لونها وضيائها، وبهذا تتّضح لنا حيثية أُخرى للإرادة الإلهية، وقوله تعالى: ﴿كُن﴾.

فكلّ الموارد التي ذكرناها تبيِّن أنّ الإرادة الإلهية هي الفاعلة طِبقاً للمشيئة الإلهية، والمشيئة الإلهية لها الحاكمية على الإرادة؛ لأنّها الخلق الأوّل الذي خلق الله منه كلّ شيء، إلّا أنّ الأوامر الإلهية لها حيثيات مختلفة، كما بينّاها.

أسباب المظلوميّة ونتائجها

المظلومية باعتبارها واقعاً أذِنَ الله به واختاره بوصفه نظاماً يَمتحن الله تعالى به عباده، لها أسباب ونتائج، أمّا الأسباب فيمكن الحديث عنها من جهتين:

الجهة الأُولى: ما يتعلّق بالمظلوم

إنّ الله تعالى لمّا خَلَقَ الخلق خلقهم لهدف عبادته.

نعم، هذه العبادة ليست بحسب المفهوم الشائع للعبادة، بل العبادة المحضة التي بمعنى الطاعة لله في كلّ شيء، أمّا العبودية بمفهومها الأعمّ فهي ليست هدفاً البتة؛ لأنّ الكلّ آتي الرحمن عبداً، فهو خاضع قهراً إلى حكومة الله تعالى، أمّا العبادة التي يريدها الله تعالى فهي العبادة التي تكون باختيار العبد، وهي الطاعة الحقيقية لله تعالى، ليس لكونه يملك جنّة يسعد مَن دخلها، أو يملك ناراً يشقى مَن ولج فيها، وبالتالي تكون عبادته سبحانه وسيلة إلى رضا أنفسنا، سواء بتحصيل خير الجنّة أو الأمن من شرّ جهنمّ، بل عبادته تعالى كونه أهلاً للعبودية، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا شوقاً إلى جنّتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك**»[2].



(١) الأنبياء: آية٦٩.

(٢) ابن أبي جمهور الأحسائي، محمد بن علي، عوالي اللآلي: ج٢، ص١١.

والطريق إلى تحصيل العبادة بهذا المعنى لا يمكن إلّا من خلال تحقيق مقدّمات، ومن هذه المقدّمات وأجلّها هو الصبر، فالصبر رأس كلّ عبادة، والعلاقة بينهما مطّردة، وأجلى صورة للصبر هي في الصبر على البلاء، خاصّةً إذا كان البلاء يهدّد وجود الإنسان، أو ماله، أو كلّ شيء يعدّه عزيزاً عنده.

فإنّ الصبر على البلاء يكون سبباً في صيرورة الإنسان عابداً حقيقياً لله تعالى، كما أشارت إليه الآية بقوله تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[1]. فالآية تُشير إلى وضوح العلاقة بين الصبر والعبادة، فكلّما كان العبد صابراً كانت عبوديّته لله تعالى أوكد وأدق، إلى أن يصل إلى مرحلة العبودية المحضة، ثمّ إنّ المظلومية هي أوضح صورة من صور البلاء والامتحان الإلهي، فالإنسان قد يُبتَلى بشيء من النقص في الأنفس، أو الأموال، أو الجاه، أو غير ذلك ممّا يعدّه ضرورياً في حياته، وهو على هذا الحال بصبره ينال درجات رفيعة عند الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[2]. فالصبر على البلاء علّة فيض الرحمة والهداية الإلهية، وهذا أيضاً ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[3].

فالوصف في الآية الأُولى للصابرين، وفي هذه الآية للعابدين، إلّا أنّ النتائج في كلتا الآيتين، وهداية وعلم، والهداية هي العلم الإلهي أو المعرفة الإلهية، ويمكن أن نحتمل أنّ الصبر هو من يُصيِّر الإنسان عابداً، أو أنّ العبودية تُصيِّر الإنسان صابراً، فعلى كلا

(١) ص: آية٤٤.

(٢) البقرة: آية١٥٥ ـ ١٥٧.

(٣) الكهف: آية٦٥.

الاحتمالين فإنّ العبودية هي الهدف الإلهي، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

ويمكن أن نتوسّع في فهم العلاقة بين الرحمة والعلم الإلهي، أو الرحمة والهداية الإلهية، وبين كون الإنسان عابداً لله تعالى ونال درجة العبودية الحقّة بالصبر، فكلّما كان العبد مهتدياً عالماً رحيماً كان من عباد الله تعالى، وكلّما كان من عباد الله تعالى كان صابراً على البلاء، فإذا كان العبد ليس محلّاً لفيض الرحمة والعلم الإلهي وحسب، بل هو الرحمة، وهو مدينة العلم، كما هو الوصف الذي اختصّ به نبينا محمدصلى الله عليه وآله، فهي دلالة على درجة العبودية، ودرجة صبره على البلاء؛ ولذا ورد عنهصلى الله عليه وآله: «**ما أُوذيَ أحدٌ مثلما أُوذيتُ في الله**»[2].

فكلّما كان مقدار البلاء عظيماً وكان صابراً محتسباً أمره إلى الله تعالى كان العبد محلاً لرحمة الله تعالى وهداه.

فكان الحسينعليه السلام بصبره على ذلك البلاء والامتحان الإلهي سفينة النجاة، وباب الرحمة والهداية الإلهية في الدنيا، وشفيعاً مشفَّعاً في الآخرة.

الجهة الثانية: ما يتعلّق بالظالم

إنّ من الأسباب والدوافع التي تدفع الإنسان إلى ممارسة الظلم هو سطوة النفس الأمّارة بالسوء، وحبّ التسلّط والجهل، والابتعاد عن جادّة الصواب والخير الذي أراده الله تعالى للخلق، والذي بيَّنه بتعاليمه المنزّلة على أيدي الأنبياء والرسل، وغيرها من العوامل التي تدفع الإنسان إلى ممارسة الظلم على خلق الله تعالى؛ ظنّاً منهم أنّ ذلك يُحقِّق أهدافهم ومطامعهم في الحياة الدنيا، إلّا أنّهم بعيدون عن حقيقة أنّ الله تعالى أوجد

(١) الذاريات: آية٥٦.

(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج١، ص٦٧.



الإنسان في هذه الدار ليبتليه، والميزان هو العمل الصالح، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[١].

فممارسة الظلم وإن كانت بمشيئة الله وإذنه، إلّا أنّه امتحانٌ للظالمين، والسُّنة الإلهية جرت على الخلق، بأن وَضَعَهم على مفترق طريقين: طريق التقوى وطريق الفجور، طريق الحقّ وطريق الباطل، طريق الكفر وطريق الإيمان، وخوَّل عباده في الاختيار، وهذه هي مشيئته وكلمته التي حقَّت على عباده؛ لأنّه تعالى إن أوجد الإيمان بغير الكفر، والحقّ بغير الباطل، فلا يتحقَّق الإيمان المُمحَّص النقي، ولا يكون ذلك إلّا بخلق الضدّ، وكما قيل: بأنّ الأشياء تُعرَف بأضدادها، فالكفر والباطل ما هي إلّا أدوات لتمحيص الحقّ والإيمان والعدل في نفوس العباد، أمّا أنّ الله تعالى يأذن لأهل الباطل بما يفعلون فذلك إملاءٌ لهم لا غير؛ لأنّهم استحقّوا بأفعالهم الضلالة من الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٢].

كذلك يمكن القول: إنّ كلّ فعلٍ قبيح يصدر من العبد، وكلّ معصيةٍ فهي وإن كانت بمشيئته تعالى، إلّا أنّ العبد قد استحقّ بتسافله هذا المقام، كذلك الهداية، فهما متوقّفتان على فعل العبد، كما يقول تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣].

أمّا النتائج والحكمة الإلهية من إمضائه تعالى بمشيئته للمظلومية والمأساة التي وقعت على أهل البيت عليهم السلام بشكلٍ عام، والحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام بشكلٍ خاصّ، فنذكر منها:

أوّلاً: ما يتعلّق بالكمال الخاصّ للفرد، فإنّ الصبر على البلاء وعلى الظلم يُعطي

(١) المُلك: آية٢.

(٢) آل عمران: آية١٧٨.

(٣) آل عمران: آية٨٦.

نتائج طيّبة فيما يخصّ كمال الأفراد، فإنّه بذلك ـ وعند حصوله على النتائج الطيّبة التي تسبّبت بها المظلومية، مع صبره عليها وثباته، فإنّه ـ كما ذكرنا في النقطة الأُولى من أسباب المظلومية ـ يكون محلاً لفيوض الرحمة والعلم الإلهي، والتي تنعكس بدورها على كماله الخاصّ؛ ليرتقي في مراتب الكمال والإيمان؛ ولذا ورد: «**وإنّ لك في الجنّة درجات، لا تنالها إلّا بالشهادة**»(1).

والأكيد أنّ الدرجات تكون عالية ويستحقّها العبد بمقدار صبره واحتساب أمره عند الله تعالى، فنحن نرى الحسين عليه السلام وهو رافعٌ ولده الرضيع بعدما ذبحوه من الوريد إلى الوريد، يقول: «**هوّن عليَّ ما نزل بي أنّه بعين الله**»(2).

نعم، إنّ تصوّر ما حدث في كربلاء بعد تتبّع الروايات يعطينا تصوّراً مرعباً عن تلك الأحداث، إلّا أنّ الأغرب هو صبر الحسين عليه السلام وثباته، وانقطاعه إلى الله تعالى في كلّ موقفٍ من مواقف كربلاء، وكان لسان حاله يُعبِّر عن مدى الحبّ الإلهي الذي مَلأَ قلبه حتى يكاد لا يرى في كلّ شيء إلّا الله تعالى؛ لأنّه أحبّ الله، ولأنّه علم أنّ الله أحبّه، فانقطع عن كلّ شيء سواه.

ثانياً: ما يتعلّق بالكمال العام، فإنّ السُّنة الإلهية جرت في أن يكون للناس أُسوة في كلّ شيء، حتى أنّنا نرى أنّ القرآن قد قصَّ علينا قصص الأنبياء والرسل وأحوالهم، وما عانوا وتحمّلوا من أجل الدين والحقّ، وكذلك أحوال الأُمم التي لم تؤمن بالله تعالى، وما جاء به أنبياؤه ورسله؛ لتكون هذه القصص عبرة للإنسان في أن يرسم طريقه ويحدّد هدفه في الحياة، وهي رحمة إلهية لتخفيف المؤونة على الإنسان في أن يجعل له مثلاً يقتدي به، ويختصر خوض التجارب، للوصول إلى ما هو صواب وعليه اتّباعه والتمسّك به، وما هو بعيد عن الحقيقة ليتجنّبه ويبتعد عنه، حتى أنّنا نرى أنّ أحوال الأنبياء قد

(1) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣١٣.

(2) المصدر السابق: ج٤٥، ص٤٦.



اختلفت، وقصصهم قد تنوَّعت؛ لتكون لنا في قصصهم عبرة شاملة لكلّ الأحوال، سواء على صعيد النفس وتهذيبها، أم على مستوى الصبر على البلاء ونتائجه الطيّبة، أم على مستوى الأُمور العَقَدية والإيمان بوجود الحقّ تبارك وتعالى، وعبادته وحده؛ كونه أهلاً للعبادة دون غيره، أو على مستوى الوقوف في وجه الظالمين والتوكّل على الله تعالى، وغير ذلك ممّا ذكرته آيات الذكر الحكيم، فمشيئته اقتضت أن يُرينا الأُسوة الحسنة من عباده المقرَّبين؛ لتكون أحوالهم مناراً يضيء لنا طريقنا في هذا الوجود.

فكانت مظلومية الإمام الحسين عليه السلام المَثل الأعلى عند الله تعالى إلى الناس في الصبر على البلاء، وتحمّل أعباء مسؤولية الحفاظ على الدين، فما تضمَّنته هذه المظلومية والمأساة من دروس وعِبَر كانت سبباً من أسباب إحيائها إلى هذا اليوم؛ لأنّها عطاء روحي لا ينفد، لا لأنّ المشيئة الإلهية اقتضت خلودها وحسب، بل كونها تمثّل أروع ما يمكن أن يُقدِّمه الإنسان من تضحية في سبيل إحياء الدين، فعلى الرغم من شدّة ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، فإنّنا نراه وأهل بيته وأصحابه وقفوا موقف الثبات والصبر والإقدام، على أن لا مساومة على حساب دين الله تعالى، وبالتالي زرع في نفوس المؤمنين الاستعداد لبذل الغالي والنفيس من أجل الدين والهدف الإلهي.

«**إنّ مظلومية أبي عبد الله عليه السلام وغيره من الأئمّة تضع الشيعة دوماً على طريق مقارعة الظلم، والاستعداد للبذل والتضحية بين المنتقم لدماء الشهداء المظلومين في كربلاء، ألَا وهو المهدي المنتظر عليه السلام، ويكرّس كراهية الظالمين في نفوسهم**»[1].

ثالثاً: إنّ ما يُصطلَح عليه بالمظلومية فهي ما كان من العباد وليس من الله تعالى، وإن كان الله تعالى أنفذها بإرادته فعلاً وبمشيئته اختياراً، إلّا أنّ ذلك الفعل ـ وكما أوضحنا ـ واقع تحت اختيار العبد؛ لأنّ الظلم ليس من إرادة الله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ

(١) محدّثي، جواد، موسوعة عاشوراء: ص٦٥٦.

﴿بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]. وما كان من الله تعالى هو عدم المانع ليس إلاّ، فهو واقعٌ باختيار بني أُميّة ومَن وقف وراءهم، وإن كان بإرادة الله التكوينية ومشيئته، إلّا أنّه لم يرضَه لعباده، ولم يحبّه، كما ورد عن الفضيل، عن الصادق عليه السلام: «**وسمعته يقول: شاء وأراد، ولم يُحبّ ولم يرضَ، شاء أن لا يكون في ملكه شيء إلّا بعلمه، وأراد مثل ذلك، ولم يُحبّ أن يُقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرضَ لعباده الكفر**»[2].

فليس كلّ ما أراده الله تعالى أحبّه ورضيَ به، بل يؤخّرهم إلى يوم الحساب، ويُملي للظالمين ويزيدهم؛ لأنّهم قد استحقّوا بأفعالهم هذه الضلالة من الله تعالى، فالله تعالى لا يريد الظلم للعباد، وهو غير ظالمٍ لهم.

وعليه؛ يمكن أن نطرح السؤال التالي: ما هي الإرادة الحقيقية لله تعالى لهذه المظلومية والمأساة؟ فإنّنا نلاحظ أنّ الإنسان قد يحكم على الأشياء من خلال ظواهرها، ولا يعلم الحكمة منها؛ ولذا ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾[3].

فالحكمة الإلهية لهذا البلاء والامتحان الإلهي قد ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[4]. فهذا هو المراد الحقيقي لله تعالى؛ ليُذهب عنهم كلّ شكّ في سبب الحبوة التي خصّهم الله تعالى بها، بهذا البلاء وهذا الامتحان في دار الدنيا أو الآخرة.

وبالتالي: فإنّ المشيئة الإلهية لهذه المظلومية والمأساة، أو لقتل الحسين عليه السلام إنّما سُمِّيت بذلك لأنّ القتل والمظلومية هي الفعل، وهي الإرادة من الله تعالى، وتعني ـ كما قلنا ـ:



---

(١) آل عمران: آية١٠٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥، ص٥١.

(٣) الجن: آية١٠.

(٤) الأحزاب: آية٣٣.

عدم المانع، أمّا المشيئة الإلهية فهي ما تحقّق فعلاً وتعيَّن، فهل الذي تعيَّن هو مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وقتله وسبي عياله أو أنّ الذي تحقّق فعلاً هو أنّ الله تعالى أذهب عنهم الرجس والشكّ وكرَّمهم، ورفع شأنهم، وجعلهم وسيلته إليه، ومناراً للناس يقتدون بهم ويؤمنون بمبادئهم؟ كما هو المشهور عن المهاتما غاندي قوله: «**تعلَّمتُ من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر**».

المشيئة الإلهية ومظلومية الإمام الحسين عليه السلام

بعد أن كوّنّا مفهوماً يسعفنا في قراءة طبيعة حركة الإمام الحسين عليه السلام، وهل الإمام الحسين عليه السلام كان قد سار إلى مقتله؛ لأنّه يعلم بأنّه مقتول، وأنّه لا بدّ من أن ينجز ما عليه؛ لأنّ المشيئة الإلهية اقتضت ذلك، والنتائج المترتّبة على قتله هي الهدف الحقيقي الذي لا يمكن تحقيقه إلّا بدمائه الطاهرة، أو أنّ الإمام الحسين كان أمام خيارات متعدّدة طِبقاً للمشيئة الإلهية؟ كما قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1].

لكنّ الظروف لم تُسعف الحسين عليه السلام نحو تحقيق أهدافه السياسية، بل كانت الأسباب أدَّتْ إلى تلك النتيجة المأساوية، وهذا ما ثبت في مشيئة الله تعالى، وهذه النتيجة بحدّ ذاتها لا تخلو من أهداف واقعية ساهمت وبشكلٍ كبير في خلق الاستعداد في نفوس المؤمنين، للوقوف ضدّ الظلم والطغيان، وأحيتْ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتضحية بالنفس والمال والعيال من أجل إحياء دين الله تعالى.

وبهذا، فنحن بين الشدّ والجذب، بين مَن ذهب إلى الاحتمال الأوّل[2]، ومَن ذَهَب إلى تبنّي الاحتمال الثاني الذي ذكرناه.

---

(١) الرعد: آية٣٩.

(٢) وهذا ما نجده واضحاً وجلياً في بعض مؤلّفات ممَّن كتبوا في واقعة الطف: «وإنّ الله سبحانه وتعالى قد عهد للإمام الحسين عليه السلام، وأمره عن طريق النبي صلى الله عليه وآله بتنفيذ مشروع ينتهي باستشهاده واستشهاد مَن معه». الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص١٤.

ويعزو الشيخ قيصر التميمي إلى أنّ مَن تبنّى الاحتمال الأوّل في رؤيته لواقعة الطف يعود إلى أسباب وإشكاليات عقدية وتاريخية وغيرها، أجاب عنها في بحثه الموسوم: (الأسباب والمبرِّرات العقدية والتراثية للتفريط بالأهداف والمبادئ السياسية للنهضة الحسينية)[1]، ومن جملة الردود على هذه الرؤية قوله: «**والحاصل أنّ المشيئة الإلهية الفعلية التي أخبر عنها الإمام الحسين عليه السلام لا تغلق الأبواب أمام إمكانية تحقيق النصر العسكري، ولا تُلغي الأمل والرجاء في إصلاح الأُمّة، وإسقاط الحكومة الظالمة، وإقامة حكومة إسلاميّة عادلة بديلة عنها؛ ولذا خرج الحسين عليه السلام بأمل ورجاء تحقيق وإنجاز تلك الأهداف والمصالح والغايات السامية... ينبغي أن نُميّز بين النصوص الصادرة في أوائل أيّام النهضة، وبين ما صدر في نهايتها، حينما أصبح الإمام الحسين عليه السلام على مشارف الكوفة، وبعد انقلاب أهلها؛ لأنّ ما صدر في الأيّام الأخيرة كان أقرب إلى الشهادة من النصر، وجملة من النصوص التي ذكرتْ هذه الإشكالية هي من نصوص الأيّام واللحظات الأخيرة للنهضة**»[2].

والحقّ أنّ هذا الإشكال قائم؛ لأنّنا أمام نصوص وعبارات تؤيّد الطرفين، إلّا أنّ الجمع بينهما هو الحلّ الأنسب، فالإمام الحسين عليه السلام باعتباره إماماً معصوماً مفترض الطاعة، ومكلَّفاً أمام الله تعالى أيضاً، فعليه أن يؤدّي تكليفه الواقعي مهما كانت النتائج، فإذا كان تكليفه هو القتل من أجل الدين، وفي هذا القتل يكون قد حقّق نتائج عظيمة، «**وإنّما الذي حصل هو الهداية والرعاية للبشر دينياً ومعنوياً وإنسانياً بمقتله وشهادته سلام الله عليه؛ إذ أعطى المثال الأعظم للتضحية الضخمة بهذا الصدد، فكان النبراس**

---

(١) التميمي، قيصر، الأسباب والمبررات العَقَدية والتراثية للتفريط بالأهداف والمبادئ السياسية للنهضة الحسينية، مقال التحرير في مجلة الإصلاح الحسيني: العدد٤، ص١١.

(٢) المصدر السابق: العدد ٤، ص٣٧ـ٣٨.

الأفضل الذي يُضيء للأجيال طريقهم باستمرار، وإلى يوم القيامة»[1]. أو كان تكليفه طِبقاً للقواعد الإسلاميّة العامّة، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطلب الإصلاح، وهذا ما تحقّق أيضاً بخروجه عليه السلام، إمّا بإقامة الحكومة الإسلاميّة العادلة، فإنّ هذا الأمر وإن لم يتحقّق في زمانه إلّا أنّه هدف إلهي على المرء أن يسعى إليه وأن يطلبه، سواء تحقَّق على يديه أم على يد الأجيال التي تليه، فهو بهذا يكون قد شارك فعلاً في تحقيق هذا الهدف، ولا تنافي بين مقتله وهذا الهدف، بل يمكن القول: إنّ حلم الأنبياء كان في تحقيق هذا الهدف، وتحقّقه على يد الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف لا يعني حصر أسبابه في فترة ما قبل الظهور أو بعده، بل نستطيع القول: إنّه من نتائج تلك التضحيات التي كانت على أيدي الأنبياء والأولياء ـ والحسين عليه السلام منهم ـ تأكيد هذا الهدف، فإلى اليوم أضحت تضحيته تقدّم لنا الأمل بقيام دولة العدل الإلهي، وإلى ذلك يُشير قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

والإشكالية القائمة في تصوّر أهداف الإمام الحسين عليه السلام، وما هو مرتكز عنده، هي ما أشار إليها أصحاب الاحتمال الثاني، إلّا أنّ تعذّر ذلك وعلمه المسبق يقطع الطريق أمام مَن تبنّى الاحتمال الثاني، سواء أكان علمه عن طريق جدّه، أو عن طريقٍ آخر، باعتبار أنّه كان يعلم بمصيره المحتوم، سواء بعلمه اللّدنّي أم بواسطة قراءته لُمجريات الأُمور، وهذا ما أشار إليه عليه السلام في بعض أقواله ومنها: «**وايمُ الله، لو كنتُ في جحر هامّةٍ من هذه الهوامّ لاستخرجوني حتى يقتلوني، والله! ليعتدنّ عليَّ كما اعتدتْ إليهود في السبت، والله! لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي**»[3].

فالمشيئة الإلهية اقتضت أن تكون تلك المظلومية للإمام الحسين عليه السلام، وهو عالم بأنّه

(١) الصدر، محمد، أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام: ص٩٧.

(٢) المجادلة: آية٢١.

(٣) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٧٢.

مقتول، وشاء الله ذلك، بمعنى أنّه تعالى أذن به وشاء للقتل أن يحصل، ولكنّه بتدبير بني أُميّة ومَن يقف خلفهم، لكنّ جهلهم وعلم الإمام الحسين عليه السلام بالحكمة الإلهية لهذه المظلومية جعلته يسلك الطريق الأمثل لتحقيق النتائج المطلوبة من هذه المظلومية، وهذا ما دلّ عليه كلامه عليه السلام مع محمد بن الحنفية: «**أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، اُخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً. فقال محمد بن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك، وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال: فقال [لي صلى الله عليه وآله]: إنّ الله قد شاء أن يراهنَّ سبايا**»[1].

اشتراك العيال في المظلومية والمأساة

نعرض هنا ما حلَّ بعيال الحسين عليه السلام واشتراكهم في المظلومية والمأساة، وجريان الأحداث وما تضمّنته من مأساة وقتل وأحداث أليمة أمام أعينهم، والوحدة التي عاشوها بعد غياب الرجال، والممارسات الوحشية لجيش بني أُميّة مع الأطفال والنساء، ثمّ أخذهم سبايا أمام الملأ إلى قصر عبيد الله بن زياد، ومحاولات ابن زياد للتشويش على فعلته النكراء، وما يترتّب على ذلك من مسؤولية تجاه علي بن الحسين عليهما السلام، أو عمّته العقيلة زينب عليها السلام، ومحاولة ابن زياد قتل علي بن الحسين عليهما السلام، وكيف تمسّكت به عمّته زينب، وغيرها من الأحداث ـ التي يطول المقام بنا عند عرضها ـ حتى وصولهم إلى المدينة، وجلوس زينب ومَن معها من الأطفال والنساء، والديار خالية من أوليائهم الذين خلَّفوهم على رمضاء كربلاء صرعى كالأضاحي.

فهذه الأحداث ـ مع ما لم نورده ـ تكفينا في بيان أنّ العيال كانوا ممّن شاركوا الحسين عليه السلام في هذه المظلومية والمأساة، وهي في الوقت الذي تزيد حجم المظلومية والابتلاء على الإمام الحسين عليه السلام، باعتباره صاحب المسؤولية المباشرة عليهم، فهم أيضاً قد تحمّلوا عبئاً كبيراً من

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٤.

الابتلاء والمظلومية التي امتحنهم بها الله تعالى، ليَعلَم صبرهم وطاعتهم وتسليمهم لأمره، قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[1].

أمّا مقدار الصبر ـ على الرغم من عظم البلاء الذي مُنيَت به العيال ـ فإنّ الإمام الحسين عليه السلام كان حريصاً على بيان هذا الثبات، فهو عليه السلام وفي أحلك الظروف وزينب عليها السلام تنظر إلى أهل بيته وأصحابه قد توسّدوا عفير الأرض مضرّجين بدمائهم، وهي في هذا الحال إلّا أنها ترى أخاها شاخصاً أمام ناظرها، وهذا ما يهوّن الخطب، إلّا أنّ هذا الأمر لم يستمر، فنرى أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا أراد أن يتقدّم إلى القتال نظر يميناً وهو يقول: «**أَلَا هل مَن يُقدِّم لي جوادي؟**». فسمعت زينب عليها السلام، فخرجت وأخذت بعنان الجواد وأقبلَت إليه وهي تقول: «**لمَن تنادى وقد قرحت فؤادي**»[2].

فهو عليه السلام قد امتحن أُخته وعياله؛ ووجدهم صابرين محتسبين، ففي تقديمها الجواد لأخيها دلالةٌ واضحة على صبرها وثباتها، وهو عليه السلام قد امتحن أصحابه قبل ذلك، حيث ورد: «**وجمع الحسين عليه السلام أصحابه وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّي لا أعلم لي أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي [جميعاً] خيراً، ألَا وإنّي قد أذنتُ لكم فانطلقوا أنتم في حلٍّ، ليس عليكم منّي ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً. فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء عبد الله بن جعفر: وَلِمَ نفعل ذلك لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك. وبدأهم العباس أخوه ثمّ تابعوه، وقال لبني مسلم بن عقيل: حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا فقد أَذنتُ لكم. فقالوا: لا والله، لا نفارقك أبداً حتى نقيك بأسيافنا ونُقتَل بين يديك**»[3].

---

(١) آل عمران: آية ١٤٠.

(٢) الحائري، محمد مهدي، معالي السبطين: ج٢، ص٢٧.

(٣) ابن نما الحلّي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٥٢.

فهذه الروايات وغيرها لها دلالة واضحة على أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يمتحن أصحابه، ويرى مدى صبرهم وثباتهم أمام قرع السيوف وتهافت الحتوف، فهم مع تلك المأساة والصعاب، إلّا أنّهم يتلذّذون بالموت كما يتلذّذ الطفل بلبن أُمّه. وهناك روايات كثيرة بيَّنت تلك المواقف العظيمة لهذه الفئة المؤمنة.

أمّا العيال ومشيئة الله تعالى في سبيها، فإنّنا نحتمل عدّة احتمالات قد تكون كلّها صحيحة وفقاً لمجريات الأحداث:

الأُطروحة الأُولى: إنّ هذه الواقعة أراد الله تعالى لها أن تكون أعظم تضحية من أجل الدين، وهذه العظمة لا يمكن أن تكون إلّا مع استيعاب كلّ ما هو محتمل أن يدخل تحت عنوان التضحية بالعيال، وما جرى عليهم من السبي داخل تحت هذا العنوان أكيداً.

الأُطروحة الثانية: إنّ مَن حملهم الإمام الحسين عليه السلام من العيال قد استحقّوا أن ينالوا هذه المرتبة العظيمة، بعد علم الله تعالى بهم أنّهم سيصبرون، وإنّ هذا البلاء ضمن حدود استطاعتهم، فهم بالتالي قد استحقّوا أن ينالوا به مراتب أعلى وأجلّ من الكمال والمنزلة العظيمة في الدنيا والآخرة؛ ولذا ورد عن الإمام الحسين عليه السلام: «**ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي**». كيف لا والعقيلة زينب تضع يدها خلف جثمان أخيها رافعةً رأسها إلى السماء قائلة: «**اللهمّ تقبَّلْ منّا هذا القربان**»[1].

الأُطروحة الثالثة: إنّ اقتضاء المشيئة الإلهية لشراكة العيال في هذه المظلومية والمأساة في حدود السبي هي أرسخ من غيرها؛ لما ذكرنا من أنّ الهدف الإلهي أو الإرادة الإلهية لم تتعلّق بالسبي، بل بأمرٍ آخر وهو الغاية من السبي، فلو تتبّعنا الأخبار وما جرى من بيانات وكلمات ألقتها العقيلة زينب عليها السلام أو الإمام السجّاد عليه السلام باعتبار كونه مريضاً، وهو مشمول بعنوان أنّه من عيال الإمام الحسين عليه السلام، الذين سقط عنهم تكليف رفع

(١) الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر: ج٢، ص٨٧.

السلاح، فإنّ هذه الأدوار التي ذكرها التاريخ كانت للحفاظ على بيان تلك المظلومية، فمع ما كان لعبيد الله بن زياد وليزيد من حالة مرعبة في نفوس المسلمين؛ لسطوتهم وظلمهم، نجد أنّ الإمام السجّاد وعمّته زينب عليهما السلام وقفوا بكلّ عزمٍ وهمّة أمامه، ولم يُظهروا أيّ نوع من أنواع الانكسار والخسارة، كيف وهي تنهى العيال عن أن يأخذوا الطعام من أهل الكوفة، وتقول: إنّ الصدقات محرّمة على أهل البيت ـ كما ذُكِرَ في المقاتل ـ وهذا الدور هو في الحقيقة إكمال لمسيرة الإمام الحسين عليه السلام، وهو الوقوف في وجه الظالمين، الذي لا زال مستمرّاً بعد أن أوقد الحسين عليه السلام جذوته.

مظلومية الإمام الحسين ودولة العدل الإلهي

يمكن الكلام عن ذلك في محورين:

المحور الأوّل: مظلومية الإمام الحسين وبداية حركة الظهور المقدّس

إنّ كلّ حركة أو ثورة ـ مهما كانت أهدافها، ومهما كانت طبيعتها ـ لا بدّ لها أن تحمل شعاراً، هذا الشعار يُمثِّل رمز الثورة، وهذه الرمزية للشعار تحمل بين طيّاتها أهداف الثورة ومطالبها، ويمكن أن تتضمّن طبيعة الثورة من حيث كونها سِلمية أو عسكرية، كذلك امتدادها من حيث كونها ذات طبيعة جغرافية محدَّدة ضمن إقليم أو بلد أو ربّما أوسع.

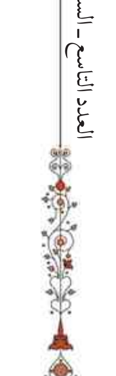
إنّ تواتر الروايات عند الفريقين ـ في ما لو أهملنا ما تضمّنته باقي الديانات من نصوص ـ والتي تُشير إلى وجود المنقذ العالمي الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وسيقضي على كلّ أنواع الظلم، ويعمّ الخير والعدل على أرجاء المعمورة، فهي قضية عالمية تشمل كلّ بقاع الأرض، وقد وردت روايات تدلّ على أنّ شعار ثورة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ مهما كانت طبيعتها ـ هو: (يا لثارات الحسين)، ومنها: ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**وهم من خشية الله مُشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنّون أن يُقتَلوا في سبيل الله، شعارهم: يا لثارات**

الحسين(عليه السلام)، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر»[١].

والسؤال الذي يمكن طرحه هنا: إنّ قضية الإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) إذا كانت لها سمة عالمية، فلماذا ترفع شعار: (يا لثارات الحسين) مع أنّ قضية الإمام الحسين(عليه السلام) ذات طابع إسلامي؟

ويمكن الإجابة عن ذلك بعدّة أوجه، منها:

أوّلاً: إنّ قضية الإمام الحسين(عليه السلام)، وإن كانت ضمن حدود الدولة الإسلاميّة، إلّا أنّها حملت القيم والمبادئ المتسالم عليها دولياً، سواء في زماننا هذا ـ وهو القدر المتيقّن ـ أو في زمان الظهور، فإنّنا لا نجد أيّ نوع من التعارض بين بيانات الأُمم المتحدة وقانون حقوق الإنسان مع ما جرى على الإمام الحسين(عليه السلام)، فهي بذلك تنسجم تماماً مع هدف ثورة الإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) ضدّ الظلم، وأوضح مصاديق المظلومية عالمياً هي مظلومية الإمام الحسين(عليه السلام)، والتاريخ الذي بين أيدينا كفيل ببيان هذه المظلومية والمأساة، ولعلّنا نشهد في وقتٍ ما اعترافاً دولياً بجريمةٍ إنسانية، هي: مقتل الحسين وأهل بيته(عليهم السلام)، تجعل منها شعاراً للمنقذ العالمي.



ثانياً: إنّنا نتمسّك بحقيقة أنّ قضية الإمام الحسين(عليه السلام) لم تأخذ حقّها إلى الآن في البحث والتحقيق، خاصّة وإنّنا نعلم أنّ مَن كَتَبَ في قضية الإمام الحسين(عليه السلام) من الأوائل لم يكن لهم الحرّية المطلقة فيما يكتبون ويؤرّخون، أو يتحقّقون من الرواية المنقولة؛ ولذا ذكر الطبري في مقدّمة كتابه ما نصّه: «**فما يكن في كتابي هذا من خبرٍ ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه؛ من أجل أنّه لم يعرف له وجهاً في الصحّة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنّه لم يؤتَ في ذلك من قِبَلِنا، وإنّما أتى من قِبَل بعض ناقليه إلينا، وإنّا إنّما أدّينا ذلك على نحو ما أُدّي إلينا**»[٢].

إلّا أنّنا يمكن أن نثبت ـ بإقامة بعض القرائن ـ أنّ مظلومية الإمام الحسين(عليه السلام) لم

(١) الطبرسي، ميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل: ج١١، ص١٠١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج١، ص٥.

تكن قضية داخلية فحسب، بل إنّ هناك جهات عالمية في ذلك الزمان كانت لها اليد الطولى في تدبير هذه المأساة على الإمام الحسين عليه السلام، ومنها: ما ورد على لسان العقيلة زينب عليها السلام عندما خاطبت يزيد في مجلسه قائلةً: «**وسيعلم مَن بوَّأكَ ومكّنكَ من رقاب المسلمين، (أن) بئس للظالمين بدلاً، وأنّكم شرُّ مكاناً وأضلُّ سبيلاً**»[1].

كذلك ما ورد من الكتاب الذي عرضه سرجون المسيحي على يزيد، إذ ورد: «**وكتب عبد الله بن مسلم، وعمارة بن عقبة، وعمر بن سعد إلى يزيد بن معاوية: أمّا بعد، فإنّ مسلم بن عقيل قَدِمَ الكوفة فبايعه شيعة الحسين بن علي، فإن يكن لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قويّاً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوّك، فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعّف. فلمّا وصلتْ الكتب إلى يزيد دعا سرجون مولى معاوية فقال له: ما رأيك؟ إنّ حسيناً قد وجّه إلى الكوفة مسلم بن عقيل يبايع له، وقد بلغني أنّ النعمان ضعيف، فمَن ترى أن أستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد، فقال له سرجون: أرأيت معاوية لو نُشر لك أكنتَ آخذاً برأيه؟ قال: نعم. قال: فأَخرَجَ سرجون عهد عبيد الله على الكوفة، وقال: هذا رأي معاوية وقد أمر بهذا الكتاب، فضُمّ المصرين إلى عبيد الله**»[2].

وفي الخبرين دلالة واضحة على أنّ تدبير مقتل الإمام الحسين عليه السلام لم يكن قراراً داخلياً صرفاً، بل إنّ مندوب الدولة البيزنطية كان له أثر في هذه المظلومية، وبالتالي يمكن أن نقول: إنّ مظلومية الإمام الحسين عليه السلام ذات طبيعة عالمية، ومخطّط لها دولياً من قِبل دول الاستكبار العالمي آنذاك، فهي بهذه الحالة إضافة إلى الأُطروحة الأُولى ـ من كونها تُمثِّل أوضح أشكال المظلومية في تاريخ الإنسانية ـ تُمثِّل الشعار الأوحد الذي يمكن أن يكون رمزاً لثورة المنقذ العالمي.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٥٩.

(٢) المصدر السابق: ج٤٤، ص٣٣٧.

ثالثاً: إنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام وحركته وإن كانت ضمن حدود جغرافية معيّنة، وأنها تأطَّرت بعنوان محدّد بوصفها إسلاميّة، إلّا أنّ هذا لا ينافي كون هذه الحركة ذات طابع عالمي، أو أنّ حقيقتها وجوهرها عام.

إنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام عالمية بأهدافها، وعالمية بحقيقتها؛ لأنّها تُمثِّل الامتداد الحقيقي لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله، ورسالة النبي صلى الله عليه وآله عالمية بلا شكّ، والآيات القرآنية متضافرة على هذا المفهوم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

المحور الثاني: المظلومية وخلق الاستعداد

إنّ من أهمّ الشروط الواجب توافرها لبداية الظهور المقدّس هو وجود العدد الكافي الممحَّص من المؤمنين، الذين يأخذون على عاتقهم مهمّة إقامة دولة العدل الإلهي إلى جانب الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وهذا العدد لا بدّ له من مميّزات تجعله قادراً على تحمّل أعباء المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقه، وسواء كان من العدد (٣١٣) المحدَّد في كثير من الروايات، أو من العدد (١٠ آلاف) المحدَّد في روايات أُخرى، كون العدد الأخير يُعتَبر القوّة التي لا بدّ وأن تتوافر في بداية الظهور كما دلّت عليه رواية الصدوق عن أبي بصير قال: «**سأل رجلٌ من أهل الكوفة أبا عبد الله عليه السلام: كم يخرج مع القائم عليه السلام، فإنّهم يقولون: إنّه يخرج معه مثل عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً؟ قال: وما يخرج إلّا في أُولي قوّة، وما تكون أُولو القوّة أقلّ من عشرة آلاف**»[3].

---

(١) الأنبياء: آية١٠٧.

(٢) سبأ: آية٢٨.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص٦٥٤.

وعلى كلّ حال، فالعددان مهمّان في بداية الظهور، والأوّل يُمثّل القادة الرئيسيين في إدارة العالم، والعدد الثاني يُمثّل طليعة جيش الإمام في بداية الظهور، والذي من المؤكَّد أنّه سيزداد شيئاً فشيئاً، كما يبدو للمتبّع.

إلّا أنّ ما يهمّنا في المقام هو درجات الإخلاص والإيمان التي يتحلّى بها هذان العددان من المؤمنين، فإنّ من أهمّ ما يميّزهم هو درجة الإيمان والاستعداد العالي من أجل التضحية في سبيل إقامة الهدف الإلهي بنشر العدل على أرجاء المعمورة، وهذا الاستعداد لا يمكن تحصيله إلّا بالتربية المركَّزة التي تتركّز أكثر بعد الظهور، أمّا قبل الظهور المقدّس فإنّ هناك عوامل كثيرة تكفّلت بتربيتهم، ومنها: المظلومية والاضطهاد الذي يتعرَّض له الضعفاء في العالم، ممّا يشعل في نفوسهم جذوة الحماس والإصرار على تغيير الواقع الأليم، فإذا كانت هناك مظلومية لها الدور الأكبر في بنائهم وتربيتهم، وخلق الاستعداد لديهم، من أجل إقامة المشروع الإلهي على الأرض، فهي مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، فإنها تُمثّل الأُسوة الحسنة والمثال الأوضح لِمَن ظُلِمَ من أجل الدين، وضحّى بنفسه وبكلّ ما يملك من أجل تحقيق هذا المشروع.

فبالإمكان القول: إنّ المشيئة الإلهية للمظلومية والمأساة في واقعة الطف هدفها خلق الأُسوة الحسنة للمؤمنين على مرّ الدهور؛ للتضحية من أجل الدين، حتّى يتحقَّق حلم الأنبياء عليهم السلام على يد المنقذ المخلّص وأصحابه، الذين جعلت منهم تلك الدروس أشخاصاً على مستوًى عالٍ من الاستعداد لتحمّل هذه المسؤولية، فهم وفي كلّ حين عندما يستذكرون تلك المظلومية والمأساة التي جرت على سبط المصطفى وعياله، وتلك الممارسات البشعة التي مارسها بنو أُميّة وشيعتهم على آل الرسول وأصحابهم، يرون أنّ نصرته واجبة؛ لأنّ فيها رضا الله تعالى، ونصرة الحسين عليه السلام، من خلال تحقيق هدفه الذي رفع شعاره في قوله المشهور: «**وإنّي لم أخرجُ أشِراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خَرَجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**»[1].

---

(١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٣٠.



الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي[1]

المقدّمة

ظاهرة الظلم ووجود ظالم ومظلوم ليست من الظواهر المُستحدثة، بل هي ظاهرة تمتدُّ جذورها إلى أعماق التاريخ، من أوّل الخلق إلى يومنا هذا، بل هي مستمرة إلى أن يظهر الإمام الحجّة المنتظر ـ أروحنا له الفداء ـ فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت ظُلماً وجوراً.

يدور البحث في هذه الدراسة حول الظالميّة والمظلوميّة من ناحية فقهيّة، بمعنى بيان حكم الظالميّة والمظلوميّة، وموقف الناس، ووظيفتهم تجاه الظالم والمظلوم.

تُعدّ مسألة الظالميّة والمظلوميّة من المسائل الحساسة، التي ترتبط بواقع المجتمع الإنساني ارتباطاً مباشراً ومصيريّاً؛ فإنّ وجود الظالم يُمثِّل خطراً يُهدّد حياة كلّ إنسان، وربّما يتحوّل المجتمع بسبب الظالم إلى جحيم لا يُطاق، فالظاهرة التي لها هذا التأثير

---

(١) كاتب وباحث إسلامي.

المباشر على المجتمع الإنساني، جديرة بالبحث والدراسة، لا سيّما عند ملاحظة أنّ هذا الموضوع وإن تعرَّض الفقهاء لبعض فروعه، كمعونة الظالمين وتظلّم المظلوم، إلّا أنّهم لم يجمعوا تلك المسائل تحت عنوان مستقل كما في هذا المقال، بل يجد الباحث أنّهم تعرَّضوا لذلك تحت عناوين أُخرى لا صلة لها بالظالميّة والمظلوميّة، كعنوان ما يحرم التكسّب به، وعنوان الغِيبة ـ مثلاً ـ وعليه فقد دعت الضرورة إلى تفصيل الكلام في ذلك فقهيّاً، وتحت عنوان مستقل، وضمن ضوابط ومنهجية معيّنة.

واستيعاب جميع جوانب هذه الدراسة يحتاج إلى الخوض في غمار البحث، حول أسباب وعوامل إيجاد الظالميّة والمظلوميّة من ناحية فقهيّة؛ حتى يتسنّى لنا التعريج بعد ذلك على دراسة الموقف الفقهي تجاه الظالم، مع بيان وظيفة الناس تجاهه، ثمّ بيان النظرة الفقهيّة تجاه المظلوم، والوظائف والتكاليف التي يقرّرها الفقه، ويجعلها على عاتق الناس.

ونحن إذ نبحث هذه الأُمور نأخذ بعين الاعتبار واقعة كربلاء أُنموذجاً، وبما جرى فيها من ظالميّة ومظلوميّة، نستلهم منها وجهة نظر الفقه؛ كي يتيسّر لنا اقتطاف ثمار هذه الدراسة من واقع كربلاء. فيقع البحث في جهات ثلاث:

الجهة الأُولى: الظالميّة والمظلوميّة معناهما وأسبابهما

لا شكّ في أنَّ دراسة معاني الكلمات ـ وما يتّصل بها من المفاهيم بصورةٍ صحيحةٍ ـ يُعطي القارئ تصوّراً واضحاً عنها، وإعطاء الصورة الواضحة منذُ البدء يُساعد على الإلمام السريع بمقصود المتكلَّم. من هنا؛ نجد من الضروري تكريس هذه الجهة، لتسليط الضوء على مفهومي الظالميّة والمظلوميّة، وما يرتبط بهما من مفاهيم، مع التأكيد على بعض أسباب صناعة هذين المفهومين.

أوّلاً: معنى الظالميّة والمظلوميّة

الظالمية: هي الظُّلْم (بضم حرف الظاء، وسكون اللام)، اسم مصدر، والمصدر ظَلْم (بفتح وسكون)، وهو من المصادر المشتقة، وفعله متعدٍّ، فيقال: ظلمه.

ومعنى الظلم في اللغة: «**وضع الشيء في غير موضعه، ألَا تراهم يقولون: مَن أشبه أباه فما ظلم. أي: ما وضع الشبه غير موضعه**»[1]. والظلم: «**الشرك، قال الله**: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]»[3]. والظُّلامة: «**ما تطلبه مظلمتك عند الظالم**»[4].

وكلمة الظالم: صيغة لاسم الفاعل، تدلّ على الشخص الذي صدر منه الظلم، فإذا لحقتها ياء النسب والتاء، أفادت معنى المصدر؛ أي: مُطلق الحدث من دون انتساب إلى الفاعل أو المفعول. وهذا النوع من المصدر يُسمّى بالمصدر الصناعي، واستعماله قليل في اللغة العربية القديمة، كما في كلمة جاهلية[5].

ومحاربة الظالم ضدَّ السِّلم والاستسلام إليه، وهي على قسمين: الأوّل محاربة الظالم باللسان. الثاني: محاربة الظالم باليد والسلاح.

والمظلوميّة أيضاً: هي مصدر صناعي، يدلّ على مُطلق الحدث الذي هو الظلم.

والمظلوم: صيغة لاسم المفعول، وهو الشخص الذي وقعت عليه عملية الظلم.

والتظلّم: هو أن يشتكي ظلمه ممّن ظلمه[6].

ومن المفاهيم ذات الصلة بمفهوم الظلم والمظلوميّة، مفهوم النُّصرة ومشتقاتها،

---

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٣، ص ٤٦٨.

(٢) لقمان: آية ١٣.

(٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٨، ص١٦٤.

(٤) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٣، ص٤٦٩.

(٥) أُنظر: رضي الدين الأسترابادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج٤، ص٣٤١.

(٦) أُنظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج١٧، ص٤٤٧.

والنُّصرة: «**حسن المعونة**»[1]، والاستنصار: استمداد النصر وطلب النُّصرة[2]، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥ﴾[3]. والنصير: عون المظلوم. والأنصار: جماعة الناصر. وأنصار النبي صلى الله عليه وآله: أعوانه. وانتصر الرجل: انتقم من ظالمه.

والنُّصرة على قسمين:

الأوّل: النُّصرة باللسان: وهي أن يُنصر المظلوم بإظهار أحقيّته على الظالم؛ ولذا لمّا مدح حسّان بن ثابت أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير، قال له النبي صلى الله عليه وآله: «**لا تزال ـ يا حسّان ـ مؤيَّداً بروح القُدس ما نصرتنا بلسانك**»[4].

الثاني: النُّصرة باليد والسلاح، وهي أن يُدافع عن المظلوم بيده وسلاحه.

ويقابل النُّصرة الخذلان، والخَذْل: هو ترك الإعانة والنُّصرة، وتَخَاذَل القومُ: تَدَابَروا[5]. والخذلان أيضاً على قسمين: الأوّل: الخذلان القولي، أي: ترك النُّصرة باللسان. والثاني: الخذلان العملي، أي: ترك النُّصرة بالسلاح.

والظالم والمظلوم عموماً من المفاهيم الواسعة، والتي لها مراتب مختلفة، وحينما نُعبِّر بالظالم والمظلوم في هذا المقال لا نقصد بذلك ما للمفهوم من السعة والشمول لجميع المراتب، بل نقصد بالظالم: الظالم المسلم، أو مَن يدَّعي الإسلام، الذي يُمارس عملية القتل وإراقة الدماء، وسلب حقوق المسلمين، ونهب أموالهم، والاعتداء على أعراضهم، سواء كان حاكماً أم لم يكن كذلك، وعليه؛ فمن أوضح مصاديقه المحاربون،

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ص١٠٨.

(٢) أُنظر: الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم: ج١٠، ص٦٦٢٨.

(٣) القصص: آية١٨.

(٤) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، خصائص الأئمة: ص٤٢. وحسان لم يثبت على نصرة أهل البيت، وفي الحديث إشارة إلى ذلك.

(٥) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١١، ص٢٠٢.

وسلاطين الجور، الغاصبون للخلافة والحكومة الإلهيّة[1]. ونقصد بالمظلوم هو ذلك الإنسان الذي قد مارس الحاكم الظالم بحقه تلك الأُمور المتقدّمة.

ثانياً: أسباب صناعة الظالم والمظلوم

إنّ أيَّ ظاهرةٍ من الظواهر تتدخّل في تكوينها وإيجادها أسباب عدّة، ووجود ظالم ومظلوم كبقية الظواهر، لا تخرج عن هذا القانون، فهناك أسباب وعوامل مختلفة لها تأثير مباشر في ذلك، وكلامنا حول هذه الأسباب من ناحية فقهيّة، بمعنى أنّ الشارع قد جعل أحكاماً؛ الغاية منها القضاء على أسباب الظلم ومناشئه، فتكون مخالفة تلك الأحكام أو تركها سبباً واضحاً لتحقق الظالميّة وانتشار المظلوميّة. وهذه الأسباب والعوامل كالآتي:

١ـ نقض العهد

كلمة العهد من الكلمات القرآنيّة، والمراد بالعهد: هو العهد المأخوذ من الناس على الإيمان بالله تعالى، والإيمان برسولهﷺ، والولاية لعليعليه السلام. جاء عن الإمام الصادقعليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾[2]، قال: «**المأخوذ عليهم لله بالربوبيّة، ولمحمّد**ﷺ **بالنبوة، ولعلي بالإمامة، ولشيعتهما بالمحبّة والكرامة**»[3]. فإذا نقض الناس هذا العهد ـ ولم يعملوا به ـ فسوف يتسلّط عليهم الظالم، ويؤكّد هذا المعنى بعض الروايات، كما عن أبي جعفرعليه السلام إذ قال: قال رسول اللهﷺ: «...**وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ الله عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ**...»[4]. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

---

(١) أُنظر: اللنكراني، فاضل، تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة (المكاسب المحرّمة): ص١٩٧.

(٢) البقرة: آية٢٧.

(٣) التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكريعليه السلام: ص٢٠٦.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٧٤.



وهذه الحقيقة هي أحد الأسباب التي خلقت يزيد الظالم؛ حيث إنّ من جملة وصايا رسول الله لهذه الأُمّة، أنّه قال: «**الخلافة مُحرّمة على آل أبي سفيان... فإذا وجدتم معاوية على منبري فابقروا بطنه**»[1]. ولكن لم تعمل هذه الأُمّة بهذه الوصيّة، ورأوا معاوية على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يعترضوا عليه بقولٍ ولا فعلٍ، فضيّعوا بذلك وصيّة رسول الله وعهده؛ فسلَّط الله عليهم يزيد الفاجر الفاسق، وقد أشار إلى هذه القضية الإمام الحسين عليه السلام، حينما خاطب مروان بن الحكم[2].

٢ـ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من أهمّ الوسائل التي تُمهِّد الأرضيّة لتسلّط الظالم على الناس هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّ من طبع الإنسان إذا تعدى تعدّياً بسيطاً، ولم يواجه نهياً صريحاً عن هذا التعدّي، ولم يتّضح له مدى شناعة فعله؛ عند ذلك سيستسيغ ذلك التعدّي ويستصغره، باعتبار أنَّ الناس لم تستنكر عليه فعله، وإذا استساغ ذلك، تعدّى تعدياً أعظم منه، حتى يتسلّط على الناس، وبذلك يشيع الظلم بينهم، بخلاف ما لو استنكر الناس عليه ذلك، ونهوه عن فعله؛ فسيكون هذا الاستنكار منهم رادعاً ومانعاً عن تكرار ذلك الفعل منه، وبذلك سينتهي عن التعدّي على الآخرين، وقد ورد هذا المعنى في بعض الروايات، منها: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَرَفَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ: «**لَتَأْمُرُنَّ بِالمعْرُوفِ، وَلَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسْتَعْمَلَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، فَيَدْعُوا خِيَارُكُمْ، فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ**»[3].

إذاً؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الوظائف التي إنْ تركها الناس تسلّط الظالم عليهم، فترْك هذه الوظيفة العظيمة يُمهِّد السبيل، ويُوجد الأرضيّة المناسبة



(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج٢، ص٢٥٧.

(٢) اُنظر: ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٥٦.

لصناعة الظالم، فيكون وجود ظالم ومظلوم من النتائج الطبيعيّة لترك هذه الوظيفة، والرواية تؤكّد على هذه النتيجة الطبيعيّة والمنطقيّة.

وهذا الأمر هو الآخر كان عاملاً مهمّاً في إيجاد الظالميّة والمظلوميّة في كربلاء؛ إذ ابتُليت الأُمّة في ذلك الوقت باللامبالاة في الدين، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويُشير إلى هذه الحقيقة قول الإمام الحسين عليه السلام: «**ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً؛ فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[1].

٣ـ ترْك إقامة حدّ القصاص

لو حصل العلم اليقيني للإنسان بأنّ عاقبة القتل هي القتل، وعاقبة السرقة قطع اليد، فسوف لن يُقدم على القتل والسرقة بكلّ تأكيد؛ لأنّه يعلم أنّ في ذلك هلاكه، كما أنّه لو أمِنَ الناس من القصاص، لقتل بعضهم بعضاً، وتفشّت جرائم القتل والظلم فيهم؛ لذا يُعدُّ تقنين القصاص من الأسباب التي تبثُّ الأمن والحياة للبشرية، فترك هذا القانون يستلزم الخوف والرعب، وتفشّي القتل والجرائم في المجتمع الإنساني، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]. فترك القصاص يساوي الحكم بالإعدام على الجميع، وتسليط الظالمين على الناس؛ وعليه فهو إحدى الوسائل الممهّدة لإيجاد الظالمين، وتحكّمهم في البلاد، وقد ورد في الرواية عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، قالَ: قالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «**مَنْ خَافَ الْقِصَاصَ، كَفَّ عَنْ ظُلْمِ النَّاسِ**»[3].

---

(١) أُنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٦. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٥. والمشهور على الألسن «ما أرى الموت إلّا سعادة». ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٤٥. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٤.

(٢) البقرة: آية١٧٩.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٣١.



ولم يتجّرأ معاوية ويزيد على قتل خيار الصحابة وكبارهم إلّا لكونهما قد أمِنا القصاص، فراحا يسفكان الدماء، ويعتديان على الأعراض من دون أن يخضعا إلى المحكمة العادلة، ولو قُدِّر للمحكمة العادلة إجراء حدّ القصاص على هؤلاء، لَمَا تمكّن أحد من سفك الدماء، وقتل الأخيار.

إذاً؛ ترك إجراء الحدود ـ وتنفيذ القصاص في ذلك الزمن ـ كان له أثر كبير وخطير في اتساع بقعة الظلم، وإيجاد المظلوميّة في كربلاء.

٤ـ الركون إلى الظالمين ومعونتهم

المقصود من الركون: هو الميل إلى الظالمين، والاعتماد عليهم. فقد جاء في التنزيل: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾[1]؛ لأنَّ التودّد لهم والاستناد إليهم والنصح لهم يؤدّي إلى تقوية الظالم، وتوليته على رقاب المسلمين. وحينئذٍ تُعدُّ ظاهرة الركون ـ والاعتماد والتودّد ـ والنصح للظالم من أسباب وجود الظالم، كما أنّ معونة الظالمين من أوضح الوسائل وأعظمها تاثيراً في وجود ظاهرة الظلم والجور؛ ومن هنا فإنّ الغاية من تأكيد الشريعة الإسلاميّة على حُرمة إعانة الظالم، هي المنع عن تسلّط الظالمين على الناس.

إنَّ أحد الأسباب الأساسيّة في إيجاد الظالميّة والمظلوميّة في كربلاء وجود جماعة من الناس قاموا بمعونة الظالمين؛ طمعاً بما في أيديهم، وكانت إعانة يزيد الظالم من قِبَل هذه الجماعة المنحرفة قائمة على قدم وساق، إلى درجة أنّهم كانوا يتناسون الخلافات فيما بينهم؛ لأجل القضاء على الثُلّة المؤمنة. وعلى سبيل المثال: كان بين مروان بن الحكم والوليد بن عتبة خلاف وحزازة، ولكن مروان بن الحكم بمجرد أن سمع بموت معاوية، وطلب يزيد البيعة من الحسين، جعل يتردّد إلى الوليد بن عتبة وكأنَّه لم يكن بينهما عداوة؛ ولذا تعجَّب الإمام الحسين عليه السلام منهما، فقال حينما رآهما جالسين: «**الصلة خير من القطيعة، أصلح**

(١) هود: آية١١٣.

الله ذات بينكما»[1]؛ وهذا إن دلَّ على شيء، فإنّما يدلُّ على أنّ هؤلاء يتعاونون على الإثم والعدوان، وكلّ ذلك له دور كبير في إيجاد الظالميّة والمظلوميّة في كربلاء؛ ولذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يتعجّب من اتفاق أهل الباطل على باطلهم، واختلاف أهل الحقّ في حقهم[2].

٥. ظلم الناس بعضهم بعضاً

من جملة القوانين التي سنَّها الله تعالى في هذا العالم، هو انعكاس الأعمال ورجوعها على صاحبها، فكلّ إنسانٍ لا بدّ أن يرى نتيجة أعماله، فمَن زرع خيراً حصد خيراً، ومَن زرع شرّاً حصد شرّاً، فمَن قتل فليتهيّأ للقتل، ومَن ظلم فليستعد للظلم، ومَن يعتدي على أعراض الناس فليتوقّع اعتداء الآخرين على عرضه، وفي القرآن الكريم إشارات إلى هذه الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[3]، وكلمة (حاق): بمعنى نزل، والمعنى: لا ينزل المكر السيىء إلّا بمَن فعله. وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[4]، والآية تُشير إلى أنّ مَن يأكل أموال يتامى غيره فليستعد إلى أكل غيره أموالَ يتاماه؛ حيث ورد في تفسير الآية المتقدّمة: مَن ظلم سلَّط الله عليه مَن يظلمه، أو على عقبه، أو على عقب عقبه. قال [الراوي]: يظلم هو، فيُسلَّط على عقبه؟ فقال: إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾. وقد دلّت بعض الروايات على هذه الحقيقة أيضاً، فجاء في خُطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام: «**وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ البَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ بِئْراً وَقَعَ فِيهَا، وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ**»[5].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٥١.

(٢) أُنظر: خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: ص٣٤.

(٣) فاطر: آية٤٣.

(٤) النساء: آية٩.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص١٩.

وعَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**مَنْ يَفْعَلِ الشَّرَّ بِالنَّاسِ فَلَا يُنْكِرِ الشَّرَّ إِذَا فُعِلَ بِهِ، أَمَا إِنَّهُ إِنَّمَا يَحْصُدُ ابْنُ آدَمَ مَا يَزْرَعُ، وَلَيْسَ يَحْصُدُ أَحَدٌ مِنَ الْمُرِّ حُلْواً، وَلَا مِنَ الْحلوِ مُرّاً**»[1]. الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

وكانت كربلاء حافلةً بهذه القضية؛ فإنّ قصّة أولاد مسلم بن عقيل مع الحارث خير شاهدٍ على هذه الحقيقة؛ إذ إنّ الحارث لّما قتل الطفلين، وأتى برأسيهما إلى ابن زياد، جعل ابن زياد يسأله عن سبب قتلهما وكيفيته، إلى أن قال له: فأيّ شيءٍ قالا في آخر صلاتهما؟ قال: رفعا طرفيهما إلى السماء، وقالا: يا حيّ يا حليم، يا أحكم الحاكمين، أُحكم بيننا وبينه بالحقّ. قال عبيد الله بن زياد: فإنّ أحكم الحاكمين قد حكم بينكم، مَن للفاسق؟ قال: فانتدب له رجل من أهل الشام، فقال: أنا له. قال: فانطلِق به إلى الموضع الذي قتل فيه الغلامين فاضرب عنقه، ولا تترك أن يختلط دمه بدمهما، وعجّل برأسه. ففعل الرجل ذلك، وجاء برأسه فنصبه على قناة، فجعل الصبيان يرمونه بالنبل والحجارة، وهم يقولون: هذا قاتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

الجهة الثانية: النظرة الفقهيّة للظلم والظالم

إنّ الفقه الإسلامي ينظر تارةً إلى الشخص الظالم، ويفرض عليه بعض التكاليف، وأُخرى ينظر إلى موقف الناس تجاه الظالم، فيُقرّر لهم بعض الوظائف أيضاً.

أوّلاً: ما يلزم على الظالم شرعاً

١ـ تحريم الظلم والجور

الظلم بجميع أنواعه ومصاديقه من المُحرّمات الواضحة التي لا تحتاج إلى دليل،

(١) المصدر السابق: ج٢، ص٣٣٤.

(٢) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٤٨.

بل هي من المسائل البديهيّة التي يحكم العقل العملي بقُبحها، والظلم من المُحرّمات الكبيرة التي جاء الوعيد عليها في القرآن والسنّة، ولا يسعنا هنا إلّا أن نُشير إجمالاً إلى الأدلّة الدالّة على حُرمة الظلم.

أ) حكم العقل بقبح الظلم

قد أودع الله تبارك وتعالى في الإنسان جوهرة العقل، التي بها يستطيع أن يُميّز الحقّ من الباطل، والقبيح من الحسن، وهذه الجوهرة ـ ما لم تتلّوث ـ تدرك بوضوح قبح الظلم، وحسن العدل، فإنّ العقل العملي يقول: إنّ الظلم قبيح، والعدل حسن. بل هو من البديهيات التي يعتقد بها حتى الظالم نفسه، فإنّه غالباً حينما يظلم إنساناً يعتقد ـ بحسب منطقه الخاطئ ـ أنّ ذلك الإنسان مستحق للعقاب، وأنّ ما يصنعه به هو مقتضى العدالة، وهذا إنْ دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّه يعتقد بقبح الظلم.

ب) الآيات الدالّة على حُرمة الظلم

إنّ القرآن الكريم مشحون بالآيات التي تنبذ الظلم، نقتصر هنا على إيراد جملة منها، ونُحيل الباقي إلى القارئ المتدبّر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2]، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[3]، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4]، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[6]. فجميع هذه الآيات تُرشدك إلى أنّ الظلم بجميع أنواعه

---

(١) الأنعام: آية٢١.

(٢) المائدة: آية٥١.

(٣) آل عمران: آية٥٧.

(٤) إبراهيم: آية٢٢.

(٥) يونس: آية١٣.

(٦) إبراهيم: آية٤٢.



وأقسامه، من أشدِّ المُحرّمات، وأكبر الكبائر.

ج) الروايات الدالّة على تحريم الظلم

وأمّا الروايات فكثيرة جداً تبلغ حدَّ التواتر، وقد ذكر صاحب الوسائل باباً بعنوان باب تحريم الظلم، ونقتصر على خمس روايات من باب التيمُّن والتبرُّك.

١ـ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهعليه السلام، قال: قال رَسُولُ اللهصلى الله عليه وآله: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّهُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

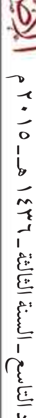
٢ـ عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍعليه السلام، قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَظْلِمُ مَظْلِمَةً، إِلَّا أَخَذَهُ الله بِهَا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله، فَإِذَا تَابَ غَفَرَ لَهُ**».

٣ـ عن هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهعليه السلام، قَالَ: «**مَنْ ظَلَمَ مَظْلِمَةً أُخِذَ بِهَا فِي نَفْسِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وُلْدِه**».

٤ـ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهعليه السلام فِي قَوْلِ اللهعزّ وجلّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، قَالَ: «**قَنْطَرَةٌ عَلَى الصِّرَاطِ لَا يَجُوزُهَا عَبْدٌ بِمَظْلِمَةٍ**».

٥ـ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍعليه السلام، قَالَ: «**لَمَّا حَضَرَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِعليه السلام الوَفَاةُ ضَمَّنِي إلى صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ، أُوصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي حِينَ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِراً إِلَّا الله**»[(١)].

فالرواية الأُولى تأمر بترك الظلم بجميع أنواعه، كما أنّ الرواية الثانية تعرَّضت لبيان عقاب الظالم في الدنيا، وفيها إيماء إلى أنّ الظالم للعباد لا يغفر الله له إلّا أن يرضى المظلوم، والرواية الثالثة تعرَّضت لعقاب الظالم في الدنيا أيضاً، والرواية الرابعة تعرَّضت لعقاب الظالم في الآخرة، والرواية الخامسة تنهى عن ظلم مَن لا ناصر له إلّا الله. فمجموع هذه الروايات يدلُّ على حرمة الظلم بجميع أنواعه.



---

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص٤٨.

٢ـ واجبات الظالم

بناءً على ما تقدّم من أدلّة حُرمة الظلم، فيجب على الإنسان المسلم ترك الظلم بجميع أنواعه؛ فإنّه من أعظم الكبائر، وتترتّب عليه تلك الآثار العظيمة؛ وعليه فيكون ترك الظلم بجميع أنواعه من أكبر الواجبات، وكفى رادعاً للظالم عن ظلمه أن يعلم أنّ الله ينظر إليه وهو أقدر عليه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1]. ولكن إذا تلبّس الإنسان المسلم بالظلم، فيجب عليه أُمور:

١ـ **التوبة:** فيجب على الظالم التوبة عن ظلمه، وأمّا قبول توبته، فيختلف ذلك بحسب نوع الظالم:

أ) السلطان الجائر أو المحارب الذي يَقتل الأولياء والصالحين والمؤمنين؛ بسبب دينهم، فلا تُقبل توبته؛ حيث يُستفاد من الروايات التي منها الصحيح[2]، أنّ مَن يَقتل مؤمناً متعمّداً لأجل دينه ـ كما يقع ذلك غالباً من الحكّام الظالمين الجائرين ـ لا تُقبل منه توبة.

ويُؤيّد ذلك ما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[3]، وقد ذكر جملة من المفسّرين أنّ المقصود من الآية، هو مَن يقتل المؤمنين لأجل دينهم[4]،

---

(١) إبراهيم: آية٤٢.

(٢) أحمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، وابن بكير جميعاً، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سئل عن المؤمن يقتل المؤمن متعمداً، هل له توبةٌ؟ فقال: إن كان قتله لإيمانه، فلا توبة له، وإن كان قتله لغضبٍ، أو لسببٍ من أمر الدنيا، فإن توبته أن يقاد منه...». الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٩، ص٣٠ ـ ٣١.

(٣) النساء: آية٩٣.

(٤) أُنظر: القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج١، ص١٤٨. شبر، عبد الله، تفسير شبر: ص١٢٢.

كما ذكر ذلك جملة من الفقهاء أيضاً[1].

ب) الظالم الذي يَقتل المؤمن لأمر من أُمور الدنيا، فإن عفا عنه أولياء الدم، فتوبته أن يُعطي الديّة لأولياء المقتول، ويعتق رقبة، ويصوم شهرين متتابعين، ويُطعم ستين مسكيناً ـ وهي كفّارة الجمع ـ[2]، وإن لم يعفُ عنه، كان القصاص توبته.

٢ـ ردّ المظالم: والمقصود من المظالم: هي تلك الأموال التي أخذها الظالم ظلماً وجوراً، فلا يكفي ترك الظلم، والتوبة إلى الله فحسب، بل يجب عليه إرجاع تلك الأموال إلى أصحابها، فإذا لم يُرجِع حقوقهم، لا تُقبل توبته[3].

٣ـ الاستحلال من المظلوم: وهو أنْ يطلب الظالم براءة ذمّته من المظلوم، وتطييب خاطره حتى يرضى، وقد ورد في النبوي: «**مَن كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض، أو مال، فليستحللها...**»[4].

٤ـ الاستغفار للمظلوم: قد ورد في بعض الروايات الإشارة إلى أنَّه إذا لم يتمكن الظالم من الوصول إلى المظلوم؛ ليأخذ منه البراءة، ويُرجع إليه حقَّه، فكفّارة ذلك أن يستغفر للمظلوم، جاء عن السكوني، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَن ظلم أحداً ففاته فليستغفر الله عزّ وجلّ له؛ فإنّه كفارة له**»[5].

ولكن في وجوب الاستحلال والاستغفار خلاف بين الفقهاء؛ نظراً لضعف سند



---

(١) أُنظر: العلّامة الحلي، الحسن بن يوسف، تحرير الأحكام: ج٥، ص٤١٨ ـ ٤١٩. التبريزي، جواد بن علي، تنقيح مباني الأحكام: ص٣٤٠. اللنكراني، فاضل، تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة: ص٣٣٨. وقد ذكروا أنَّ السبب في عدم قبول توبة مَن قَتل مؤمناً متعمّداً لدينه؛ هو أنَّ القتل لأجل الإيمان إنَّما يستبطن التكذيب، وحصول الارتداد عن فطرة.

(٢) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين: ج٢، ص٣٢١.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ج١، ص١٣٧. اللنكراني، فاضل، جامع المسائل: ج٢، ص٣٥٨.

(٤) أُنظر: ابن إدريس، محمد بن منصور، السرائر: ج٢، ص٦٩.

(٥) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص٥٣.

الروايات، فمنهم مَن أوجبهما، ومنهم مَن قال باستحبابهما دون الوجوب[1].

ومن الواضح أنَّ هذه الأحاديث ناظرة إلى مَن يظلم ظلماً بسيطاً، ثمَّ يتوب، وأمَّا الظالمون الذين قتلوا أولاد الأئمة، وأولاد الأنبياء، ولا سيَّما جريمة التاريخ التي حصلت في كربلاء، فمن البعيد جداً أن يُوفّقوا إلى التوبة، بل تقدَّم في تفسير الآية أنَّ مَن يَقتل مؤمناً متعمداً لدينه، فلا تُقبل توبته، فما بالك بمَن يَقتل أبناء الأنبياء والأوصياء؟! ولذا؛ لم يوفَّق للتوبة كلّ مَن شارك في دم الحسين عليه السلام وأولاده وأصحابه، بل كانت عاقبتهم الخزي في الدنيا والآخرة.

٣ـ عقوبات وجزاء الظالم

لم يكتفِ الإسلام بتحريم الظلم، والمنع من مساعدة الظالم، بل جعل العقوبات على مَن يمارس عملية الظلم، وبعد ملاحظة ما بأيدينا من الروايات المتعرّضة لعقاب الظالم، يمكن ترتيبها على ثلاث مراحل:

أ) العقاب الدنيوي التشريعي

إنّ أوّل عقوبة يوجّهها الإسلام للظالم، هي عبارة عن العقوبات التشريعية التي رسمتها له الشريعة الإسلاميّة، والحقيقة أنّ الشارع لم يجعل للظالم عقوبةً واحدةً، وإنّما جعل لكلّ جريمةٍ يرتكبها الظالم حدّاً خاصّاً، فجعل للقتل حدّاً، وللاعتداء على الأعراض حدّاً، وللسرقة حدّاً، إلى غير ذلك من الحدود المذكورة في الكتب الفقهيّة.

وهذا العقاب التشريعي ـ الاقتصاص ـ قد حصل بالنسبة إلى بعض الظالمين الذين قاموا بقتل ابن بنت رسول الله وأولاده وأصحابه؛ حيث حصل الاقتصاص منهم على

---

(١) أُنظر: الحكيم، محسن، منهاج الصالحين: ج١، ص١٤. الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين: ج١، ص١١.



يد المختار الثقفي، فيما تذكر لنا المقاتل والسير[1] جانباً من العقوبات التشريعية التي حصلت بعد وقوع كربلاء؛ لتعطينا صوراً من العقوبات التي حلَّت بالظالمين، إذ لم تمضِ الأيّام حتى سلَّط الله تعالى على هؤلاء الظلمة وأولاد الظلمة المختار بن يوسف الثقفي، فاقتصّ منهم واحداً تِلو الآخر، وعجَّل الله تعالى لهم العقاب في الدنيا، وعقاب الآخرة أكبر، وهذا تطبيق واضح لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[2].

ب) العقاب الدنيوي التكويني

من السُّنن الموجودة في هذه الدنيا هي أنّ الظالم ينال جزاءه في الدنيا قبل الآخرة، فالظلم من المسائل التي يتمّ تعجيل العقوبة عليها في الدنيا قبل الآخرة. والتاريخ خير شاهد على هذه الحقيقة، فما من ظالم إلّا وقد أنزل الله عليه العذاب في الدنيا، وهذا القرآن الكريم يُحدّثنا بما جرى على الظالمين الذين كانوا يقتلون الأنبياء، وكيف نزل العذاب عليهم في الدنيا قبل الآخرة، فإنّ الله تعالى بالمرصاد لكلّ ظالمٍ، وهذه الحقيقة لا ينكرها إلّا مكابر؛ إذ يستجيب الله دعوة المظلوم في حقّه[3]، ويُسلّط الله عليه مَن يظلمه أو على أبنائه أو على أمواله في الدنيا، ولا يرحمه[4].

وقد سلَّطت لنا السير والمقاتل أضواءً على بعض جوانب كربلاء، والتقطت لنا صوراً من العقوبات التي حلَّت بالظالمين في عرصة كربلاء؛ حيث إنّ العقاب الدنيوي كان يتربّص بأُولئك الظلمة، فمن جانب عرضت لنا ما جرى على ابن حوزة التميمي، إذ يسقط بسبب اضطراب فرسه، وتتعلّق رجله بالركاب، ثمَّ تجول به الفرس، فتضرب



---

(١) أُنظر: ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٢٣. بيضون، لبيب، موسوعة كربلاء: ج٢، ص٦٧٨.

(٢) فاطر: آية٤٣.

(٣) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٥٠٩.

(٤) أُنظر: المصدر السابق: ج٢، ص٣٣٤. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص٤٧.

به كلّ حجرٍ ومدرٍ، حتى يموت، ويُعجّل بروحه إلى النار، وكان هذا بدعوة الإمام الحسين المظلوم؛ إذ قال: «**اللهمَّ، حِزْه إلى النار**»[1].

وتعطينا صورةً أُخرى لِما جرى على عبد الله بن الحصين، إذ جعل يشرب الماء، وينادي: اسقوني من الماء. إلى أن مات من العطش؛ وهذا أيضاً كان بدعوة الحسين عليه السلام بقوله: «**اللهمَّ، اقتله عطشاً**»[2].

ج) العقاب الأُخروي

إنّ عقاب الدنيا يُصيب الظالم لا محالة، ولكن لو فرضنا أنّه لم يُصبه، فأين يفرّ الظالم من عذاب يوم القيامة؟! إذ أخبرنا الكتاب الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]، وكما أخبرنا تراجمة القرآن بقولهم: «**إنّ الظالم يوم القيامة في ظلماتٍ**»[4]، فمَن يكون في ظلمات كيف يتمكّن من جواز تلك القنطرة التي على الصراط؟!‏[5]، وإنّ من أصعب العقبات على الظالم يوم القيامة حينما يتعلّق به المظلومون بين يدي الله تعالى[6]، حتى إنّه يأكل جذوات[7] من نار جهنّم؛ بسبب أكله أموال الناس ظلماً[8].

ولا شكّ في أنَّ ظلم الأنبياء والأوصياء أعظم من ظلم غيرهم، والعقاب الأُخروي عليه، يكون أشدّ وأعظم، ولا سيّما مَن ظلم الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في يوم

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٠٢.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢١٤.

(٣) إبراهيم: آية٢٢.

(٤) أُنظر: المصدر السابق: ج٢، ص٤٦

(٥) أُنظر: الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص٤٧.

(٦) أُنظر: الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج٢، ص١٧٧١.

(٧) جذوات: مفردها جذوة، وهي القطعة من الجمر. أُنظر: الرازي، محمد، مختار الصحاح: ص٦٠.

(٨) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٣٣.



عاشوراء، حيث ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾[1]، ورحم الله الشاعر إذ يقول:

ويلٌ لَمَن شفعاؤه خصماؤه ... والصور في نشر الخلائق يَنفخُ

لا بدَّ أن تَرِدَ القيامة فاطمٌ ... وقميصها بدم الحسين مُـلطَّخُ

ثانياً: وظائف الناس تجاه الحاكم الظالم

١ـ حُرمة إعانة الظالم

إعانة الظالم بجميع ألوانها يمكن أن تكون على ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: إعانة الظالم في ظلمه؛ بحيث يعدّه الناس من أعوان الظالمين في ظلمهم. وهذا النوع من الإعانة من المحرّمات الكبيرة أيضاً، كحُرمة الظلم نفسه.

القسم الثاني: إعانة الظالمين في غير ظلمهم، بمعنى أنّه يُعينهم في غير المُحرّمات؛ بحيث يعدّه العُرف من أعوانهم، ومن المنتسبين إليهم، كمَن يعمل عندهم في بناء مساجدهم أو خياطة ملابسهم، بحيث يراه العُرف منهم، فهذا النوع من الإعانة من المُحرّمات أيضاً.

القسم الثالث: إعانة الظالمين في غير ظلمهم، بحيث لا يعدّه العرف من أعوانهم المنتسبين إليهم، وهذا القسم الثالث من الإعانة ليس من المُحرّمات.

قال السيّد الخوئي رحمه الله: «**معونة الظالمين في ظلمهم ـ بل في كلّ مُحرّم ـ حَرامٌ، أمّا معونتهم في غير المُحرّمات من المُباحات والطاعات، فلا بأس بها، إلّا أن يُعدّ الشخص من أعوانهم، والمنسوبين إليهم فتحرم**»[2].

ويدلُّ على حُرمة إعانة الظالمين العقلُ والإجماع، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى



(١) الفرقان: آية٦٩.

(٢) الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين: ج٢، ص٧. الأنصاري، مرتضى، المكاسب: ج٢، ص٥٣.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[1]، أوقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[2]، أو الروايات المستفيضة، بل المتواترة، وقد عقد أصحاب الحديث (رضوان الله عليهم) لحرمة إعانة الظالمين، أبواباً كثيرةً، فالروايات أشهر من أن تُذكَر[3].

وعلى الرغم من وجود هذه الأدلّة الواضحة على حُرمة إعانة الظالمين وتقويتهم، نلاحظ ـ وللأسف ـ أنّ كربلاء حافلة بإعانة الظالمين، أو تجلّت إعانة الظالمين في كربلاء بأجلى صورها، فهذا الجيش قد ناهز الثلاثين ألف رجل، وهذا العدد الكبير تجسيد واضح لإعانة الظالمين؛ ولذا كان الإمام الحسين عليه السلام، يقول في خطاباته: «**وأراكم قد اجتمعتم على أمرٍ أسخطتم الله فيه عليكم**»[4].

٢ـ وجوب محاربة الظالم

إنّ من أهمّ أهداف الإسلام نشر العدل بين بني الإنسان؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[5]، فيجب على الأُمّة الإسلاميّة ـ كفايةً ـ تحقيق العدل، ولا يتمّ تحقيق العدالة إلّا بمحاربة الظالمين الذين يسعون في الأرض فساداً، والإسلام يتدرّج في تحقيق هذا الهدف، ويُعطينا منظومةً كاملةً في سبيل التغلّب على الظلم والظالمين، ونُشير إلى هذه المنظومة بنحوٍ إجمالي:

أ) الدعوة السريّة والتعبئة لنبذ الظالم

تبدأ مسيرة محاربة الظالم ـ والقضاء على الظلم ـ بدعوة المؤمنين إلى نبذ الظالمين،

---

(١) هود: آية١١٣.

(٢) المائدة: آية٢.

(٣) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص١٠٥. الطوسي، محمد بن الحسن، التهذيب: ج٦، ص٣٣٠. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٧، ص١٧٩.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٥.

(٥) النحل: آية٩٠.



وتُعدّ هذه الخُطوة هي البذرة الأُولى لتكوين محاربة الظالمين. فهي مِن الخُطوات الحسّاسة التي تحتاج إلى الدقة في العمل، فإنَّها ستبوء بالفشل إذا ما أُعلنت، ولا يتحقق الهدف المطلوب؛ ولذا فإنّ موسى عليه السلام لّما قتل القبطي وصف هذا العمل بأنّه من عمل الشيطان؛ لأنّه سابق لأوانه، قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

وهذا الأُسلوب نفسه قد طبّقه الإمام الحسين عليه السلام، فلم يعمل عملاً سابقاً لأوانه، وكان الإمام الحسين عليه السلام، يحرص على أن لا يسفك دماً، طالما لم يبدر منهم القتال، ومن الشواهد على ذلك: أنّه لّما دخل على عتبة بن الوليد اصطحب بني هاشم معه، وقال لهم: إن سمعتم صوتي قد علا، فادخلوا ولا تشهروا سيفاً. فهذه الطريقة تُبيّن الدقة والحنكة السياسية التي يستخدمها الإمام الحسين عليه السلام. واستمرّ بالدعوة السريّة لنبذ الحاكم الجائر، عن طريق المكاتبات التي حصلت بينه وبين أهل الكوفة والبصرة، من دون أن يُشعر الجهاز الحاكم؛ ولذا لم يكن يعلم الحر بن يزيد الرياحي بهذه المكاتبات، مع أنّه كان آنذاك من قادة جيش يزيد.

والشاهد الآخر: أنّ مسلم بن عقيل لم يَقتل عبيد الله بن زياد للسبب نفسه؛ فإنّه قد ورث هذه الحنكة السياسية من ابن عمّه الحسين عليه السلام، وإلّا لو قَتل مسلمٌ عبيدَ الله بن زياد لاحتجّ عليه القوم بأنّه أوّل مَن سفك الدماء، كما احتجّ فرعون على موسى حينما قال له: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾[2]، ولـمّا استطاع الحسين عليه السلام أن يحتجّ على القوم بقوله: «**ويحكم! أتطلبوني بقتيلٍ منكم قتلته، أو مالٍ لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة**»[3].

فأُنظر ـ أيّها اللبيب ـ إلى مدى عمق تفكير مسلم بن عقيل وحكمته.

---

(١) القصص: آية١٥.

(٢) الشعراء: آية١٩.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٨.

ب) النصيحة والوعظ المناسب

إنّ نصيحة الظالم ووعظه هي لون من ألوان مواجهة الظالم، وينبغي استخدام جميع الوسائل التي تُوجب ردع الظالم عن ظلمه، كاللّين، واللّطف، والعطف، والقول الحسن؛ ولذا كان دأب الأنبياء عليهم السلام في مواجهتهم مع الظالمين هو النصيحة، والوعظ المناسب، وإليك بعض الآيات الدالّة على ذلك، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[2].

ونجد أنّ عرصة كربلاء كانت حافلةً بالوعظ البليغ، والقول اللّين، والحكمة، والموعضة الحسنة، ومن جملتها: خطبة ذلك الصحابي الجليل حنظلة بن سعد الشبامي وموعظته الحسنة التي لها وقع خاص في القلوب، إذ أخذ ينادي: «**يا قوم، إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، مثل دأب قوم نوح وعاد، وثمود والذين من بعدهم، وما الله يُريد ظلماً للعباد. يا قوم، إنّي أخاف عليكم يوم التناد، يوم تُولّون مدبرين ما لكم من الله من عاصم. يا قوم، لا تقتلوا حسيناً، فيُسحتكم الله بعذاب، وقد خاب مَن افترى**»[3].

ج) الإنذار والتخويف والترهيب

فإذا لم ينفع النُّصح والوعظ والقول اللّين والقول الحسن ننتقل إلى المرحلة الثالثة، وهي القول الشديد، والإنذار والتخويف والترهيب، وهذا اللون من المحاربة والمواجهة للظالمين استخدمه الأنبياء وسيلة لردع الظالمين عن ظلمهم، فكان الأنبياء ينذرونهم ويخوفونهم بعذاب الله تعالى الذي سيحلّ بهم في الدنيا، والقرآن الكريم

(١) طه: آية٤٣ـ٤٤.

(٢) النحل: آية١٢٥.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٣، ص١٥٧.

حافل بهذه التهديدات والإنذارات، والتخويفات والترهيبات. ويُستخدَم الترهيب قبل القتال عادةً، قال أبو المجد الحلبي: «**وينبغي قبل وقوع الابتداء به تقديم الإعذار والإنذار، والتخويف والإرهاب، والاجتهاد في الدعاء إلى اتّباع الحقّ، والدخول فيه، والتحذير من الإصرار على مخالفته، والخروج عنه**»[1].

وقد اجتازت كربلاء الحسين عليه السلام مرحلة النصح والموعظة ـ بعد أن لم ينفع هذا الأُسلوب بأُولئك العتاة الطغاة ـ إلى مرحلة أُخرى، وهي التهديد والترهيب، والتخويف ببأس شديدٍ وعذاب أليمٍ، وما أروع صور الشجاعة التي رسمتها كربلاء في يوم العاشر من المحرّم، لبني هاشم من جانب، ولأصحاب الحسين من جانب آخر، وينبئُك عن هذا قول الإمام الحسين عليه السلام: «**ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلّة والذلّة، وهيهات له ذلك، هيهات منّي الذلّة، أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون ـ وجدود طهُرت وحجور طابت ـ أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**»[2].

د) محاربة الحاكم الظالم بالسلاح

إنّ الخروج على الحاكم الجائر بالسلاح في عصر الحضور مشروط بإذن الإمام المعصوم عليه السلام، فإن أذن وجب، وإلّا فلا، وأمّا مسألة الخروج على الظالم في عصر الغيبة، فهي من المسائل الخلافيّة؛ إذ وردت روايات تدلّ على حُرمة الخروج بالسيف على الظالم قبل قيام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف، وقد عقد لها صاحب الوسائل باباً بعنوان: (حكم الخروج بالسيف قبل قيام القائم)[3]، ولكن حاول بعض الفقهاء مناقشة هذه الروايات، وحملها على التقية، وقال: بجواز الخروج على الحاكم الظالم بالسلاح، ومحاربته إذا كانت الأرضيّة

(١) أبو المجد الحلبي، علي بن الحسن، إشارة السبق: ص١٤٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٨٣.

(٣) أُنظر: الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٥، ص٥٠.

مناسبة لذلك[1]، وذكر بعضهم أيضاً ـ بعد مناقشة الروايات المتقدّمة ـ أنّه إذا لم تنفع تلك المراحل التي ذكرناها، فيجوز ـ بل يجب مع تهيئة أسباب الخروج ـ القتال بالسلاح ضدّ الحاكم الظالم، المتهتك، الفاسق الفاجر، القاتل للنفس المُحترمة، المُعلن بالفسق، والذي يجعل مال الله دولاً، وعباده خولاً، ويسفك دماء المسلمين الأبرياء، ويعتدي على أعراضهم[2].

وقد جسّدت كربلاء هذا الجانب أيضاً، فإنّ الإمام الحسينعليه السلام هو الإمام المعصوم المفترض الطاعة، الذي يكون فعله وقوله حجّةً شرعاً، وقد أعلن خروجه على يزيد الحاكم الجائر بقوله: «**أيّها الناس، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً ـ مستحلّاً لحُرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ـ فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقيقاً على الله أن يُدخله مُدخله. وقد علمتم أنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وإنّي أحقّ بهذا الأمر**»[3].

الجهة الثالثة: النظرة الفقهيّة للمظلوميّة والمظلوم

المظلوم يمكن أن ينظر إليه الفقيه من ناحيتين: من ناحية الشخص المظلوم نفسه، وما هي التكاليف التي يجعلها الفقه على عاتق المظلوم. ومن ناحية موقف الآخرين تجاه المظلوم، وما هي تكاليفهم تجاهه.

---

(١) أُنظر: الحائري، كاظم، المرجعيّة والقيادة: ص١١٣. المنتظري، حسين علي، دراسات في ولاية الفقيه: ج١، ص٢٥٦ـ ٢٥٧. وقد كتب الأُستاذ الشيخ عباس الكعبي فى ذلك مقالة. فمَن أراد التفصيل فليراجع مجلة فقه أهل البيتعليهم السلام: ج٤٤، ص٦٣.

(٢) أُنظر: المنتظري، حسين علي، دراسات في ولاية الفقيّه: ج١، ص٥٩٣، وص٦١٩. السبحاني، جعفر، الملل والنحل: ج٥، ص٤٨٥. كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج٤، ص٢٨٨.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٨٢.

أوّلاً: وظيفة المظلوم تجاه نفسه

هناك جملة من الوظائف والأحكام التي يُقرّرها الشارع تجاه المظلوم، لا بأس بعرضها، وتزيينها بشواهد ونماذج من حوادث كربلاء.

١ـ حُرمة تقبّل المظلوميّة والبقاء عليها

هل يجوز للإنسان شرعاً أن يضع نفسه تحت الظلم، ويُمكِّن الظالمين من نفسه، ويُصبح مضطهداً؟ لا شكّ في أنّ الأصل الأوّلي هو حرمة ذلك، فلا يجوز للإنسان المسلم أن يجعل نفسه تحت قبضة الظالمين، ويُعرّض نفسه إلى الظلم والاضطهاد؛ ولذا ذكر الفقهاء أنَّه لا يجوز تقبّل المظلومية[1] والبقاء عليها. وسيأتي أنّه يجب عليه الدفاع عن نفسه؛ للخروج من حالة المظلوميّة.

ولكن يُستثنى من ذلك بعض الموارد، وهي:

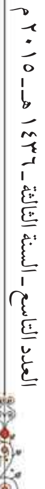
١ـ أن يكون الخروج من قبضة الظالمين غير مقدور له، كمكتوف الأيدي الذي لا يستطيع الهجرة، ولا حتى الدفاع عن نفسه، فمثل هذا الإنسان لا يجب عليه شيء، بل يُؤجره الله على هذا البلاء العظيم؛ ولذا ورد عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهعليه السلام فِي حَدِيثٍ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ مَا ظَفِرَ بِخَيْرٍ مَنْ ظَفِرَ بِالظُّلْمِ، أَمَا إِنَّ الْمَظْلُومَ يَأْخُذُ مِنْ دِينِ الظَّالِمِ أَكْثَرَ مِمَّا يَأْخُذُ الظَّالِمُ مِنْ مَالِ الْمَظْلُومِ**»[2]. وقال المازندراني في شرحه على الكافي: إنَّ هذا الحديث فيه تنبيه على أنّ المظلوميّة من أفضل الخيرات[3].

٢ـ أن يكون خروجه من تحت المظلوميّة والاضطهاد سبباً تامّاً لظلم الآخرين، وفي هذه الصورة لا يجب عليه الخروج من المظلوميّة، ويصحّ له البقاء عليها، ولعلّه إلى هذا

(١) الشيرازي، محمد، من فقه الزهراءعليها السلام: ج٤، ص٣٢٤.

(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص٤٩.

(٣) المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي: ج٩، ص٣٨٦.



يُشير قوله عليه السلام: «**أقدموا على الله مظلومين، ولا تقدموا عليه ظالمين**»[1]. قال الهاشمي الخوئي شارحاً العبارة: «**يعني: إذا دار الأمر بين الظالميّة والمظلوميّة، فكونوا راضين بالمظلوميّة؛ لأنّ الظلم قبيح عقلاً وشرعاً، والظالم مؤاخذ، ملعون كتاباً وسنّةً. أو لا تظلموا الناس وإن استلزم ترك الظلم مظلوميّتكم، فانَّ يوم المظلوم من الظالم أشدّ من يوم الظالم من المظلوم**»[2].

٣ـ أن يكون ترك التعرّض للظالم سبباً لاندراس الدين، وانتشار الفساد في الأرض، والحُكم بغير ما أنزل الله، فيجب هنا محاربة الظالم بإذن الإمام المعصوم كما مرّ، وإن استلزم ذلك الوقوع في المظلوميّة، فهنا الوقوع في المظلوميّة لا يُبرّر ترك التعرّض للحاكم الجائر، بل تكون هذه المظلوميّة واجبة، وإن كان يجب عليه الدفاع عن نفسه، والخروج عن حالة المظلوميّة ما أمكن.

كربلاء وإباء الضيم والظلم

وفي كربلاء مواقف تدلّ على رفض المظلوميّة وإباء الضيم، وعدم تحمُّل البقاء عليها، وبذل النفس والنفيس في سبيل إحياء الدين، والقضاء على الفساد في الأرض؛ لذا قال الإمام الحسين عليه السلام: «**ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً؛ فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[3]. وجاء في كلمات الإمام الحسين عليه السلام: «**ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت، وحجور طهُرت، ونفوس أبيّة، وأُنوف حميّة، من أن نُؤثر طاعة اللئام**

(١) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة: ج٢، ص٣٩.

(٢) الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج٩، ص١٦٨.

(٣) أُنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٨٦. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٥.

على مصارع الكرام»(١).

٢ـ الدفاع عن النفس والاستنصار

يجب على الإنسان الدفاع عن نفسه، كما يُستحب له طلب النصرة من غيره، بل قد يجب ذلك إذا لم يندفع الظالم إلّا به، ويجب عليه التدرّج في الدفاع عن النفس، فإن كان يندفع بالكلام تعيَّن الكلام، وإن لم ينفع انتقل إلى الصياح، وإن لم ينفع الصياح انتقل إلى الاستغاثة وطلب النصرة من الآخرين، وإن لم يكن هناك ناصر ينتقل إلى العصا ـ مثلاً ـ وإن لم ينفع تعيّن الدفاع عن النفس بالسلاح، فإذا قُتل الظالم ذهب دمه هدراً، وإن قَتَله الظالمُ كان الإنسان الذي يدافع عن نفسه كالشهيد.



قال العلّامة في قواعد الأحكام: «**يجب الدفاع عن النفس والحريم بما استطاع، ولا يجوز الاستسلام، وللإنسان أن يُدافع عن المال، كما يُدافع عن نفسه وإن قلّ، لكن لا يجب، ويقتصر على الأسهل، فإن لم يندفع به ارتقى إلى الصعب، فإن لم يندفع فإلى الأصعب، فلو كفاه الصياح والاستغاثة في موضع يلحقه المنجد اقتصر عليه، فإن لم يندفع خاصمه بالعصا، فإن لم يُفد فبالسلاح. ويذهب دم المدفوع هدراً، حرّاً كان أو عبداً، مسلماً كان أو كافراً، ولو قُتلَ الدافع كان كالشهيد**»(٢).

والتدرّج لا يختص بالدفاع عن المال، بل يشمل النفس، فيُقتصر على الأسهل أيضاً؛ ولذا ذكر بعض الفقهاء: أنّه لو كان اللّص يندفع بالكلام ولكن دفعه بالقتل وجب القصاص على الدافع(٣).



وقال السيّد الشيرازي: «**يُستحب للمظلوم أن يُطالب الناس بمساعدته، وأن يشحذ الهِممَ لها، وقد يجب ذلك؛ لحرمة تقبّل المظلوميّة، والبقاء عليها في الجملة. فإذا ظُلِمَ شخص**

---

(١) ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٤٠.

(٢) العلّامة الحلي، الحسن بن يوسف، قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام: ج٣، ص٥٧١.

(٣) الكلبايكاني، محمد رضا، الدرّ المنضود في أحكام الحدود: ج٣، ص٢٧٣.

وعلم المظلوم أنّه لو استعان ببعض الأفراد لتمكّن من دفعه ـ أو رفعه ـ لزم ذلك»[1].

والوجه في ذلك: لوجوب دفع الضرر عقلاً، ووجوب النهي عن المنكر بمراتبه، ولخبر غياث: «**إذا دخل عليك اللّص يُريد أهلك ومالك فإن استطعت أن تبدره وتضربه فابدره واضربه**»[2].

استنصار الحسين عليه السلام ودفاعه عن نفسه

وكان الحسين عليه السلام قد طلب النُّصرة في مواضع عديدة في مكة؛ إذ بقي هناك لاستقطاب الأنصار، وقد طلب النُّصرة حال سيره إلى كربلاء، فاستنصر زهير بن القين، واستجاب لنصرته، واستنصر رجلين آخرين، وهما: عمرو بن قيس المشرقي، وابن عمِّه، ولم يُجيبا نصرته، واستنصر عبيد الله بن الحر الجعفي أيضاً، فلم يُجبه، واستنصر في كربلاء مراراً؛ إذ جاء: ولمّا فُجِعَ الحسين عليه السلام بأهل بيته ووُلده، ولم يبقَ غيره، وغير النساء، والأطفال، وغير وَلَده المريض، نادى: هل من ذابٍّ يذبُّ عن حُرم رسول الله؟ هل من موحِّد يخاف الله فينا؟ هل من مُغيث يرجو الله في إغاثتنا؟ هل من معين يرجو ما عند الله في إعانتنا؟[3].

وأمّا دفاعه عن نفسه وحُرمه، فقد أظهر من الشجاعة في كربلاء ما تحيّرت فيها العقول، ويكلُّ عن وصفها اللسانُ، وينحسر البيان.

٣ـ جواز تظلّم المظلوم

قد ذكر الفقهاء تحت بحث (الغِيبة) جملة من المستثنيات، منها: تظلُّم المظلوم، والمقصود به: إظهار المظلوم ما فعله الظالم به بين الناس، وهو على نوعين:

---

(١) أُنظر: الشيرازي، محمد، من فقه الزهراء عليها السلام: ج٤، ص٣٥٧.

(٢) الفاضل الهندي، محمد بن الحسن، كشف اللثام والإبهام عن قواعد الأحكام: ج١٠، ص٦٣٨.

(٣) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٦.



أ) تظلُّم المظلوم عند مَن يرجو إزالة ظلمه

وهذا القسم لا خلاف بين الفقهاء في جوازه، واستدلّوا عليه بالآيات والروايات، أمّا الآيات، فقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[2]. وأمّا الروايات: فهي ما ورد في تفسير هذه الآيات، فعن تفسير القمي: «**أي: لا يحبّ أن يجهر الرجل بالظُّلم والسوء ويظلم إلّا مَن ظُلِم، فأطلق له أن يُعارضه بالظلم**»[3]، وعن تفسير العياشي، عن أبي عبد الله عليه السلام: «**مَن أضاف قوماً فأساء ضيافتهم فهو ممَّن ظلم، فلا جُناح عليهم فيما قالوا فيه**»[4].

ب) تظلُّم المظلوم عند مَن لا يتمكن من إزالة مظلوميته

اختلف الفقهاء في جواز هذا القسم من التظلُّم على قولين:

القول الأوّل: يجوز التظلُّم لإطلاق الآيات المُتقدّمة، والروايات الواردة في تفسيرها؛ حيث عدّت سوء الضيافة من جملة موارد التظلّم[5].

القول الثاني: لا يجوز؛ لأنّ الأصل عدم جواز الغِيبة، فإذا دلّ الدليل على الجواز، فيُقتصر فيه على القدر المتيقّن، والقدر المتيقن هو التظلُّم عند مَن يرجو إزالة الظلم عنه[6]. وقد نوقش هذا القول بأنّ الآية تقول: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾. وهي مُطلقة؛ فبمقتضى الإطلاق نستفيد جواز التظلُّم في الحالتين[7].

(١) الشورى: آية ٤١ـ٤٢.

(٢) النساء: آية ١٤٨.

(٣) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج١، ص١٥٧.

(٤) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج١، ص٢٨٣.

(٥) أُنظر: الجواهري، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٢٢، ص٦٦.

(٦) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، كشف الريبة: ص٧٧.

(٧) الخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة: ج١، ص٣٤٣.



ومن المناسب هنا إيراد تظلُّم الإمام الرضاعليه السلام، وإظهار مظلوميّة جدّه الحسينعليه السلام، إذ روى الصدوق، عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الرضاعليه السلام: «**إنّ المُحرّم شهر كان أهل الجاهلية يُحرّمون فيه القتال، فاستُحِلّت فيه دماؤنا، وهُتِكَت فيه حرمتنا، وسُبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأُضرِمَت النيران في مضاربنا، وانتُهِبَ ما فيها من ثقلنا، ولم تُرعَ لرسول اللهصلى الله عليه وآله حُرمة في أمرنا. إنَّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء، إلى يوم الانقضاء**»[1].

وعن الريان بن شبيب، قال: «**دخلت على الرضاعليه السلام في أوّل يوم من المحرّم، فقال لي:... يا بن شبيب، إنَّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهليّة فيما مضى يُحرِّمون فيه الظلم والقتال؛ لحرمته. فما عرفت هذه الأُمّة حُرمة شهرها، ولا حرمة نبيهاصلى الله عليه وآله، لقد قتلوا في هذا الشهر ذرّيته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً. يا بن شبيب، إن كنت باكياً لشيء، فابكِ للحسين بن علي بن أبي طالب؛ فإنّه ذُبِحَ كما يُذبحَ الكبش، وقُتِلَ معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً، ما لهم في الأرض شبيه...**»[2].

٤ـ هجرة المظلوم إلى بلد آخر

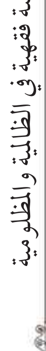
إذا ظُلم الإنسان وحُرِمَ من شعائر دينه ـ ولم يتمكّن من إظهارها، ولا يستطيع أن يقتصّ من الظالم؛ لقوة شوكته ـ فذكر الفقهاء[3] أنّه يحرم عليه الإقامة في ذلك البلد، وتجب عليه الهجرة إلى بلدٍ آخر مع القدرة؛ وتدلّ على ذلك عدّة آيات نقتصر منها على آيتين:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا * إِلَّا

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٩٠.

(٢) المصدر السابق: ص١٩٢.

(٣) أُنظر: الترحيني العاملي، محمد حسن، الزبدة الفقهية: ج٣، ص٦٢٤.



﴿ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا﴾[1].

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[2].

ودلالة الآية الأُولى واضحة، وأمّا الآية الثانية فنستفيد ذلك من قوله‌: ﴿يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾؛ حيث أناطت الولاية، التي هي من أوثق عُرى الإيمان بالهجرة، فلا يدخل الإنسان المسلم المظلوم الذي بقي في بلاد الظالمين في ولاية المؤمنين حتى يهاجر، وهذا يعني أنَّ الهجرة شرط أساس في الإيمان، فتكون واجبة[3].

الإمام الحسين‌عليه‌السلام والهجرة

ومن هنا؛ نجد أنَّ الإمام الحسين‌عليه‌السلام حاول استقطاب أكبر عدد ممكن من الأصحاب، وذلك عن طريق هجرته إلى مكة، وإقامته فيها مدّة، ثمّ هجرته إلى الكوفة، فإنّ هاتين الهجرتين، هما عملية لاستقطاب الأنصار، لا سيَّما بعد أن بانت علائم ذلك من كُتُب أهل الكوفة، التي يطلبون فيها قدوم الإمام الحسين‌عليه‌السلام إليهم، وما هذا الاستقطاب إلّا لأجل قمع الظُّلم، والدفاع عن المظلومين.

والجدير بالذكر أنّ الغرض من وجوب الهجرة على المظلوم هو الحصول على الأمان المناسب، واستعادة القوة، واستقطاب الأنصار، والاستعداد المناسب لمقارعة الظلم، ومن الواضح أنّه لا يوجد مكان أنسب من الكوفة لمحاربة الظالمين؛ إذ إنّ الكوفة كان فيها أنصار



(١) النساء: آية٩٧ ـ ٩٨.

(٢) الأنفال: آية٧٢.

(٣) أُنظر: اليزدي، محمد كاظم، فقه القرآن: ج٢، ص٢٧٦. إذ تعرّض هناك للآيات الدالّة على وجوب الهجرة على المظلوم، فمَن أراد التفصيل فليراجع.

الإمام علي عليه السلام، وإذا هاجر الإمام الحسين عليه السلام إلى غير الكوفة، فحركة كربلاء تنتهي، وتتوقّف عن مسيرها المرسوم لها، ويُقتل الحسين عليه السلام من دون أن يُعرف مَن هو؟ ولماذا قُتِل؟

ثانياً: وظيفة الناس تجاه المظلوم

كما أنَّ للمظلوم أحكاماً ووظائف تخصّه، كذلك هناك وظائف وتكاليف على الناس تجاهه، فإنّ للمظلوم حقوقاً على غيره. نُشير إلى جملة من هذه الوظائف والتكاليف، مع ذكر بعض الشواهد والنماذج، وبعض العِبر المستوحاة من عرصة كربلاء.

١ـ نصرة المظلوم والدفاع عنه

يجب على المسلم نصرة المظلوم، فإنّ كلّ إنسانٍ يُدرك بفطرته أنّ الظلم قبيح، وهذا يعني أنّ العقل يحكم بوجوب نصرة المظلوم والدفاع عنه. قال السيّد الشيرازي: «**مسألة: نصرة المظلوم واجب عقلي، فلا ينحصر وجوب الانتصار له في المسلم أو المؤمن، بل يجب على كلّ إنسانٍ ذلك، بحكم العقل، والفطرة، والوجدان**»[١]، ويدلّ على ذلك أيضاً ما جاء في التنزيل: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢]، فالآية تدلّ على أنّ المسلم إن طلب النصر من المسلم الآخر فيجب عليه النُّصرة[٣]. وقد ورد من طرق العامّة أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**اُنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً. أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال صلى الله عليه وآله: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإنّ ذلك نصره**»[٤].

ولاشكّ في أنّ وجوب النُّصرة يتضاعف حسب الشخصيّة المظلومة، ويصل ذروته

(١) الشيرازي، محمد، من فقه الزهراء عليها السلام: ج٤، ص١٥.

(٢) الأنفال: آية٧٢.

(٣) اُنظر: مجلة أهل البيت عليهم السلام: العدد١٧، ص٨٨.

(٤) العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري: ج٢٤، ص١٠٧.



حينما يكون المظلوم من أهل بيت النبوة والعصمة والطهارة عليهم السلام.

أساليب نصرة المظلوم

هناك أساليب كثيرة لنصرة المظلوم، لاسيّما نصرة أهل البيت عليهم السلام والدفاع عنهم، وينبغي التدرّج في رفع الظلم عن المظلوم ونصرته، كما في الدفاع عن النفس، فيبدأ بالأسهل والأخف مؤنة، فإذا كان يندفع الظلم عن المظلومين بالتفاوض ـ والاتفاق، والحوار، والأساليب الدُبلوماسية ـ تعيّن ذلك، فمثلاً: السلوك الحَسن من أهمّ وسائل النُّصرة؛ ولذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله، وَالعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ لِمَنِ ائْتَمَنَكُمْ، وَحُسْنِ الصَّحَابَةِ لِمَنْ صَحِبْتُمُوهُ، وَأَنْ تَكُونُوا لَنَا دُعَاةً صَامِتِينَ**»[1]. وبالقول الحَسن تُكسَب القلوب، وبالموعظة الحسنة يُكسَب الصديق الحميم، وبذلك سيتحقق النصر لمذهب أهل البيت عليهم السلام، وهذا الأُسلوب هو أُسلوب الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾[2]، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[3]، ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[4]، و﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[5]. كما أنّ نشر علوم أهل البيت ومحاسن كلامهم من أهمّ وسائل النُّصرة لهم؛ ولذا جاء عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ صَالِحٍ الهَرَوِيِّ، قَالَ: «**سَمِعْتُ أَبَا الحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ: رَحِمَ الله عَبْداً أَحْيَا أَمْرَنَا. فَقُلْتُ لَهُ: فَكَيْفَ يُحْيِي أَمْرَكُمْ؟ قَالَ: يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا**»[6]، فإذا لم يندفع الظلم عن المظلوم

---

(١) القاضي المغربي، النعمان، دعائم الإسلام: ج١، ص٥٦.

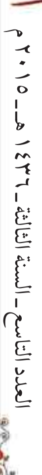
(٢) طه: آية٤٤.

(٣) البقرة: آية٨٣.

(٤) آل عمران: آية١٥٩.

(٥) فصلت: آية٣٤.

(٦) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص١٨٠.



بهذه الأساليب وجب نُصرته بالسلاح بإذن المعصوم في عصر الحضور، أو الحاكم الشرعي في عصر الغيبة، على خلاف تقدّم ذكره؛ فإنّ النُّصرة بالسلاح هي الحلّ الأخير.

كربلاء ونصرة المظلوم

تعطينا كربلاء دروساً في نصرة المظلوم، فمن جانب نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام يتّبع هذا المنطق، وهو أنّ السلاح والعنف هو الحلّ الأخير في نُصرة المظلومين وقمع الظالمين؛ ولذا لم يسمح الإمام عليه السلام في مواقف متعددة لأصحابه بابتداء القتال، ويحاول قدر الإمكان دفع الظالمين ونصرة المظلومين بالوعظ واللّين والحكمة، ومواعظ الأصحاب وبني هاشم يوم عاشوراء أشهر من أن تُذكَر، ولكن لمّا انحصر الدفاع ـ عن الغريب المظلوم ـ بالسلاح أبدى الأصحاب موقفاً مُشرّفاً، ولم يُقصّروا في نصرته؛ ولذا جاء في السير: فقام الحسين عليه السلام في أصحابه خطيباً، فقال: «**اللهمَّ، إنّي لا أعرف أهل بيت أبرّ ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون، وأنتم في حِلٍّ من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمّة، وهذا الليل قد غشيكم، فاتخذوه جملاً، وتفرَّقوا في سواده، فإنّ القوم إنّما يطلبونني، ولو ظفروا بي لذُهلوا عن طلب غيري**»[1].

ومع أنّ الإمام عليه السلام قد رخّصهم، ولكن ماذا كان جواب الأصحاب؟ أبت تلك النفوس أن يتركوا إمامهم المظلوم مع أنّهم استيقنوا الموت في ذلك اليوم العصيب، ورحم الله الشاعر حيث يصفهم:

قال اذهبوا وانجوا ونجّوا أهل ... بيتي إنّني وحدي أنا المطلوب

فأبت نفوسهم الأبيّة عند ذا ... أن يتركوه بين العدى ويئيبوا

ماذا يقول لنا الورى ونقوله ... لهم ومَن عنّا يجيبُ مجيبُ

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٠.

إنّــا تركنــا شــيخنا وإمامنــا بــين العــدى وحســامنا مقــروب

فــالعيش بــعــدك قُبِّحت أيّــامــه والمــوت فــيــك محبَّب مــرغــوب[1]

٢ـ حُرمة خذلان المظلوم

إنّ ترك نُصرة المظلوم مع القدرة عليها من أعظم المُحرّمات؛ وتدلّ على وجوب النصرة الأدلّة المُتقدّمة نفسها؛ إذ إنّ العقل يُدرك أنّ خذلان المظلوم قبيح[2]، ويدلّ عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾[3]، وقد تقدّمت الآية بتمامها عند الاستدلال على وجوب النُّصرة، وهذه الآية أيضاً دالّة على أنّ ترك النُّصرة حرام شرعاً؛ لأنّه يحرم ترك الواجب كما هو واضح، وترك النُّصرة هو خذلان المظلوم.

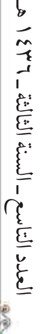
وأمّا مع عدم القدرة فهي جائزة؛ ولذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يحثّ أهل الكوفة على الجهاد، وكيف يستعرض ما يجري على المرأة المسلمة أو المعاهدة، التي يظلمها الظالم وهي تستغيث فلا تُغاث، ولا ينصرها أحد من الرجال؛ لأنّ مصيره القتل، فيقول الإمام عليه السلام: لو قدّم الرجل نفسه، وقاتل هؤلاء الظلمة؛ لنصرة المرأة فمات، كان عندي مُحسناً. فإنّ هذا الكلام يدلّ على جواز النُّصرة حتى في صورة عدم القدرة، والقطع بالموت.

قال عليه السلام: «**وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ العُصْبَةَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، كَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ وَالأُخْرَى المُعَاهَدَةِ، فَيَهْتِكُونَ سِتْرَهَا، وَيَأْخُذُونَ القِنَاعَ مِنْ رَأْسِهَا، وَالخُرْصَ مِنْ أُذُنِهَا، وَالأَوْضَاحَ مِنْ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا وَعَضُدَيْهَا، وَالخَلْخَالَ وَالمِئْزَرَ عَنْ سُوقِهَا، فَمَا تَمْتَنِعُ إِلَّا بِالاسْتِرْجَاعِ وَالنِّدَاءِ يَا لَلْمُسْلِمِينَ، فَلَا يُغِيثُهَا مُغِيثٌ، وَلَا يَنْصُرُهَا نَاصِرٌ، فَلَوْ أَنَّ مُؤْمِناً**

(١) الحسن، عبد الله، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: ص٣٣١.

(٢) أُنظر: الشيرازي، محمد، من فقه الزهراء عليها السلام: ج٤، ص٣٢٧. الشيرازي، محمد، الفقه والقانون: ص٣٤٩.

(٣) الأنفال: آية٧٢.



مَاتَ دُونَ هَذَا مَا كَانَ عِنْدِي مَلُوماً، بَلْ كَانَ عِنْدِي بَارّاً مُحْسِناً»[1].

كربلاء وخذلان المظلوم

كما اشتملت كربلاء على مشاهد مُشرّفة لنصرة المظلوم، كذلك قد حملت ـ في الوقت نفسه ـ مشاهد أُخرى لخذلان المظلوم، لا سيَّما مظلومي أهل بيت الوحي والنبوة عليهم السلام، وقد ابتدأت معالم هذا الخذلان تتجلّى وتظهر في الكوفة، بشأن رسول الإمام الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام، وقد صرَّح بذلك مسلم بن عقيل حينما قبضوا عليه بعد قتال عنيف، فقال: «**هذا أوّل الغدر**»[2]، وقال أيضاً عليه السلام: «**اللهمّ، أُحكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذَّبونا، ثمَّ خذلونا وقتلونا**»[3]، وذكر الإمام الحسين ذلك في كربلاء، إذ قال: «**فإنهّم غرّونا، وكذَّبونا، وخذلونا**»[4]. وخذلان المظلوم كما تقدّم من أشدّ المُحرّمات، فكيف إذا كان ذلك الخذلان لأهل البيت عليهم السلام وخصوصاً إذا استَنصروا؟! جاء في السير: «**ثمَّ سار الحسين حتى نزل القطقطانة، فنظر إلى فسطاط مضروب، فقال: لِمَن هذا الفسطاط؟ فقيل: لعبد الله بن الحر الجعفي، فأرسل إليه الحسين عليه السلام، فقال: أيّها الرجل، إنّك مُذنب خاطئ، وإنّ الله عزّ وجلّ آخذك بما أنت صانع، إن لم تتُب إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك هذه فتنصرني، ويكون جدّي شفيعك بين يدي الله تبارك وتعالى. فقال: يا بن رسول الله، والله، لو نصرتك لكنت أوّل مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك، فوالله، ما ركبته قطُّ وأنا أروم شيئاً إلّا بلغته، ولا أرادني أحد إلّا نجوت عليه، فدونك فخذه! فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه، ثمّ قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك، وما كنتُ مُتخذ المُضلّين عضُداً، ولكن فِرّ، فلا لنا ولا علينا، فإنّه مَن سمع واعيتنا أهل البيت، ثمّ**

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج١، ص١٥٨.

(٢) الفتال النيسابوري، محمد، روضة الواعظين: ص١٧٦.

(٣) المصدر السابق: ص١٧٧.

(٤) البحراني، عبد الله، العوالم: ص٢٥٣.

لم يجبنا، كبّه الله على وجهه في نار جهنّم»[1].

وعن عمرو بن قيس المشرقي، قال: «**دخلت على الحسين**عليه السلام **أنا وابن عمٍّ لي، وهو في قصر بني مقاتل، فسلّمنا عليه، فقال له ابن عمّي: يا أبا عبد الله، هذا الذي أرى خضاب أو شعرك؟ فقال: خضاب، والشيب إلينا بنى هاشم يعجل. ثمّ أقبل علينا فقال: جئتما لنصرتي؟ فقلت: إنّي رجل كبير السن، كثير الدَّين، كثير العيال، وفي يدي بضائع للناس، ولا أدري ما يكون وأكره أن أُضيع أمانتي، وقال له ابن عمِّي مثل ذلك، قال لنا: فانطلقا، فلا تسمعا لي واعيةً، ولا تريا لي سواداً؛ فإنّه مَن سمع واعيتنا، أو رأى سوادنا، فلم يُجبنا ولم يُعنّا كان حقّاً على الله**عزّ وجلّ **أن يكبّه على منخريه في النار»**[2].

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢١٩. المجلس، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣١٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٢٥٩.



- **منطلقات النهضة الحسينية وخلفياتها**
  القسم الخامس (مفاصل الحركة الحسينية)

- **المؤسّسة الشعائرية**
  القسم الثاني (الأهداف والغايات)

- **فقه التربة الحسينية**
  (القسم الرابع)

- **توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين عليه السلام**
  (القسم الأول)

مُنطلقات النّهضة الحُسينيّة وخلفياتها

القِسمُ الخامس

مَفاصل الحركة الحُسينيّة

السيد محمد الشوكي[1]

انتهت حقبة معاوية بتولّي يزيد السُّلطة، وتربّعه على العرش من دون أيّ مشاكل في الشام، حيث إنَّ معاوية قد ذلّل له الصعاب وأخضع له الرقاب، بحسب ما ورد في وصيته له في آخر حياته. غير أنّ معاوية لم يرحل مرتاح البال تماماً على مستقبل يزيد، فقد كانت ثَمَّة هواجس جدّية وعقبات ليست بالهيّنة ستقف في طريق وَلَده يزيد. وأشدّ ما كان يتخوّف منه هو موقف الإمام الحسين عليه السلام وبعض الأشخاص في المدينة، مما بيّنه له في وصيّته التي تحدثنا عنها في القسم السابق من هذه الدراسة.

من هنا؛ نرى أنّ يزيد كان مستعجلاً في أخذ البيعة من أهل المدينة ومن الإمام الحسين عليه السلام بالذات، كأوّل إجراء يقوم به بعد تولّيه السلطة. وقد بعث إلى والي المدينة الوليد بن عتبة كتابين، كتاباً عامّاً يأمره فيه بأخذ البيعة من أهل المدينة، وكتاباً خاصّاً يأمره فيه بأخذ البيعة من الحسين عليه السلام، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، مرفقاً هذا الكتاب بتهديد

(١) باحث وكاتب إسلامي.

صارخ يطلب منه أن يأخذ البيعة منهم بكُلّ ثمن، حتى ولو بتهديدهم بالقتل إن رفضوا.

والي المدينة وحراجة الموقف

وصل الكتابان إلى والي المدينة، فوَجل وجلاً شديداً، خصوصاً من الكتاب الصغير الذي وصفه المؤرخون (كأنه أُذن فأرة)، حيث يتضمّن تهديداً واضحاً بقتل الإمام الحسين عليه السلام إن رفض البيعة. فالوليد كان يعلم أنّ الحسين عليه السلام سوف لن يبايع، وقد رفض البيعة بولاية العهد ليزيد إبّان حياة معاوية، على الرغم مما كان يتمتع به معاوية من قوة وصرامة، وعلى الرغم من كُلّ الضغوط والتهديدات التي مارسها ضده، فكيف سيقبل بها الآن؟!

كما أنه يعلم أنّ إجبار الحسين عليه السلام على ذلك ليس من السهل إلّا بقتاله وقتله، كما ورد في كتاب يزيد، وهذه خطوة ليس من السهل عليه اتخاذها؛ نظراً لتبعاتها الدينية أولاً، وتبعاتها السياسية ثانياً، فإن مَن يلقى الله بدم الحسين عليه السلام (لَخَفيف الميزان يوم القيامة)، كما صرّح هو بذلك لمروان بن الحكم عندما عاتبه على عدم قتله للحسين عليه السلام.

وكذلك إذا ما تمّ النظر إلى التبعات السياسيّة لقتل الحسين عليه السلام؛ إذ إنه ليس شخصاً عادياً من عِرض الناس حتى تتم تصفيته من دون أضرار تهدّد الكيان الأُموي برمّته، فضلاً عن الوليد ذاته، فمكانة الحسين عليه السلام الدينية والاجتماعية مكانة مرموقة جدّاً لا يدانيه فيها شخص آخر في الأُمّة، وسوف لن تمرّ عملية قتله دون أَضرار وتداعيات خطيرة.

من هنا؛ استشعر الوليد حراجة الموقف، ولم يدْرِ ما يصنع وأيّ قرار سيتخذ، فقرّر أن يبعث وراء مروان بن الحكم أحد شيوخ بني أُميّة ودُهاتهم، وأحد أعمدة الكيان الأُموي ليستشيره في الأمر، رغم الخصومة السابقة التي أدّت إلى القطيعة بينهما، ولكنّ المسألة خطيرة جدّاً ينبغي تجاوز الخصومات معها؛ لأنّها تتعلّق بالكيان الأُموي برمّته.

بعث الوليد وراء مروان، وأخبره بموت معاوية وتولّي يزيد السلطة، وأطلعه على

مضمون الكتابين اللذين وردا عليه من يزيد، وطلب منه أن يُعينه في اتخاذ الموقف تجاه ذلك، فقال له مروان: «**ابعث إليهم في هذه الساعة، فتدعوهم إلى البيعة والدخول في طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وإن أبوا قدّمهم واضرب أعناقهم قبل أن يدروا بموت معاوية؛ فإنّهم إن علموا ذلك وثب كُلّ رجل منهم فأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه، فعند ذلك أخاف أن يأتيك من قِبَلهم ما لا قِبَل لك به وما لا يُقام له، إلّا عبد الله بن عمر، فإني لا أراه ينازع في هذا الأمر أحداً إلّا أن تأتيه الخلافة فيأخذها عفواً**»[1].

وفي نصّ ابن قتيبة: «**أرسل الساعة إلى هؤلاء النفر فخذ بيعتهم، فإن هم بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من أهل الإسلام، فعجّل عليهم قبل أن يفشي الخبر فيمتنعوا**»[2].

من هذين النصّين نعرف أن خطة مروان كانت قائمة على أن يستعجل بدعوتهم قبل أن ينتشر الخبر ويشيع في الناس وأن يأخذ البيعة منهم سرّاً، فإن بايعوا وإلّا ضرب أعناقهم.

إنّ إصراره على أخذ البيعة منهم سرّاً يمكّنه من أن يُمارس عليهم مختلف الضغوط بما في ذلك التهديد بالقتل، وهو ما لا يستطيع فعله حينما يكونون وسط الجماهير، بل حينها سيستفيدون هم من ورقة الحضور الجماهيري ليؤلّبوا الناس على رفض البيعة.

فأخذُ البيعة سرّاً يعطي معطيين مهمّين: فهو يوفر للوالي فرصة الضغط عليهم من جهة، ويسلب منهم الإفادة من ورقة الجمهور من جهة أُخرى، كما أنه يشكّل مباغتة لهم ويسلب منهم فرصة الخروج من المدينة، والتمكّن في أمصار أُخرى، وإعلان التمرّد على حكومة يزيد. فإذا تمّ له ما أراد واستطاع أن يأخذ البيعة منهم فسوف يخرج على الناس ويقول: هذا الحسين بن علي، وهذا عبد الله بن الزبير، وهذا عبد الله بن عمر قد بايعوا، فهلموا للبيعة؛ وحينئذ لا يلتوي على البيعة أحد، فمن سيرفض البيعة بعد أن قَبِل بها الإمام الحسين عليه السلام، «**فإن هم بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من أهل الإسلام**»[3].

---

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٠.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسية: ج١، ص١٧٥.

(٣) المصدر السابق.

لقد كانت خطّة ماكرة، ولكنّ الإمام الحسين عليه السلام اكتشفها وتنبّه لها ولخيوطها، واستطاع أن يفوّتها عليهم كما سنرى، إذ رفض أن يبايع سرّاً إلّا أن يكون بين الجماهير.

استدعاء المعارضين

ركّز مروان خلال النّصّ السابق ـ لخبرته بالأُمور والأشخاص ـ على الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير، مستثنياً عبد الله بن عمر الذي لا يخشى جانبه، وفعلاً لم يُستدع عبد الله بن عمر عندما استدعى الوالي الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير: «**فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان ـ وهو إذ ذاك غلام حدث ـ إليهما يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس، ولا يأتيانه في مثلها، فقال: أجيبا الأمير يدعوكما. فقالا له: انصرف، الآن نأتيه. ثم أقبل أحدهما على الآخر، فقال عبد الله بن الزبير للحسين: ظُنّ فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟ فقال حسين: قد ظننت، أرى طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يَفشُوَ في الناس الخبر. فقال: وأنا ما أظن غيره. قال: وما تريد أن تصنع؟ قال: أجمع فتياني الساعة، ثم أمشي إليه، فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه، ثم دخلت عليه. قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت. قال: لا آتيه إلّا وأنا على الامتناع قادر**»[1].

لقد قرّر الإمام الحسين عليه السلام ـ خلافاً لابن الزبير ـ أن يمضي لمقابلة الوليد؛ لأنّه يعلم أن الوليد غير تاركه، وبدل أن يتمّ استدعاؤه بالقوة[2]، وسوف لن يستجيب حتى تكثر القتلى وهو أمر لا نفع فيه لحركته التي خطّط لها، فمن الأفضل أن يذهب للقائه الآن مع الاحتراز لذلك؛ حيث لا يأمن أن يؤخذ غيلة، فلذلك جمع بعض مواليه وأهل بيته،



---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٥١.

(٢) لقد تم ذلك مع ابن الزبير فعلاً؛ فإنه لم يذهب لمقابلة الوليد، فلم يتركه الوليد، بل أرسل إليه جماعة، فشتموه، وقالوا له: يا بن الكاهلية، لتأتين الأمير أو ليقتلنك. فأرسل أخاه جعفر ليقابل الوليد ويتفاوض معه، ويأخذ له المهلة إلى يوم، وقد تمّ ذلك، فهرب ابن الزبير خفية من المدينة. اُنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٤.

وطلب منهم أن يرابطوا على دار الوالي، ولا يبرحوا مكانهم فإن استدعاهم أو سمعوا الصوت قد ارتفع اقتحموا الدار عليه وأخرجوه.

دخل عليه السلام على الوالي، فوجده جالساً إلى جنب مروان، فسلمّ عليهما وجلس، فأقرأه الوليد الكتاب الذي أُرسل إليه ونعى إليه معاوية، ودعاه إلى البيعة فردّ عليه الحسين عليه السلام قائلاً: «**أمّا ما سألتني من البيعة، فإن مثلي لا يُعطي بيعته سرّاً، ولا أراك تجتزئ بها منّي سرّاً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية؟ قال: أجل. قال: فإذا خرجتَ للناس فدعوتَهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس، فكان أمراً واحداً. فقال له الوليد ـ وكان يحبّ العافية ـ: فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس**»[1].

لقد اكتشف الحسين عليه السلام خيوط اللُّعبة التي حاكها مروان، ولهذا رفض أن يُعطي بيعته سرّاً، واستطاع أن يُقنع الوليد بذلك؛ لأنه لن يستفيد شيئاً من بيعته سرّاً؛ إذ إن هدفه أن يستفيد من بيعة الإمام الحسين عليه السلام إعلامياً ليُقنع بقية الناس ببيعة يزيد، وهذا لا يتمّ إذا لم يرَ الناس الحسين عليه السلام مبايعاً يزيد أمامهم، فحتى لو خرج إليهم الوليد، وقال لهم: إنَّ الحسين قد بايع يزيد البارحة ليلاً. فلن يصدّقه كثيرون؛ لما يعرفونه من موقف الإمام الحسين السابق في رفض البيعة.

اقتنع الوليد بذلك وأذِنَ للإمام عليه السلام بالانصراف، ولكنّ مروان تدخّل، وقال: «**والله، لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام فقال: يا بن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟! كذبت ـ والله ـ وأثمت. ثم خرج فمرّ بأصحابه فخرجوا معه حتى أتى منزله**»[2].

وفي نصّ ابن أعثم: «**ويلي عليك ـ يا بن الزرقاء ـ أتأمر بضرب عنقي؟! كذبت**

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٥١.

(٢) المصدر السابق.

والله! والله، لو رام ذلك أحد من الناس لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك، وإن شئت ذلك فرُمْ ضرب عنقي إن كنت صادقاً»[1].

ويظهر أن مروان بن الحكم لم يكن لديه اطلاع بأن الحسين عليه السلام قد أخذ احتياطاته اللازمة، وجاء بجماعة من مواليه وأهل بيته، وأنهم ينتظرون إشارته على الباب، وأنهم لو دخلوا لقتلوا كُلّ مَن في البيت بما في ذلك مروان نفسه؛ إذ لم يكن معه إلّا مجموعة من حراس الوالي. وقد كان ردُّ الإمام الحسين عليه السلام حاسماً وجريئاً لم يترك لمروان بعده قائلة.

ويضيف ابن أعثم: «**ثُمّ أقبل الحسين عليه السلام على الوليد بن عتبة، وقال: أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة»**[2].

ويظهر من هذا النّصّ أنّ ردّ الإمام الحسين عليه السلام كان واضحاً وحاسماً (ومثلي لا يبايع مثله)، فالإمام الحسين عليه السلام قد اتخذ القرار بعدم بيعة يزيد، وهذا قرار لا تراجع عنه ولا مجال للمواربة فيه؛ ولذلك فالوليد لم يبعث بعدها وراءه ليفاوضه؛ لأنّه أدرك أن المسألة قد حُسِمت من جهة الحسين عليه السلام، وهكذا أدرك مروان ذلك، ولهذا حينما التقى بالإمام عليه السلام بعد ذلك في إحدى طرق المدينة حاول أن يتعامل معه بدبلوماسية ناعمة ـ بعد أن كان يحرّض على قتله ـ لعلّه يُقنعه ببيعة يزيد ويجعله يتراجع عن قراره، فقد روى ابن أعثم: «**وأصبح الحسين من الغد خرج من منزله ليستمع الأخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه، فقال: يا أبا عبد الله، إني لك ناصح، فأطعني تُرشَد وتُسدّد. فقال له الحسين: وما ذلك؟ قل حتى أسمع! فقال مروان: أقول: إني آمرك ببيعة أمير المؤمنين يزيد؛ فإنه خَوَلُك في دينك ودنياك. قال: فاسترجع الحسين، وقال: إنّا لله**

(١) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٠.

(٢) المصدر السابق: ج٥، ص١٤.

وإنّا إليه راجعون! وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد...»[1].

وهذه ـ كما يبدو ـ كانت آخر المحاولات لإقناع الحسين عليه السلام بالبيعة، فقد رجع مروان إلى الوليد وأخبره بما جرى مع الحسين عليه السلام، فكتب الوليد عند ذلك كتاباً إلى يزيد، يخبره بالأوضاع في المدينة، وأمر عبد الله بن الزبير وموقف الحسين عليه السلام **«فلما ورد الكتاب على يزيد غضب لذلك غضباً شديداً ـ وكان إذا غضب انقلبت عيناه فعاد أحول ـ قال: فكتب إلى الوليد بن عتبة: مِن عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذرْ عبد الله بن الزبير؛ فإنه لن يفوتنا ولن ينجوَ منا أبداً ما دام حياً، وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك جعلت لك أَعِنَّة الخيل، ولك عندي الجائزة والحظّ الأوفر والنعمة واحدة، والسلام.**

ولما ورد الكتاب على الوليد بن عتبة وقرأه تعاظم ذلك، وقال: لا والله، لا يراني الله قاتل الحسين بن علي، وأنا لا أقتل ابن بنت رسول الله، ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها»[2].

ويبدو أن موقف الوليد كله لم يرُقْ ليزيد؛ لذلك عجّل بعزله، ونصب مكانه عمرو بن سعيد الأشدق.

مغادرة المدينة

لم يلبث الحسين عليه السلام بعد ذلك كثيراً في المدينة، فقرّر الخروج منها متوجّهاً إلى مكة المكرمة. وقرار الإمام الحسين عليه السلام بمغادرة المدينة له مبرراته الموضوعية؛ فإنّ المدينة لم تكن لتوفّر له الحماية الكافية إن دُوهم فيها من قِبَل الجيش الأُموي، كما أنّها لا تصلح لِئن تكون حاضنة للثورة لكي يفجر ثورته فيها، ولم نشهد من خلال ما لدينا من نصوص

---

(١) المصدر السابق: ج٥، ص١٧.

(٢) المصدر السابق: ص١٨.

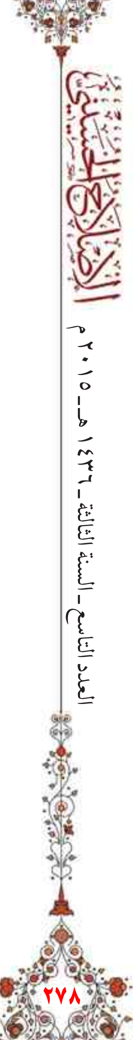
أيَّ تضامن من قِبَل أهل المدينة، أو من قِبَل شخصياتها النافذة مع قراره برفض البيعة ليزيد، فلم يجتمع معه أيّ وفد من أهل المدينة، ولم يدعم موقفه أيٌّ من شخصياتها، كما أنّه حينما قرر الخروج منها لم يخرج معه أحد، على الرغم من أنه خرج علانيّة وفي وضح النهار، وسلك الطريق الأعظم رافضاً بيعة يزيد.

إنّ موقف أهل المدينة بصورة عامّة يحتاج إلى دراسة وافية تُبيّن أسباب هذا التراجع الخطير في دور الأنصار، فقد بدوا وكأنهم يعيشون على الهامش في كل المنعطفات التي مرّ بها المجتمع الإسلامي، بعد أن كان لهم الدور الريادي الكبير والفاعل في نصرة الرسول والرسالة حتى استحقوا لقب (الأنصار).

لا يسعنا في هذه المقالة أن نخوض في تفاصيل هذه الانتكاسة في مجتمع المدينة، وهو بحث بحاجة إلى دراسة أوسع وأشمل، ولكن ما يمكن قوله هنا: إنّ الأنصار عاشوا حالة من التهميش والإقصاء بدأت مع مؤتمر السقيفة، حيث رفضت قريش أن تمنحهم أيّ منصب من المناصب، فبعد أن كانوا يطالبون بالخلافة تمّ رفض مطالبهم بصرامة، ولما تنازلوا عنها وقبلوا بالمناصفة، ونادوا: (منا أمير ومنكم أمير). تمّ رفض ذلك أيضاً. وبعد ذلك لم يُعهد لأيّ من الأنصار بمنصب سياسي أو عسكري مرموق في جميع الحكومات المتعاقبة، مما عزّز من شعورهم بالإقصاء والتهميش.

ولمّا وصل الأمر إلى بني أُميّة أمعنوا في إقصائهم وحرمانهم وإذلالهم؛ لما يحملونه لهم من بغض شديد؛ نتيجة مواقفهم الداعمة لرسول الله صلى الله عليه وآله في جميع حروبه التي خاضها ضد المشركين، وكان بنوا أُميّة قادة الشرك آنذاك، وفقدوا فيها كثيراً من رجالهم. ولدينا كثير من الشواهد التاريخية التي تدلل على ذلك، ولكن لا مجال لسردها هنا.

وهذا الإمعان في الاستضعاف قد يُفضي إلى نتيجتين متعاكستين: فقد يؤدي إلى الثورة والتمرّد والعصيان، وقد يؤدي إلى الرضوخ والسكون والرضا بالواقع؛ حيث يَدجُن الناس على استمراء الضيم. ويظهر أنّ هذا الأخير هو ما حدث لأهل المدينة



من الأنصار، عزّزه شعورهم بأنهم أقلية في المجتمع الإسلامي، لا يملكون كثيراً من الخيارات تجاه قريش ومَن معها من مسلمة الفتح.

ولربما شعر الأنصار ـ من ناحية سياسية ـ أنه ليس لهم في الأمر نصيب مهما حاولوا، فلا داعي لأن يدخلوا في نزاعات ليس لهم فيها مكسب سياسي على كُلّ الأحوال، ولهذا رضوا بالواقع كما هو، وقد أفل نجمهم وقل تأثيرهم في الواقع الإسلامي، حتى لم يعودوا رقماً يمكن أن يُعوَّل عليه. وما حدث بعد ذلك من تمرّد في المدينة انتهى بواقعة الحرة كان مجرّد ارتدادات للزلزال الحسيني الذي أحدثه في كربلاء.

المحطّة المكّيّة

اختار الحسين عليه السلام مكّة المكرّمة بوصفها محطة من محطّات ثورته، فمكّة لم تكن أحسن حالاً من المدينة من الزاوية الثورية، ولكن مكّة كانت تتميّز بميزة تفتقدها المدينة، وهي كونها بيئة مناسبة للعمل الإعلامي والتواصل مع بقية الأمصار الإسلامية؛ باعتبارها قِبلَة المسلمين، وتحتضن بيت الله الحرام الذي لا يخلو من الحجاج والمعتمرين.

وفعلاً، بمجرد أن وصل إلى مكّة المكرّمة بدأ الناس يتوافدون عليه، سواء في ذلك أهل مكة أو بقية الوافدين من الأمصار: «**فأقبل حتى نزل مكة، فأقبل أهلها يختلفون إليه ويأتونه، ومَن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق**»[1].

لقد بدأ الحسين عليه السلام نشاطاً إعلامياً مكثّفاً في مكّة المكرّمة، حيث كان جُلّ وقته مشغولاً بلقاء الناس والحديث معهم في مختلف الشؤون: «**فعكف الناس على الحسين يَفِدون إليه ويقدمون عليه، ويجلسون حوإليه، ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد**»[2].

وبالإضافة إلى لقاءاته في داخل مكّة المكرّمة بعث عليه السلام بعض الكتب إلى خارجها،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٦١.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٦٢.

فقد أرسل كتاباً موحّداً إلى زعماء الأخماس والزعماء في البصرة، يبين فيه أحقية أهل البيت عليهم السلام بمنصب الخلافة ويدعوهم إلى نصرته، وقد ختمه بالقول: «**وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ فإن السنّة قد أُميتت، وإن البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولي وتُطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**»[1].

وكان ممن كتب إليه: مالك بن مسمع البكري، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ويزيد بن مسعود النهشلي، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد الله بن معمر.

لقد جاءت استجابة هؤلاء متفاوتة، فبعضهم ـ مثل الأحنف بن قيس ـ كتب إلى الإمام عليه السلام يوصيه بالصبر والأناة، بل الرسالة كُلّها كانت عبارة عن الآية الكريمة: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[2].

وبعض كانت استجابته سيّئة، مثل المنذر بن الجارود؛ فإنه قد أمسك رسول الإمام، وبعث به إلى عُبيد الله بن زياد فقتله.

وبعض كانت استجابته جيّدة، كيزيد بن مسعود النهشلي رحمه الله؛ فإنه عقد مؤتمراً عامّاً دعا فيه القبائل الموالية له من تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلّما اجتمعوا عنده قام فيهم خطيباً فقال: «**يا بني تميم، كيف ترون موضعي فيكم؟ فقالوا: بخٍ بخٍ! أنت، والله فقرة الظهر، ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً، وتقدمت فيه فرطاً. فقال لهم: إنّي جمعتكم لأمر أُريد أن أُشاوركم وأستعين بكم عليه... إن معاوية مات... وكان قد أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أنه قد أحكمه، وهيهات الذي أراد! اجتهد ـ والله ـ ففشل، وشاور فخُذِل، وقد قام يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدعي الخلافة على المسلمين، ويتأمر عليهم بغير رضا منهم مع قُصر حلم وقلّة علم، لا يعرف من الحق**

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٦٦.

(٢) الروم: آية ٦٠.

موطأ قدميه، فأُقسم بالله قسماً مبروراً، لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين. وهذا الحسين بن علي وابن رسول الله، ذو الشرف الأصيل والرأي الأثيل، له فضل لا يوصَف وعلم لا ينزف، وهو أوْلى بهذا الأمر؛ لسابقته، وسِنّه وقِدَمه، وقرابته، يعطف على الصغير، ويُحسن إلى الكبير، فأكرِمْ به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا في وهد الباطل، والله، لا يقصّر أحدُكم عن نصرته إلّا أورثه الله الذل في وُلده والقلّة في عشيرته، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، وأدرعت بدرعها، مَن لم يُقتَل يمت، ومَن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب»[1].

فقام بعضهم ملبيّاً دعوته ومؤيداً لنصرته، وبعضهم كان من المترددين.

موقف أهل الكوفة

لقد عرفنا ـ في الأقسام السابقة من هذه السلسلة ـ أنّ أهل الكوفة كانوا على تواصل دائم مع الإمام الحسين عليه السلام منذ أيّام معاوية، وكانوا يفدون عليه، ويكتبون له الكتب يدعونه فيها للثورة، غير أنه كان يأمرهم بالتريّث والانتظار إلى ما بعد معاوية.

ولمّا بلغهم موت معاوية عقدوا مؤتمراً مهمّاً في دار سليمان بن صُرد الخزاعي؛ ليقرروا فيه الإجراءات اللازم اتخاذها في هذه اللحظة التاريخيّة الفاصلة، وقد قرّروا أن يكتبوا له كتاباً يدعونه فيه إلى القدوم إلى الكوفة، ويُبدون فيه استعدادهم لنصرته ومؤازرته على عدوه، فكتبوا كتاباً جاء فيه بعد البسملة: **«من سليمان بن صُرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة. أما بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأُمة فابتزّها أمرها، واغتصبها فيئها، وتآمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣٨.

واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبُعداً له كما بعُدت ثمود! إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نُلحقه بالشام إن شاء الله. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»(1).

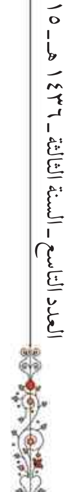
ولم يكتفوا بهذه الرسالة، وإنما بعثوا له قيس بن مسهّر الصيداوي مع رجلين آخرين، وحمّلوهما نحواً من ثلاث وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة.

ثم لبثوا بعد ذلك مدّة، فكتبوا له كتاباً مع هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي جاء فيه: «**لحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أما بعد: فحيّهلا؛ فإنّ الناس ينتظرونك، ولا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل والسلام ورحمة الله عليك**»(2).

وقد توالت الكتب والرسائل على الإمام عليه السلام حتى ملأ منها خرجين، بل رُوي أنّه اجتمع عنده عليه السلام اثنا عشر ألف كتاب(3).

لم تدفع هذه الكتب الإمام الحسين عليه السلام للتحرّك نحو الكوفة، فلا بدّ من شخص يدرس الواقع دراسة ميدانية، ويقيّم الأوضاع عن قُرب، ويكتب له عن حقيقة الموقف؛ لذلك قرّر عليه السلام أن يبعث شخصاً يثق بأمانته ونصحه ووعيه وبصيرته؛ لكي يدرس له الأوضاع، ويقدّم له تقييماً شاملاً وصادقاً عنها؛ ليتخذ الموقف المناسب حيالها.

وقرّر عليه السلام أن يبعث ابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام؛ ليقوم بهذه المهمة الخطيرة، فبعثه إلى الكوفة، وبعث معه إلى أهلها كتاباً جاء فيه: «**من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين... أما بعد: فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدِم عليّ من رُسلكم، وقد فهمت كُلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جُلّكم: إنّه ليس علينا إمام،**



---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٦١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣٤.

فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق. وقد بعثت لكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم؛ فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئِكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليَّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري، ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله، والسلام»[1].

مسلم بن عقيل والمهمّة الخطيرة

المهمّة الأساسية لمسلم بن عقيل ـ إذاً ـ هي دراسة الأوضاع في الكوفة، ورفع تقرير بها إلى الإمام الحسين عليه السلام، وقد وصل إلى الكوفة ونزل في دار المختار الثقفي.

لا نعلم السبب الذي دعاه لاختيار منزل المختار، فالمختار على رغم تشيّعه لأهل البيت وفطنته وحنكته وسياسته، لم يكن له ثقل كبير في الكوفة آنذاك، مقارنة ببعض الزعماء الآخرين، بل إنّ المختار وبحسب ما لدينا من نصوص لم يكن من الذين راسلوا الحسين عليه السلام في جملة مَن راسله ودعاه. إلّا أن هناك نقطة مهمة لا ينبغي إغفالها، وهي أن المختار كان صهراً لوالي الكوفة النعمان بن بشير، وهذا يمكن أن يشكل غطاءً سياسياً له، وهذا ربّما هو السبب الذي دعا النعمان بن بشير أن يغض الطرف نوعاً ما عن تحركات مسلم بن عقيل، حتى كتب بعض الموالين لبني أُمية إلى يزيد كتاباً يخبرونه فيه بأنّ النعمان «**ضعيف أو يتضعّف**»[2].

ففي قولهم: «**يتضعّف**»، إشارة واضحة إلى أنّه لم يكن جادّاً وحاسماً في معالجة حركة مسلم بن عقيل عليه السلام، ولذلك لمّا عُزل النعمان عن الكوفة وجاء عبيد الله بن زياد مكانه اضطرّ مسلم لمغادرة بيت المختار إلى بيت هانئ بن عروة؛ باعتباره يشكّل ثقلاً

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٦٢.

(٢) المصدر السابق: ج٤، ص٢٦٥.

عشائرياً في الكوفة يمكنه أن يحتمي به.

أيّاً كان السبب، فقد توافد الناس على منزل المختار حينما علموا بنزول مسلم بن عقيل فيه، فقام‌عليه السلام، وقرأ عليهم كتاب الإمام الحسين‌عليه السلام، فعمّ الفرح كما عمّ البكاء، وقام بعض الأشخاص وتحدّثوا ببعض الكلمات، وأوّل مَن قام هو عابس بن شبيب الشاكري (رضوان الله عليه)، وتكلّم بكلمة واعية جدّاً، قال فيها: «**أما بعد، فإني لا أُخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في نفوسهم وما أغرّك منهم، والله، إنّي محدّثك عمّا أنا موطَّن عليه نفسي، والله، لأُجيبنّكم إذا دعوتم، ولأُقاتلنّ معكم عدوّكم، ولأضربنّ بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أُريد بذلك إلّا ما عند الله**»(١).

ويظهر من كلامه أنّه لم يكن مطمئناً لموقف الناس، ولهذا قال: «**لا أغرّك منهم**»، وأرسم لك صورة ورديّة عن صدقهم وتفانيهم، وفي كلامه رسالة لمسلم أو قل: إيحاء بأنّ عليه أن يكون مُدرِكاً لهذا الأمر ولا يغترّ بالناس.

قام بعده حبيب بن مظاهر الأسدي‌رحمه الله، فخاطب عابساً قائلاً: «**رحمك الله، فقد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، وأنا ـ والله الذي لا إله الا هو ـ على مثل ما أنت عليه**».

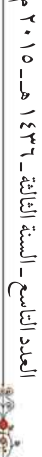
ثم قام بعدهم سعيد الحنفي‌رحمه الله، وقال مثل ما قال صاحباه.

وصدق هؤلاء ما عاهدوا الله عليه، فاستُشهدوا في كربلاء مع سيد الشهداء‌عليه السلام.

تقييم مسلم للأوضاع

لم يكتف مسلم بن عقيل‌عليه السلام بدراسة الأوضاع واستطلاع الآراء، بل راح يعمل على الدعوة للإمام الحسين‌عليه السلام وأخذ البيعة له، وقد استطاع أن ينجح في ذلك نجاحاً ملحوظاً إذا ما لاحظنا ظروف السريّة التي كان يتحرّك فيها، فقد بايعه جمّ غفير من أهل الكوفة، اختلف المؤرخون في تحديده ما بين اثني عشر ألفاً إلى أربعين ألفاً. غير أن المشهور هو

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٦٤.



أن عدد المبايعين بلغ ثمانية عشر ألفاً، وهو ما يؤكده مسلم بن عقيل في رسالته للإمام الحسين عليه السلام التي ذكر فيها تقييمه للأوضاع في الكوفة، حيث كتب له: «**أما بعد، فإنّ الرائد لا يَكذِب أهلَه، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي؛ فإنّ الناس كلهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى. والسلام**»[1].

وفي هذه الرسالة الموجزة جدّاً يُعطي مسلم بن عقيل عليه السلام رأيه وتقييمه للأُمور في الكوفة، فبعد دراسة شاملة ومعايشة يومية للواقع توصّل إلى أنّ الناس جميعاً مع الحسين عليه السلام، وليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى.

لكن ما دقة هذه الرؤية وهذا التقييم بالنسبة إلى الواقع؟ هل كان كل أهل الكوفة مع الحسين عليه السلام وليس لهم في آل معاوية رأي أو هوى؟ أم أنّ تقييم مسلم بن عقيل للأوضاع لم يكن دقيقاً!

إذا كان واقع الكوفة مطابقاً لما ورد في كتاب مسلم، فلماذا وقف أهل الكوفة بالضد من الحسين عليه السلام ما بين مقاتل وخاذل له؟ لماذا انضموا إلى جبهة بني أُمية وتركوا الحسين وحده في رُبى الطفوف؟!

إنّ تقييم مسلم للأُمور ـ وهو ثقة الحسين عليه السلام ـ كان تقييماً دقيقاً، فمسلم كان يتحدث عن الجانب السياسي والجانب العاطفي، وأشار بقوله: «**ليس لهم في آل معاوية رأي**»، إلى الجانب السياسي، وبقوله: «**ولا هوى**». إلى الجانب العاطفي.

وإذا ما درسنا أوضاع الكوفة آنذاك فسنصل إلى النتيجة نفسها؛ فعلى المستوى السياسي كان الرأي العام بصورة عامة ـ ما عدا بعض الجيوب الأُموية ـ مع الحسين عليه السلام، أمّا ما يخصّ المكوّن الشيعي فالأمر فيه واضح، وأمّا بقية الناس فقد عاشوا تجربة حكم الأُمويين طوال عشرين سنة في ظلّ الحكم الأُموي الذي استباح الدماء ونهب الأموال وقتل الأشراف، وسلّط أكثر الجلادين بشاعة ودموية على الأُمة؛ فإنّها باتت أكثر رغبة

---

(١) المصدر السابق: ج٤، ص٢٨١.

في التخلص منه، واستبداله بنموذج آخر عايشته لفترة قصيرة ورأت في ظلّه العدل والحرية والكرامة والرخاء، وهو عهد الإمام علي عليه السلام.

وأمّا على المستوى العاطفي، فإنّ هوى الكوفة بصورة عامة مع أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً الإمام الحسين عليه السلام الذي وصفه معاوية في وصيته لابنه يزيد بالقول: «**مَن القلوب إليه مائلة، والأهواء نحوه جانحة، والأعيُن إليه طامحة، وهو الحسين بن علي**»[1].

ولدينا شواهد كثيرة على ذلك.

فما الذي حصل يا ترى؟! ولماذا وقفت الكوفة في الجبهة المناوئة للحسين عليه السلام إذا كان رأيها وعاطفتها معه بصورة عامة؟

المشكلة لم تكن في الرأي أو في العاطفة، وإنّما المشكلة كانت في صدق الموقف. لقد لخّص الفرزدق وآخرون ممن التقى بهم الإمام الحسين عليه السلام الجواب عن ذلك بكلمة واحدة: «**قلوبهم معك وسيوفهم عليك**». إنها الازدواجية إذاً، ازدواجية (العواطف والمواقف)، وهو ما أثار استغراب الإمام السجاد عليه السلام لّما دخل مع ركب السبايا إلى الكوفة، فاستقبلهم أهلها بالبكاء والعويل، فقال عليه السلام: «**هؤلاء يبكون علينا، فمن قتلنا غيرهم؟!**»[2]

وهذا الموقف نفسه تكرّر مع الإمام الحسن عليه السلام قبل ذلك، فقد روى ابن عساكر: «**أنّ الإمام الحسن عليه السلام خطب أهل الكوفة، فقال: يا أهل الكوفة، اتقوا الله فينا، فإنّا أمراؤكم ونحن ضيفانكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله فينا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. قال هلال: فما سمعت يوماً قط كان أكثر باكياً ومسترجعاً من يومئذ**»[3].

فهؤلاء الذين يبكون هم الذين خذلوه، صدقت عواطفهم وكذبت مواقفهم.

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج٢٠، ص١٣٣.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٩.

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٣، ص٢٦٩.

وحالات البكاء هذه تتكرّر في أكثر من موقف ذكره التاريخ، وهو ينمّ عن عاطفة تجاه أهل البيت عليهم السلام ولكنها بقيت مجرد عاطفة بعيدة عن صدق الموقف.

ولعلّنا نلمس في خطبة السيدة زينب عليها السلام بعد ذلك إشارة واضحة إلى هذه الازدواجية، فقد قالت عليها السلام مخاطبة أهل الكوفة: «**ألا وهل فيكم إلّا الصلف النطف، والصدر الشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة**»[1]. أي: مظاهركم جميلة تغرّ الناظرين، ولكن مخابركم قبيحة تُسيء الخابرين، وشعاراتكم برّاقة أخّاذة ولكن مواقفكم سيئة ومتخاذلة، فشتّان بين منظركم ومخبركم، كالمرعى الجميل الزاهي الذي يُعجب النظّار، ولكن أصله دمنة نبت عليها وتغذّى منها، أو كالفضة أو الرخامة الجميلة التي توضع على القبر وتحتها جثة هامدة متوارية فيها، وهذا أدقّ وصف يمكن تقديمه عنهم آنذاك.

أما سبب هذه الازدواجية التي كان يعيشها المجتمع الكوفي، فهو يحتاج إلى بحث وتقصٍّ، فليست المسألة جينيّة حتى يُسدّ باب البحث فيها، وإنّما هي ناشئة من ظروف موضوعية أدّت إليها، وعلينا أن نبحث عن تلك الأسباب والظروف، وهذا ما سنعمل عليه في مقالة أُخرى إن شاء الله تعالى.

---

(١) ابن طاوس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٨٧.



الشيخ عامر الجابري[1]

أشرنا فيما سبق إلى توجّه أنظار أئمّة أهل البيت عليهم السلام بعد الفاجعة إلى التركيز على بناء كيان التشيّع، وأشرنا إلى أنّ توظيف المظلومية الحسينية ومأساة كربلاء كان من أهمّ السبل التي سلكها المعصومون عليهم السلام؛ لتحقيق هذا الهدف والوصول إلى هذه الغاية، وقد تمّ ذلك عبر تأسيس ما أسميناه: (مؤسّسة الشعائر الحسينية)، وقد تحدّثنا في القسم الأول عن الملامح العامّة والخطوط العريضة لهذه المؤسّسة المباركة.

وبقي علينا أن نتناول بيان الأهداف والغايات التي يُراد تحقيقها من خلال هذه المؤسّسة المباركة.

الشعائر من أهم مقوّمات بقاء الأديان والمذاهب وانتشارها

يمكن تصنيف الأديان والمذاهب ـ بغضّ النظر عن حقّانيتها أو عدمها ـ إلى ثلاثة أصناف:

---

(١) باحث وكاتب إسلامي.

الصنف الأول: الأديان والمذاهب التي وُجدت لفترة في التاريخ ثمّ انقرضت.

الصنف الثاني: الأديان والمذاهب التي استطاعت البقاء والمحافظة على وجودها عبر القرون، بالرّغم من التغييرات الاجتماعية والحضارية التي حدثت في العالم، ولكنّها لم تتمكّن من الانتشار والازدهار، وإنّما بقيت منعزلة اجتماعياً، ومنغلقةً على أتباعها، وإذا ما حصلت زيادة في عدد أتباعها، فإنّها تكون زيادة طبيعية ناتجة عن التكاثر الطبيعي لأتباعها؛ بسبب التزاوج والتوالد.

الصنف الثالث: الأديان والمذاهب التي كُتب لها البقاء والدوام والانتشار والازدهار.

والفرق بين الصنف الأول والصنفين الأخيرين يتمثّل ـ في تقديرنا ـ بوجود الشعائر وعدمه، بمعنى: أنّ الأديان والمذاهب التي وُجدت في التاريخ ثمّ انقرضت بعد مدّة من الزمن، لم تكن سوى أفكار ورُؤى خالصة، ولم يكن أتباعها يترجمون تلك الأفكار والرؤى عِبْر شعائر معينة.

وفي الحقيقة، إنّ الأفكار والرؤى الدينية والمذهبية إذا لم تتحوّل إلى شعائر شعبية رمزية تعبّر عن تلك الأفكار والرؤى، وتترسّخ وتتعمّق في وجدان القاعدة الجماهيرية لذلك الدين أو المذهب، فإنّ درجة احتمال بقاء ذلك الدين أو المذهب تكون ضئيلة جداً، أو منعدمة.

وأمّا الفرق بين الصنف الثاني والثالث، فيتمثّل بطبيعة تلك الأديان والمذاهب، وطبيعة شعائرها، فإذا كانت أدياناً ومذاهب ذات طبيعة منغلقة ومنزوية أو عنصرية، فإنّها ستتّخذ شعائر ذات طبيعة مشفّرة وملغّزة، لا يفهما سوى أتباع ذلك الدين أو المذهب.

وأمّا إذا كانت أدياناً ومذاهب ذات طبيعة منفتحة وعالميّة الطموح، فإنّها ستتّخذ شعائر تتناسب مع طبيعتها هذه، وستكون تلك الشعائر بمثابة رسائل مفتوحة مكتوبة بلغةٍ إنسانية يفهمها الجميع.



ولا ريب في أنّ المذهب الشيعي يُحسب على الصنف الثالث من هذه الأصناف، فهو مذهب منفتح، ذو طبيعة تمدّدية انتشارية، إن صحّت العبارة.

فهو ـ كما نعتقد ـ الصيغة الحقّة للإسلام المحمّدي الأصيل، والإسلام دينٌ عالميّ، يسعى إلى بسط نفوذه على جميع أرجاء المعمورة.

ومن هنا؛ فقد قام قادة هذا المذهب عليهم السلام بتأسيس: (مؤسّسة الشعائر الحسينية)؛ للنهوض بمهمّتين أساسيتين:

١ـ حفظ كيان التشيع وخلوده.

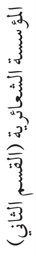
٢ـ انتشار هذا الكيان وازدهاره.

١ـ دور الشعائر الحسينية في حفظ كيان التشيع

إذا كنّا نعتقد بأنّ دعوة التشيع هي الصورة الحقيقية للإسلام المحمّدي الأصيل، فلا بدّ أن نعتقد بأنّ هذه الدعوة محفوظة بحفظ الإسلام، فقد تعهّد الباري سبحانه وتعالى بحفظ هذا الدين وبقائه وخلوده إلى أن تقوم الساعة، غير أنّ هذا لا يتنافى مع تحقّق الحفظ المُشار إليه عبر الأسباب والسنن الاجتماعية والتاريخية، ونحن نعتقد أنّ لمؤسّسة الشعائر الحسينية الدور الأكبر في حفظ دعوة التشيّع و«**أعظم الأثر في بقائها، رغم الضغوط الكثيرة التي تعرّضت لها؛ وذلك لأنّ تفاعل الجمهور بالفاجعة واهتمامهم بإحيائها لا يتوقّف على دفع الخاصّة لهم ـ كرجال الدين أو غيرهم ـ وتشجيعهم إيّاهم؛ ليسهل على العدو القضاء عليها بتحجيم دور الخاصّة، بالترغيب والترهيب، وصنوف التنكيل حتى التصفية الجسدية، كما حصل ذلك قديماً وحديثاً**»[1].

بل يرى الشيخ حسن المظفر بأنّ حفظ المذهب من الاندراس هو الغرض النهائي من تأسيس مؤسّسة الشعائر الحسينية، بل هي الغاية القصوى التي قُتل الإمام الحسين عليه السلام

(١) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص٤٣١.



من أجلها، فيقول: «**لا شكّ أنّه لا غرض للأئمّة**عليهم السلام **ـ وهم حكماء الأُمّة ـ من الأمر بذلك الاجتماع المُحزن، وتذكّر تلك المصيبة المُقرحة في أحوالٍ مخصوصةٍ كثيرة، وزيارته التي لم يكفِهم الترغيب إليها والمبالغة في ثوابها، حتى حذّروا من ترْكِها، وبعبارةٍ جامعة: ليس أمرهم بتلك الروابط الحسينية إلّا حفظ المذهب عن الاندراس، وهو الغاية التي قُتل لها الحسين**عليه السلام**، وهذه الحِكَم ـ مع أنّها وجدانية ـ قد ألمعوا إليها بعبارات مختلفة، وضوحاً وخفاءً، وأمروا بها صريحاً فيما تضمّن الحث على إحياء أمرهم**».

ثمّ يقول بعد عدّة سطور: «**أنا لا أشكّ أنّ تلك المجالس والمجتمعات ألبستها الأئمّة الأطهار**عليهم السلام **ـ بواسع علمهم وبُعد نظرهم للمستقبل ـ لباساً مذهبياً؛ لأنّها السبب الوحيد لاجتماع كلمة الشيعة، ورسوخ عقائدهم، وبقاء ذكر الجميل بكلّ معانيه للأئمّة فيما بينهم، وتلك نكتة مستورة عن جميع المسلمين، حتى عن الشيعة أنفسهم؛ فإنّهم لا يتصوّرون هذه الفائدة من عملهم، بل قصدهم الثواب الأُخروي فقط...**»[1].

وقد أدرك أعداء أهل البيت عليهم السلام ـ من الأُمويين والعباسيين ـ هذه الملازمة بين إحياء هذه الشعائر وبين بقاء كيان التشيع، واستمرارية وجوده، فسعوا بشتّى الوسائل، وسلكوا مختلف السُّبل للقضاء على هذه الشعائر؛ إذ أدركوا أنّ القضاء على التشيع لا يتمّ إلّا بالقضاء عليها.

وفي المقابل، فإنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام كانوا قد استعدّوا لمواجهة هذا الخطر، وكانوا على طول الخط يتعاملون مع محاولات طمس هذه الشعائر ومحوها على أنّها محاولات لطمس الوجود الشيعي ومحوه والقضاء عليه، وهو ما يمكن ملاحظته في الباب الخامس والأربعين من كتاب كامل الزيارات، الذي أعدّه ابن قولويه لبيان (ثواب مَن زار الحسين عليه السلام وعليه خوف)، وأورد فيه عدّة روايات بعضها عن الإمام الخامس أبي جعفر الباقر عليه السلام، والبعض الآخر عن الإمام السادس أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وفي هذه

---

(١) المظفر، حسن بن عبد المهدي، نصرة المظلوم: ص٧.

الروايات يحثّ الإمامان عليهما السلام شيعتهما على تحدّي السلطات، والاستمرار على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وتعاهد قبره المطهّر، وأن لا يكون الخوف مانعاً لهم عن ذلك؛ فإنّ الله سبحانه وتعالى سيضاعف لهم الثواب، كما أنّ ترك زيارته عليه السلام لخوفٍ تُوجب الحسرة، وقد نقلنا في المبحث السابق أكثر روايات هذا الباب في مواضع متفرّقة.

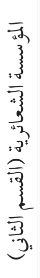
وهي روايات لا يمكن فهمها إلّا في ظلّ ظروفها التاريخية، وفي إطار المواجهة التي أشرنا إليها، فليست المسألة مجرّد قيام بعمل فردي مستحبّ، وإلّا لكان مقتضى القاعدة سقوط ذلك العمل عن الاستحباب، بل حرمته لمخالفته للتقية، التي تجب لحفظ النفس، أو المال، أو العِرض.

إذن؛ فالمسألة ترتبط بما هو أهم من حفظ النفس، أو المال، أو العِرض، إنّها ترتبط بالحفاظ على الكيان الشيعي واستمرارية وجوده، فكانت المداومة على هذه الشعائر، والإصرار على إحيائها هو الطريق الوحيد لتثبيت هوية التشيّع، وترسيخها في ضمير المسلم الشيعي.

وهذا الفهم لمسألة إحياء الشعائر قد توارثه الشيعة جيلاً بعد جيل، فكانوا على الدوام ينظرون إلى محاولات منع إحياء الشعائر الحسينية على أنّها محاولات للقضاء على التشيع والشيعة، فكانوا يُصرّون ـ وبدفعٍ وتشجيع من العلماء ـ على إحياء هذه الشعائر مهما كلّفهم الأمر.

وهذا ما يفسّر لنا أيضاً وقوفهم الحازم ضدّ كلّ مَن حاول التشكيك بشرعية الشعائر أو بعض مفرداتها؛ إذ تُعدُّ هذه المسألة خطّاً أحمرَ لا يُسمح بالاقتراب منه، ولطالما وُصف مَن حاول الاقتراب من هذه الدائرة بكونه متآمراً مع أعداء المذهب وأعداء الحسين عليه السلام.

وهذه النظرة لمسألة الشعائر نظرة صائبة؛ إذا كانت منطلقة من الوعي بأهمّية هذه الشعائر وتأثيرها الكبير في الحفاظ على تماسك الكيان الشيعي وتلاحمه.





ولكن في الواقع، إنّه ليس كلّ مَن ينظر إلى مسألة الشعائر على أنّها خطّ أحمر، ينطلق من الوعي المشار إليه، بل إنّ بعضاً من هؤلاء ينطلق بدافع العاطفة غير الواعية، والتعصّب الأعمى، وهؤلاء هم الذين يقفون حجر عثرة أمام محاولات الإصلاح في الشعائر الحسينية وتهذيبها.

إنّ النقاش الدائر حول الشعائر الحسينية يقع في دائرتين:

الدائرة الأُولى: النقاش الذي يُثيره المخالفون والعلمانيون وبعض الحداثويين من الوسط الشيعي، من شبهات حول أصل إحياء الشعائر الحسينية، ويمكن أن نُعبّر عن الشبهات التي تُطرح في هذه الدائرة بـ (الشبهات الكلامية)، وهذه الشبهات هي التي ينبغي الوقوف في وجهها ومعالجتها من قِبَل المختصّين بعلم الكلام الإمامي.

الدائرة الثانية: النقاش الحاصل بين فقهائنا حول مشروعية بعض المفردات من الشعائر، وهذا نقاشٌ فقهيّ مؤطّر بالأُطر العامّة للفقه الإمامي، ولا محذور فيه.

وتدخّل غير المختصّين الذين لا يميّزون بين الدائرتين، هو الذي يخلط الأوراق، ويتسبّب فيما نشاهده في محرم من كلّ عام من مشاحنات وتراشقات حول هذه المفردة أو تلك من مفردات الشعائر الحسينية، وقد يصل الأمر في بعض المناطق إلى حدوث فتنة بين أبناء المذهب الواحد.

ويا للأسف! فقد أصبحت هذه الشعائر في بعض المناطق ـ بسبب هؤلاء المتعصّبين ـ سبباً للفرقة والتشرذم، مع أنّها قد شُرّعت من قِبَل أئمّة أهل البيت عليهم السلام لرصّ صفوف الشيعة، وتوحيد كلمتهم، وشدّ أزر بعضهم بعضاً.

٢ـ انتشار التشيع وازدهاره عبر الشعائر الحسينية

كما ساهمت مؤسّسة الشعائر الحسينية في حفظ كيان التشيّع والحفاظ عليه من الانقراض والاندثار، فقد ساهمت هذه المؤسّسة في توسعة هذا الكيان وانتشاره



وازدهاره؛ بحيث وصل التشيع ـ ببركة هذه الشعائر ـ إلى أبعد نقطةٍ في العالم، وأصبح عدد الشيعة اليوم حوالي ٢٥٠مليون نسمة، ممّا يعني أنّهم يشكلون نسبة الربع من المسلمين.

وقد باتت وسائل الإعلام تتحدّث عمّا أطلقت عليه اسم: (ظاهرة المدّ الشيعي)، وهو مصطلح يُطلق على ظاهرة انتشار التشيّع وتمدّده في بلدان ذات أغلبية تتّبع المذاهب السنّية.

وفي الحقيقة، إنّ جميع الذين كتبوا حول سرّ انتشار التشيع وازدهاره وتمدّده ـ من المؤالفين أو المخالفين، وحتى من المستشرقين ـ قد أكّدوا تأكيداً بالغاً على الدور الكبير الذي تلعبه الشعائر الحسينية، وتأثيرها الواضح في هذا المجال.

فكلّما فُسح المجال للشيعة في ممارسة الشعائر الحسينية، كلّما انتعش كيان التشيع، واتّسع وتمدّد في الآفاق، وكلّما ضُيّق عليهم وحوربوا في ممارسة هذه الشعائر، كلّما حدّ ذلك من تقدّمهم، وتوقّفوا عن النمو وإن استمرّوا على إحياء هذه الشعائر سرّاً للحصول على الحدّ الأدنى من فوائدها، والمتمثّل بالحفاظ على الهوية الشيعية من الضياع والاندثار.

مقتطفات من كلام المستشرقَين: جوزيف الفرنسي، وماربين الألماني

وبحسب تتبّعي لم أجد أحداً قد تناول موضوع مؤسّسة الشعائر الحسينية وأثرها الكبير في نشر مذهب التشيّع وازدهاره أفضل من الكاتبين المستشرقَين: الدكتور جوزيف الفرنسي في كتابه: (الإسلام والمسلمون)، والمسيو ماربين الألماني في كتابه: (السياسة الإسلامية)، وقد ترجمت جريدة الحبل المتين الفارسية ـ في العدد الثامن والعشرين من السنة الثامنة بتاريخ: (٧محرم/ سنة١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)، فصلين من الكتابين المذكورين، يحتويان على فلسفة الشعائر الحسينية، وما لها من دور في تقدّم المذهب الشيعي وازدهاره، فكان لهما دويٌّ في العالم الإسلامي، وأخذا في الشـرق دوراً

مهمّاً، وتُرجما إلى التركية والهندية، وترجمهما إلى العربية السيد صدر الدين الموسوي، فنشرت مجلة العلم أحد الفصلين، ونشـرت مجلة العرفان الفصل الآخر.

ولأهمية هذين المقالين قام السيد محسن الأمين بترجمتهما إلى العربية، وخصّص الفصل السابع من خاتمة كتابه المجالس السنية[1] لذكر ما أورده هذان المستشـرقان، ولشدّة ارتباط هذين المقالين ببحثنا نودّ أن نقتطف منهما المقتطفات التالية بالاعتماد على ترجمة السيد الأمين.

مقتطفات من كلام الدكتور جوزيف الفرنسي

يقول هذا المستشرق عن بداية نشوء كيان التشيع: «**لم تكن هذه الفرقة ـ يعني الشيعة ـ ظاهرة في القرون الأُولى الإسلامية كأُختها، ويمكن أن تُنسب قلّتهم إلى سببين:**

أحدهما: إنّ الرئاسة والحكومة التي هي سبب ازدياد تابعي المذهب كانت بيد الفرقة الأُخرى.

والسبب الآخر: هو القتل والغارات التي كانت تتوالى عليهم.

ونظراً لحفظ نفوس الشيعة؛ حكم أحد أئمّتهم في أوائل القرن الثاني عليهم بالتقية، فزادت في قوّتهم؛ لعدم تمكّن العدوّ القوي الشكيمة من قتلهم والإغارة عليهم، بعد أن لم يكونوا ظاهرين، وصاروا يعقدون المجالس سرّاً، ويبكون على مصائب الحسين، واستحكمت هذه العاطفة في قلوبهم على وجهٍ لم يمضِ زمانٌ قليل إلّا وارتقوا، حتى صار منهم الخلفاء والسلاطين والوزراء، وهؤلاء بين مَن أخفى مذهبه وتشيّعه، وبين مَن أظهره.

وبعد أمير تيمور، حيث رجعت السلطنة في إيران إلى الصفوية، صارت إيران مركز فرقة الشيعة، وبمقتضى تخمين بعض سوّاح فرنسا إنّ الشيعة فعلاً: سدس المسلمين أو سبعهم.

---

(١) والخاتمة منشورة أيضاً في كتيب خاصّ، نشرته مطبعة العرفان.

ونظراً إلى هذا الترقّي الذي حازته فرقة الشيعة في زمانٍ قليل، من دون جبرٍ وإكراه، يمكن أن يُقال: إنّهم سيفوقون سائر فرق الإسلام بعد قرنٍ أو قرنين.

والسبب في ذلك هو إقامة عزاء الحسين، الذي قد جعله كلّ واحدٍ منهم داعياً إلى مذهبه، ولا يوجد اليوم مكان فيه الواحد أو الاثنان من الشيعة إلّا ويقيمان فيه عزاء الحسين، ويبذلان في هذا السبيل الأموال الكثيرة».

ثمّ يقول بعد ذلك: «ويمكن أن يُقال: إنّ جميع فِرَق الإسلام من حيث المجموع لا يبذلون في سبيل تأييد مذهبهم بمقدار ما تبذله هذه الفرقة في سبيل ترقيات مذهبها، وموقوفات هذه الفرقة ضعفا أوقاف سائر المسلمين، أو ثلاثة أضعافها، كلّ واحد من هذه الفرقة هو في الحقيقة داعٍ إلى مذهبه من حيث يخفى على سائر المسلمين، بل إنّ الشيعة أنفسهم لا يدركون هذه الفائدة المترتّبة على عملهم، وليس في نظرهم إلّا الثواب الأُخروي.

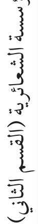
ولكن حيث إنّ كلّ مَن عمل في هذا العالم لا بدّ وأن يكون له أثر طبيعي في العالم الاجتماعي، قصده الفاعل أو لم يقصده، لم تُحرم هذه الفرقة فوائد هذا العمل الطبيعية في هذا العالم.

ومن المعلوم أنّ مذهباً دعاته خمسون أو ستون مليوناً لا بدّ وأن يرتقي أربابه على وجه التدريج إلى ما يليق بشأنهم».

ثمّ يقول بعد ذلك: «ولقد بلغ اهتمام هذه الفرقة في أداء مراسم مذهبها مبلغاً عظيماً، حتّى جعلت ثلثي المسلمين من أتباع سيرتها، بل اشترك معها كثير من الهنود والمجوس وسائر المذاهب.

ومن المعلوم أنّه بعد مضي قرن ووَصْلِ هذه الأعمال بالوراثة إلى أبناء أُولئك الطوائف، يذعنون بها ويصدقون هذا المذهب.

وبما أنّ فرقة الشيعة تعتقد بأنّ جميع المطالب والمقاصد موكول نجاحها إلى أكابر مذهبهم، وهم يفزعون إليهم في قضاء الحوائج، ويستمدّون منهم عند الشدائد، سرت



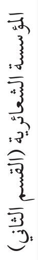
هذه الروح أيضاً إلى سائر الفرق التي اشتركت معهم في تلك الأعمال والأفعال، ومن المعلوم أنّه بمجرد قضاء حاجتهم وبلوغ آمالهم تزداد عقيدتهم بهذا المذهب رسوخاً.

من هذه القرائن والأسباب يمكننا أن نقول: لا يمضي على هذه الفرقة زمان قليل إلّا وتفوق سائر المسلمين من حيث العدد، وكانت هذه الفرقة قبل قرن أو قرنين تلازم التقية ـ فيما عدا إيران ـ نظراً لقلّتهم، وعدم قدرتهم على إظهار شعائر مذهبهم، ولكن من يوم استولت الدولة الغربية على الممالك الشرقية، ومنحت جميع المذاهب الحرية قامت هذه الفرقة تقيم شعائر مذهبها علناً في كلّ مكان، واستفادوا من هذه الحرية فائدة تامّة، حتى إنّهم تركوا التقية».

مقتطفات من كلام المسيو ماربين الألماني

يقول المسيو ماربين الألماني: «كانت الرياسة الروحانية بعد الحسين في أولاده واحداً بعد واحد، وهؤلاء أيضاً جعلوا إقامة عزاء الحسين الجزء الأعظم من المذهب، وأُلبست هذه النكتة السياسية شيئاً فشيئاً اللباس المذهبي، وكلّما ازدادت قوة أتباع علي ازداد إعلانهم بذكر مصائب الحسين، وكلّما سعوا وراء هذا الأمر ازدادت قوتهم وترقّيهم، وجعل العارفون بمقتضيات الوقت يغيّرون شكل ذكر مصائب الحسين قليلاً قليلاً، فجعلت تزداد كلّ يوم؛ بسبب تحسينهم وتنميقهم لها، حتى آل الأمر إلى أن صار لها اليوم مظهر عظيم في كلّ مكان يوجد فيه مسلمون، حتى إنّها سَرَت شيئاً فشيئاً بين الأقوام وأهل الملل الأُخرى، خصوصاً في الصين والهند».

ثمّ يقول: «لعدم اطّلاع بعض مؤرّخينا على كمّية وكيفية هذه المآتم ورواجها، استرسلوا في كلامهم على غير علم، وجعلوا يصفون إقامة أتباع الحسين عليه السلام لها بأنّها أفعال جنون، ولم يقفوا أبداً على مقدار ما أحدثته هذه المسألة من التغييرات والتبديلات في الإسلام... إنّ مَن يسبر غور الترقيات التي حصلت في مدّة مائة سنة لأتباع علي في



الهند، الذين اتخذوا إقامة هذه المآتم شعاراً لهم، يجزم بأنّهم متّبعون أعظم وسيلة للترقّي. كان أتباع علي والحسين في جميع بلاد الهند يُعدّون على الأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة بين أهل الهند من حيث العدد، وكذلك في سائر البلدان».

ويضيف قائلاً: «عندما نقيس منهج دعاتنا (المبشرين) مع صرف تلك القوة والثروة بمنهج دعاة هذه الفرقة، نرى أنّ دعاتنا لم يحوزوا العُشر من تقدّم هذه الفرقة.

رؤساء ديننا وإن كانوا يحزّنون الناس بذكر مصائب حضرة المسيح، ولكنّه ليس بذلك الأُسلوب والشكل الذي يتّخذه أتباع الحسين؛ ويُحتمل أن يكون السبب في ذلك أنّ مصائب المسيح في جنب مصائب الحسين لا تكون مؤثّرة، مُشجية للقلب بتلك الدرجة التي لمصائب الحسين.

على مؤرّخينا أن يطّلعوا على حقائق رسوم وعادات الأغيار، ولا ينسبوها إلى الجنون».

ثمّ يقول في ختام المقال: «الحسين عليه السلام أشبه الروحانيين بحضرة المسيح، ولكنّ مصائبه كانت أشدّ وأصعب، كما أنّ أتباع الحسين كانوا أكثر تقدّماً من أتباع المسيح في القرون الأُولى، فلو أنّ المسيحيين سلكوا طريقة أتباع الحسين، أو أنّ أتباع الحسين لم تمنعهم من ترقياتهم عقبات من نفس المسلمين؛ لسادت إحدى الديانتين في قرون عديدة جميع المعمور، كما أنّه من حين زوال العقبات من طريق أتباع الحسين عليه السلام أصبحوا كالسيل المنحدر، يحيطون بجميع الملل وسائر الطبقات».

دَوْر مؤسّسة الشعائر الحسينية في بناء المسلم الشيعي

ما تحدّثنا به في السطور السابقة عن دور مؤسّسة الشعائر الحسينية في حفظ كيان التشيع من الاندراس، وتقويته وانتشاره في البلاد، هو الدور الأساس والرئيس الذي تؤدّيه هذه المؤسّسة، ويمكن أن نعبّر عنه بالدور الخارجي، لو صحّت العبارة، وهناك دور آخر تقوم به هذه المؤسّسة من الداخل، وهذا الدور يتمثّل بالمساهمة ببناء الإنسان

الشيعي وتكوينه، عقدياً واجتماعياً وثقافياً.

فعلى المستوى العقدي، تعدّ ممارسة هذه الشعائر تجسيداً عملياً لمفهومي: (الموالاة)، و(البراءة). موالاة أهل البيت عليهم السلام، والبراءة من أعدائهم.

وبعبارةٍ أدقّ: إنّ ممارسة هذه الشعائر هي تعبيرٌ عمليٌّ عن الانتماء لخطّ الإمامة، والتبرّي من الخطّ المعادي لها في آنٍ واحد، فهي بمثابة العلامة الفارقة التي يتميّز بها المسلم الشيعي عن غيره.

وقد أشار المعصومون عليهم السلام إلى هذا البُعد، وركّزوا عليه في أكثر من رواية، فقد روى ابن قولويه بسنده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**قال: مَن لم يأتِ قبر الحسين عليه السلام من شيعتنا كان منتقص الإيمان منتقص الدين، وإن دخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة**»[1].

فهذه الرواية ونظائرها ناظرة إلى البعد الشعائري في زيارة الحسين عليه السلام؛ إذ إنّ زيارة الحسين عليه السلام أصبحت تعبيراً عن الانتماء لخطّ التشيع، ومن هنا اعتبرت الرواية عدم زيارة الحسين عليه السلام نقصاً في الإيمان، والإيمان في هذه الرواية وأشباهها يعني الانتماء لخطّ التشيع.

وممّا يؤكّد هذا المعنى رواية أُخرى رواها ابن قولويه بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**مَن لم يأتِ قبر الحسين عليه السلام ـ وهو يزعم أنّه لنا شيعة ـ حتى يموت فليس هو لنا بشيعة، وإن كان من أهل الجنة؛ فهو من ضيفان أهل الجنة**»[2].

وقد يبدو للوهلة الأُولى وجود تهافت بين مدلول الروايتين؛ إذ اعتبرت الأُولى عدم إتيان قبر الحسين عليه السلام نقصاً في إيمان الإنسان الشيعي، وإن لم يخرجه ذلك عن دائرة التشيع؛ إذ قالت الرواية: «**من شيعتنا**».

بينما أكّدت الرواية الثانية على الملازمة بين مفهوم التشيع وإتيان قبر الحسين عليه السلام.

ولكنّ هذا مجرد تهافت ظاهري، وسرعان ما يرتفع بملاحظة كون الروايتين ليستا

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٥٥.

(٢) المصدر السابق: ص٣٥٦.



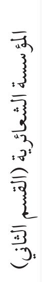
بصدد الحديث عن التشيّع بمعناه الكلامي، بل هما بصدد الحديث عن التشيع ككيان اجتماعي قائم، وفي ضوئه نفهم أنّ عدم الزيارة كان في عصر الإمام الباقر عليه السلام لا يتنافى مع التشيع بمفهومه الاجتماعي، وإن كان يعدّ نقصاً وضعفاً فيه، بمعنى أنّ الإنسان الذي لا يزور الإمام الحسين عليه السلام كان يُعتبر شيعياً ناقص التشيع أو ضعيف التشيع، ما شئت فعبّر.

أمّا في حياة الإمام الصادق عليه السلام ـ أو بالدّقة في فترة متأخّرة من حياته ـ فقد أصبحت زيارة الحسين عليه السلام جزءاً ذاتياً من التشيّع بمعناه الاجتماعي، بمعنى أنّ الإنسان الذي لا يزور لا يُعدّ من المنتمين إلى هذا الكيان، ونكرّر مرةً أُخرى: إنّ حديثنا هنا يتعلّق بـ(التشيع) بمدلوله الاجتماعي، لا بمدلوله الكلامي.

وأمّا على المستوى الاجتماعي، فيمكن القول: إنّ فائدة إحياء هذه الشعائر لعموم الشيعة كفائدة إحياء شعيرة الحجّ لعموم المسلمين، فإذا كانت شعيرة الحجّ مظهراً من مظاهر وحدة المسلمين، وتجسيداً عملياً لانتمائهم إلى دينٍ واحد، ونبيٍّ واحد، وكتابٍ واحد، فإنّ الشعائر الحسينية تُعتبر مظهراً من مظاهر وحدة المسلمين الشيعة، وتجسيداً عملياً لانتمائهم إلى مذهبٍ واحد، وخطٍّ واحد، ففي الحضور في تلك التجمّعات والمآتم والمواسم الحسينية تذوب كلّ الانتماءات وتتبخّر، ولا يبقى سوى الانتماء إلى الحسين عليه السلام.

يقول السيد عبد الحسين شرف الدين في بيان هذا البُعد: «**وحسبك في رجحانها** [أي: رجحان إقامة المآتم] **ما يتسنّى بها للحكيم من إلقاء المواعظ والنصائح، وإيقاف المجتمعين على الشؤون الإسلامية، والأُمور الإمامية، ولو إجمالاً، وبذلك يكون أمل العاملي نفس أمل إخوانه في العراق وفارس والبحرين والهند، وغيرها من بلاد الإسلام.**

ولا تنسَ ما يتهيّأ للمجتمعين فيها من الاطّلاع على شؤونهم، والبحث عن شؤون إخوانهم النائين عنهم، وما يتيسّر لهم حينئذٍ من تبادل الآراء فيما يعود عليهم بالنفع، ويجعلهم كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضاً، أو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه



عضو أنّت له سائر الأعضاء، وبذلك يكونون مستقيمين في السير على خطّةٍ واحدة، يسعون فيها وراء كلّ ما يرمون إليه»[1].

وأمّا على المستوى الثقافي، فإنّ مؤسّسة المنبر الحسيني كانت ولا تزال مدرسة لجمهور الشيعة، يتعلّم المسلم الشيعي في هذه المجالس ما يرتبط بأُمور دينه من عقيدة وفقه وتفسير و... ممّا لا بد له من الاطّلاع عليه، كما يتلقّى فيها ما يرتبط بالثقافة العامّة من سياسة وأدب وتاريخ و...

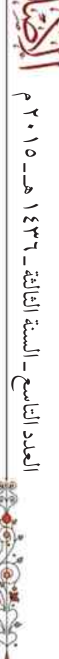
ومؤسّسة المنبر الحسيني وإن لم تتحوّل إلى أداة تثقيفية بالمعنى المُشار إليه، إلّا في عصرٍ متأخرٍ عن عصر الأئمّة عليهم السلام، غير أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد غرسوا هذه الروح التثقيفية في نفوس أصحابهم، منذ بدايات تشكّل مؤسّسة المنبر الحسيني.

فمن ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: «**رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكر أمرنا، فإنّ ثالثهما مَلَكٌ يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلّا باهى الله بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذِّكر؛ فإنَّ في اجتماعكم ومُذاكرتكم إحياءنا، وخير الناس بعدنا مَن ذاكر بأمرنا، ودعا إلى ذكرنا**»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً الفضيل بن يسار: «**تجلسون وتتحدَّثون؟ قال: نعم، جُعلت فداك! قال: إنَّ تلك المجالس أُحبُّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله مَن أحيى أمرنا...**»[3].

وقفتان لا بدّ منهما

في نهاية هذا القسم من بحثنا حول (المؤسّسة الشعائرية) توجد وقفتان أرى من الضروري أن أختم بهما:



(١) شرف الدين، عبد الحسين، المأتم الحسيني (مشروعيته وأسراره): ص٩٤ ـ ٩٥.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١، ص٢٠٠.

(٣) المصدر السابق: ج٤٤، ص٢٨٢.

الوقفة الأُولى

تعرّفنا فيما مضى على ما لمؤسّسة الشعائر الحسينية من دورٍ فعّال وكبير على مستوى حفظ الكيان الشيعي وديمومته، أو على مستوى توسّع هذا الكيان وازدهاره، أو على مستوى بناء الإنسان المنتمي لهذا الكيان وتكوينه، عقدياً واجتماعياً وثقافياً، والأثر الذي تحقّقه هذه المؤسّسة على هذه المستويات الثلاث هو روح الشعائر الحسينية، كما أنّ النهي عن الفحشاء والمنكر هو روح الصلاة، وكما أنّ الصلاة التي لا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر هي صلاة ميتة لا روح فيها، فإنّ الممارسات والفعاليات الحسينية التي لا يُراعى فيها الأثر المذكور هي طقوس وعادات ميتة، وفارغة من المحتوى الاجتماعي.

ولكي تكون هذه المؤسّسة قادرة على تحقيق أهدافها، فلا بدّ لها من مواكبة تطوّرات العصر ومتغيّراته، مع المحافظة على عنصر الأصالة؛ فإنّ المؤسّسة الثقافية الاجتماعية ـ كما يقول شمس الدين ـ: ليست هدفاً في حدّ ذاتها، وإنّما هي وسيلة وُجدت لتساهم في إغناء الإنسان، وإثراء عالمه الداخلي، ومساعدته على التناغم مع واقعه الخارجي المتدفّق بالمتغيرات، مع احتفاظه بشخصيته المعنوية والحضارية.

ولذا؛ فإنّ المؤسّسة الثقافية الاجتماعية ذات المحتوى الديني الإسلامي لا بدّ أن تكون واعيةً لتستوعب تغيّرات عصرها، ولا بدّ أن تكون ـ مع وعيها ـ مرنة؛ لتستجيب انطلاقاً من قواعدها الفكرية لهذه المتغيّرات، وذلك من أجل أن تكون بوعيها ومرونتها ذات قدرة على التصدّي لما لا يتلاءم مع رؤاها هي، من أفكار واتجاهات تبثّها المؤسّسات الثقافية الاجتماعية الأُخرى[1].

الوقفة الثانية

يتّضح ممّا سبق حجم المسؤولية الملقاة على عاتق القائمين بشؤون هذه المؤسّسة،

(١) أُنظر: شمس الدين، محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: ص٣٠٦ـ٣٠٧.

كما أنّ هذه المسؤولية يتضاعف حجمها بالنسبة للفقهاء الذين هم الآباء الروحيون لهذه المؤسّسة، فإنّ هذه المؤسّسة قد نشأت ونمت وتطوّرت على أيدي الأئمّة المعصومين عليهم السلام، فكانوا هم الرعاة لها في زمانهم عليهم السلام، أمّا الآن فإنّ رعاتها الحقيقيين هم نوّابهم من الفقهاء.

وقد لاحظنا: أنّ دور أئمّة أهل البيت عليهم السلام تجاه (مؤسّسة الشعائر الحسينية) كان دوراً فعلياً لا دوراً انفعالياً، بمعنى أنّهم كانوا هم الذين يمسكون زمام المبادرة في رسم أساليب إحياء ذكرى عاشوراء من الناحية العملية المصداقية، ولم يكتفوا بإلقاء الأُصول، ووضع الأُطر العامّة.

أمّا الفقهاء، فيمكن أن نقول: إنّ لهم مسلكين في هذه المسألة:

المسلك الأول: هو المسلك الانفعالي بمعنى أنّ الفقيه لا يبادر إلى التدخّل في ابتكار مصاديق خارجية للشعيرة الحسينية، بل يترك الأُمور تسير بحسب ما يخطّط لها القائمون على شؤون الشعائر الحسينية، من خطباء ومنشدين، ومواكب وهيئات... فتنحصر مهمّة الفقيه بالإشراف غير المباشر على مجريات الأُمور في هذا المجال، فيبادر إلى تأييد المظاهر المنسجمة مع قواعد الشرع الحنيف، وينهض في وجه المظاهر المخالفة له.

المسلك الثاني: هو المسلك الفعلي، ويعني: أن لا يكتفي الفقيه بالإشراف غير المباشر على المؤسّسة الشعائرية، بل يبادر إلى الإشراف المباشر على مسيرة هذه المؤسّسة، فيتدخّل في تهذيبها وإصلاحها وتطويرها على كافّة المستويات، وفي رأينا: أنّ هذا المسلك هو مسلك أهل البيت عليهم السلام، فالمؤسّسة الشعائرية قد تأسّست وتكاملت على أيدي المعصومين عليهم السلام، فكانوا لا يكتفون بإلقاء الأُصول ووضع الأُطر العامّة، بل كانوا يتدّخلون حتى على مستوى الجزئيات والتطبيقات، فمن ذلك:

١ـ تشجيعهم لفئتي الشعراء والمنشدين، ودفعهم لنظم الشعر الحسيني وإنشاده.

٢ـ توظيفهم لفئة القُصاص، وتوجيههم لاستغلال موهبتهم لخدمة القضية الحسينية المقدّسة.

٣ـ تدخّلهم في توجيه الشعر الحسيني نحو أُسلوب الرثاء، بمعنى أنّهم كانوا يوجّهون الشعراء للتركيز على الوجه المأساوي لواقعة كربلاء.

٤ـ تدخّلهم في طريقة الإنشاد، كما في قصّة الإمام الصادق عليه السلام مع أبي هارون المكفوف[١].

فهذه كلّها مؤشّرات على تدخّل المعصومين عليهم السلام في تفاصيل وجزئيات المؤسّسة الشعائرية، وعدم اجتزائهم برسم الخطوط العريضة والأُطر العامّة لها.

وقد تجلّى هذا المسلك من خلال بعض المواقف لبعض السيدات العلويات اللواتي ساهمنَ في تطوير وتنمية المؤسّسة الشعائرية، بحسب المستطاع.

فقد حدّث المرزباني قال: «**دخل أبو الرميح على فاطمة بنت الحسين بن علي عليهم السلام فأنشدها مرثيته في الحسين عليه السلام:**

أجالت على عيني سحائب عبرةٍ	**فلم تصح بعد الدمع حتى ارمعلّت**
تبكي على آل النبي محمد وما	**أكثرت في الدمع لا بل أقلّت**
أُولئك قومٌ لم يشيموا سيوفهم	**وقد نكأت أعداءهم حين سُلّت**
وإنّ قتيل الطف من آل هاشمٍ	**أذلّ رقاباً من قريش فذلّت**

فقالت فاطمة: يا أبا الرميح، هكذا تقول؟ قال: فكيف أقول جعلني الله فداك؟ قالت: قل: أذلّ رقاب المسلمين فذلّت.

فقال: لا أنشدها بعد اليوم إلّا هكذا»[٢].

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن ابن جامع أنّه قال: «**حدّثني جماعة من شيوخ أهل مكة: أنّهم حدّثوا أنّ سكينة بنت الحسين عليهما السلام بعثت إلى ابن سريج بشعرٍ أمرته أن يصوغ فيه لحناً يُناح به، فصاغ فيه، وهو الآن داخلٌ في غنائه، والشعر:**

(١) أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٠٨.

(٢) جواد شبر، أدب الطف: ج١، ص٥٩ ـ ٦٠.

يا أرضُ وَيْحكِ أكْرِمِي أمواتِي فلقد ظَفِرْتِ بسادتِي وحُمَاتِي

فقدّمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحة مكة والمدينة والطائف»[1].

ففي الرواية الأُولى دلالة واضحة على تدخّل السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام في تصحيح المفاهيم التي ينبغي أن ينطوي عليها الشعر الحسيني، ونحن بأمسّ الحاجة إليه هذه الأيام.

وفي الرواية الثانية نجد السيدة سكينة هي التي تختار الشعر بنفسها، ثمّ تعطيه لابن سريج، فيترفع شأنه بين الناحة في مكة والمدينة والطائف.

وقد سلك هذا المسلك العديد من الفقهاء، منهم: الشيخ جعفر بن محمد بن هبة الله بن نما الحلّي (ت٦٤٥هـ)، والسيد رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاوس (ت٦٦٤هـ)، ويتجلّى سلوك هذين العَلَمين لهذا المسلك من خلال تصدّيهما لإعداد كتابين في المقتل الحسيني، حيث كتب الأول: (مثير الأحزان)، وكتب الثاني: (الملهوف على قتلى الطفوف)، وهما من أوائل الكتب التي أُعِدّت لغرض القراءة والتعزية، فقد أضحت قراءة المقتل الحسيني في صبيحة يوم عاشوراء من كلّ عام ـ منذ ذلك العصر أو قبله ـ شكلاً من أشكال العزاء الحسيني الذي تلتزم به الشيعة؛ ولذا تصدّى هذان العلمان إلى إعداد كتابين خاصّين في هذا المجال؛ لغرض السيطرة على رواية المقتل الحسيني، وعدم السماح بحدوث فوضى على مستوى النقل.

وللسيد ابن طاوس نصّ مهم في الإقبال، ينافح فيه عن تجديد قراءة المقتل كلّ عام، وفلسفة ذلك؛ حيث يقول: «**فإن قِيل: فعلامَ تجدّدون قراءة المقتل والحزن كلّ عام؟ فأقول: لأنّ قراءته هو عرض قصّة القتل على عدل الله جلّ جلاله؛ ليأخذ بثأره كما وعد من العدل، وأمّا تجدّد الحزن كلّ عشر والشهداء صاروا مسرورين؛ فلأنّه مواساة لهم في أيام العشر؛ حيث كانوا فيها ممتحنين، ففي كلّ سنة ينبغي لأهل الوفاء أن يكونوا وقت**

(١) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج١، ص٢٥٥.

الحزن محزونين، ووقت السرور مسرورين»[1].

ويبدو أنّ الوضع السياسي لم يكن يسمح لابن نما وابن طاوس بتطوير المؤسّسة الشعائرية بأكثر من ذلك، يقول صاحب نصرة المظلوم وهو يتحدّث عن تلك الفترة: «**وما كانت التذكارات الحسينيَّة حينئذ إلّاَ مآتم يُقرأ فيها نحو كتاب (المقتل، تأليف أبي مخنف) ـ وهو مِن أكابر المُحدِّثين الذين تلقَّى منه: ابن جرير الطبري، وغيره، مقتل الحسين ـ أو كتاب (الإرشاد) للشيخ المُفيد، أو كتاب (اللهوف) لابن طاوس، وبِضع قصائد انفرد الشعراء من أهل الحلَّة خاصَّة بإنشائها، ولم تُعرَف لغيرهم يومئذٍ قصيدة قطُّ»**[2].

وممَّن سلك هذا المسلك: العلّامة محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ) صاحب البحار، فقد كان له دورٌ بارزٌ في تطوير المؤسّسة الشعائرية، وقد عُدّ عصره من العصور التي انتقلت فيها المؤسّسة الشعائرية إلى طورٍ جديد، ويُقال: إنّه أول مَن أسّس المسرح الحسيني (الشبيه)، كما أنّه أول مَن استحدث الصنوج (الطوس) «**في قرى إيران مصاحباً لموكب اللطم المخترِق للأزقّة والمجتمع في الدور والمآتم؛ ليسمع صوته أهل القرى القريبة منهم ويعلموا بإقامتهم للعزاء ليشاركوهم، إمّا في الاجتماع معهم، وإمّا بإقامة عزاء آخر في قريتهم»**[3].

قال صاحب نصرة المظلوم: «**حتَّى إذا تسنَّم عرش المُلْك الملوك الصفويَّة، وهم علويُّون موسويُّون، تفنَّنوا بإظهار ضروب الحزن على جدِّهم الأعلى (الحسين بن علي)، فأحدثوا تمثيل فاجعته لعيون الملأ في يوم عاشوراء، بأمر وإشارة وبتقرير وإمضاء مِن العلّامة (الفاضل المجلسي) صاحب كتاب: بحار الأنوار (أعلى الله درجته)، وذلك بعد الألف مِن الهجرة، في أواسط المئة الحادية عشر، زمن السلطان الحسين بن سليمان**

(١) ابن طاوس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٣، ص٩٠ ـ ٩١.

(٢) المظفر، حسن بن إبراهيم، نصرة المظلوم: ص٢٨.

(٣) الحلّي، عبد الحسين قاسم، النقد النزيه لرسالة التنزيه: ص١٦٧.

الصفوي، والتمثيل يومئذ في دَوْر نشأته»[1].

وقال المامقاني: «**مع أنّ أول مَن مثّل واقعة الطف وأمثالها وأشاع التمثيل فيها، هو العلّامة المجلسي، الذي هو أكثر العلماء اطّلاعاً على الأخبار وكلمات الفقهاء، وكلّ مَن جاء بعده من علماء البلاد أمضى فعله ولم ينكر عليه**»[2].

وقال السيد الشهيد حسن الشيرازي في تعداده للأدوار التي مرّت بها الشعائر الحسينية: «**والدور الرابع: دور الصفويين، وخاصّةً عهد العلّامة المجلسي، الذي شجّع الشيعة على ممارسة شعائرهم بكلّ حرية، فأضافوا إليها التمثيل، الذي كان إبداعاً منهم لتجسيد المأساة**»[3].

وهذا يعني أنّ دور العلّامة المجلسي لم يكن مقتصراً على التوجيه الشرعي في هذا المجال، بل تعدّى إلى المشاركة العملية في هذا المجال، وابتكار الأساليب المنسجمة مع الضوابط والمحدّدات الشرعية التي وضعها المعصومون عليهم السلام من جهة، ومواكبة هذه الأساليب لمتغيرات العصر من جهةٍ ثانية، وهذا هو الدور الذي ينبغي أن يؤدّيه الفقيه في رأينا.

---

(١) المظفر، حسن بن إبراهيم، نصرة المظلوم: ص٢٨.

(٢) الشيرازي، حسن، الشعائر الحسينية: ص١٠٤.

(٣) المصدر السابق: ص٨٤.

فِقهُ التُّربَةِ الحُسَينيَّة

القِسمُ الرَّابع

الشيخ أحمد العلي[1]

ما زال الحديث مستمرّاً في فقه التربة الحسينيّة، وذِكْر ما يختصّ بها من أحكام شرعيّة، سواء في جانبها الإيجابي (الوجوب والاستحباب) أو في جانبها السّلبي (الحرمة والكراهة)، وقد تقدّم جملة منها، ونَعرض في هذا القسم ما تبقّى منها في خمس مسائل، نتناول حكم السجود على التربة الحسينيّة في المسألة الأُولى، ثمَّ نُعرِّج إلى التحرُّز بالتربة الحسينيّة في المسألة الثانية، لنستعرض التسبيح بتربة الإمام الحسين عليه السلام في المسألة الثالثة، وفي المسألة الرابعة ندرس الإفطار يوم العيد على التربة الحسينيّة، وأمّا المسألة الخامسة فنتناول فيها تعلُّق الخمس بالتربة الحسينيّة.

المسألة الأُولى: السجود على التربة الحسينيّة

أخذت مفردة (الأرض) في القرآن الكريم والسنّة الشريفة مساحة واسعة؛ حيث ورد ذكرها ما يقرب (٢٨٧) مرّة، ولأهميّتها خصّها الله بحكمين: فهي محل طَهُور الناس والمكلَّفين، وهي محل السجود.

---

(١) كاتب وباحث إسلامي.

فهي الصعيد الطيّب الذي جعله الله طهوراً للمؤمنين، قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[1].

وهي المكان الذي يسجد عليه الإنسان، قالﷺ: «**جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً**»[2].

وقد منح الله تعالى بعض الأماكن كرامة خاصّة، وحباها ببعض الخصوصيّات، كما في تربة أبي عبد الله الحسين؛ حيث خصّها الباري تعالى باستحباب السجود عليها بين سائر التُّرَب، وقد حظي هذا الحكم بحضور واضح في كتب الفقه الفتوائيّة والاستدلاليّة.

والكلام في هذا الاستحباب يقع في مباحث:

المبحث الأوّل: السجود أحد أركان الصلاة

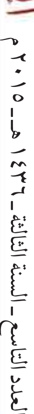
أجمع الإماميّة[3] وفقهاء المذاهب[4] على أنّ السجود فرض واجب في كُلّ صلاة، وأنّ مجموع السجدتين يُعدّ ركناً من أركان الصلاة، وتبطُل الصلاة بتركه عمداً وسهواً كما عند الإماميّة، وكذا لو تركه عمداً عند فقهاء المذاهب الأُخرى. وفي حال السهو أو الجهل فقد اتّفقوا على وجوب الإتيان به إن أمكن تداركه، وإن لم يمكن تداركه تفسد

(١) النساء: آية٤٣.

(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٢، ص٢٤٠، وج٥، ص١٦١. العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣، ص٣٥٠.

(٣) أُنظر: العاملي، محمّد بن عليّ، مدارك الأحكام: ج١، ص٣٤٠. النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام: ج١٠، ص١٢٧.

(٤) الكاشاني، علاء الدين، بدائع الصنائع: ج١، ص١٠٥. ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار: ج١، ص٣٠٠ـ٣٢٠. أُنظر: الآبي، صالح، جواهر الإكليل: ج١، ص٤٨. النووي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين: ج١، ص٢٥٥. الموسوعة الفقهيّة الكويتية: ج٢٧، ص١٣١ـ ١٣٢، وج٢٤، ص٢٠٢.



الصلاة كما عند الحنفيّة، وأمّا جمهورهم فقالوا: تُلغى الركعة التي منها الركن فقط، وذلك إذا كان الركن المتروك غير النية وتكبيرة الإحرام، وإلّا استأنف الصلاة.[1]

واستُدل على الركنيّة بنصّ الكتاب والسُّنة والإجماع[2].

واتّفقوا على أنّ الواجب هو السجود على الجبهة، واختلفوا في بقيّة الأعضاء السِّتة أو السَّبعة ـ على الخلاف الموجود بينهم ـ التي هي عبارة عن: اليدين والركبتين والقدمين، وطرف الأنف، حيث أوجبه بعض، وجعله بعض من كمال السجود[3].

المبحث الثاني: السجود على الأرض وما أنبتت (شعار الإمامية)

اتّفق الإمامية وفقهاء المذاهب على أنّ السجود على الأرض يتحقّق به الواجب والركن معاً، وتصحّ الصلاة به، وهو القدر المتيقّن لصحّة السجود، واختلفوا فيما عدا ذلك:

فقد أجمع الإماميّة[4] على أنّه لا يجوز السجود إلّا على الأرض وما أنبتت من غير المأكول والملبوس. وقد أصبح هذا شعاراً تُعرَف به الشيعة الإماميّة، وخلافه شعار يُعرَف به أهل السنّة؛ وذلك لأنّ السجود عبادة شرعيّة، فتقف كيفيتها على نصّ من الشارع، وقد وقع الإجماع ـ من جميع الطوائف ـ على صحّة وجواز السجود على الأرض والنابت منها، فيُقتصر عليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّها لا تتمّ صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله**

(١) المصدر السابق.

(٢) أُنظر: الشربيني، محمّد بن أحمد، مغني المحتاج: ج١، ص١٦٨. المقدسي، ابن قدامة، المغني: ج١، ص٥٢٤.

(٣) أُنظر: البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج٨، ص٢٧٦. النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام: ج١٠، ص١٣٥. ابن رشد، محمّد بن أحمد، بداية المجتهد: ج١، ص٣٣٠، وص٣٨٢ـ٣٨٣.

(٤) أُنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، الخلاف: ج١، ص٣٥٧. العلّامة الحلي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: ج٢، ص٤٣٤ ـ ٤٣٥. العلّامة الحلي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب: ج٤، ص٣٥١ ـ ٣٥٣. العاملي، محمّد بن مكي (الشهيد الأول)، ذكرى الشيعة: ج٢، ص١٣٨.

تعالى... ثمَّ يسجد ممكِّناً جبهته من الأرض»[1].

وقال خبّاب: «**شكونا إلى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) حرّ الرمضاء في جباهنا وأكفّنا، فلم يُشكّنا**»[2].

وعن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام ـ وقد سُئل عن الرجل يصلّي على البساط من الشعر والطنافس[3]، فأجاب ـ: «**لا تسجد عليه، وإن قمت عليه وسجدت على الأرض فلا بأس، وإن بسطت عليه الحصير وسجدت على الحصير فلا بأس**»[4].

وقال هشام بن الحكم للإمام الصادق عليه السلام: «**أخبِرْني عمّا يَجوز السجود عليه وعمّا لا يجوز. قال عليه السلام: السّجود لا يجوز إلّا على الأَرض أو على مَا أَنْبَتَت الأرض**»[5].

وأطبق جمهور فقهاء المذاهب[6] على جواز الصلاة على الجلود، والصوف، والشعر، وأشباهها؛ وذلك لما رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه صلّى في نُمرة، ولأنّه بساط طاهر يجوز له الصلاة فيه، فجازت الصلاة عليه كالقطن. وقال الشافعي: والنمرة تُعمل من الصوف[7].

ولا يخفى بأنَّ الرواية ممنوعة، أو محمولة على أنّه صلى الله عليه وآله كان يضع جبهته على ما يصح السجود عليه، لا على نفس النمرة[8].

---

(١) السجستاني، سليمان، سنن أبي داود: ج١، ص٢٢٧، ح٨٥٨.

(٢) ابن حجر، أحمد بن عليّ، فتح الباري: ج٢، ص١٣. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج١، ص٤٣٣.

(٣) البُسط والثياب التي لها خمل رقيق.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٥، ص٣٤٨ـ٣٤٧.

(٥) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٥، ص٣٤٣.

(٦) الشافعي، محمد بن إدريس: الأُم، ج١، ص٩١. المقدسي، ابن قدامة، المغني: ج١، ص٥٩٣. النووي، محيي الدين، المجموع: ج٣، ص٤٢٥. ابن حزم، علي، المحلّى بالآثار: ج٤، ص٨٣. المرغيناني، علي، الهداية: ج١، ص٥٠. ابن همام، محمد، فتح القدير: ج١، ص٢٦٥. الدردير، أبو البركات، الشرح الكبير: ج١، ص٢٥٢.

(٧) الشافعي، محمد بن إدريس: الأُم، ج١، ص٩١.

(٨) أُنظر: العلّامة الحلي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: ج٢، ص٤٣٥.



هذا كلّه إذا اعتمدنا على تفسير الشافعي للنُّمرة، وإلّا فإنّ (نمرة) ناحية بعرفات، أو الجبل الذي عليه أنصاب الحرم على يمينك خارجاً من المأزمين تريد الموقف[1]. بالإضافة إلى كثرة الروايات الناهية صراحة عن السجود على هذه الأشياء.

والدليل الأخير باطل أيضاً؛ لأنّه قياس، حيث قاس صحّة الصلاة عليه بصحّة الصلاة فيه، والقياس باطل عندنا وعند جماعة من الجمهور.

وقد صرّح جماعة منهم بأفضلية السجود على الأرض، رغم ذهابهم إلى جواز السجود على غيرها[2].

المبحث الثالث: استحباب السجود على تربة الحسين عليه السلام وأقوال الفقهاء فيه

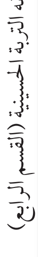
رغم حصر فقهاء الإماميّة جوازَ السجود على الأرض وما أنبتت فقط، إلّا أنّهم جوّزوا السجود على مطلق وجه الأرض، سواء الحجر والمدر والتراب والرمل وغيرها، ولم يقيّدوا الجواز بنوع خاص، ولكن مع هذا فضّلوا السجود على التراب وخصوصاً تربة الحسين بن عليّ عليهما السلام، حيث صرّحوا باستحباب السجود عليها، وهو المعروف بينهم.

واختصّ الشيعة الإمامية بالقول باستحباب السجود على تربة قبر الحسين بن عليّ عليهما السلام، تبعاً لأئمّتهم، بل اتّباعاً لمنهج رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ منهج أهل البيت عليهم السلام هو منهج الرسول صلى الله عليه وآله، لا يخالفونه قيد شعرة أبداً في تكريمه للحسين عليه السلام سيِّد الشهداء، وتكريم تربة قبره.

والسجود على التربة بما فيها تربة الحسين عليه السلام ليس بدعةً في الدين، وليس هو خرقاً

(١) أُنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج٥، ص٣٠٥.

(٢) أُنظر: الشافعي، محمد بن إدريس: الأُم، ج١، ص٩١. المقدسي، ابن قدامة، المغني: ج١، ص٥٩٣. النووي، محيي الدين، المجموع: ج٣، ص٤٢٥. ابن حزم، علي، المحلّى بالآثار: ج٤، ص٨٣. المرغيناني، علي، الهداية: ج١، ص٥٠. ابن همام، محمد، فتح القدير: ج١، ص٢٦٥. الدردير، أبو البركات، الشرح الكبير: ج١، ص٢٥٢.



لإجماع المسلمين، بل هو الثابت بالأدلّة القرآنية والروائيّة.

وقد أضْفَتْ شهادة الحسين عليه السلام قداسة أُخرى على هذه التربة المباركة، ومنحها بشهادته مسحة قدسيّة إلهيّة، تمثّلت بمقارعة الطغاة وإرجاع الحقّ إلى أهله.

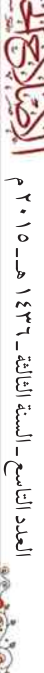
وعلى هذا؛ فلا معنى لما يرمي به الحمقى والمغفّلون من جهّال المسلمين ـ وهم ثلّة ـ الشيعةَ بأنّهم يعبدون الحجر، أو يسجدون للحجر. بل إنّهم يعبدون الله تعالى وحده لا شريك له، ويسجدون لله وحده تعالى، على طبق الشرع وتعاليمه، لم يزيغوا عنها أنملة، ولم يكن في دعوتهم إلى فضل السجود على التربة الحسينيّة خروجٌ على قوله صلى الله عليه وآله: «**جُعلت ليَ الأرض مسجداً وطهوراً**»[1]، فالتربة الحسينيّة من الأرض، مع مزيد فضل، وإنّما ورد الندب والاستحباب في السجود عليها لما لها من فضيلة الانتساب، ممّا يزيد الأجر والثواب.

ولمّا كان السجود أعظم أركان الصلاة، وفي الحديث: «**أقرب ما يكون العبد إلى ربّه حال سجوده**»[2]، فإنّه من المناسب أن يتذكّر بوضع جبهته على تلك التربة الطاهرة أُولئك الذين جعلوا أجسامهم ضحايا للحقّ، وارتفعت أرواحهم إلى الملأ الأعلى ليخشع ويخضع ويتلازم الوضع والرفع، ويحتقر هذه الدنيا الزائفة وزخارفها الزائلة، ولعلّ هذا هو المقصود من أنّ السجود عليها يخرق الحجب السبع ـ الوارد في الخبر ـ فيكون حينئذٍ في السجود سرّ الصعود والعروج من التراب إلى ربِّ الأرباب[3].

(١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣، ص٣٥٠. البخاري، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج١، ص١١٣.

(٢) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٦، ص٣٨٠ـ٣٨١. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٢، ص٥٠.

(٣) أُنظر: كاشف الغطاء، محمّد حسين، الأرض والتربة الحسينيّة: ص٥٦ ـ ٥٧. الأحمدي، عليّ، السجود على الأرض: ص١٠٦، ص١٠٨، ص١٠٩. الخرسان، محمد مهدي، السجود على التربة الحسينيّة: ص٣٥٣ ـ ٣٥٤.



كلمات الفقهاء في استحباب السجود على التربة الحسينيّة

قد أكّد فقهاء الإماميّة على استحباب السجود على تربة الإمام الحسين عليه السلام، وذكروه في كتاب الصلاة في باب السجود منه، وإليك جملة من كلماتهم:

قال الديلمي: «**وما يُسجد عليه ينقسم أربعة أقسام: إلى ما تجوز الصلاة عليه إباحة، وإلى ما تُكره الصلاة عليه، وإلى ما لا يجوز السجود عليه، وإلى ما يُستحب السجود عليه... الرابع: ما يُستحب السجود عليه، وهو الألواح من التربة المقدَّسة، ومن خشب قبور الأئمّة**»[1].

وقال ابن حمزة: «**وما يُسجد عليه أربعة أقسام: إمّا يُستحب، أو يحرم، أو يُكره، أو يكون السجود عليه مطلقاً. فالأوّل شيئان: الألواح من التربة، وخشب قبور الأئمة**»[2].

وقال ابن أبي المجد الحلبي: «**ولا ينبغي السجود على المعادن أو ما كان منها، ولا على ما قبلته النار كالكأس والخزف والجصّ وشبهه، وأفضله على التربة الحسينيّة**»[3].

وقال صاحب جامع الشرائع: «**والسنّة السجود على الأرض؛ للخبر... ويُستحب السجود على التربة الحسينيّة**»[4].

وقال الشهيد الأوّل: «**البحث الثاني: في مستحبّاته [السجود] وهي: التكبير له قائماً... والسجود على الأرض، وأفضلها التربة الحسينيّة...**»[5].

وقال الكركي: «**ويُستحب السجود على الأرض، وأفضل منه على التربة الحسينيّة ولو شُويت بالنار**»[6].

---

(١) الديلمي، حمزة بن عبد العزيز، المراسم العلويّة: ص٦٦.

(٢) ابن حمزة الطوسي، محمد بن علي، الوسيلة: ص٩١.

(٣) الحلبي، علي بن الحسن بن أبي المجد، إشارة السبق: ص٨٩.

(٤) الحلي، يحيى بن سعيد، جامع الشرائع: ص٧٠.

(٥) العاملي، محمد بن مكي (الشهيد الأول)، البيان: ص١٦٩.

(٦) الكركي، علي بن الحسين، رسائل الكركي: ج١، ص١٠٣.

وقال الشهيد الثاني ـ وهو بصدد بيان سُنن السجود ـ: «**والسجود على الأرض؛ لأنّه أبلغ في الخشوع وأقوى في الذلّ بين يدي الباري** ﷻ**... وخصوصاً التربة الحسينيّة المقدّسة على مشرِّفها السلام ولو لوحاً متَّخذاً منها...**»[1].

وقال المحقِّق البحراني: «**وأفضل أفراد الأرض في السجود التربة الحسينيّة على مشرِّفها أفضل الصلاة والسلام والتحيّة**»[2].

وقال البهبهاني ـ وهو بصدد تعداد مستحبّات السجود ـ: «**ومن المستحب أن يتساوى مساجده جميعاً... وأن يختار الأرض على النبات؛ لأنّه أبلغ في الخضوع... ثمَّ التربة الحسينيّة؛ لأنّه ينوّر إلى الأرضين السبع، ويخرق الحجب كما في النّصوص**»[3].

وقريب منها عبارة الشيخ جعفر كاشف الغطاء[4].

وقال النجفي: «**وأفضل الأرض تربة سيِّد الشهداء** عليه السلام **قطعاً وسيرةً؛ ولذا كان الصادق** عليه السلام **لا يسجد إلّا عليها؛ تذلّلاً لله واستكانة، كما عن إرشاد الديلمي**»[5].

وقال السيِّد اليزدي: «**السجود على الأرض أفضل من النبات والقرطاس، ولا يبعد كون التراب أفضل من الحجر، وأفضل من الجميع التربة الحسينيّة؛ فإنّها تخرق الحجب السبع، وتستنير إلى الأرضين السبع**»[6].

المبحث الرابع: أدلّة استحباب السجود على تربة الإمام الحسين عليه السلام

يمكن حصر أدلّة القول باستحباب السجود على تربة سيِّد الشهداء عليه السلام بما يلي:

---

(١) العاملي، زين الدين بن عليّ (الشهيد الثاني)، الفوائد المليّة: ص ٢١٠.

(٢) البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج ٧، ص٢٦٠.

(٣) الوحيد البهبهاني، محمّد باقر، مصابيح الظلام: ج٨، ص٥٥.

(٤) اُنظر: كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج٣، ص٢٠٦.

(٥) النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام: ج٨، ص٤٣٧.

(٦) اليزدي، كاظم، العروة الوثقى: ج٢، ص٣٩٧.



الدليل الأوّل: ما ورد في فضلها من روايات كثيرة على لسان النبي صلى الله عليه وآله بنقل أُمّهات المؤمنين ـ أُمّ سلمة وعائشة وغيرهما ـ وعلى لسان أهل بيته المعصومين عليهم السلام.

وقد نُقلت هذه الروايات في كتب ومجاميع السنّة قَبْل الشيعة[1]، فإنّ الله تعالى اهتمّ بهذه التربة أشدّ اهتمام، وأمر باحترامها أجلّ احترام، حيث أرسل رُسُلاً من الملائكة فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وآله بقبضة منها، فمن أجل ذلك نلاحظ النبي صلى الله عليه وآله يحترمها ويأخذها، فاستفاض النقل بأنّ جبرئيل عليه السلام لمّا نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله بخبر قتل الحسين عليه السلام أتى بقبضة من تربة مصرعه عليه السلام، وكذا تكرّر هذا الفعل من غير جبرائيل عليه السلام من الملائكة[2].

الدليل الثاني: إنّ اتّخاذ هذه التربة والمحافظة عليها والسجود عليها أوقات الصلاة أسلم من حيث النظافة والنزاهة من السجود على سائر الأراضي، وما يُطرح عليها من الفرش والبواري والحُصُر الملوّنة والمملوءة غالباً من الغبار والميكروبات الكامنة فيها.

فأيّ مانع من أن يحتاط المسلمُ في دينه، ويتّخذ معه تربةً طاهرة يطمئنّ بها وبطهارتها، يسجد عليها في صلاته؛ حذراً من السجدة على النجاسة والأوساخ التي لا يُتقرَّب بها إلى الله قط، ولا تجوّز السنّة السجود عليها؟!

إنّ وضع الجباه على تربة في طياتها دروس الدفاع عن دين الله ومظاهر قدسه، ومجلى المحاماة عن ناموس الإسلام المقدّس، أجدر بالتقرُّب إلى الله تعالى، وأقرب الزلفى لديه، وأنسب بالخضوع والخشوع والعبوديّة له تعالى.

أليس أليق بأسرار السجود على الأرض السّجود على تربة فيها سرّ المنعة والعظمة والكبرياء لله جلّ جلاله ورموز العبوديّة والتصاغر بأجلى مظاهرها وسماتها؟!

أليس أحقّ بالسجود على تربة مُزِج فيها التوحيد والتفاني دون الباري تعالى؟!

---

(١) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٩، ص١٨٧. أبو يعلى، أحمد بن علي، مسند أبي يعلى: ج١، ص٢٨٩. المتقي الهندي، كنز العمال: ج١٣، ص٦٥٥. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج١، ص٨٥.

(٢) اُنظر: الأحمدي، عليّ، السجود على الأرض: ص١١٦ـ١١٧.



ألیس الأمثل اتّخاذ المسجد من تربة تفجّرت علیها عیون دماء اصطبغت بصبغة حبّ الله، وصیغت علی سنّة الله وولائه المحض الخالص[1]؟!

الدلیل الثالث: الروایات الكثیرة الواردة عن طریق أهل البیت علیهم السلام.

فقد وردت عدّة روایات تؤكّد استحباب السجود علی التربة الحسینیّة:

منها: ما رواه الشیخ الطوسي في (المصباح) عن معاویة بن عمّار قال: «**كان لأبي عبد الله علیه السلام رِیطة دیباج صَفرَاءُ فیها تربةُ أبي عبد الله علیه السلام، فكان إذا حضرتْهُ الصَلاةُ صَبَّهُ عَلَی سجّادته وسجد علیه، ثُمَّ قال علیه السلام: السُّجُودُ عَلَی تُرْبَةِ أبي عبد الله علیه السلام یخرِقُ الحُجُب السَّبْعَ**»[2].

تفسیر (یَخْرِقُ الحُجُبَ السَّبْعَ)

ویقول السیّد عبد الأعلی السبزواري قدس سره ـ في تعلیقه علی قوله علیه السلام: (یخْرِقُ الحُجُبَ السَّبْعَ) ـ: «**ولا بُعد في ذلك؛ فإنّ هذه التربة المقدّسة رمز التفاني في إعلاء كلمة التوحید وشعار العترة النبویّة في إبقاء الرسالة والنبوّة، ووسام الأُسرة المحمّدیة، وإنّها روضة من ریاض الجنّة، ومولد عیسی، ومختلف الملائكة، ومجمع أرواح الأنبیاء في كلّ لیلة نصف من شعبان**».

وقال قدس سره: «**ثمَّ إنّ قوله علیه السلام: (تخرق الحجب السبع) أي: یقبلها الله تعالی من دون أن یمنع عنه موانع القبول التي هي كثیرة...**»[3].

ومنها: ما رواه الشیخ الصدوق في الفقیه عن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال: «**السّجود**

(١) أُنظر: الأحمدي، عليّ، السجود على الأرض: ص١٠٨ـ١١٣. الأمیني، عبد الحسین، السجود علی التربة الحسینیّة: ص٦٥ـ٦٦. السبحاني، جعفر، الإنصاف: ج١، ص٢٦٤.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٧٣٣. الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشیعة: ج٥، ص٣٦٦.

(٣) السبزواري، عبد الأعلی، مهذّب الأحكام: ج٥، ص٤٥٩ـ٤٦٠.

على طين قَبرِ الحسين عليه السلام ينور إلى الأرضين السّبعة. ومَن كانت معه سبحَةٌ مِنْ طين قَبرِ الحسَينِ عليه السلام كُتِبَ مُسَبِّحاً وإن لم يُسَبِّح بها»[1].

قال السيّد السبزواري تعليقاً على هذه الرواية: «قد تكرّر في الكتاب والسنّة استعمال سنخ هذا النور، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾. وقوله تعالى: ﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾. إلى غير ذلك ممّا هو كثير... وهذا النور أجلّ من أن يُدرك بالمشاعر الجسمانيّة التي انحصر شعورهم بدرك الأجسام الكثيفة، ونِعمَ ما قيل:

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها   سواها وما طهَّرتها بالمدامع

كما أنّه أرفع من أن يُرجع في شرحه إلى الكتب اللُّغوية، أو جملة من أقوال المفسِّرين، بل يختصّ درك مثل هذا النور بالإمام المعصوم، والملأ الأعلى، أو مَن تخلّى عن الرذائل مطلقاً، وتحلّى بالفضائل بجمعها، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض مقاماتهم في خطبة همام»[2].

ومنها: ما عن الطبرسي في كتاب (الاحتجاج)، عن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف: إنّه كتب إليه يسأله عن السجدة على لوح من طين القبر هل فيه فضل؟ فأجاب عليه السلام: «**يجوز ذلك، وفيه الفضل**»[3].

ومنها: ما رواه الحسن بن محمّد الديلمي في كتاب (الإرشاد)، قال: «**كان الصّادقُ عليه السلام لا يَسجُدُ إلّا على تُربَةِ الحسين عليه السلام؛ تذلّلاً لله واسْتِكَانَةً إليه**»[4].

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج١، ص٢٦٨. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٥، ص٣٦٥ـ٣٦٦.

(٢) السبزواري، عبد الأعلى، مهذّب الأحكام: ج٥، ص٤٦٠ ـ ٤٦١.

(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣١٢. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٥، ص٣٦٦.

(٤) الديلمي، الحسن بن محمّد، إرشاد القلوب: ص١١٥. الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٥، ص٣٦٦.

الدليل الرابع: دعوى الإجماع على استحباب السجود على تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، بل ادّعى بعض أنّ الإجماع المنقول والمحصّل عليه[1].

المبحث الخامس: فروع المسألة

يتفرّع على أصل المسألة الفرع الآتي:

جواز السجود على التربة المطبوخة (المشويّة)

لا خلاف يُعرف بين فقهاءالإماميّة، بل بين المسلمين في جواز السجود على التربة الحسينيّة سواء شُويت بالنار أم لا.

أمّا فقهاء الإماميّة، فلم نقف ـ كما صرّح الشيخ الكركي ـ على المنع من السجود لأحد من الفقهاء المعتَبرين، إلّا سلّار في رسالته، حيث حكم بكراهة السجود على التربة المشويّة.

وأمّا فقهاء المذاهب، فإنّهم يجوّزون السجود على كُلّ شيء طاهر، وباقي الفقهاء أطلقوا القول بجواز السجود على الأرض وأجزائها، وبعضهم أطلق القول باستحباب السجود على التربة الحسينيّة.

فالمذهب هو القول بالجواز لا محالة، والقول بالمنع من التربة المشويّة خارج عن مقالة علماء أهل البيت عليهم السلام.

وأمّا القول بكراهة السجود على التربة المشويّة فهو قول ضعيف مرغوب عنه. ولا يخفى أنّ الذي اختار القول بالكراهة هو سلّار والشهيد الثاني.

وقد توقّف الشيخ البحراني في الحكم؛ للشكّ في خروجها عن اسمها بعد طبخها، ثمّ اختار القول بالاحتياط.

واستُدلّ على القول بالكراهة بأمرين:

أ) إنّ التربة المطبوخة إن لم تكن مستحيلة إلى شيء آخر فهي شبيهة بالمستحيل،

(١) اُنظر: بني فضل، مرتضى، مدارك تحرير الوسيلة: ج١، ص٢٧٠.



فيُكره لذلك.

ب) إنّ كُلّ شيء مسّته النّار يُكره السجود عليه.

ولكن قوّة أدلّة القول الأوّل الآتية وكثرة مَن يذهب إليه تُضعِّف القول بالكراهة.

واستدلّ أصحاب القول الأوّل بعدّة أدلّة، نأتي بخلاصتها:

الأوّل: الأصل، فإنّ الأوامر الواردة بالسجود تقتضي جواز السجود على كُلّ شيء إلّا ما ورد المنع منه شرعاً، ولم يرد في الشريعة نصّ يقتضي المنع من السجود على التربة المشويّة، فنتمسّك بالأصل الذي يقتضى الجواز.

الثاني: استصحاب الحكم المنصوص؛ حيث إنّ النّصوص وردت بجواز السجود على التربة الحسينيّة قبل أن تُشوى بالنار، فيجب استصحاب هذا الحكم بعد أن تُشوى؛ لانتفاء الناقل شرعاً، فإنّ الاستصحاب حجّة ما لم يرد من الشرع ناقل.

الثالث: التمسّك بالإجماع من علمائنا، بل من جميع المسلمين على جواز السجود على التربة المتنازع فيها (وهي التربة الحسينيّة المشويّة)[1].

المسألة الثانية: التحرّز بالتُّربة الحسينيّة

يُستحب للمسافر وغيره استصحاب شيء من تربة الحسين عليه السلام التي هي أمان من كُلّ خوف وشفاء من كُلّ داء، وخصوصاً إذا أخذ السبحة من تربته ودعا بدعاء المبيت على الفراش ثلاث مرات، ثمّ قبّلها ووضعها على عينه، وقال: «**اللهم، إنّي أسألك بحقّ هذه التربة، وبحقّ صاحبها، وبحقّ جدّه وأبيه، وأُمّه وأخيه، وبحقّ وُلْده الطاهرين، اجعلها شفاءً من كُلّ داء، وأماناً من كُلّ خوف، وحفظاً من كُلّ سوء. ثمّ وضعها في جيبه. فإنّ مَن فعل ذلك في الغداة لا يزال في أمان الله حتى العشاء، وإن فعل ذلك في**

(١) أُنظر: الكركي، عليّ بن الحسين، رسائل الكركي (المجموعة الثانية): ج٢، ص٩١ـ٩٦. البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج٧، ص٢٦٠ ـ ٢٦١. البهبهاني، علي، الفوائد العلية: ج٢، ص٢١٠.



العشاء فلا يزال في أمان الله حتى الغداة، وإن خاف من سلطان أو غيره وخرج من منزله واستعمل ذلك كان حرزاً له»[1].

«ويُستحب جعل تربة الحسين عليه السلام في المتاع لحفظه، وإنّه أمان من كُلّ شر»[2].

ولا يستبعد الشاك هذه الآثار والأحكام لهذه التربة المباركة؛ وذلك لما حباها الله تعالى، وميّزها وشرّفها على غيرها، وجعل لها خواصاً اختصّت بها دون غيرها.

وممّا يدلّ على ذلك عدّة روايات:

منها: ما رواه السيد ابن طاوس في (الأمان من أخطار الأسفار والأزمان) وفي (مصْباح الزَّائِرِ) عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: **«تُرْبَةُ قَبْرِ الحسين عليه السلام شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، فَهَلْ هِيَ أَمَانٌ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ؟ فَقَالَ عليه السلام: نَعَمْ إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ آمِناً مِنْ كُلِّ خَوْفٍ فَلْيَأْخُذِ السُّبْحَةَ مِنْ تُرْبَتِهِ، وَيَدْعُو بِدُعَاءِ المَبِيتِ عَلَى الفِرَاشِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يُقَبِّلُهَا وَيَضَعُهَا عَلَى عَيْنَيْهِ...»**[3].

ومنها: ما رواه الشيخ الطوسي في (التهذيب) و(الاستبصار)، عن محمّد بن أحمد بن يحيى، عن محمّد بن عيسى اليقطيني، قال: **«بعث إليّ أبو الحسن الرضا عليه السلام رزم ثياب وغلماناً وحجّة لي وحجّة لأخي موسى بن عبيد وحجّة ليونس بن عبد الرحمن، فأمرنا أن نحجّ عنه، فكانت بيننا مائة دينار، أثلاثاً فيما بيننا، فلمّا أردت أن أُعبّي الثياب رأيت في أضعاف الثياب طيناً، فقلت للرسول: ما هذا؟ فقال: ليس يوجّه بمتاع إلّا جعل فيه طيناً من قبر الحسين عليه السلام. ثمَّ قال الرسول: قال أبو الحسن عليه السلام: هو أمان بإذن الله»**[4].

---

(١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١١، ص٤٢٧. النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج٨، ص٢١٨.

(٢) الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج٩، ص٥٠٣ـ٥٠٤.

(٣) ابن طاوس، علي بن موسى، الأمان من أخطار الأسفار والأزمان: ص٤٧.

(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٨، ص٤٠. الطوسي، محمّد بن الحسن، الاستبصار: ج٣، ص٢٧٩.

ومنها: ما رواه الشيخ الطوسي في (التهذيب) عن محمّد بن أحمد بن داود، عن الحسن بن محمّد بن علان، عن حميد بن زياد، عن عبد الله بن نهيك، عن سعد بن صالح، عن الحسن بن عليّ، عن أبي المغيرة، عن بعض أصحابنا، قال: «**قلت لأبي عبد الله**عليه السلام: **إنّي رجل كثير العلل والأمراض وما تركت دواءً إلّا تداويت به. فقال لي: وأين أنت عن طين قبر الحسين**عليه السلام**؟! فإنّ فيه الشفاء من كلِّ داء، والأمن من كلِّ خوف. قلت: قد عرفت الشفاء من كلّ داء، فكيف الأمان من كلِّ خوف؟ قال: إذا خفت سُلطاناً أو غير ذلك فلا تخرج من منزلك إلّا ومعك من طين قبر الحسين**عليه السلام **وقل إذا أخذته: اللّهم، إنّ هذه طينة قبر الحسين وليّك وابن وليّك، أخذتها حرزاً لما أخاف وما لا أخاف...**

أخذتها كما قال ليّ؛ فأصحَّ الله بدني، وكان لي أماناً من كلِّ خوف ممّا خفت وما لم أخف، كما قاله. قال: فما رأيت بحمد الله بعدها مكروهاً»[1].

المسألة الثالثة: التسبيح بتربة الإمام الحسين عليه السلام

أولتْ الشريعة الإسلامية اهتماماً خاصّاً بالجانب المعنوي، سواء منه الجانب الأخلاقي أو القُرب الإلهي، وتمثّل الجانب الثاني من خلال الحثّ على الالتزام بعدّة أشياء:

منها: قراءة القرآن.

ومنها: الأدعية بكافّة أنواعها الزمانيّة والمكانيّة.

ومنها: التسبيح والتنزيه بأنواعها الزمانيّة والمكانيّة، وخصّ بالزمانيّة تعقيبات الصلاة، فقد وردت عدّة روايات عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته تؤكِّد على أنواع من تعقيبات الصلاة، عسى أن ترفع من الجانب المعنوي والقُرب الإلهي. وهي كثيرة جدّاً، ولكنّ أفضلها على الإطلاق هو المسمّى بتسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، والذي اتّفق على نقله العامّة والخاصّة.

نعم، قد لا يصرِّحون بنسبته إلى الزهراء عليها السلام، ولكن الروايات المنقولة عن أبي



---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٧٥.



هريرة وغيره من الصحابة أرادته لا غير.

وصرّح علماء الإمامية بأنّه يُستحب أن يكون التسبيح المذكور بسبحة مصنوعة من تربة الإمام الحسين عليه السلام؛ لتضاعف الثواب والأجر بذلك.

ونحاول استعراض المسألة من خلال عدّة أُمور:

الأمر الأول: استحباب التعقيب بتسبيحات فاطمة الزهراء عليها السلام

اتّفقت كلمة الفقهاء على استحباب التعقيب عقب كُلّ صلاة بهذه التسبيحات، والنصوص الواردة فيها مستفيضة في الجملة ومرويّة في كتب الطرفين، وأكّدت أكثر الروايات على أنّ عدد التسبيحات مائة تسبيحة.

فعن أبي ذرّ، قال: «**قلت: يا رسول الله، تسبقنا أصحاب الأموال والدثور سبقاً بيّناً، يصلّون ويصومون كما نصلّي ونصوم، وعندهم أموال يتصدّقون بها وليست عندنا أموال. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أُخبرك بعمل إن أخذت به أدركت مَن كان قبلك، وفُتّ مَن يكون بعدك، إلّا أحد أخذ بمثل عملك؟ تسبّح خلف كُلّ صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتحمد ثلاثاً وثلاثين، وتُكبّر أربعاً وثلاثين**»(١).

وروى صالح بن عقبة، عن أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام أنّه، قال: «**ما عُبِدَ الله بشيء من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام**»(٢).

---

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٥، ص١٥٨. ورواه أبو هريرة بلفظ آخر قريب من هذا، اُنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج١، ص٢٠٥. البيهقي، أحمد، السنن الكبرى: ج٢، ص١٨٦. ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة: ج١، ص٣٦٨. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج١، ص٤١٦، ح٥٩٥.

(٢) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٦، ص٤٤٣. كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج٣، ص٢٢٨. النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام: ج١٠، ص٤٠٤ ـ ٤٠٥. البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج٨، ص٥٢٥.

تسبيحات الزهراء عليها السلام ثابتة في غير التعقيب

ولا بدّ أن يُعلم بأنّ جملة من الفقهاء صرّحوا بأنّ استحباب تسبيحات الزهراء عليها السلام لا يختصّ بتعقيبات الصلاة، بل هو مستحب أيضاً في غير التعقيب، فالاستحباب ثابت في نفسه من دون اعتبار وصف التعقيب ـ وإن زاد الأجر بذلك ـ لإطلاق جملة من الأدلّة بأنّه من الذكر الكثير، وأنّه «**ما عُبد الله بشيء من التحميد أفضل منه**»، ويظهر من روايات أُخرى الحثّ على تسبيحات الزهراء عليها السلام، والترغيب فيها من دون ذكر التعقيب أو شيء آخر[1].

الأمر الثاني: ما كانت عليه السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام

من المسموعات الواردة عن أبي البركات المشهدي، أنّه روى إبراهيم بن محمّد الثقفي: «**أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت سبحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات، فكانت عليها السلام تديرها بيدها، تكبّر وتسبّح إلى أن قُتِل حمزة بن عبد المطلب (رض) سيِّد الشهداء، فاستعملت تربته وعملت التسابيح، فاستعملها النّاس، فلمّا قُتل الحسين عليه السلام عُدِل بالأمر إليه، فاستعملوا تربته؛ لما فيها من الفضل والمزيّة**»[2].

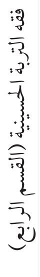
الأمر الثالث: استحباب أن يكون التسبيح بتربة الحسين عليه السلام

ذكر فقهاء الإماميّة ـ من دون نقل خلاف بينهم ـ أنّه يُستحب أن تكون السبحة من طين قبر الحسين عليه السلام.

وقد أشار إلى هذا الاستحباب كُلّ مَن تعرّض إلى أصل القول باستحباب تسبيحة

(١) أُنظر: النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام: ج١٠، ص٣٩٩. اليزدي، كاظم، العروة الوثقى: ج٢، ص٦١٦. الحكيم، محسن، مستمسك العروة: ج٦، ص٥١٦. السبزواري، عبد الأعلى، مهذّب الأحكام: ج٧، ص١١٤. العاملي، محمّد بن عليّ، مدارك الأحكام: ج١٥، ص٦٣٧.

(٢) الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق: ص٢٨١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٨٢، ص٣٣٣.



فاطمة الزهراء عليها السلام، حيث عقّبوا ـ بعد قولهم باستحبابها ـ بأنّه يُستحب أن تكون هذه التسبيحات بسبحة مصنوعة من تراب قبر الإمام الحسين عليه السلام، بل صرّح في المسالك أنّ الاستحباب هنا استحباب مؤكَّد[1].

وقد دلّ على الاستحباب روايا ت عديدة، كما سيأتي ذكرها.

الأمر الرابع: أدلّة الاستحباب

يدلّ على استحباب التسبيح بالتربة الحسينيّة عدّة روايات، نأتي عليها تباعاً:

١ـ ما رواه الطبرسي عن كتاب الحسن بن محبوب: أنّ أبا عبد الله عليه السلام سُئل عن استعمال التربتين من طين قبر حمزة والحسين عليهما السلام والتفاضل بينهما، فقال عليه السلام: «**السُّبْحَةُ الَّتِي مِنْ طِينِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام تُسَبِّحُ بِيَدِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسَبِّحَ**»[2].

٢ـ ما رواه الطبرسي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «**مَنْ أَدَارَ سُبْحَةً مِنْ تُرْبَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَرَّةً وَاحِدَةً بِالاسْتِغْفَارِ أَوْ غَيْرِهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَإِنَّ السُّجُودَ عَلَيْهَا يَخْرِقُ الْحُجُبَ السَّبْعَ**»[3].

٣ـ ما رواه الطوسي في (المصباح) عن عبيد الله بن عليّ الحلبي، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «**لَا يَخْلُو الْمُؤْمِنُ مِنْ خَمْسَةٍ: سِوَاكٍ، وَمُشْطٍ، وَسَجَّادَةٍ، وَسُبْحَةٍ فِيهَا أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ حَبَّةً وَخَاتَمِ عَقِيقٍ**»[4].

٤ـ ما رواه الطوسي في (المصباح) عن الصادق عليه السلام، أنّه قال: «**إِنَّ مَنْ أَدَارَ الْحَجَرَ مِنْ**

---

(١) أُنظر: الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى: ج٥، ص٥١١.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، مكارم الأخلاق: ص٥٨١. الحرّ العاملي، محمّد، وسائل الشيعة: ج٦، ص٤٥٥ـ٤٥٦.

(٣) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٦، ص٤٥٦.

(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٦٧٨. الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٦، ص٤٥٦.



تُرْبَةِ الحُسَيْنِ عليه السلام **فَاسْتَغْفَرَ بِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً كَتَبَ اللهُ لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَإِنْ مَسَكَ السُّبْحَةَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُسَبِّحْ بِهَا فَفِي كُلِّ حَبَّةٍ مِنْهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ**»[1].

٥ـ ما رواه الطبرسي في (الاحتجاج) عن محمّد بن جعفر الحميري، أنّه كتب إلى صاحب الزمان عليه السلام يسأله: «**هل يجوز أن يسبِّح الرجل بطين القبر؟ وهل فيه فضل؟ فأجاب** عليه السلام: **يَجُوزُ أَنْ يُسَبِّحَ بِهِ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ مِنَ السُّبَحِ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّ المُسَبِّحَ يَنْسَى التَّسْبِيحَ وَيُدِيرُ السُّبْحَةَ فَيُكْتَبُ لَهُ التَّسْبِيحُ**»، وفي نسخة أُخرى: «**يَجُوزُ ذَلِكَ وَفِيهِ الفَضْلُ**»[2].

٦ ـ ما رواه الطبرسي عن محمّد الثقفي، وقد تقدَّم في أول البحث[3].

٧ـ ما روي عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، أنّه قال: «**مَنْ سَبَّحَ بِسُبْحَةٍ مِنْ طِينِ قَبْرِ الحُسَيْنِ** عليه السلام **تَسْبِيحَةً كَتَبَ اللهُ لَهُ أَرْبَعَمِائَةِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَرْبَعَمِائَةِ سَيِّئَةٍ، وَقُضِيَتْ لَهُ أَرْبَعُمِائَةِ حَاجَةٍ، وَرُفِعَ لَهُ أَرْبَعُمِائَةِ دَرَجَةٍ**»[4].

وفي هذه الروايات كفاية لإثبات الحكم بالاستحباب؛ ولذلك صرّح الشهيد الثاني بكون التسبيح بتربة الحسين يُستحب استحباباً مؤكَّداً[5]، وخصوصاً على القاعدة المعروفة بقاعدة: (التسامح في أدلّة السُّنن).

الأمر الخامس: فروع المسألة

يتفرّع على القول باستحباب التسبيح بتربة الإمام الحسين عليه السلام عدّة فروع مهمّة لابدّ

---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٦٧٨.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٧٥.

(٣) أُنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ص٤٨٩.

(٤) النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج٥، ص٥٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٨٢، ص٣٤١.

(٥) نقله عنه: الحكيم، محسن، العروة الوثقى: ج٥، ص٥١١.

من الإشارة إليها إجمالاً، وهي:

١ـ عدد التسبيحات وآداب التسبيحة

صرّح بعض الفقهاء[1] بأنّ أصحّ ما روي في عدد تسبيحات فاطمة الزهراء عليها السلام هي: أربعة وثلاثون تكبيرة بلفظ (الله أكبر)، وثلاثة وثلاثون تحميدة بلفظ (الحمد لله)، وثلاث وثلاثون تسبيحة بلفظ (سبحان الله). وهذا هو المشهور بين الفقهاء.

وينبغي في التسبيح التمهّل، والتوسّل، والوقف عند كُلّ ذكر منه، والمولاة، ولو طال الفصل بين التسبيحات بوقت طويل خرج عن هيئته، وفات بذلك ما استُحبّ لأجله.

ويدلّ عليه ما رواه الكليني بسنده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: في تسبيح فاطمة الزهراء: «**تبدأ بالتكبير أربعاً وثلاثين، ثمَّ التحميد ثلاثاً وثلاثين، ثمَّ التسبيح ثلاثاً وثلاثين**»[2].

٢ـ عدد ما في السبحة من الخرز

صرّح الشهيد الأوّل بأنّ المستحبّ اتّخاذ سبحة من تربة الحسين عليه السلام بثلاث وثلاثين حبّة، والمذكور في بعض الروايات أربع وثلاثين حبّة، والمعمول به والمتعارف في عصرنا من نظم المئة بخيط واحد، وقد يُشعر هذا بأنّه خلاف الموجود في الروايات.

ولكنّ الأقوى ـ كما صرّح به الجواهري ـ أنّه لا بأس بالجميع، فيصحّ التسبيح بأيّ عدد من هذه الأعداد[3].



---

(١) أُنظر: كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج٣، ص٢٢٧. الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة: ج٢، ص٣١٢.

(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٣، ص٣٤٢.

(٣) أُنظر: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج١٠، ص٤٠٨. العاملي، محمّد بن مكّي، الدروس الشرعية: ج٢، ص١٢. القمي، أبو القاسم، غنائم الأيام: ج٢، ص٦٢٧. العاملي، محمد جواد، مفتاح الكرامة: ج٧، ص٦١٤.

٣ـ التسبيح بالطين المطبوخ (المشوي)

لا فرق عند جملة من الفقهاء في تحقّق الاستحباب والتسبيح بين الطين المشوي (المطبوخ) وغير المشوي، فالاستحباب يتحقّق بمطلق التسبيح، سواء كانت الحبّات المنظومة قد طُبخت بالنار أم لم تُطبخ، كُلّ ذلك لإطلاق الأخبار، وظهور بعضها في ذلك.

فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**مَنْ أَدَارَ الحَجَرَ مِنْ تُرْبَةِ الحُسَيْنِ عليه السلام فَاسْتَغْفَرَ بِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً كَتَبَ الله لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً**»[١]. ولا بدّ أن يُعلم بأنّ ذلك ليس استحالة حتى يخرج عن اسم الطين أو الحجر، مضافاً إلى استصحاب الجواز الثابت قبل الطبخ[٢].

٤ـ استحباب اتخاذ السبحة مطلقاً

لقد عمّم الفقهاء استحباب اتّخاذ السبحة لغير تسبيحة الزهراء عليها السلام، فيُستحب اتّخاذ سبحة من تربة الحسين عليه السلام لمطلق التسبيحات، بل يُستحب اتّخاذ مسبحة لكلّ شخص وإن لم يسبِّح بها، لما فيها من الثواب الجزيل، وذلك لما رواه الطوسي بسنده عن الإمام الكاظم عليه السلام، قال: «**قَالَ: لَا يَسْتَغْنِي شِيعَتُنَا عَنْ أَرْبَعٍ: خُمْرَةٍ يُصَلِّي عَلَيْهَا، وَخَاتَمٍ يَتَخَتَّمُ بِهِ، وَسِوَاكٍ يَسْتَاكُ بِهِ، وَسُبْحَةٍ مِنْ طِينِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، فِيهَا ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ حَبَّةً، مَتَى قَلَّبَهَا ذَاكِراً لله كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ حَبَّةٍ أَرْبَعُونَ حَسَنَةً، وَإِذَا قَلَّبَهَا سَاهِياً يَعْبَثُ بِهَا كَتَبَ الله لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً**»[٣].

٥ـ الشكّ في التسبيحات

إنّ الثواب والآثار المترتّبة على تسبيحة السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام بتربة سيِّد

---

(١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٦، ص٤٥٦. واُنظر: الهندي، محمّد، كشف اللثام: ج٣، ص٢٢٨. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج١٠، ص٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٢) اُنظر: المصادر السابقة.

(٣) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٣٦. البهبهاني، محمد باقر، مصابيح الظلام: ج٨، ص٢٣٦.

الشهداء إنّما تترتّب إذا كانت بالكيفيّة السابقة وهي: التكبير (٣٤) مرّة، والتحميد (٣٣) مرّة، والتسبيح (٣٣) مرّة.

وأمّا لو شكّ في عدد التسبيحات زيادة أو نقيصة ففيه قولان:

الأوّل: إنّه لو شكّ في شيء من التسبيح تلافى المشكوك فيه خاصّة، فإذا شكّ هل أنّه أتى بـ (٢٥) تسبيحة أو (٢٤) تسبيحة فإنّه يبني على (٢٤) ويأتي بواحدة.

وأمّا إذا شك في الزيادة فإنّه يمضي على شكّه ولا يراعي شيئاً.

الثاني: الحكم بالإعادة من جديد بحيث يستأنف التسبيح من بدايته، ولا يبني على ما أتى به بأيّ شكل[1].

٦ـ مقدار الثواب المترتِّب على التسبيحات

يتعدّد الثواب على لسان الروايات بعدّة أنواع، نأتي على ذكر فهرساً لها:

أ) إنّ حمل السبحة المباركة سبب لكونها تسبِّح عن صاحبها ولو لم يسبِّح، وفي رواية أُخرى: إنّ الاستغفار يُضاعَف سبع مرّات.

ب) إنّ مَن أدار السبحة مرّة واحدة بالاستغفار أو غيره ضاعف الله له هذا التسبيح سبعين مرّة.

ج) إنّ مَن سبَّح بتربة الحسين عليه السلام كتب الله تعالى له أربعمائة حسنة، ومحا عنه أربعمائة سيئة، وقُضيت له أربعمائة حاجة، ورُفِع له أربعمائة درجة.

المسألة الرابعة: الإفطار يوم العيد على التربة الحُسينيّة

أجمعت الإماميّة على حرمة أكل الطين؛ لما فيه من الإضرار بالبدن، وللإجماع،

(١) أُنظر: كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج٣، ص٢٢٧. العاملي، محمد جواد، مفتاح الكرامة: ج٧، ص٦١٥. البهبهاني، محمد باقر، مصابيح الظلام: ج٨، ص٢٣٥. النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام: ج١٠، ص٤٠٧ـ ٤٠٨.

وللنّصوص المستفيضة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام التي تنهى بأشدّ العبارات عن أكله[1].

منها: ما روي عن الواسطي عن أبي عبد الله عليه السلام: «**الطين حرام كلّه كلحم الخنزير، ومن مات فيه لم أصلِّ عليه، إلّا طين القبر، فإنّ فيه شفاء من كُلّ داء، ومَن أكله بشهوة لم يكن له فيه شفاء**»[2].

وقد استثنى فقهاء الإماميّة من هذه الحرمة طين تربة الإمام الحسين عليه السلام؛ للاستشفاء بقدر حمصة، وهذا لا إشكال فيه عندهم؛ للأخبار الكثيرة الدالّة عليه.

ومن الأُمور التي استثناها بعض الفقهاء هو الإفطار يوم العيدين على شيء من التربة الحسينيّة، حيث ذكروا بأنّه يجوز للمكلَّف الصائم قبل الذهاب إلى صلاة العيد أن يتناول شيئاً من التمر أو شيئاً حُلواً كالسكّر[3]، وأضاف إليه الإفطار على التربة المباركة.

وأيضاً يجوز الإفطار يوم العاشر من المحرّم بعد صومه إلى وقت محدَّد على تلك التربة المباركة.

وتحقيق المسألة يتوقّف على ذكر بعض الأُمور:

الأمر الأوّل: القول بالجواز وكلمات الفقهاء فيه

الظاهر أنّ أوّل مَن قال بالجواز هو الشيخ الطوسي في (المصباح)[4]، وقوّى المجلسي في (البحار)[5] القول بالجواز تبعاً لبعض الروايات، ثمَّ قال: بأنّ الاحتياط يقتضي الترك.

---

(١) أُنظر: الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج١١، ص٢٣٣. النراقي، أحمد بن محمد مهدي، مستند الشيعة: ج١٥، ص١٥٩ وما بعدها.

(٢) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٤، ص٢٢٦.

(٣) أُنظر: البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج١٠، ص٢٧٣ ـ ٢٧٥.

(٤) أُنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٧٧١.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٧، ص١٦١. وأُنظر: البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج١٠، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥.



وحدّد السيّد العاملي والأردبيلي[1] الجواز بقصد الاستشفاء، فمَن تناول شيئاً من التربة المباركة يوم العيد أو يوم عاشوراء بقصد الاستشفاء، فإنّ ذلك جائز له، وإلّا فلا يجوز.

ولم أجد ـ بحدود تتبّعي ـ مَن قال بالجواز غير هذين العلمين، ومنع سائر الفقهاء من تناول التربة بأيّ قصدٍ كان.

ودليلهم على المنع أمران:

الأوّل: إنّ الروايات الواردة في القول بالجواز إمّا ضعيفة السند، أو هي من الروايات الشاذّة.

الثاني: إنّ الإجماع من قِبل الإماميّة قائم على حرمة أكل الطين مطلقاً ـ وفي جميع الحالات ـ إلّا ما خرج بالدليل، والدليل قد دلّ على جواز تناولها للاستشفاء فقط دون غيره.

الأمر الثاني: أدلّة القائلين بالجواز ومناقشتها

يمكن حصر أدلّة القائلين بالجواز بما يلي:

١ـ الرواية الدالّة على جواز الأكل تبرّكاً ظهر يوم عاشوراء، وهي ما ذكره الشيخ في (مصباح المتهجد) بقوله: «**ويُستحب صيام هذا العشر، فإذا كان يوم عاشوراء أمسك عن الطعام والشراب إلى بعد العصر، ثمَّ يتناول شيئاً من التربة**»[2].

ولم يذكر الشيخ المجلسي في كتاب (البحار) دليلاً سواها في هذا الحكم[3].

٢ـ ما رواه محمّد بن يعقوب الكليني، عن الحسين بن محمّد، عن الحرّاني، عن عليّ بن محمّد النوفلي، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إنّي أفطرت يوم الفطر على طين وتمر، فقال لي: «**جمعت بركة وسُنَّة**»[4].



(١) اُنظر: المصادر في الهوامش السابقة.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٧٧١.

(٣) اُنظر: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٥٧، ص١٦١.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص١٧٠. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٧، ص٤٤٥.

ورواه الشيخ الصدوق بنفس اللفظ بسنده عن عليّ بن محمّد النوفلي[1].

وكيفيّة الاستدلال هي ما انتصر به البحراني للمجلسي، حيث قال: إنّ روايات المنع من الأكل وإن كانت صحيحة السند ومطلقة، إلّا أنّ أمثال هذه الروايات تكون مخصّصة للإطلاقات الناهية عن أكل مطلق الطين، خصوصاً وأنّ المجلسي حسب طريقته في الأخبار يُلغي أمثال هذه المصطلحات من الضعيف والحسن والصحيح والموثَّق، وله طريقته الخاصّة في قبول الروايات.

مختار مشهور الفقهاء

خالف مشهور الفقهاء[2] ما عليه الطوسي والمجلسي، وقالوا بالتحريم إلّا مع قصد الاستشفاء، وناقشوا جميع أدلّة القائلين بالجواز، ونكتفي هنا بنقل ثلاثة نصوص تُبيِّن ضعف دليل هؤلاء:

١ـ قال الفاضل الهندي رحمه الله ـ بعد ذكره رواية النوفلي ـ: «**قلتُ: لعلّه** [أي: النوفلي الذي سأله الإمام عليه السلام] **استشفى بها عن علّة كانت به. ثمَّ قال: وفي السرائر: إنّه روى الإفطار فيه على التربة المقدَّسة، وأنّ هذه الرواية شاذة من أضعف أخبار الآحاد؛ لأنّ أكل الطين على اختلاف ضروبه حرام بالإجماع، إلّا ما خرج بالدليل من أكل التربة الحسينيّة (على متضمّنها أفضل السلام) للاستشفاء فحسب ـ القليل منها دون الكثير ـ للأمراض، وما عدا ذلك فهو باقٍ على أصل التحريم والإجماع**»[3].

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص١١٣.

(٢) اُنظر: العاملي، محمّد بن مكي، ذكرى الشيعة: ج٤، ص١٧٥ـ ١٧٦. الكركي، علي، جامع المقاصد: ج٢، ص٤٤٧. العاملي، محمد، مدارك الأحكام: ج٤، ص١١٤. العاملي، زين الدين، روض الجنان: ج٢، ص٨٠١. الهندي، محمّد، كشف اللثام: ج٤، ص٣٢٢. الحلي، ابن إدريس، السرائر: ج١، ص٣١٨. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٣٦، ص٣٦٨، السبزواري، محمد باقر، كفاية الأحكام: ج٢، ص٦١٢ وغيرها.

(٣) الهندي، محمد، كشف اللثام: ج٤، ص٣٢٢ـ ٣٢٣.



وقال النجفي: «**إنّما يجوز أكل طين القبر للاستشفاء دون غيره، ولو للتبرّك في عصر يوم عاشوراء ويومي عيدي الفطر والأضحى، كما هو صريح بعض وظاهر الباقين، خلافاً للمحكي عن الشيخ في (المصباح)، فجوّزه لذلك في الأوقات الثلاثة ـ المشار إليها ـ لكن لم نقف له على حجّة، فضلاً عن أن تكون صالحة لمعارضة إطلاق النصّ والفتوى، مضافاً إلى قول الصادق عليه السلام في خبر حنان: مَن أكل طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشفٍ به فكأنّما أكل من لحومنا**»[1].

وقال الهمداني: «**وأمّا الإفطار بتربة الحسين عليه السلام، فقد دلّ على استحبابها خبر النوفلي، والمرسل المروي في الرضوي، ولكن حيث دلّت الأدلّة المعتبرة على حرمة أكلها إلّا للاستشفاء لم يَجُزْ المسامحة فيها، فيشكل حينئذٍ إثبات جواز الإفطار بها بمثل هذه الروايات مع ما في سندها من الضعف، وكونها مرمية بالشذوذ في عبائر كثير منه، واحتمال كون الراوي الذي أجابه الإمام عليه السلام بقوله: جمعت بركة وسنّة. مريضاً قاصداً بالإفطار بها البركة والاستشفاء، فالقول بالمنع عنه ـ كما لعله المشهور ـ مع أنّه أحوط لا يخلو من قوّة**»[2].

وخلاصة دليلهم ما يلي:

أ) قوّة أدلّة القول بالتحريم لكثرتها وصحّة سندها، وضعف أدلّة القول بالحرمة، بل ورميها بالشذوذ، هذا من حيث السند.

ب) ومن حيث الدلالة، يمكن حمل الروايات المجوّزة على أنّ السائل مريض، ويقصد بتناول التربة الاستشفاء والإمام عليه السلام قد جوّز له ذلك، وهذا لا ضير فيه كما سوف يأتي.

المسألة الخامسة: وجوب الخمس في التربة الحسينيّة



الخُمس حقٌّ ماليٌّ أوجبه الله تعالى في أموال المكلَّفين، وقد اتّفقت كلمة الفقهاء على

---

(١) النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٣٦، ص٣٦٨.

(٢) الهمداني، رضا، مصباح الفقيه (ط ق): ج٢، ق٢، ص٤٧٣.

وجوبه ـ بشروط خاصّة ـ في الجملة، والقدر المتّفق على وجوبه هو غنائم دار الحرب.

واختلفوا في وجوبه على أشياء أُخرى، كالمعدن، والكنز، وما يخرج بالغوص، والفاضل عن مؤنة السنة من أرباح المكاسب، والميراث والهبة، فأوجبه فقهاء الإماميّة في أغلب هذه الأشياء، وخصّه باقي فقهاء المذاهب في أشياء محدودة، وهي: الفيء، والسلب، والركاز على تفصيل في ذلك[1].

وينقسم الخُمس عند الإماميّة على قسمين: حقّ الإمام، وحقّ السادة.

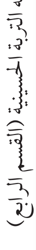
واتفق الإماميّة على وجوب الخمس في المعدن. وأمّا فقهاء المذاهب، فذهب الحنفيّة إلى وجوب الخمس فيه؛ لأنّه يُعدّ غنيمة، ويجب الخمس في الغنيمة. وأكثر فقهاء المذاهب الأُخرى أوجبوا فيه الزكاة فقط[2].

الاختلاف في تفسير المعدن

اختلف الفقهاء في تفسير المعدن أو الرِّكاز الذي يجب فيه الخمس على أقوال:

ففسّرها بعض: «**بأنّها كُلّ ما خرج من الأرض ممّا يُخلَق فيها من غيرها، ممّا له قيمة كالملح، والنفط، والقير، والكبريت**»[3].

وفسّرها آخر: بأنّه كُلّ ما استُخرج من الأرض ممّا كان أصله منها، ثمَّ اشتمل على خصوصية يعظم الانتفاع بها، كالجصّ، وطين الغسل، وحجارة الرحى[4].



---

(١) أُنظر: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج١٦، ص٢ وما بعدها. جماعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية: ج٢٠، ص١٠ وما بعدها، ج٢٣، ص٢٢٦ وما بعدها.

(٢) أُنظر: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج١٦، ص٢٢ وما بعدها. جماعة من العلماء، الموسوعة الفقهيّة الكويتية: ج٢٠، ص١٢.

(٣) العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، تحرير الأحكام: ج١، ص٤٣٤. البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج١٢، ص٣٢٧.

(٤) أُنظر: العاملي (الشهيد الثاني)، زين الدين، الروضة البهيّة: ج٢، ص٦٦. الأنصاري، مرتضى، كتاب الخمس: ص٣٦.

وفسّرها ثالث: بأنّ أصل المعدن المكان بقيد الاستقرار فيه، ثمَّ اشتُهر في نفس الأجزاء المستقرّة التي ركّبها الله تعالى في الأرض، حتى صار الانتقال من اللفظ إليه ابتداءً بلا قرينة[1].

وفسّرها رابع: بأنّه كُلّ ما تولّد في الأرض من غير جنسها ليس نباتاً[2].

وعلى بعض هذه التفاسير يأتي القول بوجوب الخمس على التربة المباركة.

القول بوجوب الخُمس في التُّربة الحُسينيّة

لعلّ أوّل مَن أشار إلى هذه المسألة هو الشيخ الكبير جعفر كاشف الغطاء في (كشف الغطاء)، بقوله ـ وهو بصدد ذكر بعض مصاديق المعدن ـ: «**وفيما يحتاج إلى العمل من التراب ـ كالتُّربة الحسينيّة، والظروف وآلات البناء ـ لوجوب الخمس فيه وجه**»[3].

فالشيخ رحمه الله استوجه القول بوجوب الخمس في أوّل كلامه، وهو أنّ التُّربة الحسينيّة بالكيفيّة المطبوخة تحتاج إلى عمل وجهد، وهذا يوجب جعل الخمس عليها، فالظاهر أنّه غير مراد له رحمه الله.

ولعلّ وجه القول بوجوب الخمس هو: أنّ التُّربة الحسينيّة المباركة تندرج في المعدن، وتكون أحد مصاديقه، فيجب ـ لذلك ـ الخمس فيها.

وهذا إنّما يتمّ بناءً على إحدى التفسيرات المتقدّمة للمعدن، وهو تفسيره: «**بكُلّ شيء اشتمل على خصوصية يعظم الانتفاع بها**».

مناقشة وجه القول بالوجوب

ويُناقش هذا الوجه بأمرين:



(١) أُنظر: ابن عابدين، حاشية ردّ المحتار: ج٢، ص٣٤٧. ملا خسرو، محمد، درر الأحكام: ج١، ص١٨٤.

(٢) البهوتي، منصور بن يونس، كشاف القناع: ج١، ص٢٢٢.

(٣) كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج٤، ص٢٠١.

الأوّل: إنّه لو عمّمنا تفسير المعدن لكان كُلُّ ما على الأرض معدناً وهو واضح البطلان.

الثاني: إنّ تفسير المعدن بـ(كلّ ما اشتمل على خصوصية يعظم الانتفاع بها) لم يثبت من العُرْف واللغة، وإنّما المعيار والميزان في المعدن هو ما صدق عليه المعدن عرفاً، وفي كُلّ مورد نشكّ في صدق المعدن على الشيء عرفاً لا يجب فيه الخمس[1].

ولأجل هذين الوجهين خالف كُلّ مَن جاء بعد الشيخ كاشف الغطاء وتعرّض لهذه المسألة، كالشيخ النجفي وغيره[2].

الخلاصة: عدم نهوض دليل القول بوجوب الخمس على التربة الحسينيّة، وعدم إمكان الاعتماد عليه، فالقول بعدم الوجوب هو الأقوى، كما هو واضح.

(١) أُنظر: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج١٦، ص٢٢. الأنصاري، مرتضى، كتاب الخمس: ص٣٠. الآملي، محمّد تقي، مصباح الهدى: ج١١، ص٢٦.

(٢) أُنظر: المصادر السابقة.



د. عادل لعيبي[1]

المقدمة

موضوع الدراسة التي بين أيدينا توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين بن علي عليهما السلام. وقد قمنا بالتحقق من نسبة شعره وفق ثلاثة معايير، هي:

١ـ معيار الزمن: فيُؤخذ بالأسبق زمناً، فيُنسب الشعر إلى قائله بحسب أقدمية المصدر وو روده فيه، إذا لم توجد قرائن تدلّ على خلاف ذلك؛ إذ الغموض ينشأ من ابتعادنا عن عصر النص وصدوره، وبناءً على هذا الضابط، يُقدَّم كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في نسبة الشعر مثلاً على كتاب العمدة لابن رشيق (ت٤٦٣هـ).

٢ـ معيار التواتر: فهو يستلزم صدور الشعر ممَّن نُسب إليه.

٣ـ معيار العصمة: وما يناسب مقام الإمامة، فكلّ ما ينافي العصمة ومقام الإمامة، بحيث يستحيل عقلاً نسبته إلى المعصوم عليه السلام، فلا يندرج في نظمه وشعره.

وبناءً على المعايير المذكورة، تبيّن أنّ هناك ثلاثة أنحاء:

---

(١) دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، متخصص في الأدب الإسلامي، الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الأشرف.

١ـ الشعر المنسوب إليه عليه السلام وإلى غيره، والصواب أنَّه له عليه السلام.

٢ـ الشعر المنسوب إليه عليه السلام، ولم يشاركه في نسبته إليه أحد.

٣ـ الشعر المنسوب إليه عليه السلام وإلى غيره والصواب أنَّه لغيره.

وقد قسمنا هذه الدراسة إلى قسمين أدرجنا النحو الأول والثاني من الشعر المنسوب إليه عليه السلام في القسم الأول منها، فيما كان القسم الثاني منصبّاً على النحو الثالث، والتي سيأتي في العدد القادم التعرّض لها، إن شاء الله تعالى.

وقد جعلنا لكلِّ قصيدةٍ من قصائده أو مقطعة أو نتفة أو يتيم[1] رقماً مستقلاً، ولكلِّ بيتٍ رقماً يُشير إلى مرتبته في القصيدة أو المقطع.

هذا هو موضوع البحث، فإن حالفني فيه التوفيق، فبعون الله وتوفيقه، وإلّا حسبي أنّني حاولت مُعطياً أقصى طاقاتي.

والأبيات الشعرية مرتبة أبتثياً حسب حروف قافيتها:

قافية الهمزة

[١][2]

ـ الطويل ـ

١. إذا اِستَنصَرَ المَرءُ اِمرأً لا يَداً لَهُ ... فَناصِرُهُ وَالخاذِلونَ سَواءُ

٢. أَنا اِبنُ الَّذي قَد تَعلَمونَ مَكانَهُ ... وَلَيسَ عَلى الحَقِّ المُبينِ طَخاءُ

٣. أَلَيسَ رَسولُ الله جَدّي وَوالِدي ... أَنا البَدرُ إِن خَلا النُجوم خَفاءُ

(١) مقطعات الكلام ومقطعات الشعر: أجزاؤه المتخيّرة. المعجم الوسيط: ج٢، ص٧٤٦. وقيل: مقطعات الشعر: قصاره. الفارابي، إسحاق بن إبراهيم بن الحسين، معجم ديوان الأدب: ج٢، ص٣٦٥. واليتيم: هو البيت الواحد. والنتفة: هما البيتان أو الثلاثة. المشاط، حسن بن محمد، إنارة الدجى في مغازي خير الورى: ص٩٢.

(٢) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٥٥.

٤. أَلَمْ يَنزل القُرآنُ وَسطَ بُيوتنَا	صَباحَاً وَمن بَعد الصَّباح مَسَاءُ
٥. يُنازِعُني وَالله بَيني وَبَينَهُ	يَزيدٌ وَلَيسَ الأَمرُ حَيثُ يَشاءُ
٦. فَيا نُصَحاءَ الله أَنتُم وُلاتُهُ	وَأَنتُم عَلى أَديانِهِ أُمَناءُ
٧. بِأَيِّ كِتابٍ أَم بِأَيَّةِ سُنَّةٍ	تَناوَلَها عَن أَهلِها البُعَداءُ

التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: الإربلي (ت٦٩٣هـ)[١]، وابن الصباغ (ت٨٥٥هـ)[٢]، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد، واختلفت المصادر في روايتها[٣].

قافية الألف

[٢][٤]

ـ الكامل ـ

١. نادَيتُ سُكّانَ القُبورِ فَأُسكِتوا	وَأَجابَني عَن صَمتِهِم تُربُ الحَصا
٢. قالَت أَتَدري ما فَعَلتُ بِساكِني	مَزَّقتُ لَحمَهُمُ وَخَرَّقتُ الكِسا
٣. وَحَشَوتُ أَعيُنَهُم تُراباً بَعدَما	كانَت تَأَذّى بِاليَسيرِ مِنَ القَذا
٤. أَمّا العِظامُ فَإِنَّني مَزَّقتُها	حَتّى تَبايَنَتِ المَفاصِلُ وَالشوا
٥. قَطّعتُ ذا مِن ذا ومِن هَذا كَذا	فَتَرَكتُها رِمَماً يَطولُ بِها البِلا

(١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٥.

(٢) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٧٧٥.

(٣) اختلاف الروايات:

البيت الثاني: الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة:... قد يعلمون...... طحاء.

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٥٨.

التخريج والتوثيق

نسب ابن عساكر (ت٥٧١هـ)[١] الأبيات: الأوّل والثاني، وصدر الثالث، وعجز الرابع والخامس إلى الإمام الحسين عليه السلام، وكذا ابن كثير (ت٧٧٤هـ)[٢]، وابن الدمشقي (ت٨٧١هـ)[٣]، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد، واختلفت المصادر في روايتها[٤].

قافية الباء

[٣][٥]

ـ الوافر ـ

١.	لَعَمرُكَ إِنَّني لَأُحِبُّ داراً	تَحلُّ بِها سَكينَةُ وَالرَبابُ
٢.	أُحِبُّهُما وَأَبذُلُ جُلَّ مالي	وَلَيسَ لعاتب عندي عِتابُ
٣.	وَلَستُ لَهُم وَإِن عتبوا مُطيعاً	حَياتي أَو يعليني التُّرابُ

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص١٦٣.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٦.

(٣) الدمشقي، محمد بن أحمد، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ج٢، ص٣١٦.

(٤) اختلاف الروايات:

البيت الأوّل: ترجمة الإمام الحسين عليه السلام:... فأجابني... ندب الحشا.

البيت الثاني: المصدر السابق:... ما صنعتُ بساكني...

البيت الثالث: المصدر السابق: جاء العجز: كانت تباينه المفاصل والشوا.

البيت الرابع: المصدر السابق:... فإنني فرقتها...

البيت الخامس: البداية والنهاية:

قَطّعتُ ذا مِن ذا مِن هَذا كَذا فَتَرَكتُها مما يَطولُ...

ولعلّ «رمما» أوقع للمعنى والوزن من «مما»، ومع هذا فهو صحيح إلّا أنَّ التفعيلة في الثانية تكون: مستفعلن.

(٥) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٦٠.

التخريج والتوثيق

نسب هذه الأبيات إلى الإمام الحسين عليه السلام ـ وبالتفصيل التالي ـ كل من: أبي مخنف الأزدي (ت١٥٧هـ)[١] البيت الأوّل والثاني، ومحمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ)[٢] البيت الأوّل فقط، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)[٣] البيت الأوّل، والبلاذري (ت٢٧٩هـ)[٤] البيت الأوّل والثاني، وإبراهيم بن محمد الثقفي (ت٢٨٣هـ)[٥] البيت الأوّل والثاني، وأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)[٦] البيت الأوّل والثاني، والقاضي النعمان المغربي (ت٣٦٣هـ)[٧]، والحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ)[٨] البيت الأوّل والثاني، والموفق الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)[٩]، وابن عساكر (ت٥٧١هـ)[١٠]، وابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)[١١] البيت الأوّل والثاني، وسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ)[١٢]، وعلي بن محمد العلوي (ت٧٠٩هـ)[١٣] البيت الأوّل، والصفدي (ت٧٦٤هـ)[١٤] البيت الأوّل

---

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص١٧٢.

(٢) البغدادي، محمد بن حبيب، المحبر: ص٣٩٧.

(٣) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، المعارف: ص٢١٣.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ص١٩٦.

(٥) الكوفي، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج٢، ص٨١٦.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٥٩.

(٧) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج٣، ص١٧٧.

(٨) القيرواني، إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب: ص١٢٤.

(٩) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٤٧.

(١٠) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٦٩، ص١٢٠.

(١١) ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٦، ص٩.

(١٢) سبط ابن الجوزي، يوسف شمس الدين، تذكرة خواص الأُمّة: ص٢٣٨.

(١٣) العلوي، علي بن محمد، المجدي في أنساب الطالبين: ص٩٢.

(١٤) الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات: ج١٤، ص٥٣.

والثاني، وابن الدمشقي (ت ٨٧١هـ)[١].

ونسبها ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)[٢] إلى الزبير بن بكار بلفظ الإنشاد، وهي ليست له؛ لقرينة الإنشاد وقرينة ما ذكره ابن الدمشقي؛ إذ قال ما نصّه: «**وممَّا أنشده الزبير بن بكار للحسين** عليه السلام...»[٣].

فالأبيات للإمام الحسين للسبق الزمني والتواتر، واختلفت المصادر في روايتها[٤].

[٤][٥]

ـ الطويل ـ

١. **أَأَدهَـنُ رَأسي أم تطيـب مجالسـي ... وَرَأسُـكَ مَعفـورٌ وَأَنـتَ سَليـبُ**

٢. **أأشربُ مـاءَ الُمزنِ مِـن غـيرِ مائِـهِ ... وَقَد ضمن الأحشـاءَ مِنـكَ لهيـبُ**

٣. **أو أسـتمتـعُ الدُنيـا لشـيء أحبُّـهُ ... ألا كـلُّ مَـا أدنَـى إليـكَ حبيـبُ**



(١) الدمشقي، محمد بن أحمد، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ج٢، ص٣١٦ـ ٣١٧.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٨.

(٣) الدمشقي، محمد بن أحمد، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ج٢، ص٣١٦ـ ٣١٧.

(٤) اختلاف الروايات:

البيت الأوّل: مقتل الإمام الحسين عليه السلام: تقيم بها...

مقاتل الطالبيين: تكون بها...

البيت الثاني: تذكرة خواص الأُمّة:... وأبذل فوق جهدي وليس لعاذل...

البداية والنهاية، والعمدة، زهر الآداب وثمر الألباب، مقتل الإمام الحسين عليه السلام، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: وليس للائمي فيها...

البيت الثالث: تذكرة خواص الأُمّة:... وليس.... أو يغيّبني...

مقتل الإمام الحسين عليه السلام:... وإن رغبوا... أو يغيّبني التراب.

جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب:... أو يغيّبني التراب.

البداية والنهاية:... وَإِن عابوا معيباً... أَو يُغَيِّبنـي...

(٥) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٦٢.

٤.	فَـلا زِلتُ أَبكي مـا تَغَنَّـت حَمـامَـةٌ	عَلَيـكَ وَما هَبَّـت صَبـاً وَجَنـوبُ
٥.	وَمـا هَمَلَت عَيني مِـنَ الدمعِ قَطـرَةً	وَمـا اخضَرَّ في دوحِ الحجازِ قَضيبُ
٦.	بُكائـي طويـلٌ وَالدُمـوعُ غزيـرةٌ	وَأَنـتَ بَعيـدٌ وَالمَـزارُ قَريـبُ
٧.	غريـبٌ وأطـرافُ البيـوتِ تحوطُـهُ	ألا كلُّ مَـن تحـتَ الـتُّرابِ غريـبُ
٨.	وَلا يَفرَحِ الباقي خِلافَ الَّذي مَضى	وَكُلُّ فَـتًـى لِلمَـوتِ فيـهِ نَصيـبُ
٩.	فليـسَ حريبـاً مَـن أُصيـبَ بمالِـهِ	وَلكـنَّ مَـن وارَى أَخَـاهُ حريـبُ
١٠.	نَسـيبُكَ مَن أَمسى يُناجيـكَ طَرفُـهُ	وَلَيـسَ لِمَن تَحـتَ التُـرابِ نَسـيبُ

التخريج والتوثيق

نسب هذه الأبيات إلى الإمام الحسين عليه السلام ـ وبالتفصيل التالي ـ كل من: المسعودي (ت٣٤٦هـ)[١] الأبيات: السابع، والخامس، والثاني، والأوّل، والموفق الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)[٢] كاملةً عدا الثاني، والعاشر، وابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ)[٣] عدا الثاني.

ونسبها إلى محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف بابن الحنفية بلفظ الإنشاد كل من: سبط ابن الجوزي(ت٦٥٤هـ)[٤] الأبيات: السابع والخامس والأوّل، والزرندي الحنفي (ت٧٥٠هـ)[٥] والزرندي الشافعي(ت٧٥٠هـ)[٦] الأبيات: الأوّل، وصدر الرابع، وعجز السابع، والخامس، ولا يمكن الأخذ بهذه النسبة لقرينتين: التأخر الزمني، والنقل بلفظ الإنشاد.

(١) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج٢، ص٣٤٧.
(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص١٤٢.
(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٠٥.
(٤) سبط ابن الجوزي، يوسف شمس الدين، تذكرة خواص الأُمّة: ص٢١٤.
(٥) الزرندي الحنفي، محمد بن يوسف، نظم درر السمطين: ص١٧١، البيت ١ـ٢.
(٦) الزرندي الشافعي، محمد بن يوسف، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول صلى الله عليه وآله: ص٨٢.

ونسب ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)[١]، وأبو علي القالي (ت٣٥٦هـ)[٢] البيتين: العاشر والأوّل إلى ابن دريد بلفظ الإنشاد، ولا يمكن الأخذ بهذه النسبة؛ لقرينة النقل بلفظ الإنشاد.

فالأبيات للإمام الحسين عليه السلام، واختلفت المصادر في روايتها[٣].

[٥][٤]

ـ مجزوء الكامل ـ

١. ذَهَــبَ الَّـذيـنَ أُحِبُّهُــم ... وَبَقيتُ فيمَـن لا أَحِـبُّـه

٢. فـيمَــن أَراهُ يَـسُـبُّـني ... ظـهـرَ المَغـيـبِ وَلا أَسُـبُّـه

٣. يَبغي فَسـادي ما اِسـتَطاعَ ... وَأمــرُهُ مِمّــا أَدُبُّــه

٤. حَنقاً يَـدُبُّ إِلى الضـرّاءِ ... وَذاكَ مِمّــا لا أَدُبُّــه

٥. وَيَــرى ذُبابَ الشَرِّ مِـن ... حَولي يَطِـنُّ وَلا يَذُبُّـه

٦. وَإِذا جَنا وَغر الصُدورِ ... فَـلا يَـزالُ بِـهِ يُـشِبُّـه

٧. أَفَــلا يَـعـيـجُ بِعَقلِـهِ ... أَفَلا يَـثـوبُ إِلَيـهِ لُبُّـه

---

(١) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار: ج٣، ص١٨٩.

(٢) أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي: ص١٥١٢.

(٣) اختلاف الروايات:

البيت الأوّل: تذكرة خواص الأُمّة، ومروج الذهب: أدهن... محاسني وخدك...

مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي: أم أطيب محاسني... وأنت تريب.

البيت الثالث: المصدر السابق: وأستمتع... بشيء... بلى كلّ ما...

البيت الخامس: تذكرة خواص الأُمّة، ومروج الذهب: سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة...

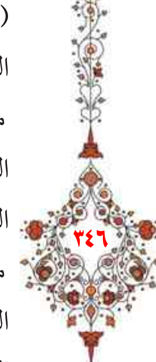
مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي:.. عين من الماء قطرة...

البيت السابع: تذكرة خواص الأُمّة، ومروج الذهب: غريب وأكناف الحجاز تحوطه...

البيت الثامن: مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي: فَلا يَفرَح الباقي ببُعد... فكلّ...

البيت التاسع: المصدر السابق: وليس حريباً...

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٦٤.



٨. أَفَــلا يَــرى أَن فِعلَـهُ مِمّا يَســورُ إِلَـيـهِ غبُّه

٩. حَسبــي بِرَبّــي كــافِياً ما أَختَشي وَالبَغيُ حَسبُه

١٠. وَلَـقَـلَّ مَـن يُبغى عَلَيه فَـما كَـفـاهُ الله رَبُّـه

التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام كل من: الإربلي(ت٦٩٣هـ)[١]، وابن الصباغ (ت٨٥٥هـ)[٢] الأبيات: الثامن، والثاني، والأوّل. ونسب الجاحظ(ت٢٥٥هـ)[٣]، وابن عبد البر(ت٤٦٣هـ)[٤]، البيت الأوّل إلى عتبة الأعور[٥]، ويبدو أنّ الإمام الحسين عليه السلام ضمّن البيت الأوّل لعتبة الأعور في أبياته عليه السلام؛ يؤيده شهادة الجاحظ، وابن عبد البر، المتقدّمة زمناً على شهادة الإربلي، وابن الصباغ، واختلفت المصادر في رواياتها[٦].

[٦][٧]

ـ الطويل ـ

١. إِذَا المـرءُ لا يحـمِـي بنِيَـه وعِرضَـه وَعِترَتَـه كـانَ اللئيـمَ المسبَّبَا

(١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٤.

(٢) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٧٧٤.

(٣) الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان: ص٩٤٨.

(٤) القرطبي، ابن عبد البر، بهجة المجالس وأُنس المجالس: ص١٠٧٥.

(٥) لم أعثر على ترجمة له.

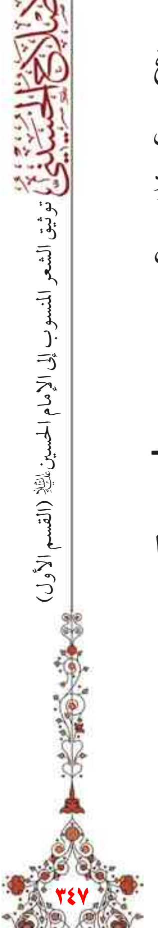
(٦) اختلاف الروايات:

البيت الثامن: الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة:... ممّا يسير...

البيت التاسع: المصدر السابق:... ممّا أختشي...

البيت العاشر: المصدر السابق: وَلَعَلَّ مَن يَبغـي علله.. إلّا كفاه..

(٧) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٦١.



٢.	وَمِـن دُونِ مَـا يبغـى يزيـدُ بِنَـا غَداً	نخوضُ بحـارَ الموتِ شرقَاً ومغرِبَا
٣.	وَنـضربُ ضربَـاً كالحريـقِ مقدّمَاً	إذَا مَـا رآهُ ضيغـم فـرَّ مهربَـا

التخريج والتوثيق

نسبها أبو مخنف الأزدي(ت١٥٧هـ)[١] إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

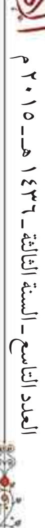
[٧][٢]

ـ الرجز ـ

١. أَنـا الحُسَـينُ بـنُ عَلِيّ بـنُ أَبـي
٢. طالِبٍ البَـدر بِأَرضِ العَـرَبِ
٣. أَلمتَـرَوا وَتَـعلَمـوا أَنَّ أَبـــي
٤. قـاتِـلُ عَـمرٍو وَمُبـيرمرحَـبِ
٥. وَلم يَزَل قَـبــلَ كُـشوفِ الكَربِ
٦. مُجَلِّياً ذَلِكَ عَــن وَجــهِ النَبِـي
٧. أَلَيسَ مِن أَعجَبِ عَجَبِ العَجَبِ
٨. أَن يَطلُبَ الأَبعَدُ ميراثَ النَبِـي
٩. وَاللهِ قَد أَوصى بِحِفظِ الأَقرَبِ

التخريج والتوثيق

نسبها الإربلي(ت٦٩٣هـ)[٣] إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.



(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص١٦.

(٢) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٦١.

(٣) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٦.

قافية التاء

[٨][١]

ـ مجزوء البسيط ـ

١. إن لَمْ أمُتْ أسَفاً عَليكَ فَقَد أصبحتُ مُشتاقاً إلى المَوتِ

التخريج والتوثيق

نسبه ابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ)[٢] إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيه أحد.

[٩][٣]

ـ الطويل ـ

١. إذا جادَتِ الدُنيا عَلَيكَ فَجُد بِها عَلى الناسِ طُرّاً قَبلَ أَن تَتَفَلَّتِ

٢. فَلا الجودُ يُفنيها إِذا هِيَ أَقبَلَت وَلا البُخلُ يُبقيها إِذا ما تَوَلَّتِ

التخريج والتوثيق

نسبهما ابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ)[٤] إلى الإمام الحسين عليه السلام، ونسبهما محمد بن طلحة الشافعي(ت٦٥٢هـ)[٥] إلى أمير المؤمنين عليه السلام؛ ولتأخره لم نُعوّل على نسبته.

وذكرهما الخزرجي(ت٨١٢هـ)[٦] من دون نسبة، فهما للإمام الحسين عليه السلام؛ اعتماداً على معيار السبق الزمني، واختلفت المصادر في روايتها[٧].

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٦٦.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٠٥.

(٣) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٦٦.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٢.

(٥) الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص٢١٩.

(٦) الخزرجي، علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية: ص١٠٣٨.

(٧) اختلاف الروايات:

البيت الأوّل: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول:... عَلى الخلق طُرّاً أنّها تتقلب.

البيت الثاني: المصدر السابق:... إذا هي تذهب...

قافية الحاء

[١٠][١]

ـ الوافر ـ

١.	فنِعـمَ الحـرُّ حـرُّ بنِـي ريَـاحِ	صبـور عنـدَ مُشـتبكِ الرِّمـاحِ
٢.	ونِعـمَ الحـرُّ فِي وَهـجِ المَنَايَـا	إذا الأبطَـال تخطُـو بالرِّمـاحِ
٣.	ونِعمَ الحرُّ إذ واسَـى حُسَـينا	وَجَـادَ بنفسِـهِ عنـدَ الصَّباحِ
٤.	لَعمـرُكَ إن تكُن ذقـتَ المَنَايَا	لَقَـد أسـقيتَهم كاسَ الذبـاحِ
٥.	تركـتَ الطيرَ عاكفـةً عَلَيهـم	بِهَـا رُخَـمٌ مُضرجـة الجنَـاحِ
٦.	لَقَد فازُوا الأُولى نصرُوا حُسَينا	وَفـازُوا بالهِدَايـةِ والصَّـلاحِ
٧.	فَيَـا رَبِّي أضفـهُ فِـي جِنـانٍ	وَزوّجـهُ مَـعَ الحُـورِ المـلاحِ

التخريج والتوثيق

نسب هذه الأبيات إلى الإمام الحسينعليه السلام ـ وبالتفصيل التالي ـ كل من: أبي مخنف الأزدي(ت١٥٧هـ)[٢] الأبيات: السادس، والثالث، والثاني، والأوّل، والقاضي النعمان المغربي (ت٣٦٣هـ)[٣] الأبيات: السابع، والثالث، والأول، والشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)[٤]، وأبي إسحاق الأسفرايني(ت٤١٨هـ)[٥] الأبيات: السادس، والثالث، والثاني، والأوّل، والنيسابوري(ت٥٠٨هـ)[٦] البيتين: الأوّل، والثاني، ومسلم

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٧١.

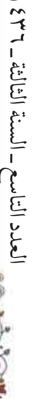
(٢) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسينعليه السلام: ص٧٨، وص٢٢٣.

(٣) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج٣، ص١٥١ الهامش.

(٤) اُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٣.

(٥) الأسفرايني، إبراهيم بن محمد، نور العين في مشهد الحسينعليه السلام: ص٤٥.

(٦) الفتال النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ج١، ص١٦٨.



اللحجي[1] الأبيات: الخامس، والرابع، والثالث، والأوّل.

ونسب الموفق الخوارزمي(ت٥٦٨هـ)[2] البيتين: الثالث، والأوّل إلى أحد أصحاب الحسين عليه السلام؛ ولتأخره لم نُعوّل على نسبته، فهي للإمام الحسين عليه السلام؛ اعتماداً على معيار السبق الزمني، وتواتر الشهادات، واختلفت المصادر في روايتها[3].

قافية الدال

[١١][4]

ـ الطويل ـ

١. تَعديتُـم يَا شــرَّ قَــومٍ بِبغيكُـم وَخَالفتُمُـوا فِينَـا النبـيَّ محمّـدا

٢. أمَا كانَ خَيرُ الخلقِ أوصَاكم بِنَا أمَـا كانَ جدِّي خِـيرةَ الله أحمَدَا

٣. أمَا كانَت الزَّهراءُ أُمِّي وَوَالدِي عـليّ أخَـا خيرِ الأنَـامِ المُسـدَّدَا

٤. لُعنتُـم وَأُخزيتُم بِمَا قَـد جَنيتُـم فَسـوفَ تُلاقُوا حرَّ نَـارٍ توقـدَا

التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي(ت١٥٧هـ)[5]، وابن شهر

(١) اللحجي، مسلم بن محمد، تاريخ مسلم اللحجي (مخطوط): ج٤، ص٤٧.

(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج٢، ص١١.

(٣) اختلاف الروايات:

البيت الأوّل: الأمالي للشيخ الصدوق: لنعم الحر... ونعم الحر مختلف الرماح.

تاريخ مسلم اللحجي (مخطوط): لنعم الحر.... ونعم الحر عن لقى الرماح.

البيت الثالث: الأمالي للشيخ الصدوق، تاريخ مسلم اللحجي (مخطوط): إذا نادى... الصباح.

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٧٥.

(٥) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٦١.



آشوب(ت٥٨٨هـ)[١]، ولم يُشاركه فيها أحد، واختلفت المصادر في روايتها[٢].

[١٢][٣]

ـ الرجزـ

١. يَـا ربِّ لا تَتركنِـي وَحِيـدَا

٢. قَد أظهَـرُوا الفُسـوقَ وَالجُحُودَا

٣. قَـد صَيّرُونَـا بَينَهُـم عَبِيـدَا

٤. يُرضُـونَ فِي فِعالِهِـم يَزِيـدَا

٥. أمَّـا أخِـي فَقَـد مَضَـى شَـهِيدَا

٦. مُجـدَّلاً فِـي فَـدفَـد فَرِيـدَا

٧. فِي وَسـطِ قَـاعٍ مُفـرَدَاً بَعِيـدَا

٨. وَأنـتَ بالمرصَـادِ لَـن تَحِيـدَا

التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي(ت١٥٧هـ)[٤]، ونسب أبو إسحاق

---

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٦.

(٢) اختلاف الروايات:

البيت الأوّل: مناقب آل أبي طالب: ... يا شرَّ قومٍ بفعلكم وخالفتم قول النبي محمّد.

البيت الثاني: المصدر السابق: ... وصَّاكم بنا أما نحن من نسل...

البيت الثالث: المصدر السابق: ... دونكم أما كان من خير البرية أحمد

البيت الرابع: المصدر السابق: ... فسوف تُلاقوا حرّ نار توقد.

(٣) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٧٦.

(٤) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٣.

الأسفراييني (ت٤١٨هـ)[١] إليه عليه السلام الأبيات: السادس، والخامس، والرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، ولم يُشاركه فيها أحد، واختلفت المصادر في روايتها[٢].

قافية الراء

[١٣][٣]

ـ الطويل ـ

١. وَمَـا هُـم بِقـومٍ يغلبُونَ ابـن غَالِبٍ   وَلَكِـن بِعِلـمِ الغَيبِ قَد قُـدّر الأمرُ

التخريج والتوثيق

نسبه جعفر بن محمد بن قولويه(ت٣٦٧هـ)[٤] إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيه أحد.

[١٤][٥]

ـ الطويل ـ

١. أَنا اِبنُ عَلَـيِّ الخيرِ مِـن آلِ هاشِـم   كَفاني بِهَـذا مَفخَـراً حيـنَ أَفخَـرُ

(١) الأسفراييني، إبراهيم بن محمد، نور العين في مشهد الحسين: ص٣٥.

(٢) اختلاف الروايات:

البيت الثاني: نور العين في مشهد الحسين عليه السلام: بين أناس أظهروا الجحودا.

البيت الثالث: المصدر السابق: وصيرونا...

البيت الرابع: المصدر السابق: في أفعالهم...

البيت الخامس: المصدر السابق: وكلّ شخص مضى شهيداً.

البيت السادس: المصدر السابق: مجندلاً في دمه فريداً.

(٣) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٨١.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٩٦.

(٥) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٨٢.

٢.	وَجَدّي رَسولُ الله أَكرَمُ مَن مَضى	وَنَحنُ سِراجُ الله في الأَرضِ نزهرُ
٣.	وَفاطِمَة أُمّي ابنة الطهر أَحمَد	وَعَمّي يُدعى ذا الجَناحَينِ جَعفَرُ
٤.	وَفينا كِتابُ الله أُنزِل صادِعاً	وَفينا الهُدى وَالوَحيُ بالخَير يُذكَرُ
٥.	وَنَحنُ أَمانُ الله فِي الخَلق كُلِّهم	نُسِرُّ بِهَذَا فِي الأَنَامِ ونُجهِرُ
٦.	وَنَحنُ وُلاة الحوض نَسقي محبّنا	بِكَأسٍ وذاك الحوضُ للسقي كوثرُ
٧.	فَيسعدُ فينَا فِي القيَام مُحبّنَا	وَمُبغِضُنا يومَ القيَامة يخسرُ

التخريج والتوثيق

نسب هذه الأبيات إلى الإمام الحسين عليه السلام - وبالتفصيل الآتي - كل من: ابن أعثم الكوفي(ت٣١٤هـ)[١]، وأبي إسحاق الأسفرايني (ت٤١٨هـ)[٢] الأبيات: الخامس، والرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، والطبرسي (ت٥٤٨هـ)[٣]، والموفق الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)[٤]، وابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ)[٥]، ومحمد بن طلحة الشافعي (ت٦٥٢هـ)[٦]، والإربلي(ت٦٩٣هـ)[٧]، وابن الصباغ (ت٨٥٥هـ)[٨] الأبيات: الرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، بلفظ الإنشاد، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحدٌ، واختلفت المصادر في روايتها[٩].

---

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢١٣.

(٢) الأسفرايني، إبراهيم بن محمد، نور العين في مشهد الحسين: ص٣٥.

(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٦.

(٤) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج٢، ص٣٢-٣٣.

(٥) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٣٤.

(٦) الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص٣٨٣.

(٧) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٢٩.

(٨) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٧٦٦.

(٩) اختلاف الروايات:

البيت الأوّل: الاحتجاج، والفصول: الطهر.



[١٥][1]

ـ الرجز ـ

١. المَوتُ خَيرٌ مِن رُكوبِ العارِ

٢. وَالعارُ خَيرٌ مِن دُخولِ النارِ

٣. وَاللهِ مِن هَذا وَهَذا جـاري

التخريج والتوثيق

نسب هذه الأبيات إلى الإمام الحسين عليه السلام ـ وبالتفصيل التالي ـ كل من: ابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ)[2]، وابن طاوس(ت٦٦٤هـ)[3] الشطرَ الثاني، والأوّل، والإربلي

البيت الثاني: الاحتجاج:... في الخلق.

المناقب:... أكرَمُ خلقه... يزهر.

الاحتجاج، والفصول: أكرَمُ مَن مَشــى.

البيت الثالث: الاحتجاج، والمناقب، والفصول: وَفاطِمَ أُمّـي من سُلالَـة أحـمَـدٍ...

البيت الرابع: الاحتجاج، والمناقب، والفصول:... أُنزل صادِقـاً...

البيت الخامس: الاحتجاج:... الله للناس نطول...

المناقب:... الله للخلق...

البيت السادس: الاحتجاج:

...نَسقـي وُلاتنـا بِكَأسِ رَسولِ الله ما لَيـسَ يُنكَـرُ.

المناقب:

...نَسقـي ولينا بِكَأسِ رَسولِ الله ما لَيـسَ يُنكَـرُ

البيت السابع: الاحتجاج، والمناقب، ونور العين، نصّ البيت:

وَشيعَتُنا في النـاسِ أَكـرَمُ شيعَـةٍ وَمُبغِضُنـا يَـومَ القِيامَـةِ يَخسَـرُ

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٨٠.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٤، وص٢٥٨.

(٣) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٧٠.

(ت٦٩٣هـ)[١]، والزرندي الشافعي(ت٧٥٠هـ)[٢]، والديلمي (ت ق ٨ هـ)[٣]، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد، واختلفت المصادر في رواياتها[٤].

[١٦][٥]

ـ مجزوء الكامل ـ

١. اللهُ يَعلَمُ أَنَّ ما   بِيَدي يَزيد لِغَيرِهِ

٢. وَبِأَنَّهُ لَم يَكتَسِبـ   ـهُ بِخَيرِهِ وَبِميرِهِ

٣. لَو أَنصَفَ النَفسَ الخَؤو   ن لَقَصَّرَت مِن سَيرِهِ

٤. وَلَكانَ ذَلِكَ مِنهُ أَد   نى شَرِّهِ مِن خَيرِهِ

التخريج والتوثيق

نسبها الإربلي(ت٦٩٣هـ)[٦] إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

قافية السين

[١٧][٧]





---

(١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٢.

(٢) الزرندي الشافعي، محمد بن يوسف، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول: ص٩٦.

(٣) الديلمي، الحسن بن أبي الحسن، أعلام الدين: ص٢٩٨.

(٤) اختلاف الروايات:

البيت الأوّل: اللهوف: القتل أوْلى من...

البيت الثاني: المناقب، واللهوف: أوْلى.

البيت الثالث: المناقب: وَالله ما....

(٥) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٨٢.

(٦) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٤.

(٧) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٨٧.

ـ الطويل ـ

١.	قَــوم إذَا نُــودُوا لدَفــعِ مُـلمَّـةٍ	وَالقَـومُ بـينَ مُدعّـسٍ وَمكـردسِ
٢.	لَبَسُوا القلوبَ عَلَى الدرّوعِ وأقبلُوا	يَتهافتُـونَ عَـلَى ذَهـابِ الأنفُــسِ
٣.	نَـصرُوا الحُسَـينَ فَيَـا لَهـا مِـن فتيـةٍ	عَافُـوا الحياةَ وأُلبِسُـوا مِن سُـندسِ

التخريج والتوثيق

نسبها أبو مخنف الأزدي(ت١٥٧هـ)[١] إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

وذكر ابن عنبة(ت٨٢٨هـ)[٢] وابن طاوس(ت٦٦٤هـ)[٣] البيتين: الثاني، والأوّل من دون نسبة.

قافية القاف

[١٨][٤]

ـ البسيط ـ

١.	يَا أهلَ لذّاتِ دُنيا لا بَقاءَ لَهَا	إنَّ المقامَ بظلّ زَائـلٍ حُـمق

التخريج والتوثيق

نسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام بلفظ التمثّل: محمد بن طلحة الشافعي(ت٦٥٢هـ)[٥]،

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص١٣٣.

(٢) ابن عنبة، أحمد بن علي، عمدة الطالب: ص٣٥٧.

(٣) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٦٧.

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٤١ نسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام، وفي ص٣٩٧ نسبه إلى الإمام الحسين عليه السلام.

(٥) الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص٣٤٧.



والإربلي (ت٦٩٣هـ)[١]، والديلمي(توفيّ في القرن الثامن الهجري)[٢]، وابن الصباغ (ت٨٥٥هـ)[٣].

ونسبه ابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ)[٤] إلى الإمام الحسينعليه السلام، فهو لهعليه السلام؛ لقرينة السبق الزمني، ومَن نقله عن الإمام الحسنعليه السلام نقله بلفظ التمثّل.

[١٩][٥]

ـ المنسرح ـ

١.	خُذهَا فَإنّي إليكَ مُعتَذِر	وَاعلَم بأنّي عليكَ ذُو شَفَقَه
٢.	لَو كانَ فِي سيرِنا الغداة عَصَا	أمسَت سَمانَا عليكَ مُندَفِقَه
٣.	لَكن ريبَ الزّمانِ ذو غِير	وَالكفُّ منّي قَليلةُ النَفَقَه

التخريج والتوثيق

تردّد ابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ)[٦] في نسبتها إلى الإمام الحسن، أو الإمام الحسينعليهما السلام.

ونسبها ابن عساكر(ت٥٧١هـ)[٧] إلى الإمام الحسينعليه السلام، فهي له؛ للسبق الزمني، ولأنّ ابن شهر آشوب متردّد في نسبتها، واختلفت المصادر في روايتها[٨].

(١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص١٨٣.

(٢) الديلمي، الحسن بن أبي الحسن، أعلام الدين: ص٢٤١.

(٣) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٧٠٦.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٥.

(٥) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤٠١.

(٦) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٢.

(٧) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص١٨٥.

(٨) اختلاف الروايات:

البيت الأوّل: تاريخ مدينة دمشق: خذها وإنّي...

البيت الثاني: المصدر السابق:



[٢٠][1]

- الهزج -

١.	إذا ما عَضَّكَ الدَهرُ	فَلا تَجنَح إلى خَلقِ
٢.	وَلا تَسأَل سِوى الله	تَعالى قاسِمِ الرِّزقِ
٣.	فَلَو عِشتَ وَطَوَّفتَ	مِنَ الغَربِ إلى الشَرقِ
٤.	لَما صادَفتَ مَن يَقدِر	أَن يُسعِد أَو يُشقي

التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: الإربلي (ت٦٩٣هـ)[2]، وابن الصباغ (ت٨٥٥هـ)[3].

ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد.

قافية اللام

[٢١][4]

- المُجتث -

١.	مَن كانَ يَباء بِجَدٍّ	فإنَّ جدِّي الرَّسولُ
٢.	أو كانَ يَباء بأُمٍّ	فإنَّ أُمِّي البَتولُ
٣.	أو كانَ يَباء بِزورٍ	فزورُنَا جِبرئيلُ
٤.	فَنحنُ لَم نبأ إلّا	بِما يُطاعُ الجَليلُ

لو كان في سيرنا عصا تمداد — كانت سهانا عليك مندفعة

البيت الثالث: تاريخ مدينة دمشق: ذو نكد والكفّ منّا...

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٩٨.

(٢) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٤.

(٣) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٧٧٥.

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤٠٧.



التخريج والتوثيق

نسبها الموفق الخوارزمي(ت٥٦٨هـ)[١] إلى الإمام الحسين عليه السلام، فهي له؛ للسبق الزمني، واختلاف المصادر في روايتها[٢]، ونسب ابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ)[٣] الأبيات: الثالث، والثاني، والأوّل إلى الإمام الحسن عليه السلام.

[٢٢][٤]

ـ الرجز ـ

١. أهلَ العرَاقِ مَا لَكُم خَليلُ
٢. وَمَا بكُم فِي جَمعِكُم فَضيلُ
٣. وَالأمرُ فِي ذَلِكُم جَليلُ
٤. وَكلُّ حيٍّ عِندَه سَبيلُ
٥. قَد قَرُب النقلةُ وَالرَّحيلُ
٦. وَكلُّ شَيءٍ حَوله دَليلُ

التخريج والتوثيق

نسبها أبو إسحاق الأسفرايني(ت٤١٨هـ)[٥] إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

---

(١) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص١٢٣.

(٢) اختلاف الروايات:

البيت الأوّل: مناقب آل أبي طالب:... فجدّي الرسول.

البيت الثالث: المصدر السابق:... فيزورنا جبرئيل.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص١٧٦.

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤٠٤.

(٥) الأسفرايني، إبراهيم بن محمد، نور العين في مشهد الحسين عليه السلام: ص٣٠.

[٢٣][1]

ـ الطويل ـ

١. فَإِن تكُن الدُنيا تُعَدُّ نَفيسَةً فَدارُ ثَوابِ الله أَعلى وَأَنبَلُ

٢. وَإِن تَكُن الأَرزاقُ قِسماً مُقَدَّراً فَقِلَّةُ حرص المَرءِ في الكسب أَجمَلُ

٣. وَإِن تَكُن الأَموالُ لِلتَّركِ جَمعُها فَما بالُ مَتروكٍ بِهِ المَرءُ يَبخَلُ

٤. وَإِن تَكُن الأَبدانُ لِلمَوتِ أُنشِئَت فَقَتلُ اِمرِئٍ في الله بِالسَيفِ أَفضَلُ

٥. سأمضِي وَمَا بالقتلِ عَارٌ عَلَى الفَتَى إِذَا فِي سبيلِ الله يمضِي وَيُقتلُ

٦. عَليكُم سلامُ الله يَا آلَ أحمَد فإنِّي أرَانِي عَنكُم سوفَ أرحلُ

٧. أرَى كلَّ مَلعُونٍ كَفُورٍ مُنافِقٍ يَرومُ فَنَانَا جهله ثُمَّ يَعملُ

٨. لَقَد غرَّهم حلمُ الإلهِ وَأنّه كَريم حَليم لَم يَكُ قَطُّ يَعجلُ

٩. لَقَد كَفرُوا يَا وَيلهُم بِمحمّدٍ وَربُّهم فِي الخَلقِ مَا شَاءَ يَفعلُ

التخريج والتوثيق

نسب هذه الأبيات إلى الإمام الحسين عليه السلام ـ وبالتفصيل التالي ـ كل من: أبي مخنف الأزدي(ت١٥٧هـ)[2] الأبياتَ: التاسع، والثامن، والسابع، والسادس، والرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، وابن أعثم الكوفي(ت٣١٤هـ)[3] الأبياتَ: الرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، والموفق الخوارزمي(ت٥٦٨هـ)[4] الأبياتَ: الخامس، والرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، وابن عساكر(ت٥٧١هـ)[5] الأبياتَ: الرابع،

---

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤٠٧ـ٤٠٨.

(٢) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٨٨.

(٣) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٧٢.

(٤) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٣.

(٥) ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٣٣، وص٢٣٤.

والثالث، والثاني، والأوّل، وابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)[١] الأبياتَ: السادس، والرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، ومحمد بن طلحة الشافعي(ت٦٥٢هـ)[٢] الأبياتَ: الرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، وابن طاوس(ت٦٦٤هـ)[٣] الأبياتَ: الرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، والإربلي(ت٦٩٣هـ)[٤] الأبياتَ: الرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، وابن كثير (ت٧٧٤هـ)[٥] الأبياتَ: الرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، وابن الصباغ (ت٨٥٥هـ)[٦] الأبياتَ: الرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، وابن الدمشقي (ت٨٧١هـ)[٧] الأبياتَ: الرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، وتردّد ابن نما الحلي(ت٦٤٥هـ)[٨] في الأبيات: الرابع، والثالث، والثاني، والأوّل بين أمير المؤمنين والإمام الحسين عليهما السلام، وبوجود هذا التردد نرجع إلى قرائن أُخرى، وهي واضحة في نسبتها إلى الإمام الحسين عليه السلام؛ للسبق الزمني وتواتر الشهادات، وقد اختلفت المصادر في رواياتها[٩].

---

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٤٦.

(٢) الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص٢٥٧.

(٣) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٤٥.

(٤) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٣٨.

(٥) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٨.

(٦) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٧٧٤.

(٧) الدمشقي، محمد بن أحمد، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ج٢، ص٣١٦.

(٨) ابن نما، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٣٢.

(٩) اختلاف الروايات:

البيت الأوّل: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، والفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: وإن...

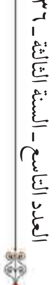
ترجمة الإمام الحسين، والبداية والنهاية: لئن كانت...

البيت الثاني: البداية والنهاية: وَإِن كانت الرزق... فَقِلَّةُ سعي...

ترجمة الإمام الحسين: وَإِن كانت... شيئاً... فَقِلَّةُ سعي...

اللهوف:...فَقِلَّةُ السعي...

مقتل الحسين عليه السلام:... تكُن الرزق...



[٢٤][1]

ـ الخفيف ـ

١. كُلَّما زيدَ صاحِبُ المالِ مـالاً زيدَ في هَمِّهِ وَفي الاشـتِغالِ

٢. قَد عَرَفناكِ يـا مُنَغِّصَـةَ العَيـ ـشِ وَيا دارَ كُلِّ فانٍ وَبالـي

٣. لَيسَ يَصفو لِزاهِدٍ طَلَبُ الزُهـ ـدِ إِذا كانَ مُثقَلاً بِالعِيـالِ

التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)[2]، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ)[3]، وابن الدمشقي (ت ٨٧١هـ)[4]، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد.

[٢٥][5]

ـ الرجز ـ

١. يا دَهـرُ أُفٍّ لَكَ مِـن خَليـلِ

٢. كَم لَكَ في الإِشراقِ وَالأَصيلِ

البيت الثالث: البداية والنهاية، والترجمة: وَإِن كانت...

البيت الرابع: اللهوف العجز بهذا النص: مقتل امرئ بالسيف في الله أفضل.

البداية والنهاية العجز بهذا النص:

وَإِن كانت... مقتل امرئ بالسيف في الله أفضل.

كشف الغمّة في معرفة الأئمة: فقتل امرئ والله بالسيف أفضل.

ترجمة الإمام الحسين:... كانت... فقتل في سبيل الله بالسيف أفضل.

البيت الخامس: مناقب آل أبي طالب:... عنكم سوف أرحل.

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤٠٤.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص١٨٦.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٨.

(٤) الدمشقي، محمد بن أحمد، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ج٢، ص٣١٥.

(٥) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤٠٥.

٣. مِـن طالب وَصــاحبٍ قَتيــلِ
٤. وَالدَهرُ لا يَـقــنَــعُ بِالبَديــلِ
٥. وإنّـما الأَمـرُ إِلــى الجَليــلِ
٦. وَكُلُّ حَــيٍّ ســالِكُ السَبيلِ

التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسينعليه السلام: أبو مخنف الأزدي(ت١٥٧هـ)[١]، واليعقوبي (ت٢٨٤هـ)[٢]، والطبري(ت٣١٠هـ)[٣]، وابن أعثم الكوفي(ت٣١٤هـ)[٤]، وأبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)[٥]، والصدوق(ت٣٨١هـ)[٦]، والمفيد (ت٤١٣هـ)[٧]، والنيسابوري (ت٥٠٨هـ)[٨]، والطبرسي(ت٥٤٨هـ)[٩]، والموفق الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)[١٠]، وابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ)[١١]، وابن

---

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسينعليه السلام: ص٤٩.
(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٤٤.
(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٢٠.
(٤) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٤٩.
(٥) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٧٥.
(٦) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢١.
(٧) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج١، ص٩٣.
(٨) الفتال النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ص١٨٤.
(٩) الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى: ج١، ص٤٥٦.
(١٠) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسينعليه السلام: ج١، ص٢٣٧.
(١١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص١٠٨.



الجوزي(ت٥٩٧هـ)[١]، وابن الأثير (ت٦٣٠هـ)[٢]، وابن طاوس(ت٦٦٤هـ)[٣]، وابن كثير(ت٧٧٤هـ)[٤]، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد، وقد اختلفت المصادر في روايتها[٥].

[٢٦][٦]

ـ البسيط ـ

---

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٥، ص٣٣٨.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٥٨.

(٣) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٤٠.

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٩٢.

(٥) اختلاف الروايات:

البيت الأوّل: المناقب: «لك» غير موجودة.

البيت الثاني: الإرشاد، وإعلام الورى، ومقتل الخوارزمي، والمناقب، واللهوف، البداية والنهاية: كَم لَكَ بالإِشراقِ.

تاريخ اليعقوبي: كم لك في...

البيت الثالث: تاريخ الأُمم والملوك، والإرشاد، إعلام الورى، والبداية والنهاية: مِن صاحبٍ أو طالب.

مقتل الخوارزمي، والمناقب: مِن صاحبٍ و طالب.

البيت السادس: الإرشاد، والأمالي: «سبيلي»، وإعلام الورى بأعلام الهدى، والمناقب: «سبيل».

وفي مقتل الخوارزمي زيادة بهذا النص:

وَكُلُّ حَـيٍّ سالِكُ السَبيـلِ
ما أقرب الوعد من الرحيل
وإنّـما الأَمـرُ إِلى الجَليـلِ
سـبحانه جـلّ عــن المثيـل

وفي المناقب زيد آخر الأبيات: «ما أقرب الوعد من الرحيل».

وفي اللهوف بهذا النص:

وَكُـلُّ حَـيٍّ فإلى سَبيـلِ
ما أقرب الوعد من الرحيل
إلى جنـانٍ وإلـى مـقيـل

(٦) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤١٢.

١. أَبي عَلِيٌّ وَجَدّي خاتَمُ الرُّسُلِ	وَالمُرتَضونَ لِدينِ اللهِ مِن قَبلي
٢. وَاللهُ يَعلَمُ وَالقُرآنُ يَنطُقُهُ	إِنَّ الَّذي بِيَدي مَن لَيسَ يملكُ لي
٣. ما يُرتَجى بِامرِئٍ لا قائِلٍ عَذلاً	وَلا يَزيغُ إِلى قَولٍ وَلا عَمَلِ
٤. وَلا يَرى خائِفاً في سِرِّهِ وَجلاً	وَلا يُحاذِرُ مِن هَفوٍ وَلا زَلَلِ
٥. يا وَيحَ نَفسي مِمَّن لَيسَ يَرحَمُها	أَما لَهُ في كِتابِ اللهِ مِن مَثَلِ
٦. أَما لَهُ في حَديثِ الناسِ مُعتَبَر	مِنَ العَمالِقَةِ العادِيَةِ الأُوَلِ
٧. يا أَيُّها الرَّجُلُ المَغبونُ شيمَتُهُ	أَنّى وَرِثتَ رَسولَ اللهِ عَن رُسُلِ
٨. أَأَنتَ أَوْلى بِهِ مِن آلِهِ فيما	ترى اِعتَلَلتَ وَما في الدينِ مِن عِلَلِ

التخريج والتوثيق

نسبها الإربلي (ت٦٩٣هـ)[١] إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

[٢٧][٢]

ـ الرجز ـ

١. يا نَكَباتِ الدَهرِ دولي دولي

٢. وأقصِري إن شِئتِ أَو أَطيلي

٣. رَمَيتِني رَميَةً لا مُقيلِ

٤. بِكُلِّ خَطبٍ فادِحٍ جَليلِ

٥. وَكُلِّ عِبءٍ أَيِّدٍ ثَقيلِ

٦. أَوَّلَ ما رُزِئتُ بِالرَسولِ

٧. وَبَعدُ بِالطاهِرَةِ البَتولِ

٨. وَالوالِدِ البرِّ بِنا الوَصولِ

---

(١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٧.

(٢) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤١٥.

٩. وَبِالشَّـقـيـقِ الحَسَـنِ الجَليـل

١٠. وَالبَيـتِ ذي التَـأويلِ وَالتَنـزيلِ

١١. وَزَورنا المَعروفَ مِن جِبريـلِ

١٢. فَما لَـهُ في الرزءِ مِـن عَديـلِ

١٣. ما لَكَ عَنّي اليَومَ مِن عَـدولِ

١٤. وَحَسـبِيَ الرَحمَنُ مِـن مُنيـلِ

التخريج والتوثيق

نسبها الإربلي(ت٦٩٣هـ)[١] إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

قافية الميم

[٢٨][٢]

ـ الوافر ـ

١.	سَـبَقتُ العَالَمِـينَ إلَى المَعَالِـي	بحُسـنِ خَليقَـةٍ وَعُلُـوِّ هِمَّـه
٢.	وَلاحَ بِحِكمَتِي نُورُ الهُدَى في	لَيالٍ فِي الضَلالَـةِ مُدلَهِمَّـه
٣.	يُريـدُ الجَاحِـدُونَ لِيُطفـؤهُ	وَيأبَـى الله إلّا أن يُـتِـمَّـه

التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي(ت١٥٧هـ)[٣]، وابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ)[٤]، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد.

---

(١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٧.

(٢) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤١٩.

(٣) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص١٩٤.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٧ـ٢٢٨.

قافية النون

[٢٩][1]

ـ الكامل ـ

١.	سَيطولُ بَعدِي يَا سَكينَةُ فَاعلَمِي	مِنكِ البكاءُ إذَا الحِمامُ دَهَاني
٢.	لا تُحرِقِي قَلبِي بدمعِكِ حسرَةً	مَا دَامَ منِّي الرُّوحُ فِي جثماني
٣.	وَإذَا قُتلتُ فَأنتِ أوْلَى بالذِي	تأتِينَهُ يَا خيرَةَ النّسوانِ
٤.	فابكِي وَقُولِي يَا قتِيلاً قَد قَضى	عَجلاً عَلَى شطِّ الفُرَاتِ وَعَاني
٥.	فابكِي وَقُولِي هدَّ رُكنِي بَعدَمَا	كَانَت تزَعزع مِنهُ بالأركَانِ
٦.	قَد كُنتُ آملُ أن أعيشَ بظلِّهِ	أبدَ مِن الأيّامِ مَا يرعَانِي
٧.	ادنِي إليَّ يَا سكينَةُ عَاجِلاً	حَتَى أودّعَكِ وداع الفَانِي
٨.	أوصيكِ بالولدِ الصَغيرِ وَبعدَه	بالآلِ وَالأيتَامِ وَالجيرَانِ
٩.	فإذَا قُتلتُ فَلا تَشقِي مِئزرَاً	أيضَاً وَلا تَدعِي ثبُور هَوَانِ
١٠.	لَكِنَّ صبراً يَا سكينَةُ فِي القضَا	هَا نَحنُ أهلُ الصبرِ وَالإحسَانِ
١١.	لِي أُسوة بأبِي وَجدِّي وَإخوَتِي	أخَذُوا حُقوقَهُم بَنُو الطُغيَانِ

التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو إسحاق الأسفرايني (ت٤١٨هـ)[2]، وابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)[3] إليه عليه السلام الأبيات: الثالث، والثاني، والأوّل، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد.

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤٢٠.

(٢) الأسفرايني، إبراهيم بن محمد، نور العين في مشهد الحسين: ص٤٣.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٧.

[٣٠][1]

ـ الرجز ـ

١. مــا يَحفَـظُ الله يُـصَـن مــا يَـضَـــعِ الله يُــهَـن

٢. مَــن يُســعِدِ الله يَـلِـن لَـهُ الــزمـانُ إِن خَـشُـن

٣. أَخــي اِعتَبِـر لا تَــغتَـرِر كَيفَ تَرى صَرفَ الزَمَن

٤. يُجزى بِـما أُوتــي مــن فِـعـــل قَبيحٍ أَو حَسَـن

٥. أَفلَـحَ عَبـدٌ كُشِـفَ الـ غِـطـاءُ عَـنــهُ فَفَـطـن

٦. وَقَــرَّ عَـيناً مَــن رَأى أَنَّ البَــلاءَ فـي اللَّـسـن

٧. فَـمــازَ مِـــن أَلفــاظِـهِ فـي كُـــلِّ وَقـتٍ وَوَزن

٨. وَخـــافَ مِـــن لِسانِــهِ عَزبــاً حَـديـداً فَـحَـزن

٩. وَمَـــن يَـكُ مُعـتَصِماً بِالله ذي العَــرشِ فَـلَـن

١٠. يَـضُـــرُّهُ شَـــيءٌ وَمن يَـعدي عَـلى الله وَمَـــن

١١. مَـن يَـأمَـنِ اللهَ يَخَـف وَخــائِــفُ الله أَمــــن

١٢. وَمــا لِمــا يُثــمِـرُهُ الـ خَـوفُ مِـنَ الله ثَـمَـن

١٣. يــا عــالِمَ السِـرِّ كَما يَـعلَـمُ حَقّاً ما عَـلَـن

١٤. صَـلِّ عَلى جَـدّي أَبي الـ قــاسِمِ ذي النّـــورِ المُبَـن

١٥. أَكــرَمُ مِــن حَــيٍّ وَمِن لُفِّفَ مَيتاً في الكَفَن

١٦. وَامنُن عَـلَينا بِـالرِضا فَـأَنـتَ أَهــلٌ لِـلمِـنَـن

١٧. وَأعــفِنا فـــي ديـنِنا مِــن كُـلِّ خُسـرٍ وَغُبُـن

١٨. ما خابَ مَن خابَ كَمَن يَــوماً إِلـى الدُنيا رَكَـن

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤٢٥.

١٩. طــوبــى لِـعَبـدٍ كُشِفَـت	عَــنـهُ غِــيابـاتِ الوَسَـن
٢٠. وَالمَــوعِـــدُ اللهُ وَمـــا	يَقـضـي بِـهِ اللهُ يَـكُــن

التخريج والتوثيق

نسبها الإربلي (ت٦٩٣هـ)[1] إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

[٣١][2]

ـ الرمل ـ

١. كَفَـرَ القَــومُ وَقِدماً رَغِبـوا	عَــن ثَوابِ اللهِ رَبِّ الثقَـلَيـن
٢. قَـتَلـوا قِدمــاً عَــلِيّاً وَابنَـهُ	حَسَـنَ الخَيرِ كَريمِ الطرفيـن
٣. حَنقاً مِنهُم وَقالـوا أَجمِعـوا	نَفتِـكُ الآنَ جَميـعـاً بِالحُسَيـن
٤. يـا لَـقَـومِ مِـن أُنــاسِ رُذَّلٍ	جَمَـعوا الجَمعَ لِأَهلِ الحَرَمَين
٥. ثُمَّ صاروا وَتَواصَـوا كُلُّهُـم	بِاِجتِياحـي لِرِضـاءِ المُلحديـن
٦. لَم يَخافوا اللهَ في سَفـكِ دَمـي	لِعُبَيـدِ اللهِ نَسـلِ الكافِريـن
٧. وَ اِبنُ سَـعدٍ قَد رَمانـي عُنـوَةً	بِجُـنودٍ كَوُكـوفُ الهاطِلَيـن
٨. لا لِـشَيءٍ كانَ مِنّـي قَبلَ ذا	غَيرَ فَخري بِضِياءِ الفَرقَدَيـن
٩. بِعَلِيِّ الخَيـرِ مِـن بَعدِ النَبِـيّ	وَالنَبِـيِّ القُرَشِـيِّ الوالِدَيـن
١٠. خيـرَةُ اللهِ مِــنَ الخَلـقِ أَبـي	ثُمَّ أُمّي فَأَنا اِبـنُ الخيرَتَيـن
١١. فِضَّـةٌ قَد خَلُصَـت مِن ذَهَـبٍ	فَأَنـا الفِضَّةُ وَابـنُ الذَّهَبَيـن
١٢. فاطِـمُ الزَهــراء أُمّــي وَأَبـي	قاصِـمُ الكُفـرِ بِبَـدرٍ وَحُنَيـن



---

(١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٦ـ٢٤٧.

(٢) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤٢٧، وفي ص٣٤٧ نسب البيتين: العاشر، والحادي عشر إلى الإمام الحسن عليه السلام.

١٣. طَعَنَ الأبطـالَ لَمَّـا بَـرَزُوا يـومَ بـدرٍ وَتبوكٍ وَحُنَيـن
١٤. وَلَهُ فـي يَـومِ أُحـدٍ وَقعَـةٌ شَـفَتِ الغُلَّ بِفَضّ العَسكَرَيـن
١٥. ثُمَّ بِالأَحزابِ وَالفَتـحِ مَعـاً كانَ فيها حَتـفُ أَهلِ الفيلقَيـن
١٦. وَأخُـو خَيبَـرَ إذ بَـارَزَهُـم بحُسَام صـارِمٍ ذِي شِـفرتَيـن
١٧. مَنفِي الصفَّينِ عَـن سَيفٍ لَـهُ وَكَـذَا أفعَالُـهُ فِـي القِبلـتَيـن
١٨. وَالـذي أردَى جيوشَاً أقبَلُـوا يَطلبُـونَ الوتـرَ فِي يـومِ حُنَيـن
١٩. فِي سَـبـيلِ الله مـاذا صَنَعَت أُمَّةُ السّـوءِ مَعـاً بِالعِترَتَيـن
٢٠. عِترَةُ البَـرِّ النَبِـيِّ الْمُصطَفَـى وَعَـليّ القَـرم يـوم الجَحفَلَيـن
٢١. مَن لَهُ عَـمّ كَعَمِّـي جَعفَـرٍ وَهَـبَ الله لَـهُ أجنحـتَيـن
٢٢. مَن لَهُ جَـدٌّ كَجَدّي فِي الوَرى أَو كَشَيخي فَأَنا اِبـنُ القَمَرَيـن
٢٣. وَالـدِي شَـمسٌ وَأُمِّي قَمَـرٌ فأَنَا الكوكـبُ وَابـنُ القَمَرَيـن
٢٤. جَـدّي الْمُرسَـلُ مصبَـاحُ الهُـدَى وَأَبِي الْمُوفـي لَـهُ بالبَيعتَيـن
٢٥. بَطلٌ قـرمٌ هِزَبْـرٌ ضَيغَـمٌ مَـاجدٌ سـمحٌ قَويّ السَاعدَيـن
٢٦. عـروةُ الديـنِ علـيُّ الْمُرتضَى هَـازمُ الجَيشِ مُصـلّي القبلَتَيـن
٢٧. مَـعَ رَسـولِ الله سَـبعَاً كَامـلاً مَا عَـلَى الأرضِ مُصـلٍّ غَير ذَين
٢٨. وَقَـلَى الأوثـانَ لَم يَسجد لَهَـا مَـعَ قريـشٍ لا وَلا طرفـةَ عَيـن
٢٩. عَـبَـدَ الله غُـلامَـاً يَـافعَـاً وَقريـشٌ يَعبـدُونَ الوثنَيـن
٣٠. يَعبـدُونَ الـلاتَ و العـزَّى مَعَاً وَعَـلـيٌّ قَـائـمٌ بالحسنَيَـن
٣١. وَأَبِي كَـانَ هَزبَـراً ضَيغَمَـاً يَأخـذُ الرُّمـحَ فَيطعـنُ طعنَتَيـن
٣٢. كَتمـشي الأسـدِ بغيـاً فَسُـقُـوا كأس حَتفٍ مِن نجيعِ الحنظَلَيـن

التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي (ت١٥٧هـ)[١]، وأضاف الأبيات الآتية:

١.	ذَهَبٌ مِن ذَهَبٍ فِي ذَهَب	وَلُجَينٌ فِي لُجَينٍ فِي لُجَينِ
٢.	خَصَّهُ الله بفَضلٍ وَتُقَى	فَأنَا الزَّاهرُ وَابنُ الأزهَرَينِ
٣.	أيَّدَ الله بطُهر طَاهرٍ	صَاحبَ الأمرِ ببدرٍ وَحُنَينِ
٤.	ذاكَ وَالله عَليٌّ المُرتَضَى	سَادَ بالفَضلِ جَميعَ الحَرَمَينِ
٥.	تركَ الأصنَامَ مُستَدحضَة	وَرَقَى بالحَمدِ فوقَ المنبَرَينِ
٦.	فَلَهُ الحَمدُ عَلَينَا وَاجبٌ	مَا جَرَى بالفلكِ إحدَى النَّيرَينِ
٧.	وَأبَادَ الشِّركَ فِي حَملَتِهِ	برجَال أُترفُوا فِي العَسكَرَينِ
٨.	وَأنَا ابنُ العَينِ وَالأُذنِ الّتِي	أذعَنَ الخَلقُ لَهَا فِي الخَافقَينِ
٩.	نَحنُ أصحَابُ العَبَا خَمسَتُنَا	قَد مَلَكنَا شَرقَهَا وَالمَغربَينِ
١٠.	ثُمَّ جِبريل لَنَا سَادِسنَا	وَلَنَا البَيتُ كَذَا وَالمشعَرَينِ
١١.	وَكَذَا المَجدُ بنَا مُفتَخِرٌ	شَامخَاً يَعلُو بِهِ فِي الحسبَينِ
١٢.	فَجَزَاه الله عَنَّا صَالحَا	خَالِقُ الخَلقِ وَمَولَى المشعَرَينِ
١٣.	يُفرَقُ الصَّفَّانِ مِن هَيبَتِهِ	وَكَذَا أفعَالُهُ فِي الخَافقَينِ
١٤.	وَالّذِي صَدَّقَ بالخَاتَم مِنه	حِينَ سَاوَى ظَهرَهُ فِي الركعَتَينِ
١٥.	شِيعَةُ المختَارِ طِيبُوا أنفُسَاً	فَغَدَاً تُسقَونَ مِن حَوضِ اللُّجَينِ
١٦.	فَعَلَيهِ الله صَلَّى رَبُّنَا	وَحَبَاهُ تُحفَة بالحَسَنَينِ

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٩.

ونسب ابن أعثم الكوفي(ت٣١٤هـ)[١] إليه عليه السلام الأبيات: العشرين، والتاسع عشر، والخامس عشر، والرابع عشر، والثاني عشر، والحادي عشر، والعاشر، والتاسع، والثامن، والسابع، والسادس، والخامس، والرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، والثاني والعشرين، والطبرسي (ت٥٤٨هـ)[٢]، والموفق الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)[٣] الأبيات: العاشر، والثاني، والأوّل، وابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ)[٤]، ومحمد بن طلحة الشافعي(ت٦٥٢هـ)[٥] الأبيات: الثاني والعشرين، والعشرين، والتاسع عشر، والخامس عشر، والرابع عشر، والثاني عشر، والحادي عشر، والعاشر، والتاسع، والثامن، والسابع، والسادس، والخامس، والرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، والإربلي(ت٦٩٣هـ)[٦] الأبيات: الثاني والعشرين، والعشرين، والتاسع عشر، والخامس عشر، والرابع عشر، والثاني عشر، والحادي عشر، والعاشر، والتاسع، والثامن، والسابع، والسادس، والخامس، والرابع، والثالث، والثاني، والأوّل، وابن الصباغ(ت٨٥٥هـ)[٧]، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد، وقد اختلفت المصادر في روايتها[٨].

---

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١١٥.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٥.

(٣) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٣.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٣٣.

(٥) الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص٣٨٩.

(٦) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٣٧.

(٧) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٧٧٢.

(٨) اختلاف الروايات:

البيت الأوّل: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: غدر القوم...

ومقتل أبي مخنف: كفروا القوم...

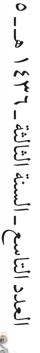
البيت الثاني: مقتل الخوارزمي: حَسَن الخَيرِ وجاؤا بالحسين عليه السلام

وفي المناقب: الحسن الخَيرِ الكريم...

والفصول:... كَريمِ الأبوين.

والفتوح: قاتلوا... كَريمِ الأبوين.
البيت الثالث: الفصول:... حسداً مِنهُم وَقالوا أقبلوا نقتل... للحسين.
كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: حسداً... نقبل...
البيت الرابع: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: يـا لقَومِ لأُناس...
البيت الخامس: المناقب: ثُمَّ ساروا... باحتياجي.
كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ثُمَّ ساروا... لاجتياحي للرّضا بالمُلحدين.
البيت السادس: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة:... نَسـلُ الفاجرين.
البيت السابع: الفتوح:... بِجُنودٍ كَوُكود...
البيت الثامن: مقتل الإمام الحسين عليه السلام:... مِنّي سابقاً...
البيت التاسع: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: بِعَلِيّ خير...
ومقتل أبي مخنف: بِعَلِيٍّ الطهر... وَالنَبِيِّ الهاشمي...
البيت العاشر: الفتوح، ومقتل الخوارزمي، ومقتل أبي مخنف:... بعد جدي فَأَنا اِبنُ الخِيرَتَين.
نور العين في مشهد الحسين عليه السلام:... بعد جدي وَأَنا اِبنُ الخِيرَتَين.
البيت الحادي عشر: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: فِضَّةٌ قَد صفيت... وَأَنا...
والفصول، ومقتل أبي مخنف: فِضَّةٌ قَد صفيت...
ونور العين في مشهد الحسين عليه السلام: فِضَّةٌ قَد صيغت... وَأَنا...
البيت الثاني عشر: المناقب عجز البيت:... وارث الرسل ومولى الثقلين.
ونور العين في مشهد الحسين عليه السلام:... فارس الخيل ورامي النبلتين.
ومقتل أبي مخنف: أُمّي الزَّهراء حقاً وَأَبي وارث العلم ومولى الثقلين.
البيت الثالث عشر: المناقب: طحن... يوم بدر وبأُحد...
نور العين في مشهد الحسين عليه السلام:
هازم الأبطال في هيجائه * يوم بدر ثمّ أُحد...
البيت الخامس عشر: الفتوح:... أَهلِ الثقلين.
وكشف الغمّة في معرفة الأئمّة:... أَهلِ القبلتين.
والفصول:... أَهلِ الوثنين.
البيت السادس عشر: مقتل أبي مخنف:
أظهر الإسلام رغماً للعدى... بحسام قاطع...
البيت الثامن عشر: مقتل أبي مخنف:... يطلبون الثأر في يوم حُنين.
البيت التاسع عشر: الفتوح:... أُمّة السوء معاً بالفرقدين.





قافية الهاء

[٣٢][١]

ـ المنسرح ـ

١. يَـا رَبِّي يَـا رَبِّي أنـتَ مَـولاهُ فَارحَـم عُبيـدَاً إليـكَ ملجَـاه

٢. يَـا ذَا المَعَـالِي عَلَيـكَ مُعتَمَـدِي طُوبَـى لِمَـن كُنـتَ أنـتَ مَـولاه

٣. طُوبَـى لِمَـن كَانَ خَائِفَـاً أرِقَـاً يشـكُو إلى ذِي الجَـلالِ بَلـوَاه

٤. وَمَــا بِــهِ عِلّـة وَلا سـقم أكـثَر مِـن حُبِّـهِ لِمَـولاه

٥. إذَا اشـتـكى بثّـهُ وَغصَّتَـهُ أجَـابَـهُ الله ثُـمَّ لَـبَّـاه

٦. إذَا خَـلا فِي الظـلامِ مُـبتَهِـلاً أكـرَمَـهُ الله ثُـمَّ أدنَـاه

كشف الغمّة في معرفة الأئمّة:... في العترتين...

البيت العشرون: الفتوح:... وَعَليّ الورد...

كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، ومطالب السؤول:... وَعَليّ الورد بين الجَحفلَين.

المناقب: عِترَةُ البَرِّ التقي... والفصول:... وَعَليّ الورد.

البيت الثاني والعشرون: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، والمطالب، والفتوح:... كَشَيخي وَأنا، والمناقب:... وكَشَيخي فَأنا ابنُ العلمين.

البيت الرابع والعشرون: مقتل أبي مخنف:... مصباح الدجى.

البيت السادس والعشرون: مقتل أبي مخنف:... معزّ المؤمنين. والمناقب:... عليّ ذاكم صاحب الحوض...

نور العين في مشهد الحسين عليه السلام:

عروة الدين عليّ ذو العُلى * ساقي الحوض إمام الخافقين.

البيت الثامن والعشرون: مقتل أبي مخنف:

تارك اللات ولم... لا ولا طرفة عين

المناقب: ترك... مع قريش مُذ نشأ طرفة عين

نور العين في مشهد الحسين عليه السلام: ترك الأصنام... مع قريش مُذ نشأ طرفة عين

البيت التاسع والعشرون: نور العين في مشهد الحسين عليه السلام:... غلاماً ناشئاً... يعبدون الصنمين.

البيت الثلاثون: مقتل أبي مخنف:... في القبلتين.

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤٣٤.

التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: ابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ)[١] عدا السادس، وابن حاتم العاملي(ت٦٦٤هـ)[٢] عدا الأوّل، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد، وقد اختلفت المصادر في رواياتها[٣].

قافية الياء

[٣٣][٤]

ـ الرجز ـ

١. أنَـــا الحسَـيـــنُ بـــنُ عَلـــيّ
٢. أحـــمِـي عِـيَـــالاتِ أبِـــيّ
٣. آلَـيـــتُ أن لا أنـثَـنِـي
٤. أمضِـــي عَلَـــى ديـــنِ النَّبِيّ

التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي(ت١٥٧هـ)[٥]، وابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)[٦]، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد.

---

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٤ـ٢٢٥.

(٢) العاملي، يوسف بن حاتم، الدرّ النظيم: ص١٧.

(٣) اختلاف الروايات:

البيت الثالث: الدرّ النظيم: كان خائفاً وجلاً...

البيت الخامس: المصدر السابق: إذا شكى بثه وحاجته...

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٦٠.

(٥) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٩٧.

(٦) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٨.


دراسات دينية
الاختلاف والتعارض
في أحكام الجرح والتعديل عند أهل السنة
غموض في المشكلة ومتاهات في الحلول

الاختلاف والتعارض في أحكام الجرح والتعديل عند أهل السُّنَّة

غموض في المشكلة ومتاهات في الحلول

د. السيد حاتم البخاتي[1]

مقدّمة

لقد أفرز واقع النظريّة السنّية في التعاطي مع الحديث النبويّ الشريف عدّة معطيات، أهمّها: الحكم بانقطاع النصّ الدينيّ بوقت مبكّر جدّاً، وعدم تدوين الحديث النبويّ طيلة القرن الأوّل الهجري، وتعدّد قنوات نقل الحديث التي امتدّت لتشمل كلّ مَن صحب النبيﷺ، طالت صحبتُه له أم قصرت، مع الحكم بسلامة وصحّة ما نقلوه من أحاديث. وتدخُّل الحكومات بشكل فعّال في رواية الحديث وتدوينه؛ ما ألقى أعباءً ثقيلة على كاهل العلماء والمحدِّثين وهم يتصدّون إلى وضع آليات وضوابط يرونها صحيحة، يتمّ بموجبها تنقية الأحاديث من العناصر الغريبة، وبيان العلل الظاهرة والخفيّة فيها؛ ليتبلور شيئاً فشيئاً ـ ومع مرور الوقت ـ علمٌ يُعرف بعلم الدراية، ويُسمى: مصطلح الحديث، أو علوم الحديث، أو أُصول الحديث، ويُطلق عليه أحياناً علم الحديث.

---

(١) عضو هيئة التحرير في مجلة الإصلاح الحسيني.

وأمّا تعريفه فهو: «**علمٌ يُعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها، وحال الرواة وشروطهم وأصناف المرويات وما يتعلّق بها**»[١]. ويُقال أيضاً: «**علم الحديث: علمٌ بقوانين يُعرف بها أحوال السند والمتن**»[٢].

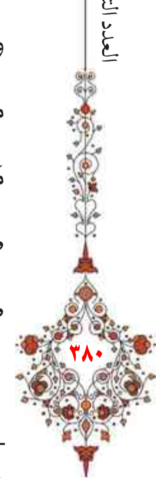
فيتبيَّن لنا من خلال ذلك أهمّية وخطورة وحساسية هذا العلم، وأثره في رسم معالم الشريعة الإسلاميّة التي يلعب الحديث النبويّ دوراً أساسياً في بيانها، سواء على مستوى العقائد أم الأحكام أم الأخلاق والآداب، فعِبْر إعمال هذه المجموعة من القواعد والضوابط على الحديث النبويّ تمتاز الأحاديث الصالحة للحجيّة من غيرها؛ وبالتالي تؤثِّر تأثيراً بالغاً على تشكيل القناعات الدينيّة، وتكوين النظريّات الإسلاميّة.

فعلم الدراية بالنسبة إلى الحديث بمثابة أُصول الفقه بالنسبة إلى الفقه.

ومن بين أهمّ علوم الحديث هو ما يُعرف بعلم الجرح والتعديل الذي يقول عنه ابن الأثير: «**الجرح: وصفٌ متى التحق بالراوي أو الشاهد سقط الاعتبار بقوله، والتعديل: وصفٌ متى التحق بهما اعتُبر قولهما وأُخذ به**»[٣].

إذاً؛ علم الجرح والتعديل هو علم يتناول القواعد والنظريات المؤمّنة للطرق والأسانيد الموصلة للأحاديث المعتبرة، عِبْر معرفة الناقلين لها، وتمييز الثقات من غيرهم من قِبَل علماء مختصّين في هذا المجال، يُطلق عليهم علماء الجرح والتعديل، فهم وحدهم مَن يملكون حقّ نقد الرواة وحَمَلَة الحديث، فيعدّون هذا ثقة صادقاً مأموناً، وذاك ضعيفاً أو ليّناً أو كذّاباً أو فيه شيء آخر يمنع من الاعتماد عليه؛ وذلك من خلال اتّباع طُرُق في أغلبها تعتمد على الاجتهاد وإعمال النظر.

ويُعدّ علم الجرح والتعديل العمود الفقري والحجر الأساس لعلم دراية الحديث،



---

(١) السيوطي، عبد الرحمن، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: ص١٣.

(٢) المصدر السابق: ص١٤.

(٣) ابن الأثير، المبارك بن محمّد، جامع الأُصول في أحاديث الرسول: ج١، ص١٢٦.

فهو الميزان الذي يوزن فيه الحديث ورواته فيتوصّل بالنهاية إلى معرفة المردود والمقبول من الحديث، فتتأسّس على ذلك الشرائع والأحكام، بل حتى العقائد، فتبرز بذلك أهمّية علم الجرح والتعديل ومكانته وخطورته في الوقت ذاته، فهو سلاح ذو حدّين؛ فمن الممكن أن يكون له تأثير سلبي جدّاً على مصير الأُمّة الإسلاميّة ووحدتها إذا أُسيء استخدامه، ووُجِّه وجهة غير سليمة. وهذا ما حصل بالفعل، فقد حكم على قطاعات واسعة من الأُمّة الإسلاميّة بالضلال والانحراف، بل وإخراجها من الدين، والحكم عليها بالكفر؛ وذلك بقبول أحاديث أو ردّ أُخرى عن طريق تضعيف رجال وتعديل آخرين، فمُرّرت أفكار وعقائد، ورُفضت أُخرى وحُكم على معتنقيها بأشدّ الأحكام قسوةً وأكثرها إيلاماً. وإنّ كثيراً من الناس والعامّة يجهلون أنّ سبب تلك الأحكام هي مجموعة من القواعد والقوانين الاجتهادية يُطلَق عليها: علم الجرح والتعديل، والتي تخضع في كثير من الأحيان لعدد من العوامل والمؤثرات النفسيّة والفكريّة.

وما نشاهده اليوم من الواقع المتردّي للأُمّة الإسلاميّة وما وصلت إليه الانقسامات الحادّة يرجع قسم كبير منه إلى الاستغلال السيئ لتلك الأدوات والقوانين التي دُوِّنت في علم الحديث من قَبل، ولا زالت حاكمة إلى يومنا هذا، وقد حاول العديد من الكتّاب والباحثين في علم الحديث من أهل السنّة أن يعكسوا صورة ناصعة عن واقع هذه الأبحاث والعلوم، وإظهارها على أنّها السمة التي تميَّزت بها الأُمّة الإسلاميّة من بين الأُمم، وأنّها هي التي حفظت لنا الآثار النبويّة، وميَّزت الدخيل من غيره، ونحن في الوقت الذي لا نبخس الناس أشياءهم، ونُقرّ بأنّ هناك جهوداً بُذلت في تقعيد وتأصيل بعض علوم الحديث، ولكن هذا لا يعني التغاضي أبداً عمّا شاب هذه الأبحاث والعلوم ـ وخصوصاً علم الجرح والتعديل ـ من تحيُّز وميل عن الحقّ والصواب، بحيث صيغ الكثير منها لإقصاء مَن يخالف توجهات واضعي هذه القواعد والنظريات، والذين اعتُمدت أقوالهم وأحكامهم كموازين تُقاس عليها أعمال المسلمين.

غياب الأُسس العلميّة في الجرح والتعديل

إنّ علم الجرح والتعديل في واقعه من أصعب العلوم وأدقّها؛ فيفترض بمَن يقتحم هذا الميدان أن يكون متسلِّحاً بسعة الاطّلاع على الأخبار المرويّة ورواتها، وأن يسبر أحوال الرواة وطُرُقهم وغيرها من المعلومات المتعلِّقة بهذا العلم، مع توفّره على فطنة وذكاء حادٍّ وحافظة جيّدة، وقبل كلّ هذا لا بدّ أن يتحلّى بالتقوى والورع والتثبّت والاحتياط التامّ قبل الحكم، والبُعد عن الهوى والتعصّب. وقد حاول المختصّون تقنين هذه الشروط، فقال الذهبي في الموقظة: «**والكلام في الرواة يحتاج إلى ورع تامّ، وبراءة من الهوى والميل، وخبرة كاملة بالحديث وعلله ورجاله**»[1].

وقال في التذكرة: «**ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكّي نقلة الأخبار ويجرِّحهم جهبذاً إلّا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن، وكثرة المذاكرة، والسهر والتيقّظ والفهم، مع التقوى والدين المتين والإنصاف، والتردد إلى مجالس العلماء، والتحرّي والإتقان، وإلّا تفعل:**

فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو سوَّدت وجهك بالمداد

وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب»[2].

وقال اللكنوي الهندي: «**يُشترط في الجارح والمعدِّل: العلم والتقوى والورع والصدق والتجنّب عن التعصّب، ومعرفة أسباب الجرح والتزكيّة، ومَن ليس كذلك لا يُقبل منه الجرح ولا التزكيّة**»[3].

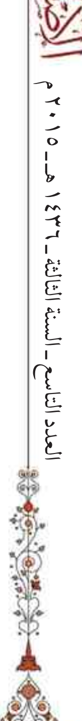
ولكن هذه الشروط والصفات ظلّت في كثير من الأحيان نظريّة في بطون الكُتب، ولم تُترجَم كحقيقة على أرض الواقع؛ لأنّها لم تمنع أبداً من وقوع الاختلافات الشديدة

---

(١) الذهبي، محمّد بن أحمد، الموقظة في مصطلح الحديث: ص٨٢.

(٢) الذهبي، محمّد بن أحمد: تذكرة الحفاظ: ج١، ص٤.

(٣) اللكنوي الهندي، محمّد عبد الحي، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: ص٦٧.



وصدور الكلمات الشنيعة والهفوات الكبيرة من كبار أئمّة الجرح وجهابذته، الناشئة عن الابتعاد عن التحلّي بهذه الصفات، وتمكّن التعصّب والهوى والاختلاف في الرأي والمذهب من أن يؤثر في أحكام هؤلاء الأئمّة، فشاع الجرح بينهم لأتفه الأسباب وأبسطها، والتي تفتقر في كثير من الأحيان إلى الأُسس العلميّة التي من المفترض أن يقوم عليها علم الجرح والتعديل؛ ممّا حدا بالخطيب البغدادي أن يعقد لذلك باباً[1]، روى فيه عن محمّد بن جعفر المدائني، قال: «**قيل لشعبة: لِمَ تركت حديث فلان؟ قال: رأيته يركض على برذون**[2] **فتركت حديثه!...** [وعن] **محمّد بن حميد الرازي، قال: حدَّثنا جرير، قال: رأيت سماك بن حرب يبول قائماً فلم أكتب عنه...** [و] **عن شعبة، قال: قلت للحكم بن عتيبة: لِمَ لم تروِ عن زاذان؟ قال: كان كثير الكلام...** [وعن] **الحسن بن عليّ، عن شبابة، قال: قلت ـ أو قيل لشعبة ـ: ما شأن حسام بن مصك؟ قال: رأيته يبول مستقبل القبلة. قال أبو داود: سمعت يحيى بن معين، يقول: ترك شعبة أبا غالب أنّه رآه يحدث في الشمس، وضعه شعبة على أنّه تغيَّر عقله...** [وعن] **محمّد بن عليّ الوراق يقول: سألت مسلم بن إبراهيم عن حديث لصالح المزي، فقال: ما تصنع بصالح؟ ذكروه يوماً عند حماد بن سلمة فامتخط حماد... وسئل يحيى ـ يعنى بن معين ـ عن حجاج بن الشاعر، فبزق لما سُئل عنه**»[3].

وكذلك عدّلوا أُناساً بما لا يستحقّوا التعديل، فقد نقل السيوطي عن يعقوب الفسوي في تاريخه، أنّه قال: «**سمعتُ إنساناً يقول لأحمد بن يونس: عبد الله العمري ضعيف؟ قال: إنّما يضعِّفه رافضيٌّ مبغضٌ لآبائه، لو رأيت لحيته وهيئته لعرفت أنّه ثقة!**

(١) باب ذكر بعض أخبار مَن استفسر في الجرح فذكر ما لا يسقط العدالة.

(٢) البرذون: الدابة... والبراذين من الخَيْلِ ما كان من غير نِتاج العِرابِ. اُنظر: ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج١٣، ص٥١.

(٣) الخطيب البغدادي، أحمد بن عليّ، الكفاية في علم الرواية: ص١٣٨ ـ ١٤٠.

فاستدلّ على ثقته بما ليس بحجّة؛ لأنّ حسن الهيئة يشترك فيه العدل وغيره»[1]، وغيرها من الشواهد الكثيرة التي تؤكِّد أنّ علم الجرح والتعديل ابتُلي بالعديد من الآفات والأمراض التي تجعل المراقب والمتتبّع لها يقف ملياً قبل الأخذ بكلّ قول أو جرح أو تعديل. ومن أهمّ آفات هذا العلم هو اتساع الأقوال وكثرتها وتعارضها.

كثرة الاختلافات في أحكام الجرح والتعديل

لقد انتجت عمليّة نقل الحديث عند أهل السنّة أعداداً هائلة من الرواة ونقلة الحديث، والتي امتدّت لتغطّي جميع أفراد المسلمين تقريباً، خصوصاً في عصر التابعين والأعصار التي تلت، والتي كانت الحافلة بالفتن والاختلافات والنزاعات الكثيرة؛ فبرزت اتّجاهات فكريّة وعقائديّة عديدة، ونشأت الفِرَق والمذاهب والنِّحَل، وكانت جذور العديد منها تمتدّ إلى ما حصل بين الصحابة أنفسهم من خلاف ونزاع وحروب، فصار المسلمون مشارب ومذاهب، ولم تكن هناك جماعة كبيرة ساحقة على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، والباقي شذاذ مبتدعة، كما حاول أهل السنّة تسويق هذا المعنى، بل إنّ كثرة الخلافات وتنوّعها قطّعت أوصال الأُمّة وجزّأتها إلى فِرَق ومذاهب لا تُحصى.

وعلماء الجرح والتعديل لم يكونوا بمنأى عمّا حلّ بالأُمّة من تناحر ونزاع، بل كانوا يعيشون في خضم تلك الدوّامات من الاختلافات والتقاطعات، فلا بدّ أن يتأثّروا وتتأثّر أحكامهم بكلِّ هذا.

مضافاً إلى أنّ كثيراً من أحكام الجرح والتعديل بُنيت على الاجتهاد في الرأي؛ ما أدّى بطبيعة الحال إلى اختلاف الأنظار والرؤى بين المجتهدين، فعلماء الجرح والتعديل يتفاوتون في قدراتهم العلميّة، ومدى اهتمامهم وانشغالهم في توثيق الرواة وتضعيفهم، وانتمائهم إلى أجيال وعصور مختلفة زماناً ومكاناً، وتمثيلهم لمدارس علميّة وفكريّة

---

(١) السيوطي، عبد الرحمن، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: ص٢٠٣.

متباينة، كالمدينة ومكّة والكوفة والبصـرة ودمشق، والتي كانت تمثِّل الواحدة منها منهجاً مغايراً للأُخرى قد يصل إلى حدِّ إشهار العداء وتبادل التّهم، قال الزهري: «**يا أهل العراق، يخرج الحديث من عندنا شبراً، ويصير عندكم ذراعاً**»[1].

وقال مالك: «**إذا خرج الحديث عن الحجاز انقطع نخاعه. وقال الشافعي: إذا لم يوجد للحديث من الحجاز أصل ذهب نخاعه. حكاه الأنصاري في كتاب ذمّ الكلام. وعنه أيضاً: كلّ حديث جاء من العراق وليس له أصل في الحجاز فلا تقبله وإن كان صحيحاً، ما أُريد إلّا نصيحتك. وقال مسعر: قلت لحبيب بن أبي ثابت: أيّها أعلم بالسنّة أهل الحجاز أم أهل العراق؟ فقال: بل أهل الحجاز... قال ابن المبارك: حديث أهل المدينة أصحّ، وإسنادهم أقرب. وقال الخطيب: أصحّ طُرُق السُّنن ما يرويه أهل الحرمين مكّة والمدينة؛ فإنّ التدليس عنهم قليل، والكذب ووضع الحديث عندهم عزيز**»[2].

إنّ هذا التفاوت قد انعكس بشكل كبير على آراء وأحكام الجارحين والمعدِّلين بحقِّ مَن يختلفون معه في البيئة والفكر والمنهج، وقد اعترف كثير من العلماء بحقيقة هذا الخلاف القائم، قال الترمذي: «**وقد اختلف الأئمّة من أهل العلم في تضعيف الرجال**»[3]. ولعل الذهبي يعطينا صورة قاتمة عن حقيقة هذا الاختلاف الفاحش بينهم، حيث ينقل الحافظ السخاوي ذلك، فيقول: «**قال الذهبي ـ وهو من أهل الاستقراء التامّ في نقد الرجال ـ: لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قطّ على توثيق ضعيف، ولا على تضعيف ثقة**»[4].

وإطلالة سريعة على كُتُب الجرح والتعديل عند أهل السنّة تبيِّن حجم ذلك الخلاف الكبير الذي لا يسع الباحث في كثير من الأحيان أن يخرج بنتيجة واضحة من بين تلك

(١) الذهبي، محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٥، ص٣٤٤.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: ص٤٧.

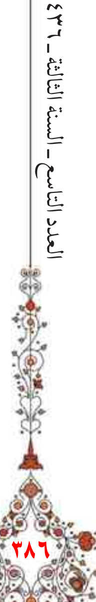
(٣) الترمذي، محمّد بن عيسى، العلل الصغير: ج١، ص٧٥٦.

(٤) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث: ج٣، ص٣٥٩.

الأقوال المتضاربة، بل يتفاقم الأمر ليصل إلى ورود قولين متضاربين لأحد علماء الجرح والتعديل في راوٍ واحد، فيجرحه مرّة ويعدِّله أُخرى، وشواهد هذا الأمر كثيرة جدّاً، منها على سبيل المثال ما يذكره ابن حجر عند حديثه عن يحيى بن أيوب بن جرير البجلي الكوفي، قال: «**اختلف فيه قولُ يحيى بن معين**»[1]. وفي ترجمة إسماعيل بن زكريا الخلقاني، قال الذهبي: «**اختلف قول يحيى بن معين، فمرّة يقول: ثقة. ومرّة ضعَّفه، ومرّة يقول: ليس به بأس**»[2]. وأمّا أبو جعفر الرازي عيسى بن عبد الله بن ماهان «**فقد اختلف فيه قول عليّ بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، فقال ابن المديني مرّة: ثقة. ومرّة: كان يخلط، وقال الإمام أحمد مرّة: ليس بالقوي. ومرّة: صالح الحديث، وقال يحيى بن معين مرّة: ثقة. ومرّة: يكتب حديثه إلّا أنّه يُخطئ**»[3]. وغير ذلك من الأمثلة.

لم يسلم من طعنٍ أو قدح

أدّت كثرة الاختلافات وفوضى الأحكام في الجرح والتعديل عند أهل السنّة وكثرة أعداد الجارحين والمعدِّلين، وغياب الأُسس والضوابط، وتنوّع الاختلافات والمشارب ـ كما أشرنا ـ إلى عدم وجود راوٍ لم يوجد فيه طعن أو خدش من هنا أو هناك إلّا ما ندر، بل لم يسلم من سهام القدح والتنقيص علماء الجرح والتعديل أنفسهم، فها هو البخاري إمام الجرح والتعديل عند أهل السنّة، قد تكلّم فيه مسلم النيسابوري صاحب الصحيح، فقال: «**وقد تكلّم بعض منتحلي الحديث من أهل عصرنا في تصحيح الأسانيد وتسقيمها بقول لو ضربنا عن حكايته وذكر فساده صفحاً لكان رأياً متيناً ومذهباً صحيحاً؛ إذ الإعراض عن القول المطرح أحرى لإماتته، وإخمال ذكر قائله، وأجدر أن لا يكون ذلك**



(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، هدي الساري (مقدمة فتح الباري): ص٤٥٩.

(٢) الذهبي، محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٨، ص٤٧٦.

(٣) العظيم آبادي، محمّد شمس الحق، عون المعبود (شرح سُنن أبي داود): ج١١، ص١٥٧.

تنبيهاً للجهال عليه»[1]. والمقصود في ذلك البخاري؛ فلذا قال الذهبي: «**ثمَّ إنّ مسلماً لحدّة في خلقه انحرف أيضاً عن البخاري، ولم يذكر له حديثاً، ولا سمّاه في صحيحه، بل افتتح الكتاب بالحط على مَن اشترط اللقى لَمن روى عنه بصيغة (عن) وادّعى الإجماع في أنّ المعاصرة كافية، ولا يتوقّف في ذلك على العلم بالتقائهما، ووبّخ مَن اشترط ذلك**»[2]. ومَن اشترط ذلك هو البخاري نفسه، كما هو معلوم.

وترك أبو حاتم وأبو زرعة حديث البخاري وهما من أئمّة الجرح والتعديل، ويكفي في سقوط حديث الراوي عن الاعتبار ترك أبي حاتم وأبي زرعة له، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم في الجرح والتعديل: «**سمع منه [البخاري] أبي وأبو زرعة، ثمَّ تركا حديثه**»[3].

وممَّن تكلَّم فيه يحيى بن معين، وهو من أساطين الجرح والتعديل وجهابذة نقد الرجال، فقد طعن فيه أحمد بن حنبل، وكان لا يرى الكتابة عنه؛ لأنّه أجاب في مسألة خلق القرآن على خلاف رأيه تقيةً، فقال: «**قال سعيد بن عمرو البرذعي: سمعت الحافظ أبا زرعة الرازي، يقول: كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار، ولا عن يحيى بن معين، ولا عن أحد ممَّن امتُحن فأجاب.** [قال الذهبي:] **قلت: هذا أمر ضيق ولا حرج على مَن أجاب في المحنة، بل ولا على مَن أُكره على صريح الكفر عملاً بالآية، وهذا هو الحقّ. وكان يحيى رحمه الله من أئمّة السنّة، فخاف من سطوة الدولة، وأجاب تقيةً**»[4].

وقال أبو زرعة الرازي عنه: «**لم يُنتفع بيحيى؛ لأنّه كان يتكلّم في الناس**»[5].

ومن الذين لم يسلموا من غائلة الجرح وآفة القدح ـ المستشرية بين الحفّاظ وعلماء الحديث ـ الخطيب البغدادي الذي يُعدّ نجماً لامعاً في سماء الحديث وعلومه، فآراؤه

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج١، ص٢٢.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج١٢، ص٥٧٣.

(٣) الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج٧، ص١٩١.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج١١، ص٨٧.

(٥) المصدر السابق: ج١١، ص٩٠.

وأحكامه لها وزنها العلمي عند أهل الفنّ والمعرفة في علم الحديث، ومصنَّفاته من أُمّهات المصادر في هذا العلم[1]، فقد تحامل عليه ابن الجوزي كثيراً ووصمه بأشنع الصفات وبأقسى العبارات، فقال في المنتظم: «**وقد كان في الخطيب شيئان: أحدهما: الجري على عادة عوام المحدِّثين من قَبله من قلّة الفقه، والثاني: التعصّب في المذهب**»[2]. وقال في موضع آخر: «**فأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمّد بن طاهر المقدسي عن أبيه، قال: سمعت إسماعيل بن أبي الفضل القومسي وكان من أهل المعرفة بالحديث يقول: ثلاثة من الحفّاظ لا أحبّهم لشدّة تعصّبهم، وقلّة إنصافهم: الحاكم أبو عبد الله، وأبو نعيم الأصبهاني، وأبو بكر الخطيب. قال المصنف: لقد صدق إسماعيل**»[3].

وغير ذلك من التّهم التي ألصقها بالخطيب البغدادي والتي لو قيل أقلّ منها في راوٍ لكان ذلك مدعاة لتركه وعدم الرواية عنه.

وغير ذلك من الشواهد الدالّة على تبادل القدح بين علماء الجرح أنفسهم.

ولم يكن أئمّة المذاهب الفقهيّة الأربعة الذين استقرّ عليهم أهل السنّة ـ بعد انحسار مدارسهم الفقهيّة الأُخرى ـ بمنأى عن سهام القدح والتجريح، فقد نال منهم علماء الجرح واتّهموهم بشتّى التّهم والنعوت التي تحطّ من قدرهم ومكانتهم وتُسقط عدالتهم؛ الأمر الذي يُنبئ عن أنّ سهام علماء الجرح والتعديل قد طاشت في كلّ اتّجاه،



(١) قال عنه الذهبي: «الخطيب: الإمام الأوحد، العلّامة المفتي، الحافظ الناقد، محدِّث الوقت، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفّاظ... وكتب الكثير، وتقدَّم في هذا الشأن، وبَذَّ الأقران، وجمع وصنّف وصحّح وعلّل، وجرح وعدّل، وأرّخ وأوضح، وصار أحفظ أهل عصره على الإطلاق». الذهبي، محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج١٨، ص٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج١٥، ص٣٣٧.

(٣) المصدر السابق: ج١٦، ص١٣٣.

ولم يسلم منها أحدٌ على الإطلاق.

وأبو حنيفة النعمان أكثر مَن تعرَّض لهجوم المحدِّثين لتبنّيه مدرسة الرأي والاجتهاد في الفقه، وقلّة الاعتماد على الحديث، فقد روي عن سفيان الثوري أنّه سُئل عن أبي حنيفة، فقال: «**غير ثقة ولا مأمون، غير ثقة ولا مأمون، غير ثقة ولا مأمون**»[1].

وعن عبد الله بن أحمد، قال: «**سمعت أبي يقول: حديث أبي حنيفة ضعيف، ورأيه ضعيف**»[2].

وروى الخطيب البغدادي بإسناده عن الحنيني، قال: «**سمعت مالكاً يقول: ما وُلِد في الإسلام مولود أشأم من أبي حنيفة**»[3]. ومثل هذه الكلمات في أبي حنيفة كثيرة جدّاً في كتبهم ومصادرهم.

وكذلك لم يسلم الإمام الشافعي من الغمز فيه والغض منه، قال الذهبي في ترجمته له: «**ونال بعض الناس منه غضاً، فما زاده ذلك إلّا رفعة وجلالة، ولاح للمنصفين أنّ كلام أقرانه فيه بهوى**»[4].

وقال ابن عبد البر: «**وممّا نقم على ابن معين وعِيب به أيضاً قوله في الشافعي: إنّه ليس بثقة**»[5].

ومالك بن أنس لم يكن غائباً عن طعون المحدِّثين وعلماء الجرح، فقد نال نصيباً من ذلك، فقد قال ابن عبد البرّ: «**وقد تكلّم ابن أبي دؤيب في مالك بن أنس بكلام فيه جفاء وخشونة كرهتُ ذِكْرَه... وتكلّم في مالك أيضاً فيما ذكره الساحي في كتاب العلل عبد**

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد: ج١٣، ص٤٢٠.

(٢) المصدر السابق: ج١٣، ص٤٢١.

(٣) المصدر السابق: ج١٣، ص٤٠١.

(٤) الذهبي، محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج١٠، ص٩.

(٥) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله: ج٢، ص١٦٠.

العزيز بن أبي سلمة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وابن إسحاق، وابن أبي يحيى، وابن أبي الزناد، وعابوا أشياء من مذهبه وتكلّم فيه غيرهم»[1].

وعن الليث بن سعد، قال: «**أحصيتُ على مالك بن أنس سبعين مسألة كلّها مخالفة لسنّة النبي (صلّى الله عليه وسلّم) ممّا قال مالك فيها برأيه**»[2].

وأمّا أحمد بن حنبل، فقد وقع فيه أيضاً بعض النقّاد ممَّن يعدّون من الطبقة العليا، ولهم حضورهم في ميدان الجرح والتعديل، كمحمّد بن جرير الطبري ويحيى بن معين؛ إذ قصد الحنابلة يوماً محمّد بن جرير الطبري «**فسألوه عن أحمد بن حنبل يوم الجمعة في الجامع، وعن حديث الجلوس على العرش؟ فقال أبو جعفر: أمّا أحمد بن حنبل فلا يُعد خلافه. فقالوا له: فقد ذكره العلماء في الاختلاف، فقال: ما رأيته روي عنه، ولا رأيت له أصحاباً يعوّل عليهم، وأمّا حديث الجلوس على العرش فمحال...**»[3].

وذكر ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل في ترجمة عليّ بن عاصم الواسطي أنّه «**قيل ليحيى بن معين: إنّ أحمد بن حنبل قال: إنّ عليّ بن عاصم ثقة. قال: لا والله، ما كان عليٌّ عنده قط ثقة، ولا حدَّث عنه بحرف قط، فكيف صار اليوم عنده ثقة؟!**»[4].

وفي الكلام اتّهام واضح لأحمد بن حنبل في الكذب والتناقض في كلامه، فيوثِّق مَن كان ليس بثقة عنده.

هذا، وهناك أقوال عديدة للمتأخّرين من علماء الجرح في بعض علماء المذاهب أعرضنا عن ذكرها خوف الإطالة.

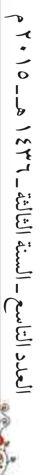
إنّ هذه التباينات والاختلافات والتضارب في الآراء والأقوال أدّى بهم إلى اللجوء إلى أساليب ووسائل لعلها تحافظ على البناء العام لعلم الجرح والتعديل على أقلّ التقادير.

(١) المصدر السابق: ج٢، ص١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) المصدر السابق: ج٢، ص١٤٨.

(٣) الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات: ج٢، ص٢١٣.

(٤) الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج٦، ص١٩٩.



حلول ومعالجات لحلِّ الاختلافات

وللتخفيف من غلواء وحدَّة هذه الاختلافات الواسعة والكبيرة بين كبار الحفّاظ والمحدِّثين، والتي امتدت لتطال حتى علماء الجرح أنفسهم وأئمّة المذاهب، وممَّن لهم شأن في الفقه والحديث ومَن يعوّلون عليهم، فرأوا أنّ بقاء الحال على ما هو عليه لا يُبقي حجراً على حجر؛ ومعه تنهار البُنى الفكريّة عندهم، فلجأوا إلى ابتكار طُرُق وأساليب جديدة من شأنها التقليل من هذه الاختلافات والتناقضات في الأحكام، فنظّروا لها وأطّروها وجعلوها على شكل قواعد، ولعل من أبرز وأهمّ هذه القواعد:

أوّلاً: جرح الأقران لا يُعبأ به

في ضوء هذه القاعدة قرّروا إسقاط الأقوال والأحكام والطعون بحقِّ الأقران من أقرانهم من حسابات الجرح والتعديل وعدم الالتفات إليها؛ بحجّة أنّ المعاصرة بين الجارح والمجروح تخلق بين العلماء نوعاً من الغيرة والحسد والتباغض، قال شعبة بن الحجاج: «**احذروا غيرة أصحاب الحديث بعضهم على بعض، فلهم أشدّ غيرة من التيوس**»[1].

وقال الذهبي: «**كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنّه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلّا مَن عصم الله، وما علمت أنّ عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصدِّيقين، ولو شئتُ لسردت من ذلك كراريس**»[2].

ويتبيَّن من كلام الذهبي مدى شيوع هذه الظاهرة في التراث السنّي، فكان لا بدّ من علاجها بابتكار وسيلة ما؛ ولذا نجد الذهبي يحمد الله على التوصُّل إلى هذه الطريقة،

---

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن عليّ، الكفاية في علم الرواية: ص١٣٦.

(٢) الذهبي، محمّد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ج١، ص١١١.

فيقول: «**ولا يعتدّ ـ بحمد الله ـ بكثير من كلام الأقران بعضهم في بعض**»[1].

ومن الواضح أنّ هذه القاعدة لا تستند إلى دليل علمي ولا مرتكز عرفي، بل على العكس من ذلك، فإنّ الدليل قائم على خلافها؛ لأنَّ حكم الجارح والمعدِّل على معاصره أقرب لليقين وأكثر إصابة للواقع؛ لأنّها غالباً ما تنشأ عن حسّ ومشاهدة، قال سليمان الباجي: «**أحوال المحدِّثين في الجرح والتعديل ممَّا يُدرك بالاجتهاد، ويُعلم بضرب من النظر؛ ووجه ذلك أنَّ الإنسان إذا جالس الرجل، وتكررت محادثته له وإخباره إيّاه بمثل ما يُخبر ناسٍ عن المعاني التي يُخبر عنها تحقق صدقه، وحكم بتصديقه**»[2].

فطول المعاصرة والمعاشرة تكشف واقع الشخص لمن يعاصره، بخلاف غير المعاصر، ومجرَّد احتمال كون هذه الأحكام ناشئة عن غيرة وحسد وتباغض لا يُبرّر إسقاط هذه الأحكام جملة؛ فإنّ هذا الاحتمال موجود في كلّ حالة من الحالات بغض النظر عن المعاصرة وكون أحدهما قريناً للآخر، ثمَّ فرض كون الجارح عالماً تقيّاً دَيِّناً يُضعِف احتمال صدور هذه الأقوال منه عن هوى وتعصُّب، وإلّا فيجب إسقاط جميع أحكامه سواء في حقّ أقرانه أو غيرهم. وممَّن لم يرتضِ هذا المبنى الأمير الصنعاني، فقال: «**إن كان مرادهم بالأقران المتعاصرون في قرن واحد، والمتساوون في العلوم، فهو مشكل؛ لأنّه لا يعرف حال الرجل إلّا مَن عاصره، ولا يعرف حاله مَن بعده إلّا بأخبار مَن قارنه.**

إن أُريد الأول، وإن أُريد الثاني فأهل العلم هم الذين يعرفون أمثالهم، ولا يعرف أُولي الفضل إلّا ذوو الفضل، فالأَولى إناطة ذلك لمن يعلم أنّ بينهما تنافساً أو تحاسداً أو شيئاً يكون سبباً لعدم الثقة لقبول بعضهم في بعض، لا لكونه من الأقران؛ فإنّه لا يُعرف عدالته ولا جرحه إلّا من أقرانه»[3].

---

(١) المصدر السابق: ج٣، ص٦٠٧.

(٢) الباجي، سليمان بن خلف، التعديل والتجريح: ج١، ص٢٥١.

(٣) الصنعاني، محمد بن إسماعيل، ثمرات النظر في علم الأثر: ص١٣٠.

ثانياً: تصنيف علماء الجرح والتعديل

ومن الطُرُق التي سلكوها لتضييق دائرة الاختلافات بينهم في توثيق الراوي وتضعيفه، هي تصنيف علماء الجرح والتعديل إلى ثلاثة أصناف: الأول: متشدّد ومتعنِّت في أحكامه، الثاني: متساهل، الثالث: منصف معتدل. وهذه الطريقة تسهِّل لهم سبيلاً للخروج من التضاد والتعارض الكثير بين أقوال المعدِّلين والجارحين، ولعل أوّل مَن قام بهذا التصنيف هو الذهبي، قال السخاوي: «**وقد قسّم الذهبي مَن تكلّم في الرجال... على ثلاثة أقسام أيضاً: قسم منهم متعنِّت في التوثيق متثبِّت في التعديل يغمز الراوي بالغلطتين والثلاث، فهذا إذا وثّق شخصاً فعض على قوله بنواجذك وتمسَّك بتوثيقه، وإذا ضعّف رجلاً فأُنظر هل وافقه غيره على تضعيفه، فإن وافقه ولم يوثِّق ذاك الرجل أحدٌ من الحذّاق فهو ضعيف، وإن وثّقه أحدٌ فهذا هو الذي قالوا: لا يقبل فيه الجرح إلّا مفسَّـراً... وقسم منهم متسامح، كالترمذي والحاكم... وقسم معتدل، كأحمد والدارقطني وابن عدي**»[1].

إنّ هذه الطريقة وإن استطاعوا في ضوئها من الناحية النظريّة أو العمليّة التخلُّص من كثير من موارد التعارض بين بعض أقوال علماء الجرح والتعديل، ولكن الكلام يبقى في المعيار الذي تمّ على أساسه هذا التصنيف، فإنّ كلّ واحد من هؤلاء يمكن أن يكون متشدّداً في مورد ومتساهلاً في آخر، وأنّ الاستقراء لا يمكنه أن يساعد على ذلك؛ بدليل اختلافهم في عدّ هذا أو ذاك من المتشدِّدين أو المتساهلين، فعلى سبيل المثال اختلفوا في اعتبار ابن حبان البستي من المتشدِّدين أم من المتساهلين، قال اللكنوي الهندي: «**وقد نسب بعضهم التساهل إلى ابن حبان، وقالوا: هو واسع الخطو في باب**

---

(١) السخاوي، محمّد بن عبد الرحمن، فتح المغيث: ج٣، ص ٣٥٨ـ٣٥٩.

التوثيق يوثِّق كثيراً ممَّن يستحق الجرح»[1]، في الوقت الذي وصفه الذهبي في أكثر من مورد بأنّه مسـرف ومتعنِّت ومتشدِّد في جرح الرجال، ففي ميزان الاعتدال في ترجمة سويد بن عمرو الكلبي الكوفي (ت٢٠٤هـ)، قال: «**وثّقه ابن معين وغيره. وأمّا ابن حبان، فأسرف واجترأ، فقال: كان يقلب الأسانيد، ويضع على الأسانيد الصحاح المتونَ الواهية**»[2]. وفيه أيضاً في ترجمة سعيد بن عبد الرحمن الجمحي (ت١٧٦هـ)، قال: «**وثّقه ابن معين وغيره... وأمّا ابن حبان، فإنّه خساف قصاب، فقال: روى عن الثقات أشياء موضوعة**»[3]، وفي تاريخ الإسلام في ترجمة هارون بن سعد العجلي، قال الذهبي: «**وقد شذَّ ابن حبان كعوائده، فقال: لا تحل الرواية عنه... ثمَّ قال الذهبي:... وهذا قد روى له مسلم**»[4]؛ ولذا قال اللكنوي الهندي عن القول بتساهل ابن حبان: «**هو قول ضعيف؛ فإنّك قد عرفت سابقاً أنّ ابن حبان معدود ممَّن له تعنُّت وإسراف في جرح الرجال، ومَن هذا حاله لا يمكن أن يكون متساهلاً في تعديل الرجال**»[5].

إنَّ اختلافهم هذا ناجم عن أنّه لا يوجد من علماء الجرح مَن هو متشدِّد على الإطلاق أو متساهل على الإطلاق، قال في الرفع والتكميل: «**واعلم أنَّ من النقّاد مَن له تعنُّت في جرح أهل بعض البلاد أو بعض المذاهب، لا في جرح الكلّ**»[6]؛ ولذا وصف الذهبيُّ الدارقطني بأنّه متساهل في بعض الأحيان[7]، مع أنّه عُدَّ من المعتدلين.

---

(١) اللكنوي الهندي، محمد عبد الحي، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: ص٣٣٥. اُنظر: الشهرزوري، عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح): ص١٠.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ج٢، ص٢٥٣.

(٣) المصدر السابق: ج٢، ص١٤٨.

(٤) الذهبي، محمّد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج٩، ص٣١٦.

(٥) اللكنوي الهندي، محمد عبد الحي، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: ص٣٣٥.

(٦) المصدر السابق: ص٣٠٨.

(٧) الذهبي، محمّد بن أحمد، الموقظة في مصطلح الحديث: ص٨٣.



ثمَّ مَن هو الذي يُعتمَد قوله ويكون الفيصل في هذا التصنيف؟ هل هو الذهبي أم غيره؟ فالذهبي اتُّهم بالميل والحيف في أحكامه، فقد وصفه تلميذه تاج الدين السبكي بأبشع الأوصاف واتّهمه بالتحامل على مَن يخالفه الرأي، فقال: «**وهذا شيخنا الذهبي من هذا القبيل، له علم وديانة وعنده على أهل السنّة تحمّل مفرط، فلا يجوز أن يُعتمد عليه... وقد وصل من التعصّب المفرط إلى حدٍّ يُسخر منه، وأنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين وأئمّتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبويّة؛ فإنّ غالبهم أشاعرة وهو إذا وقع بأشعري لا يبقي ولا يذر، والذي أعتقده أنّهم خصماؤه يوم القيامة عند مَن لعل أدناهم عنده أوجه منه... أنّي لمّا أكثرتُ بعد موته النظر فى كلامه عند الاحتياج إلى النظر فيه، توقّفتُ فى تحرّيه فيما يقوله، ولا أزيدُ على هذا غير الإحالة على كلامه، فلينظر كلامه مَن شاء، ثمَّ يُبصر هل الرجل متحرٍّ عند غضبه، أو غير متحرٍّ؟**

وأعني بغضبه وقت ترجمته لواحد من علماء المذاهب الثلاثة المشهورين من الحنفيّة والمالكيّة والشافعيّة، فإنّي أعتقد أنّ الرجل كان إذا مدَّ القلم لترجمة أحدهم غضب غضباً مفرطاً، ثمَّ قرطم الكلام ومزَّقه، وفعل من التعصّب ما لا يخفى على ذي بصيرة، ثمَّ هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الألفاظ كما ينبغي، فربما ذكر لفظة من الذمّ لو عقل معناها لما نطق بها.

ودائماً أتعجَّبُ من ذكره الإمام فخر الدين الرازي في كتاب الميزان فى الضعفاء، وكذلك السيف الآمدي»[1].

فمَن بعد الذهبي يُعتَمد قوله إذن؟! وهو خريّت هذه الصناعة والخبير المتضلِّع منها، فإنّها مزلّة الأقدام وهي «**من المواضع التي يُخشى أن يغلب فيها الوهم على الفهم**»[2].

إنّ كلّ هذه المعطيات تؤشّر على أنّ هذا التصنيف لعلماء الجرح لم يكن مبنياً على

---

(١) السبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى: ج٢، ص١٤.

(٢) الجزائري الدمشقي، طاهر، توجيه النظر إلى أُصول الأثر: ج١، ص٢٨٢.

أُسس واقعيّة أو منطقيّة؛ لغياب المعيار الواضح الذي على أساسه حصل هذا التصنيف.

ثالثاً: احتجاج البخاري ومسلم أو أحدهما بالراوي

ومن الأُمور التي تمسّكوا بها للتخلّص من كثرة الاختلافات بين الجارحين والمعدِّلين هو أنّهم اعتمدوا على احتجاج الشيخين أو أحدهما براوٍ ما، وحكموا بتوثيقه وقبول حديثه وإسقاط ما قيل فيه من تضعيف أو جرح من قِبَل علماء آخرين مهما كان شأنهم وخطرهم، فعبّروا عمّن ورد ذكره في الصحيحين أو أحدهما على سبيل الاحتجاج به بأنّه جاز القنطرة، كناية عن اعتباره وقبوله وتوثيقه، قال ابن حجر: «**كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرَّج عنه في الصحيح: هذا جاز القنطرة. يعني بذلك أنّه لا يلتفت إلى ما قيل فيه، قال الشيخ أبو الفتح القشيري في مختصره: وهكذا نعتقد وبه نقول، ولا نخرج عنه إلّا بحجّة ظاهرة، وبيان شاف يزيد في غلبة الظنّ على المعنى الذي قدَّمناه من اتّفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين، ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما. قلت: فلا يُقبل الطعن في أحد منهم إلّا بقادح واضح**»[1].

ولكن هذا الحلّ مع مخالفة البعض له يبقى حلّاً ناقصاً لا يعالج جذور المشكلة من الأساس، لوجود أعداد غفيرة من الرواة الذين لم يخرَّج لهم في الصحيحين ممَّن وردوا في السنن والمسانيد والمصادر الأُخرى.

رابعاً: تقديم الجرح على التعديل

وهي من أهمّ القواعد التي تشبّثوا بها للتخلُّص من وجود التعارض بين أحكام الجارحين والمعدِّلين في راوٍ معيَّن، ومفادها تقديم الجرح على التعديل في شأن هذا الراوي، فلو وُجِد جارحٌ ومعدِّلٌ لهذا الراوي، فالمصير هو اعتماد الجرح وعدم قبول رواية هذا الراوي، وهي قاعدة أُصولية وحديثيّة تناولها كلّ من المحدِّثين والأُصوليين،

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، هدي الساري (مقدمة فتح الباري): ص٣٨١.



فقد تناولها المحدِّثون في علم الجرح والتعديل، وبحثها الأُصوليون عند تطرّقهم إلى بحث الأصل الثاني من مصادر التشريع وهو السنّة النبويّة، وذلك في أبحاث الراوي والمروي وشروطهما.

والحامل للعلماء على انتهاج هذه القاعدة واعتماد هذا الأصل هو عدّة نكات:

منها: إنّ التعديل مستند إلى الظاهر، والجرح أمرٌ باطن، والعلم بالباطن مقدَّم على العلم بالظاهر، قال الشافعي: «**وكان الجرح أوْلى من التعديل؛ لأنّ التعديل يكون على الظاهر والجرح يكون على الباطن**»[1]. وقال الخطيب: «**اتّفق أهل العلم على أنّ مَن جرحه الواحد والاثنان وعدَّله مثل عدد مَن جرحه فإنّ الجرح به أوْلى؛ والعلّة في ذلك أنّ الجارح يُخبر عن أمر باطن قد علمه**»[2].

ومنها: إنّه لا يوجد هناك تعارض وتكاذب بين كلام الجارح وكلام المعدِّل، بل الجارح يصدِّق المعدِّل في قوله؛ وذلك لأنّ الجارح قد علم شيئاً زائداً عمّا كان قد علمه المعدِّل، فلا بدّ لنا من الأخذ بهذا العلم، وهذا ما أشار إليه الخطيب من أنّ الجارح «**يصدِّق المعدِّل ويقول له: قد علمتُ من حاله الظاهرة ما علمتها وتفرّدتُ بعلمٍ لم تعلمهُ من اختبار أمره. وإخبار المعدِّل عن العدالة الظاهرة لا ينفي صدق قول الجارح فيما أخبر به؛ فوجب لذلك أن يكون الجرح أوْلى من التعديل... وقالت طائفة: بل الحكم للعدالة. وهذا خطأ؛ لأجل ما ذكرناه من أن الجارحين يصدِّقون المعدِّلين في العلم بالظاهر ويقولون: عندنا زيادة علم لم تعلموه من باطن أمره**»[3]. وقال النووي: «**ولو تعارض جرح وتعديل قُدِّم الجرح على المختار الذي قاله المحقّقون والجماهير، ولا فرق بين أن يكون عدد المعدِّلين أكثر أو أقل، وقيل: إذا كان المعدِّلون أكثر قُدِّم التعديل، والصحيح**

---

(١) الشافعي، محمّد بن إدريس، كتاب الأُمّ: ج٦، ص٢٢١.

(٢) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الكفاية في علم الرواية: ص١٣٢ ـ ١٣٤.

(٣) المصدر السابق: ص١٣٢.

الأول؛ **لأنّ الجارح اطّلع على أمرٍ خفيّ جهله المعدِّل»**[1]. وقال ابن الصلاح: «**إذا اجتمع في شخص جرحٌ وتعديلٌ فالجرح مقدَّم؛ لأنّ المعدِّل يُخبر عمّا ظهر من حاله، والجارح يُخبر عن باطن خفي على المعدِّل، فإن كان عدد المعدِّلين أكثر، فقد قيل: التعديل أَوْلى، والصحيح والذي عليه الجمهور أنّ الجرح أَوْلى لما ذكرناه، والله أعلم**»[2].

ومنها: إنّ القول بالعدالة مستند إلى أصالة العدالة وظاهر الحال، والجرح مستند إلى الدليل، والدليل مقدَّم على الأصل، وغيرها من النكات الأُخرى، ولا فرق ـ بناءً على هذا ـ بين أن يكون عدد المعدِّلين والجارحين متساوياً، أو أن أحد الفريقين أكثر من الآخر، كما أشار إليه النووي آنفاً، وتعرَّض له الزركشي حين قال: «**لأنّ تقديم الجرح إنّما هو لتضمّنه زيادة خفيت على المعدِّل؛ وذلك موجود مع زيادة عدد المعدِّل ونقصه ومساواته، فلو جرحه واحد وعدَّله مائة قُدِّم قول الواحد لذلك**»[3].

الجرح المفسَّر هو المقدَّم على التعديل لا مطلقاً

قاعدة تقديم الجرح على التعديل ليس فقط لم تساهم في حلّ المشكل، بل أضافت مشكلاً آخر، وعقّدت المسألة بدلاً من حلّها، فإنّهم وجدوا أنّ تقديم الجرح مطلقاً على التعديل يسبب مشاكل كثيرة، وذلك لعدّة أُمور:

الأول: إنّهم رأوا اختلاف الناس فيما يُجرح به الإنسان أو يُفسَّق، قال ابن حجر: «**الأسباب الحاملة للأئمّة على الجرح متفاوتة، منها ما يقدح، ومنها ما لا يقدح**»[4]. فبعض الجارحين عندما يُسأل عن سبب جرحه لراوٍ معيَّن فإنّه يذكر أُموراً لا تُعدّ جرحاً



العدد التاسع ـ السنة الثالثة ـ ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م

(١) النووي، محيي الدين، شرح صحيح مسلم: ج١، ص١٢٥.

(٢) الشهرزوري، عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح): ص٨٧.

(٣) الزركشي، محمّد بن عبد الله، النكت على مقدمة ابن الصلاح: ج٣، ص٣٦٢.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، مقدِّمة فتح الباري: ص٣٨١.

وقدحاً، وقد أفرد الخطيب البغدادي في الكفاية باباً لبعض أحكام الجرح التي لا تُعدّ جرحاً في عرف العلماء، فسمّى هذا الباب: باب ذكر بعض أخبار مَن استفسر في الجرح، وذكر الخطيب فيه أُموراً كثيرة، أشرنا إلى بعضها فيما سبق.

الثاني: إنّ هناك رواة قد ثبتت عدالتهم ووثاقتهم إمّا بتخريج الشيخين لهم أو بتعديل الأئمّة لهم، ووُجِد مَن جرحهم بجرح مبهم وأسقط عدالتهم، فرأوا أنّه ـ بناءً على هذه القاعدة ـ سوف لن يسلم أحدٌ أبداً؛ ولذا قال السبكي: «**فلو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحدٌ من الأئمّة؛ إذ ما من إمام إلّا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون**»[1].

فلم يجدوا مفرّاً من إدخال تعديل على قاعدة تقديم الجرح والتعديل لتصبح (أنّ الجرح المفسَّر هو المقدَّم على التعديل) وليس الجرح المبهم، والجرح المفسَّر هو: أن يذكر الجارح السبب الذي من أجله جرح وقدح في الراوي، فإن كان من أسباب الجرح قُبِل، وإلّا فهو مردود، قال ابن حجر بعد نقله لكلام الخطيب حول قاعدة تقديم الجرح على التعديل مطلقاً: «**بل الصواب التفصيل، فإن كان الجرح والحالة هذه مفسَّراً وإلّا عُمِلَ بالتعديل، وعليه يُحمَل قول مَن قدَّم التعديل كالقاضي أبى الطيب الطبري وغيره**»[2]. وقال ابن دقيق العيد: «**وقد اختلف الناس في أسباب الجرح؛ ولأجل ذلك قال مَن قال: لا يُقبل الجرح إلّا مفسَّراً**»[3]. وقال النووي: «**ولا يُقبل الجرح إلّا مفسَّراً، وهو أن يذكر السبب الذى به جُرِح؛ ولأنّ الناس يختلفون فيما يُفسَّق به الإنسان، ولعلّ مَن شهد بفسقه شهد على اعتقاده**»[4]. وقال الصنعاني: «**ولا يغترّ مغترٌّ بأنّ الجرح مقدّم على التعديل، فإنّهم وإن أطلقوا العبارة في ذلك، فذلك الجرح المبيَّن السبب؛ لأنّ ما لم يُبيَّن سببه فلا**

(١) السبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى: ج٢، ص٩.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج١، ص١٥.

(٣) القشيري، تقي الدين بن دقيق العيد، الاقتراح في بيان الاصطلاح: ص٥٧.

(٤) النووي، محيى الدين، المجموع: ج٢٠، ص١٣٦.

يتحقّق أنّه جرح يوجب الرد»[1]. واعتبر اللكنوي الجرح المبهم مرفوضاً مطلقاً، حيث قال: «**فإنّ الجرح المبهم غير مقبول مطلقاً، على المذهب الصحيح، فلا يمكن أن يُعارض التعديل وإن كان مبهماً**»[2].

وأمّا التعديل، فلم يشترطوا فيه ذكر السبب، قال ابن الصلاح: «**التعديل مقبول من غير ذكر سببه على المذهب الصحيح المشهور؛ لأنّ أسبابه كثيرة يصعب ذكرها، فإنّ ذلك يحوج المعدِّل إلى أن يقول: لم يفعل كذا، لم يرتكب كذا، فعل كذا وكذا، فيعدّد جميع ما يُفسَّق بفعله أو بتركه، وذلك شاقٌّ جدّاً**»[3].

فأصبحت القاعدة بعد هذا التعديل أنّه إذا تعارض جرح وتعديل فينبغي أن يكون الجرح حينئذٍ مفسَّراً[4]، فقال ابن قدامة: «**ولا يُسمع الجرح إلّا مفسَّراً، ويُعتبر فيه اللفظ، فيقول: أشهد أنّني رأيته يشرب الخمر، أو يُعامِل بالربا، أو يظلم الناس بأخذ أموالهم أو ضربهم، أو سمعته يقذف. أو يُعلَم ذلك باستفاضته في الناس، ولا بدّ من ذكر السبب وتعيينه**»[5].

فاستقرّ الأغلب على هذا الرأي، واشتُهر بينهم، وصار هو القاعدة المشهورة والمعروفة بينهم، سواء كان ذلك عند المحدِّثين، كما قال الخطيب البغدادي: «**سمعت القاضي أبا الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري يقول: لا يُقبل الجرح إلّا مفسَّراً، وليس قول أصحاب الحديث: فلان ضعيف، وفلان ليس بشيء، ممّا يوجب جرحه وردّ خبره؛ وإنّما كان كذلك لأنّ الناس اختلفوا فيما يُفسَّق به، فلا بدّ من ذكر سببه لينظر هل هو فسق أم لا؟... قلت: وهذا القول هو الصواب عندنا، وإليه ذهب الأئمّة من**

---

(١) الصنعاني، محمّد بن إسماعيل، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: ص٢٧٤.

(٢) اللكنوي الهندي، محمّد عبد الحي، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: ص١١٧.

(٣) الشهرزوري، عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح): ص٨٦.

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، الباعث الحثيث (شرح اختصار علوم الحديث): ج١، ص٢٨٧.

(٥) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني: ج١١، ص٤٢٤.

حفّاظ الحديث ونقّاده، مثل محمّد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجّاج النيسابوري وغيرهما»[1]. أو عند الأُصوليين، كما قال ابن الصلاح: «وأمّا الجرح، فإنّه لا يُقبل إلّا مفسَّراً مبيَّن السبب؛ لأنّ الناس يختلفون فيما يجرح وما لا يجرح، فيُطلِق أحدهم الجرح بناءً على أمر اعتقده جرحاً وليس بجرح في نفس الأمر، فلا بدّ من بيان سببه لينظر فيما هو جرح أم لا، وهذا ظاهر مقرَّر في الفقه وأُصوله»[2]. وقال العلّامة أحمد محمد شاكر: «وهو المشتَهِر عند كثير من أهل العلم»[3].

تقديم الجرح المفسَّر على التعديل وعقبات في الطريق

إنّ قاعدة تقديم الجرح المفسَّر هي أكثر القواعد عندهم استجابةً لمعالجة واقع مفروض، ولم تستند إلى أدلّة وحقائق علميّة؛ فإنّها أيضاً واجهت مشكلات عدّة:

المشكلة الأُولى: إنّ هناك رواة احتجّ بهم البخاري ومسلم وأخرجوا لهم في الصحيحين، ولكن جاء في حقّهم أيضاً جرح مفسَّر، وبعد أن تلقّى أهل السنّة الصحيحين بالقبول، ولكي يحافظوا على هذين الكتابين من ورود الخدشة فيهما كان لا بدّ من عمل بعض التعديلات على قاعدة تقديم الجرح المفسَّر على التعديل، فاعتبر بعض العلماء أنّ هذا الجرح المفسَّر لم يكن ثابتاً عند الشيخين؛ فلذا وثّقوا أُولئك الرواة الذين ورد في حقّهم هذا الجرح، قال النووي: «**ثمّ مَن وُجِد في الصحيحين ممَّن جرحه بعض المتقدِّمين يُحمَل ذلك على أنّه لم يثبت جرحه مفسَّراً بما يُجرَح**»[4]. ونقل النووي أيضاً عن الخطيب البغدادي قوله: «**ما احتجّ البخاري ومسلم وأبو داود به من جماعة**

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الكفاية في علم الرواية: ص١٣٥ـ١٣٦.

(٢) الشهرزوري، عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح): ص٨٦.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، الباعث الحثيث (شرح اختصار علوم الحديث): ج١، ص٢٨٧.

(٤) النووي، محيي الدين، شرح صحيح مسلم: ج١، ص١٢٥.

عُلم الطعن فيهم من غيرهم محمولٌ على أنّه لم يثبت الطعن المؤثِّر مفسَّر السبب»[1].

المشكلة الثانية: يوجد رواة اشتُهرت وثاقتهم شهرة واسعة، وبعضهم كان له مذهب ومريدون وأتباع، فقرّر العلماء عدم تقديم الجرح ولو كان مفسَّراً على تعديلهم ووثاقتهم، قال: تاج الدين السبكي: «**إنّ الجارح لا يُقبل منه الجرح ـ وإن فسّره في حقِّ مَن غلبت طاعته على معاصيه، ومادحوه على ذامّيه، ومزكّوه على جارحيه ـ إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأنّ مثلها حامل على الوقيعة في الذي جرحه... فنقول مثلاً: لا يلتفت إلى كلام ابن أبي ذئب في مالك، وابن معين في الشافعي، والنسائي في أحمد بن صالح؛ لأنّ هؤلاء أئمّة مشهورون»**[2].

المشكلة الثالثة: إنّ أكثر عبارات الجرح جاءت مبهمة غير مفسَّرة في كتب الجرح؛ وعليه لا يمكن الاستفادة منها، ومعه ينسدّ باب الجرح، قال ابن الصلاح: «**ولقائل أن يقول: إنّما يعتمد الناس في جرح الرواة وردّ حديثهم على الكتب التي صنَّفها أئمّة الحديث في الجرح أو في الجرح والتعديل، وقلّ ما يتعرَّضون فيها لبيان السبب، بل يقتصرون على مجرّد قولهم: فلان ضعيف، وفلان ليس بشيء. ونحو ذلك، أو: هذا حديث ضعيف، وهذا حديث غير ثابت ونحو ذلك، فاشتراط بيان السبب يُفضي إلى تعطيل ذلك وسدِّ باب الجرح في الأغلب الأكثر...**»[3].

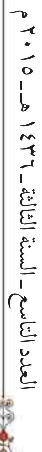
وتخلُّصاً من هذه المشكلة أجابوا بجوابين:

الجواب الأول: إنّ ما ذكروه في كتبهم من جرح مبهم غير مفسَّر وإن كان لا يؤدّي إلى رفع اليد عن التعديل، ولكن له فائدة وهي التوقّف في حقِّ هذا الراوي الذي جاء بحقِّه الجرح المبهم فيُفتَّش عن حاله، قال ابن الصلاح: «**وجوابه: أنّ ذلك** [الجرح

(١) المصدر السابق.

(٢) السبكي، عبد الوهاب بن علي، قاعدة في الجرح والتعديل: ص٢٤ـ٢٨.

(٣) الشهرزوري، عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح): ص٨٧.



المبهم] وإن لم نعتمده في إثبات الجرح والحكم به، فقد اعتمدناه في أنّ توقُّفَنا عن قبول حديث مَن قالوا فيه مثل ذلك بناءً على أنّ ذلك أوقع عندنا فيهم ريبة قويّة يوجب مثلها التوقّف»[1]. وقال النووي: «وعلى مذهب مَن اشترط في الجرح التفسير يقول: فائدة الجرح فيمَن جرح مطلقاً أن يُتوقّف عن الاحتجاج به إلى أن يُبحث عن ذلك الجرح»[2]، وأكّد ذلك الصنعاني بقوله: «إنّ أكثر هذه العبارات في التجريح غير مبيَّنة السبب، فهي من باب الجرح المطلق؛ فتكون غير مفيدة للجرح الموجب لإطراح الرواية، ولكن تكون موجبة للريبة والوقف في قبول مَن قيلت فيه وردّه»[3].

الجواب الثاني: إنّ الجرح المبهم يُقبَل ويُقدَّم على التعديل إذا كان من عارف بأسباب الجرح ومن أصحاب الشأن، وأمّا إذا كان من شخص غير عارف فلا يُقبل، قال الخطيب البغدادي: «والذي يقوى عندنا ترك الكشف عن ذلك إذا كان الجارح عالماً»[4]. وقال ابن كثير: «أمّا كلام هؤلاء الأئمّة المنتصبين لهذا الشأن، فينبغي أن يؤخَذ مسلَّماً من غير ذكر أسباب؛ وذلك للعلم بمعرفتهم واطّلاعهم، واضطلاعهم في هذا الشأن»[5].

وكذلك أشار إلى هذه القضية ابن حجر في نزهة النظر، قال: «والجرح مقدَّم على التعديل، وأطلق ذلك جماعةٌ، ولكنَّ محلَّه إن صدر مُبيَّناً من عَارفٍ بأسبابه؛ لأنَّه إن كان غيرَ مفسَّـرٍ لم يقدح فيمَن ثبَتَت عدالتُه، وإن صدرَ من غير عارفٍ بالأسباب لم يُعتبَر به أيضاً»[6].

---

(١) المصدر السابق: ص٨٧.

(٢) النووي، محيي الدين، شرح صحيح مسلم: ج١، ص١٢٥.

(٣) الصنعاني، محمد بن إسماعيل، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: ج٢، ص٢٧٤.

(٤) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الكفاية في علم الرواية: ص١٣٥.

(٥) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، الباعث الحثيث (شرح اختصار علوم الحديث): ج١، ص٢٨٦.

(٦) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، نُزهة النظر في توضيح نُخبة الفِكَر في مصطلَح أهل الأثَر: ص٤٦.

شروط وضوابط تقديم الجرح المفسَّر على التعديل

إنّ هذه القاعدة ولكثرة الأُمور التي واجهت علماء الجرح والتعديل ـ مضافاً لما ذكرناه ـ ولاختلاف المباني والاتّجاهات، فقد أُدخلت عليها تعديلات وأُضيفت شروط واستثناءات نذكر بعضاً منها على سبيل المثال والإشارة، ومَن أراد التوسّع فعليه بمراجعة كتب مصطلح الحديث ومقدّمات كتب الجرح والتعديل، ومن هذه الاستثناءات أنّه قيل بتقديم جانب التعديل على الجرح المفسَّر إذا توفّرت بعض الشروط التي منها:

١ـ ما لو قال المعدِّلُ: عرفتُ السبب الذي قاله الجارح، ولكنّهُ تاب وحسُنت حاله. أو إذا ذكر الجارحُ سبباً مُعيّناً للجرح، فنفاهُ المُعدِّلُ بما يدلُّ يقيناً على بُطلان السبب.

٢ـ إذا كان المعدِّلون من معاصري الراوي وعدم معاصرة الجارح له، فيُقدَّم قول المعاصر؛ لأنّ المعاصر أعرف وأعلم بمَن في عصره.

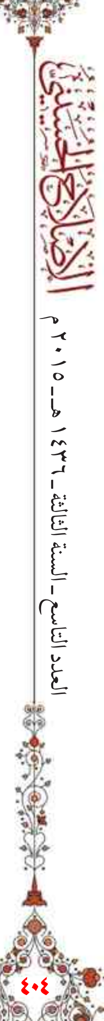
٣ـ أن يكون المعدِّل من أهل بلد الراوي الذي تكلَّم فيه، والجارح لم يكن من بلده، فيُقدَّم مَن كان من أهل بلده؛ لأنّه أعرف بأهل بلده.

٤ـ قوّة عبارة المعدِّلين على عبارة الجارحين.

وغيرها من الشروط التي قد يختلف العلماء في الأخذ بها وعدمه.

كما أنّهم أسقطوا بعض التضعيفات والتجريحات إذا صدرت من الأقران في بعضهم بعضاً، لا سيما إذا لاح أنّه لعدواة أو لمذهب أو لحسد، كما تقدّم.

إنّ ما قاموا به من محاولات وأساليب للحدِّ من تفشّي ظاهرة الاختلافات بين علماء الجرح والتعديل لم تُجدِ نفعاً كبيراً للوقوف بوجه هذه المشكلة، وظلّ علم الجرح والتعديل يعاني منها إلى اليوم؛ ممّا جعله في حالة من عدم الثبات والاستقرار.



عدم ثبات علم الجرح والتعديل

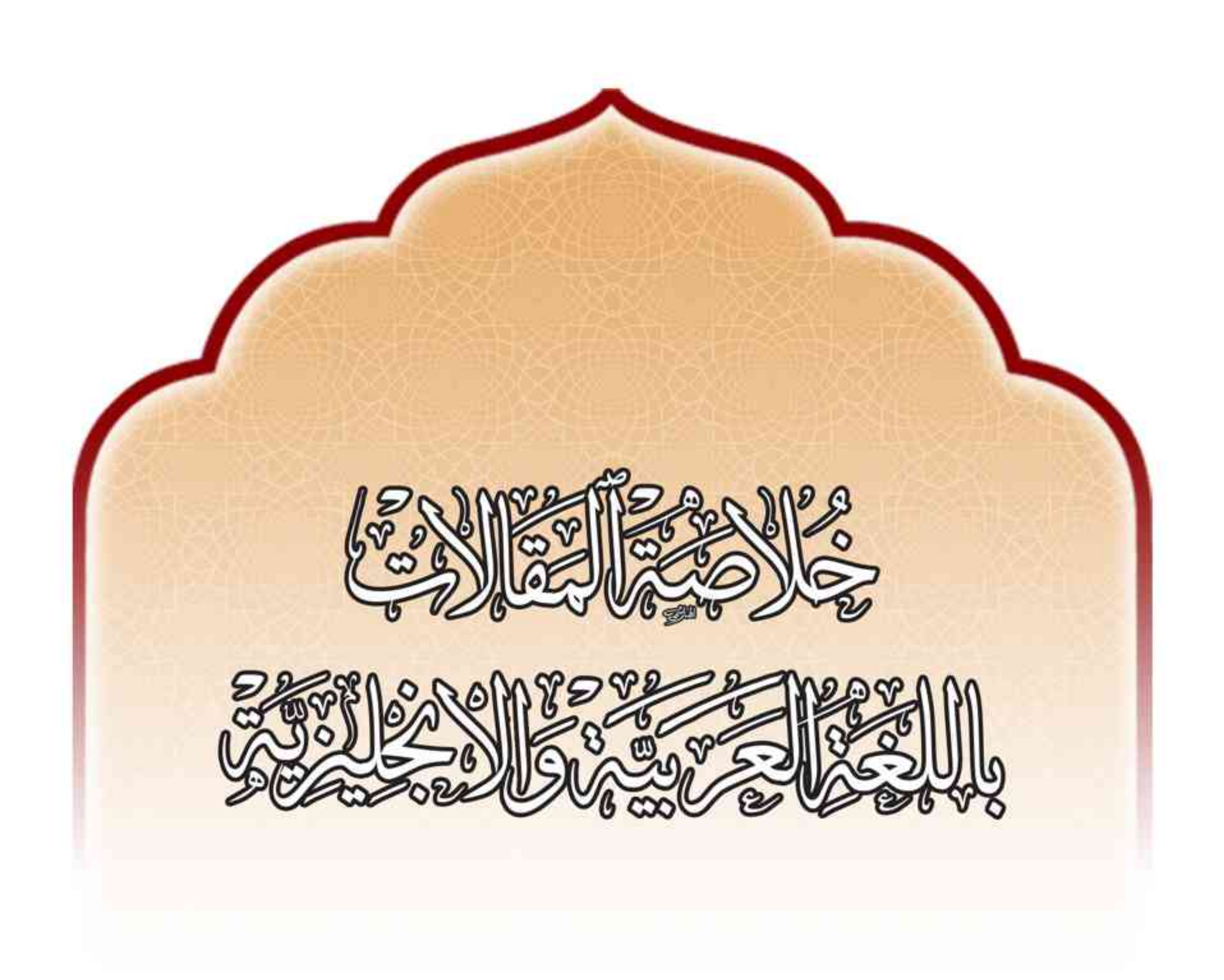
إنّ هذا التضارب الكبير في أقوال علماء الجرح والتعديل ـ والذي لم تستطع تلك

الطُّرق والأساليب المبتكرة من تطويقه والحدِّ منه كما رأينا ـ جعل علم الجرح والتعديل يتّسم بالمرونة السلبية؛ فباستطاعة المطّلع على كتب الرجال أن يعدِّل رجلاً ويوثِّقه أو يضعِّفه حسبما يريد لكثرة الأقوال واختلاف النظريات وتشعبها، فيتمسّك بما يفيده منها، ويغضّ الطرف عمّا لا ينفعه، خصوصاً مع قلّة المطّلعين على هذه الأُمور، فيوقع عامّة الناس في الخطأ والوهم، ويُمرِّر عليهم ما يريد من أفكار ونظريات، ويُقصي ما لا يريد منها، وهذا ما يمكن ملاحظته بوضوح في تأليفات علماء أهل السنّة في القرون المتأخّرة، خصوصاً ما يرتبط منها في المسائل الخلافية، سواء ما وقع منها بين المذاهب السنّية أنفسها، أو ما بينها وبين بقية المذاهب الأُخرى، وكان لهذا الأمر آثاره الخطيرة في حياة الأُمّة الإسلاميّة ومسيرتها، وقد حذّر من آثاره الخطيرة كثير من علماء أهل السنّة، كاللكنوي الهندي في الرفع والتكميل، فحين ذكر اعتراض الذهبي على ابن الجوزي في جعله أبان بن يزيد العطار في عداد الضعفاء، ونقله أقوال مَن ضعَّفه فقط والسكوت عمّن وثَّقه، قال اللكنوي: «**هذه النصوص لعلّها لم تقرع صماخ أفاضل عصرنا وأماثل دهرنا، فإنّ شيمتهم أنّهم حين قصدهم بيان ضعف رواية ينقلون من كتب الجرح والتعديل الجرحَ دون التعديل، فيوقعون العوام في المغلطة لظنّهم أنّ هذا الراوي عارٍ عن تعديل الأجلّة، والواجب عليهم أن ينقلوا الجرح والتعديل كليهما، ثمّ يرجِّحوا حسبما يلوح لهم أحدهما، ولعمري، تلك شيمة محرّمة، وخصلة مخرمة، ومن عاداتهم السيئة**»[1].

وهذا ما زال مستمرّاً إلى يومنا هذا حيث ضُعّفت كثير من الروايات التي لا تنسجم مع التوجّهات الفكريّة والأجواء السائدة عند أهل السنّة بهذه الطريقة، وبُنيت على ذلك العديد من المتبنَّيات العقديّة والفكريّة، واُتّخذت المواقف تجاه مَن قاده الدليل إلى اعتماد رؤية ومنهج مخالف لما هم عليه.

---

(١) اللكنوي الهندي، محمد عبد الحي، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: ص٦٦.


خلاصة المقالات
باللغة العربية والانجليزية



مظلومية الإمام الحسين عليه السلام ومأساة كربلاء في النصّ الديني
(دراسة مفهوميّة - وثائقيّة)

الشيخ قيصر التميمي

تعرّضنا في مطلع المقال للصيرورة والتكوّن الأُفهومي لفكرة المظلوميّة، وهي في اللغة عبارة عمّا يلحق المظلوم بفعل الظالم من الجور والأذى، والحيف والتجاوز، والابتزاز ونهب الحقوق، والقتل وسلب الممتلكات ونحو ذلك، وفي الرؤية الفلسفيّة تُعدّ من مقولة الإضافة، وهي الهيئة الحاصلة من نسبة متكرّرة قائمة بين طرفين متخالفين هما: (الظالم والمظلوم)، وكل واحد من هذين الطرفين يتشارك مع الآخر في صناعة وبناء معنى المظلوميّة ومفهومها، وأمّا بالنسبة إلى مُعطيات النصوص الدينيّة فهي تصف المظلوميّة في صيرورتها وتكوّنها بما يُشبه الإضافة الإشراقيّة، التي يرتبط ويتعلّق المضاف والإضافة فيها بطرف واحد فحسب، وهي تُعبّر عن جريمة نكراء بحقّ الإنسانيّة، وظاهرة مأساويّة في المجتمع، لا يصنعها ولا يتحمّل وزرها إلّا الظالم وحده، ولو ساهم المظلوم مع الظالم وسعى في صناعتها وتكوينها، فإنه سيكون في صفوف الظالمين.

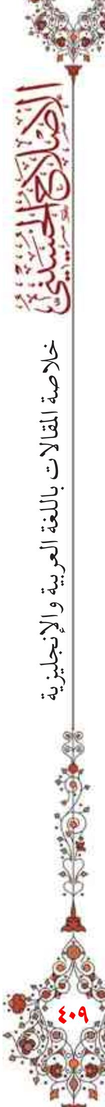
ثم انتقلنا بعد ذلك لرصد وثائق المظلوميّة ومستنداتها بشكل عامّ في النصوص الدينية: (القرآن الكريم والأحاديث الشريفة)، فيما يرتبط بحقيقتها وخصائصها وأحكامها وأهميّتها، واستعرضنا أيضاً التخليد القرآني والروائي لهذه الظاهرة، ومتى يستحقّ المظلوم التضامن والتقدير على مظلوميّته.

بعدها جاء دور الحديث حول المظلوميّة في النصّ الدينيّ الحسينيّ، فانتظم حديثنا في بوتقة هذه العناوين: التأكيد على عنوان (مظلوميّة الحسين عليه السلام) في النص الديني. لعن الأُمة الظالمة وتحميلها مسؤوليّة ما واجهه الحسين عليه السلام من مظلوميّة ومأساة.

مظلومية الحسين عليه السلام توجب العذاب الأبدي لظالميه. شهادة المؤمن وإقراره بـ(مظلوميّة الحسين عليه السلام) أمام الله تعالى. الصلاة والتسليم على الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره بوصف (المظلومية).

ثم ذكرنا تحت عنوان: ثقافة المظلومية وبناء الدولة، بأن هذه الثقافة لو مثّلت في واقعها ثورة مسلّحة ضدّ الظالمين، ونهضة تصحيحيّة لإصلاح المجتمع وانتشاله من غياهب الظلم والجريمة والفساد، فإنها ستكون الأقدر دوماً على صناعة القادة الأكفّاء وبناء الدولة الفاضلة. ثم أكّدنا في الوقت ذاته على أن الإنسان ينبغي ألّا يتعلّم كيف يكون مظلوماً؛ لأن مَنْ يتعلّم كيف يكون مظلوماً لا ينتصر أبداً.

وفي نهاية المطاف أشرنا إجمالاً إلى ضرورة العمل على توظيف المظلوميّة الحسينيّة في واقعنا الديني والاجتماعي والسياسي.



The injustice practiced against Imam al-Ḥusayn (ʿa) and the Tragedy of Karbalāʾ in the religious texts; A conceptual-documentary study

Shaykh Qayṣar al-Tamīmī

In the beginning of the essay, the writer touches on the terms of consequence and the conceptual composition of the notion of maẓlūmiyyah, or wrongedness. Lexically, the Arabic word maẓlūmiyyah is an expression of acts of injustice, harm, prejudice, transgression, oppression, wrong, usurpation of rights, murder, and the like acts that are practiced against some person or a group of persons. From a philosophical view, this word is considered as a dependable expression, in the sense that its meaning depends upon another meaning. It is thus the result of a repeated process between two adversary parties; namely, the wrongdoer and the wronged, since each party shares the other in the making and construction of the meaning and notion of maẓlūmiyyah.

The religious texts, on the other hand, describe the consequence and composition of the state of being exposed to wronging, or wrongedness, in a way similar to actual attachment, where the attachment is related to one party only. In this meaning, practicing injustice on others is a hideous crime against humanity and a tragic phenomenon in the societies that the wrongdoer alone is responsible for it. If the other party contributes to it or has a hand in its committing, then he is also decided as a wrongdoer.

The essay then moves to mentioning the documents related to practicing injustice generally in the religious texts; namely, the Holy Qurʾān and the Prophetic traditions, with regard to the definition, peculiarities, laws, and seriousness of the crime of practicing injustice. The writer thus reviews the Qurʾānic texts and Prophetic traditions that refer to this phenomenon and shows the situations at which the wronged persons deserve support and appreciation for falling under injustice.

Thereafter, the writer discusses the practice of injustice in the religious texts regarding Imam al-Ḥusayn (ʿa) specifically. Thus, the discussion comes under such titles like the following:

- Highlighting the title "Imam al-Ḥusayn's being exposed to injustice" in the religious texts,

- Cursing the wronging community and charging them with the responsibility for the tragedy and injustice practiced against Imam al-Ḥusayn (ʿa),

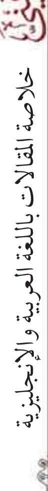
- Wronging Imam al-Ḥusayn (ʿa) necessitates eternal torture to the wrongdoers,

- True believers testify before Allah that Imam al-Ḥusayn (ʿa) was exposed to injustice, and

- Invoking Allah's blessings upon Imam al-Ḥusayn (ʿa), his family members, and his supporters, and introducing them to have been exposed to injustice.

Under the title, "The culture of Imam al-Ḥusayn being wronged, and the construction of the State," the writer confirms that if this culture is actually put into practice, it will be an armed revolution against all wrongdoers and a reformatory uprising for changing the community and saving from the doom of injustice, crime, and mischief. This culture is always the most capable of creating suitable leaders and building an ideal state. At the same time, the writer highlights the fact that man is required not to accustom himself to be a target for injustice and wronging, because those who are targets to injustice will never achieve victory.

Finally, the writer draws attention to the necessity of working toward using Imam al-Ḥusayn's exposure to injustice as a goal in the religious, social, and political situations of our lives.



نظرة في المأساة والمظلوميّة في كربلاء

حوار مع سماحة آية اللّه الشيخ
محمد جواد فاضل اللنكراني

لأجل تفعيل التواصل بين العلماء من ذوي الاختصاص وعامة الناس ارتأت مجلة (الإصلاح الحسيني) القيام بعقد الحوارات العلمية التخصصية؛ لتسليط الضوء على موضوع معيّن وإشباعه عن طريق إثارة ما يمكن إثارته عن طريق السؤال والجواب، ودرجاً على ذلك فقد التقت مجلتنا بسماحة الشيخ آية الله محمد جواد فاضل اللنكراني عن كثب للتحدث معه حول مسألة المأساة والمظلومية في كربلاء، واستفهام موقف الإسلام والعقل من الظلم والظالمين وحدود حرمة الظلم في الشرع المقدس إذا وجه إلى أي فردٍ بصورة عامة، وإذا كان الظلم منصباً على أهل البيت بالخصوص، ثم ما هو الأثر الذي تركته مظلومية سيد الشهداء عليه السلام في الأُمة على مدى التاريخ... إلى غير ذلك من المواضيع القيّمة.



A view at the tragedy and injustice in Karbalā’

An interview with
Ayatollah. Shaykh Muḥammad Jawād al-Fāḍil al-Lankarānī

For activating mutual connection between experienced scholars and ordinary people, the al-Iṣlāḥ al-Ḥusaynī Magazine proposes to manage some scholastic interviews with master scholars in order to pick up a certain subject and shed thorough light on it through posing any related questions possible in the question-answer form. In this regard, the Magazine interviewed His Eminence Shaykh Ayatollah Muḥammad Jawād al-Fāḍil al-Lankarānī and asked him a few questions on the issue of tragedy and injustice that took place in Karbalā’ and interrogated about the attitude of both Islam and reason to wrongdoing and wrongdoers as well as the limits of the forbiddance of wronging in the Islamic Law, when it is practiced against any person in general and against the Holy Imams (ʿa) in particular. In addition to many subjects related to the same topic, the Magazine asked the Shaykh about the impact of the injustice that was practiced against Imam al-Ḥusayn (ʿa) on the Muslim community all over history.



هل خطَّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟

الشيخ نعمة الله الصالحي النجف آبادي

لعلَّ تحديد أهداف الإمام الحسين عليه السلام من ثورته وتحركه ضد بني أُمية يُعدُّ من أدق مواضيع النهضة الحسينية؛ لأنه صورة أُخرى عن الإحاطة بالملاكات المتصوّرة لذلك الفعل المعصوميّ العظيم.

وفي هذا المقال استهدف الكاتب بسهامه من قال: إن الإمام الحسين عليه السلام سعى من خلال تحركه إلى الإطاحة بالحكم الأُموي وفضح رؤوسه، أو إنه مهَّد لمصرعه وبشكلٍ مروعٍ لتحريك مشاعر الناس ضدَّ بني أُمية، والكاتب وإن جعل المستشرق الألماني (ماربين) غرضاً لنباله لكن ردَّه يعمُّ كلّ منْ شاكل (ماربين) في آرائه، فسعى الكاتب جاهداً ـ بحسب آرائه الخاصة ـ إلى هدم رأي من قال: إن الإمام أعدّ لمصرعه بمدة مديدة، وإنه سعى لأن يكون ذلك بصورة مروّعة، كما زعم أن لا مصلحة للإسلام في شهادته عليه السلام مبيّناً وجهة نظره الخاصّة بأمورٍ استعرضها في كلامه.



Did Imam al-Ḥusayn (ʿa) plan to emphasize the scene of injustice and tragedy in Karbalāʾ?

Shaykh Niʿmatullāh al-Ṣāliḥī al-Najafʾābādī

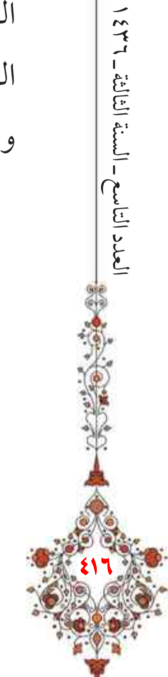
Perhaps, defining the objectives of Imam al-Ḥusayn's uprising and reformative revolution against the Umayyad ruling authorities is considered one of the most critical subjects, since it is another aspect of comprehending all the ideas that can be concluded from this great action of an Infallible Imam.

In this essay, the writer criticizes those who adopted the opinion that Imam al-Ḥusayn (ʿa), through his uprising and revolutionary act, aimed at overthrowing the Umayyad regime and unmasking its founders, or he only paved the way for the murder of slaying him at the hands of those tyrannical authorities in such an astounding way so as to provoke the people's feelings of antagonism against the Umayyads. Although the writer targeted the German Orientalist, Martin, openly, his words might be open to all those who held the same opinion of Martin. So, he refuted their baseless arguments and, depending upon his personal inferences and views, attempted to refute all those who claimed that Imam al-Ḥusayn (ʿa) had prepared for the murder of slaying him a long time before the event of Karbalāʾ and wanted for this crime to take the form of astounding criminal event. The writer also disproved the claims of those who said that the martyrdom of Imam al-Ḥusayn (ʿa) achieved no interest for Islam. Countering all these claims, the writer in this essay tries to prove his point of view through a number of discussions that he cites in this essay.

قراءة نقدية لمبحث المظلومية في كتاب (الشهيد الخالد)

الشيخ رافد التميمي

يُعدُّ هذا المقال ردّاً على مقالٍ مقتبس من كتاب (الشهيد الخالد) للشيخ الصالحي النجف آبادي، منشور في هذا العدد من مجلّة الإصلاح الحسيني، والذي تناول فيه قضية المظلومية في كربلاء، وأنّها لم تكن هدفاً من أهداف النهضة المباركة، وقد بيّن ذلك من خلال ردّه على أدلّة مَن ادّعى ذلك، مع مجموعةٍ من الاستبعادات والشواهد الأُخرى، وقد نسب هذا القول إلى المستشرق الألماني ماربين (مارتين)، وبيّن منشأ الخطأ في شياع القول: إنّ المظلومية من أهداف النهضة الحسينية، وقد قام الكاتب بالردّ على النقاط التي ذكرها ببيان وجه الخلل فيها، والأدلّة التي على خلافها، والتصورات الخاطئة التي وقع فيها الشيخ الصالحي النجف آبادي.





A critical evaluation of "wrongedness" discussed in al-Najaf'ābādī's al-Shahīd al-Khālid

Shaykh Rāfid al-Tamīmī

The essay is a refutation to a chapter of Shaykh al-Ṣāliḥī al-Najaf'ābādī's book: al-Shahīd al-Khālid, published in this issue of al-Iṣlāḥ al-Ḥusaynī Magazine. In this chapter, the author discussed the issue of wrongedness during the Event of Karbalā', arguing that this issue was not one of the goals of Imam al-Ḥusayn's revolutionary movement.

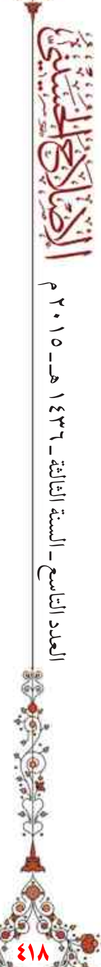
The writer of the essay thus criticizes this claim and refutes the points provided as evidence by those who claimed so. He then mentions a set of improbabilities and other proofs supporting his claim. He proves that this claim was first said by the German Orientalist, Martin, and points out the background of the inaccuracy in the claim that wrongedness was one of the goals of Imam al-Ḥusayn's reformative uprising. The writer thus refutes this claim through an ornate review of the points of inaccuracy mentioned therein, citing the points of evidence that prove the otherwise as well as the wrong ideas of Shaykh Najaf'ābādī.

انتهاك حقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء

الشيخ محمد جليل الكروي القيسي

يتحدّث المقال عن موضوع حقوقي في النهضة الحسينية، إذ تناول الباحث دراسة ما حدث من انتهاك لحقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء على يد الجيش الأُموي، ليحاكمها في ضوء الدستور الإلهي والأعراف السائدة في الجاهلية والقوانين العالمية، وقد قسّم الكاتب مقاله إلى محورين أساسيين: تكفّل المحور الأول ببيان مكانة المرأة والطفل وحقوقهما في ثلاثة مباحث، تحدّث في المبحث الأول عن مكانة المرأة والطفل عند عرب الجاهلية، فيما أشار في المبحث الثاني إلى موجز إجمالي عن الحقوق التي يتمتع بها الطفل والمرأة أثناء الحرب، واختتم هذا المحور بالحديث عن القوانين المقرّة عالمياً لضمان حقوق المرأة والطفل، فكان المبحث الثالث.

أمّا المحور الثاني فسلّط الباحث الأضواء فيه على انتهاكات حقوق المرأة والطفل التي حصلت من قبل جناة الحزب الأُموي في الطف، فذكر عدة مصاديق لذلك منها: قطع الماء عن عيال الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ومنها: الإرهاب والتخويف، إلى جانب الضرب وما جرى من قتل وسلب وسجن، بالإضافة إلى المعاملة الهمجية التي قام بها ابن زياد وجيشه.





Violation of Women and Children Rights in the Event of Karbalā'

Shaykh Muḥammad Jalīl al-Karawī al-Qaysī

The essay discusses a juridical issue within the issues of Imam al-Ḥusayn's reformative uprising; namely, the issue of the violation of women and children rights during the Event of Karbalā' that was practiced by the Umayyad army. The writer thus judges this issue in the light of the Divine Law, the conventional traditions that were common to the people of the pre-Islamic era, and the international law. He thus divides the essay into two major parts. In the first part, which he further divides into three sections, he reviews the status and rights of woman and children in general. In the first section, he thrashes out the standing of women and children in the sight of the Arabs before the advent of Islam. In the second section, he touches on, yet briefly, the rights women and children must enjoy in warfare. He ends up this part with a discussion of the internationally decided laws that guarantee the rights of women and children.

In the second part of the essay, the writer sheds light on the violations of the rights of women and children that were practiced by the criminal Umayyad army during the Battle of al-Ṭaff. He thus mentions some examples, such as depriving Imam al-Ḥusayn's women and children of water, terrorizing and frightening them, the shameful acts of lashing, killing, robbing, and imprisoning the women and children after the event, and the savage treatment they suffered at the hands of Ibn Ziyād and his troops.

المأساة والمظلومية في أبعادها الإنسانية
(الثورة الحسينية أُنموذجاً)

السيد محمد باقر الهاشمي

من الشواخص المهمة في نهضة سيد الشهداء عليه السلام هي المأساة التي لازمت حركته المقدسة، وهذا المقال قراءة في ذلك الشاخص البيّن، فيبدأ الكاتب مقاله بالإشارة إلى أنَّ المأساة والمظلومية كلّما اقتربت من الحقّانية عَمّت الإنسانية جمعاء بغضِّ النظر عن الدين والعرق واللّون، فالمأساة قادرة على تحريك إنسانية الإنسان؛ ولذا كانت كربلاء محط رحال الإنسان بما هو إنسان، وبالقدر الذي غابت به قِيم الإنسانية في يوم شهادة الحسين عليه السلام ـ بصوَرٍ تقشعرّ لها الأبدان ـ فقد أدّت تلك المأساة الى التواصل الإنساني فيما بعد، كما كانت شخصية الإمام الحسين عليه السلام قطب رحى كربلاء، ومركز الدائرة لكل ما يَمتُّ لكربلاء بصلة.





Human Aspects of Tragedy and Oppression; Imam al-Ḥusayn's Revolution as a Model

Sayyid Muḥammad Bāqir al-Hāshimī

Tragedy that accompanied Imam al-Ḥusayn's blessed revolutionary movement was one of the most significant features of this uprising. The essay is a review of this clearly significant feature of the Imam's revolution. So, the writer begins with an indication of the fact that the closer to the truth this tragedy and suffering from wronging is, the more common to humanity it becomes, aside from religion, race, or color. In other words, the tragic feature of any case has the ability to provoke the humanity of human beings generally. For this reason, the tragic saga of Karbalā' has been the target of reactions of human beings in general, in their capacity as human beings, regardless of any other factor, because the values of humanity were obviously missing on the day of Imam al-Ḥusayn's martyrdom in such a way that moved every human being forcefully up and down. As a result of this tragedy, a kind of human contact was created, because Imam al-Ḥusayn's personality was the pivot of the Karbalā' Event and was the center of whatever is related to this event.

المظلومية في عِزّةٍ وإباء
وجه آخر للنصر

الشيخ إسكندر الجعفري

تعدّ العلاقة بين المظلومية والنّص من أهمّ الأسئلة التي تشغل ذهن المتابع للنهضة الحسينية، فكيف ينتصر المظلوم مع قهر عدوّه له عسكرياً؟ من هنا جاء المقال الذي بين أيدينا ليؤكد أن المظلوم العزيز هو المنتصر، وقد قسّم الباحث مقاله إلى ثلاثة محاور رئيسة، اضطلع المحور الأول ببيان مفهوم النصر في اللغة والقرآن الكريم والاستعمال المعاصر ليستنتج منه أن مفهوم النصر لا يقتصر على القلّة العسكرية، وفي المحور الثاني تناول الباحث العلاقة بين المظلومية والانتصار، واستنتج أن المظلومية المنتصرة في الصراع مع الظالمين هي المظلومية الإيجابية لا السلبية، وقد انتصرت المظلومية الإيجابية في النهضة الحسينية التي رفضت كلّ أشكال الذلِّ والاضطهاد.

وفي المحور الثالث استعرض الباحث مظاهر العزّة والإباء في النهضة الحسينية على مستوى الخطاب والمواقف، وذكر شواهد لكلٍّ من المستويين.



Exposedness to injustice gloriously and proudly; Another phase of victory

Shaykh Iskandar al-Jaʿfarī

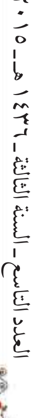
The relationship between wrongedness and the texts is considered one of the most significant questions that occupy the mind of those interested in Imam al-Ḥusayn's revolutionary uprising. The question may be put in the following way: How can the one exposed to injustice triumph over his enemy militarily?

This is the subject matter of this essay whose writer tries to prove that the wronged party was the triumphant. The essay is thus divided into three major parts, the first of which is dedicated to explaining and analyzing the meaning of victory and triumph in language generally and in the terminology of the Holy Qur'ān particularly. He then shows the contemporary usage of this word to conclude that victory is not restricted to military overcoming. In the second part, he deals with the relationship between the state of being wronged and victory, to come to the conclusion that the state of being wronged in the conflicts against the oppressing party is positive but not negative. Hence, the positive wrongedness in Imam al-Ḥusayn's reformative movement was the triumphant, as it rejected all kinds of humility and persecution.

In the third part of the essay, the writer reviews the aspects of glory and pride in Imam al-Ḥusayn's revolution at the levels of speeches and attitudes. He then mentions models of each level.

الشيخ صباح عباس الساعدي

تناول الباحث في هذا المقال الجانب التوظيفي لمأساة عاشوراء في تراث أهل البيت، وكيف جعل الأئمة المعصومون عليهم السلام مظلومية الإمام الحسين عليه السلام تمشي في مسارها الذي جاءت من أجله. بدأ المقال ـ بعد تمهيد ـ ببحث الوجهة الفقهية لإبداء التظلّم، وإن الشرع المقدّس أجاز للمظلوم إبداء تظلّمه حتى لو كان ذلك انتقاصاً من الظالم، ثم عرض الكاتب مسألة توظيف المظلومية من وجهة نظر القرآن الكريم، وتوصّل إلى أن توظيف المظلومية وإبداءها للأجيال المتأخرة هو من المناهج التي اعتمدها القرآن الكريم في آيات كثيرة. بعد ذلك ركَّز الكاتب على مظاهر التوظيف الديني والعقدي لمأساة كربلاء في تراث أهل البيت عليهم السلام، فذكر جانب التركيز على أن أعداء الإمام الحسين عليه السلام هم أعداء الله تعالى، والتثقيف لزيارة قبور الأئمة من خلال واقعة عاشوراء، ولزوم التضحية وتحمّل المصاعب من أجل حفظ الدين ونصرته، والتشجيع على قراءة القرآن والتدبّر في آياته من خلال علاقة القرآن بالإمام الحسين عليه السلام، وأخيراً توظيف أهل البيت عليهم السلام لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام وربطها بالإمام الثاني عشر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.



Religious and creedal employment of the tragedy of Karbalāʾ in the heritage of the Infallible Imams

Shaykh Sabah ʿAbbās al-Sāʿidī

In this essay, the writer talks about the aspect of employing the tragedy of Karbalāʾ in the heritage of the Ahl al-Bayt (i.e. the Holy Prophet's family) and how the Holy Imams directed the injustice practiced against Imam al-Ḥusayn (ʿa) and kept it on the correct course for which it was launched. After a prelude, the essay begins with a discussion of the jurisprudential justification for complaining against injustice, proving that the Islamic Law allowed the wronged people to declare and prove their exposition to injustice even if that would lead to reproaching the wrongdoers.

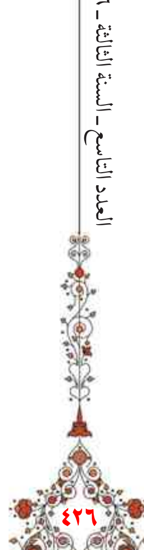
The writer then moves to review the issue of employing wrongedness from the view of the Holy Qurʾān. So, he concludes that this method of declaring the injurious acts of the oppressors and informing the late generations of them is one of the styles used in many verses of the Holy Qurʾān.

After that, the writer focuses on examples of religious and creedal employment of the tragedy of Karbalāʾ in the heritage of the Holy Imams. He thus highlights the concentration on the fact that the enemies of Imam al-Ḥusayn (ʿa) are the true enemies of God the Almighty. He then mentions that the Holy Imams (ʿa) emphasized on publicizing the education of visiting the tombs of the Holy Imams (ʿa) through the Event of ʿĀshūrāʾ, the necessity of self-sacrifice and tolerating all difficulties in the course of safeguarding and protecting the religion, as well as encouragement on reading and thinking profoundly of the verses of the Holy Qurʾān through creating a relationship between the Holy Qurʾān and Imam al-Ḥusayn (ʿa). Finally, the writer calls attention to the Holy Imams' employing the issue of injustice to which Imam al-Ḥusayn (ʿa) was exposed and linking this issue with the twelfth Imam al-Mahdī (may Allah hasten his reappearance).

السيد شهيد طالب الموسوي

تناول المقال مسألة مهمة من المسائل المتعلقة بمظلومية الإمام الحسين عليه السلام، وهي: مشيئة الباري ـ تبارك وتعالى ـ لمظلوميته، بدأ الكاتب ببحثٍ مفهومي في المشيئة الإلهية، فعرض المعنى اللغوي لها، ثم التعريف الاصطلاحي مستعيناً بكلمات أهل البيت عليهم السلام لينتقل بعد ذلك إلى أقسام المشيئة، ثم صدور أفعال العباد في ظل المشيئة والإرادة الإلهية، ثمَّ تطرّق الباحث إلى أسباب المظلومية في جهتين: جهة تعود إلى المظلوم وأُخرى تتعلق بالظالم، وبعدها ركَّز المقال على المشيئة الإلهية لمظلومية الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ثمَّ سلّط الأضواء على إشراك العيال في تلك المأساة والمظلومية.

وفي نهاية المقال ربط الباحث بين مظلومية الإمام الحسين عليه السلام ودولة العدالة المهدوية؛ لأن شعار دولة المنقذ العالمي: (يالثارات الحسين)، إذ أن هدف المشيئة الإلهية للمظلومية خلق الأُسوة على مرّ الدهور للتضحية من أجل الدين، ومن خلال ذلك ينطلق أصحاب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.



The Divine Will in the wrongedness of Imam al-Ḥusayn (ʿa)

Sayyid Shahīd Ṭālib al-Mūsawī

The essay touches on a significant issue that is related to the Imam al-Ḥusayn (ʿa) having been exposed to injustice; namely, the issue of the will of God the Almighty and its relationship with Imam al-Ḥusayn's being exposed to injustice. Thus, the writer begins with discussing the meaning and conception of the Divine Will, starting with explaining this term lexically and then terminologically, deriving his conclusions from the words of the Holy Imams (ʿa). He then moves to review the different parts of the Divine Will, proving that the acts of the human beings are always under the shadow of the Divine will and volition. The writer then discusses the reasons for wrongedness from two aspects, one is related to the wronged party while the other to the wronging party. After that, he focuses on the injustice which was practiced against Imam al-Ḥusayn (ʿa) and its relationship with the Divine Will. He then sheds light on the issue of the Imam's accompanying his family members to be partners in the tragedy and injustice to which he was exposed.

In the end, the writer tries to create a link between Imam al-Ḥusayn's state of having been wronged and the kingdom of ultimate justice that shall be founded by Imam al-Mahdī (ʿa), because the slogan that the Final Savior will raise shall be demanding with revenge for Imam al-Ḥusayn (ʿa). The purpose of the Divine Will behind the acts of injustice practiced against the religious personalities was always to create an exemplary model of self-sacrifice for the religion. This is the same background from which Imam al-Mahdī (ʿa) shall start his reformative global movement.

دراسة فقهية في الظالمية والمظلومية
(كربلاء أُنموذجاً)

الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي

يدور البحث في هذه الدراسة حول الظالمية والمظلومية من ناحية فقهية، فقد عقد الكاتب البحث في ثلاث جهات: تطرَّق في الجهة الأُولى إلى معنى الظالمية والمظلومية وأسباب صناعتهما، إذ كان منها: نقض العهد المأخوذ من الناس على الإيمان بالله، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك إقامة حدِّ القصاص، والركون إلى الظالمين، وظلم الناس بعضهم بعضاً.

وأما الجهة الثانية فقد وقع الكلام فيها حول الرؤية الفقهية تجاه الظالم من جهة ما يلزم على الناس فعله تجاهه، كحرمة إعانته ووجوب محاربته.

ثم عرَّج الباحث على الجهة الثالثة باحثاً النظرة الفقهية للمظلومية والمظلوم، وذلك من ناحيتين: الأُولى في وظيفة المظلوم تجاه نفسه، كحرمة تقبّل المظلومية والبقاء عليها، والدفاع عن النفس والاستنصار، وجواز التظلّم والهجرة إلى بلدٍ آخر، والثانية حول وظيفة الناس تجاه المظلوم كنصرته والدفاع عنه وحرمة خذلانه.



A Jurisprudential Study of Wronging and Wrongedness; Karbalā' as a Sample

Shaykh Ḥabīb ʿAbd al-Wāḥid al-Sāʿidī

The discussion in this essay revolves round two issues; namely, practicing injustice and exposing to injustice, from a jurisprudential point of view. The writer thus founds the discussion on three aspects. In the first aspect, he touches on the meanings of practicing injustice and exposing to injustice and the reasons for doing each act. Some of these reasons were: Breaking the covenant that God made with people that they should believe in Him, deserting the religious duty of enjoining the right and forbidding the evil, failing to establish the religious penal laws, inclining to the unjust people, and the people's wronging each other.

In the second aspect, the writer reviews the view of Muslim jurisprudence about wrongdoers and unjust persons, demonstrating what people are required to do toward such persons, such as the forbiddance of helping them and the duty of fighting them.

In the third aspect, the writer discusses the jurisprudential view about exposition to wronging and the wronged persons in two parts. The first part is a discussion of the duty of the wronged persons towards themselves, such as the forbiddance of accepting and tolerating the state of being wronged, the duty of self-defense and asking for support, and the legality of complaining against wronging and migration to another country in order to get rid of persecution. The second part is focused on the peoples' duty towards the wronged persons, such as the duty of supporting and defending them and the forbiddance of failure to support them.

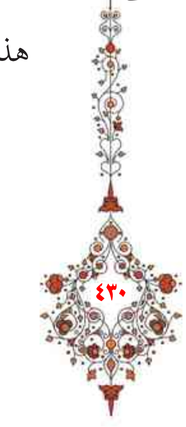
منطلقات النهضة الحسينية وخلفياتها

القسم الخامس

(مفاصل الحركة الحسينية)

السيد محمد الشوكي

بيّن الباحث في هذا القسم ـ وهو القسم الخامس من مقاله حول منطلقات النهضة الحسينية وخلفياتها ـ مفاصل الحركة الحسينية ومحطّاتها التي تبدأ من رفض الإمام عليه السلام البيعة، ومغادرته المدينة ليحطّ رحاله في مكة، وليبدأ نشاطه الإعلامي المكثّف للإعداد للثورة وتهيئة مستلزماتها وبيان أهدافها ودعوة الأُمة إلى ذلك، وإرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة لتقييم الأوضاع وتمهيد الأرضية؛ لأن موقف الكوفة كان واضحاً حسب الظاهر إذ تمثّل بإرسال الكتب إلى الإمام عليه السلام وإعلان رفضها حكم بني أميّة، وإنها كانت مع الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام من حيث الجانب السياسي والعاطفي، إلّا أنها لم تكن كذلك في الموقف العملي والإرادة، وقد ساهمت ظروف موضوعية في حصول مثل هذه الازدواجية في المجتمع الكوفي سيتناولها الباحث في المقال القادم ـ إن شاء الله ـ .





The Starting Points and Backgrounds of Imam al-Ḥusayn's uprising

Part V: Major Stages of Imam al-Ḥusayn's Reformative Movement

Sayyid Muḥammad al-Shawkī

In the fifth part of the essay on the starting points and backgrounds of Imam al-Ḥusayn's uprising, the writer discusses the stages and stations of Imam al-Ḥusayn's revolutionary movement, starting with the Imam's rejection to pay homage to the tyrannical ruler, as a result of which he left the city of al-Madīnah and resided at Makkah where he launched his condensed propagandist activity for preparing for the revolution, arranging for its requirements, declaring its goals and objectives openly, inviting the community to participate in it, and sending Muslim ibn ʿAqīl to al-Kūfah for the purpose of assessing the public situation there and paving the way for the revolution. This is so because the situation of the people of al-Kūfah was so clear to the Imam apparently, especially after they sent him tens of epistles declaring their loyalty to him and their rejection of the Umayyad rule and standing with Imam al-Ḥusayn (ʿa) and the Holy Prophet's Family politically and sentimentally. Unfortunately, this was not their practical situation. Some objective circumstances contributed to the composition of such duality in the community of al-Kūfah, which the writer will discuss in details in the coming essay, God willing.

المؤسسة الشعائرية
القسم الثاني
(الأهداف والغايات)

الشيخ عامر الجابري

يتناول الباحث في هذا القسم الثاني من دراسته موضوع المؤسسة الشعائرية على الأهداف والغايات المتوخاة من تأسيسها، وقد تمثّلت هذه الأهداف في أمرين مهمّين هما: دور الشعائر في حفظ كيان التشيّع، والثاني مساهمة المؤسسة الشعائرية في انتشار التشيّع وازدهاره، واستشهد بكلام بعض المستشرقين على ذلك، كما تحدّث الباحث عن دور الشعائر الحسينية في بناء المسلم الشيعي على المستوى العقدي والاجتماعي والثقافي، وفي الختام تطرّق الباحث إلى وقفتين مهمتين، كانت الأُولى حول ضرورة مواكبة المؤسسة الشعائرية لمتطلبات العصر وتطوراته مع الحفاظ على عنصر الأصالة، وأما الثانية فكانت حول دور الفقهاء في هذه المؤسسة ومهمتهم في حفظها وتطويرها وترشيدها.



The Institution of Commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom

Part II: Goals and Outcomes

Shaykh ʿĀmir al-Jābirī

In the second part of his essay, the writer thrashes out the topic of goals and outcomes expected from instituting a foundation for commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom. These goals may be summed up in two major missions: First, the role of these rituals in safeguarding the entity of Shīʿism and, second, their contribution to the outspread and flourishing of Shīʿism. The writer thus provides as evidence the words of some Orientalists.

He then shows the role of the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom at the creedal, social, and cultural levels.

In the end, he underlines two significant points: First, he deems important that the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom are updated to be compatible with the requirements of the present day along with observing the element of originality. Second, he highlights that the master scholars of jurisprudence must play an active role in safeguarding, developing, and directing the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom.

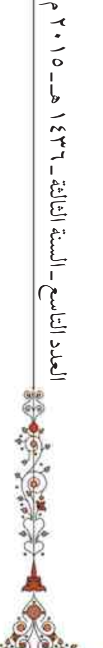


فقه التربة الحسينية
(القسم الرابع)

الشيخ أحمد العلي

هذا المقال هو حلقة من سلسلة مقالات تناولت التربة الحسينية المباركة باعتبارها موضوعاً فقهيّاً لأحكام كثيرة تمَّ ذكر قسمٍ منها فيما مضى من مقالات للكاتب، وتناول في هذا القسم بعضاً آخر، فذكر في مقاله هذا عدة مسائل، منها: مسألة السجود على التربة الحسينية وحكمه الفقهي في خمسة مباحث مع تفريعاتها.

ثم مسألة التحرّز بالتربة المباركة وأدلة ذلك، ويليها مسألة التسبيح بتلك التربة الميمونة وما يتعلق بذلك من فروع، ثم عرض مسألة حكم جواز أو عدم جواز الإفطار على تلك التربة يوم العيدين: (الفطر والأضحى). وأخيراً تعرّض الكاتب إلى حكم الخمس ـ كحقٍ مالي ـ في التربة الحسينية، وناقش أدلة ذلك.



Religious Laws appertained to the blessed clay taken from Imam al-Ḥusayn’s tomb

Part IV

Shaykh Aḥmad al-ʿAlī

This essay is a chapter within a series of essays that dealt with the religious laws appertained to the clay taken from Imam al-Ḥusayn’s tomb, in its capacity as a jurisprudential issue under which many laws are listed. Some parts of these laws have been already mentioned in previous essays. In this essay, the writer goes on and discusses other issues, such as: Prostrating on the Ḥusaynī clay and the religious rulings appertained to this issue. The writer thus discusses this issue in five sections, along with further branches.

He then discusses the issue of seeking God’s protection through the blessed Ḥusaynī clay and taking it for amulet. He thus reviews the points of evidence related. After that, the issue of making rosaries whose beads are made from the Ḥusaynī clay comes, along with secondary related issues. The writer then discusses the issue of the legality or illegality of breaking the ritual fasting by having some of the Ḥusaynī clay on the ʿĪd al-Fiṭr Day.

Finally, he touches on the issue of the khums levy (the one-fifth Islamic tax) in the Ḥusaynī clay when it is possessed, reviewing all the points of evidence related to this issue.



توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين عليه السلام
(القسم الأول)

د. عادل لعيبي

لا يخفى أنَّ الشعر هو أحد النتاجات البشريّة التي لعبت دوراً مهمّاً في مجالات شتّى (عقائدية وفكرية وسياسية و...)؛ باعتباره ركناً ركيناً من الثقافة البشرية. وقد نُسِبَ من الشعر الكثير لسيد الشهداء وخامس أصحاب الكساء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، وهذا المقال محاولة لتوثيق هذا الشعر بحسب معايير ذكرها الكاتب، وهي:

معيار الزمن، ومعيار التواتر في الشعر، ومعيار العصمة، فما خالفها لا يمكن نسبته له عليه السلام، واتضح ـ بحسب الكاتب ـ أن هناك ثلاثة أنحاء من الشعر، فشعْرٌ منسوب للإمام الحسين عليه السلام ونُسب لغيره أيضاً، والصواب أنه له عليه السلام.

وشعر منسوب إليه عليه السلام ولم يشاركه فيه أحد.

وشعر منسوب إليه عليه السلام وإلى غيره، والصواب أنه لغيره.

تعرَّضَ الكاتب في هذا القسم إلى النحو الأول والثاني.

وأما النحو الثالث فسيأتي ـ إن شاء الله ـ لاحقاً في القسم الثاني من المقال.



Documenting Imam al-Ḥusayn's Poetry

Dr. ʿĀdil Lʿeibī

Beyond doubt, poetry is one of the human products that play a major role in different aspects of life, including the creed, intellectuality, and politics, since it is seen as a significant pillar of human culture. Many poetic verses were ascribed to Imam al-Ḥusayn (ʿa), the Chief of the Martyrs. This essay is an attempt to document these poetic verses to prove whether they were or were not issued by him, under certain standards to which the writer referred, as follows: (1) Standard of time, (2) standard of uninterrupted reporting of poetry, and (3) standard of infallibility. So, whatever poetry that is in violation of any of these standards cannot be proven to have been said by the Imam (ʿa). The writer thus proves that the poetic verses that are ascribed to Imam al-Ḥusayn (ʿa) were of three kinds:

Some poetry was ascribed to him and to other people, while it was really said by him. Some other was ascribed to him alone. The third kind was the poetry that was ascribed to him and to other poets, while it was not said by him in reality.

In this essay, the writer discusses the first and second kinds of poetry, while he postpones discussing the third kind to a coming essay, God willing.



الاختلاف والتعارض في أحكام الجرح والتعديل عند أهل السُّنّة
(عمقٌ في المشكلة ومتاهات في الحلول)

د. السيد حاتم البخاتي

أراد الكاتب في هذا المقال أن يشير إلى مسألة حسّاسة في علم الجرح والتعديل عند أهل السنّة، وهي كثرة أحكام الجارحين والمعدّلين؛ مما أدّى إلى حصول الاختلاف والتعارض فيما بينها؛ ما استدعى من علمائهم أن يقدّموا الحلول والمعالجات كإسقاط جرح الأقران بعضهم بعضاً من الحساب، وتصنيف علماء الجرح والتعديل، واحتجاج الشيخين أو أحدهما بالراوي، وتقديم الجرح على التعديل التي كثر الحديث فيها، ولكن تلك الحلول ظلّت بعيدة عن معالجة ظاهرة الاختلاف في الجرح والتعديل، بل ربما زادت المسألة تعقيداً وغموضاً، ما يستدعي إعادة النظر في أكثر هذه الأحكام والمسائل التي رتّبوا عليها مسائل عقدية خطيرة مَسّتْ واقع الأُمة الإسلامية ووحدتها.



العدد التاسع ـ السنة الثالثة ـ ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م

Disagreement and Contradiction in the Science of Discrediting and Crediting; A profundity in the problem and a maze in solutions

Dr. Sayyid Ḥātim al-Bukhātī

The writer of this essay tries to refer to a sensitive question in the field of the knowledge of al-jarḥ wa'l-taʿdīl, or discrediting and crediting; a scholarly course followed by Sunni scholars for evaluating the transmitters of Prophetic traditions. The question is that those involved in the study of the biographies of the transmitters issued too many contradictory judgments about the same transmitter. To solve this problems, their master scholars had to make some treatments, such as disregarding the discrediting of the opponents, classifying the scholars of discrediting and crediting into different classes, considering the opinions of Muslim and al-Bukhārī, or one of them, about a certain transmitter, and preferring discrediting to crediting in the common issues. Yet, these solutions failed to solve the problems of contradiction in this issue or even made it more complicated and obscure. For this reason, it was necessary to reconsider the majority of these laws and issues, as a result of which some serious laws appertained to the actuality and unity of the Muslim community were issued.



إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية